



مرکز تحقیقات اسلامی

اصفهان

گامی



ارشد
علیه
اصحاب
السلام

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir

مَنْهَاجُ الْبَرِّيَّةِ

فَتْحُ مَنَاجِزِ الْبَلَاغَةِ

لِلْأَمِينِ

الْعَلَّامِ الْمُحَرَّرِ الرَّحِيمِ زَيْدِ بْنِ جَعْفَرٍ الْهَاشِمِيِّ

الْمَكِّيِّ الْقُرَشِيِّ

الجزء العشرون

من منشورات

الكتاب الإسلامي

طرابلس - ليبيا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه

نويسنده:

حبيب الله خوئی

ناشر چاپی:

المکتبه الاسلاميه

ناشر دیجيتالى:

مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

فهرست

٥	فهرست
٢٣	منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه (عربى - فارسى) جلد ٢٠
٢٣	مشخصات كتاب
٢٤	تتمه باب المختار من كتب أمير المؤمنين عليه السلام و رسائله إلى أعدائه و أمرائه
٢٤	المختار الحادى و الثلاثون
٢٤	اشاره
٢٥	لفصل الاول من قوله
٢٥	اشاره
٢٦	اللغه
٢٦	الاعراب
٢٦	المعنى
٢٧	الترجمه
٢٨	الفصل الثانى قوله عليه السلام:
٢٨	اشاره
٢٩	اللغه
٢٩	المعنى
٣٠	الترجمه
٣١	الفصل الثالث قوله عليه السلام:
٣١	اشاره
٣٤	اللغه
٣٤	الاعراب
٣٤	المعنى
٣٥	الترجمه
٣٧	الفصل الرابع من قوله عليه السلام:

٣٧	اشاره
٣٩	اللغه
٣٩	المعنى
٣٩	الترجمه
٤١	الفصل الخامس من قوله عليه السلام:
٤١	اشاره
٤٣	اللغه
٤٣	الاعراب
٤٣	المعنى
٤٣	الترجمه
٤٥	الفصل السادس من قوله عليه السلام:
٤٥	اشاره
٤٦	اللغه
٤٧	الاعراب
٤٧	المعنى
٤٨	الترجمه
٤٩	الفصل السابع من قوله عليه السلام:
٤٩	اشاره
٥٢	اللغه
٥٢	الاعراب
٥٢	المعنى
٥٤	الترجمه
٥٦	الفصل الثامن من قوله عليه السلام:
٥٦	اشاره
٥٩	اللغه
٥٩	الاعراب

٥٩ المعنى
٦٥ الترجمة
٦٧ المختار الثاني و الثلاثون
٦٧ اشارته
٦٨ و أول هذا الكتاب
٦٨ اللغة
٦٨ الاعراب
٦٨ المعنى
٧٠ الترجمة
٧١ المختار الثالث و الثلاثون
٧١ اشارته
٧٢ اللغة
٧٢ الاعراب
٧٢ المعنى
٧٣ الترجمة
٧٤ المختار الرابع و الثلاثون
٧٤ اشارته
٧٥ اللغة
٧٥ الاعراب
٧٥ المعنى
٧٦ الترجمة
٧٧ المختار الخامس و الثلاثون
٧٧ اشارته
٧٨ اللغة
٧٨ الاعراب
٧٨ المعنى

٧٩	الترجمه
٨٠	المختار السادس و الثلاثون
٨٠	اشاره
٨١	اللغه
٨١	الاعراب
٨٢	المعنى
٨٤	الترجمه
٨٥	المختار السابع و الثلاثون
٨٥	اشاره
٨٥	و لهذا الكتاب صدر ذكره الشراح هكذا:
٨٧	الترجمه
٨٨	المختار الثامن و الثلاثون
٨٨	اشاره
٨٩	اللغه
٨٩	الاعراب
٩٠	المعنى
٩١	الترجمه
٩٢	المختار التاسع و الثلاثون
٩٢	اشاره
٩٢	المصدر
٩٣	اللغه
٩٤	المعنى
٩٤	الترجمه
٩٥	ترجمة نامه بروايت نصر بن مزاحم طبق نقل ابن أبى الحديد
٩٥	المختار الاربعون
٩٥	اشاره

٩٧ اللغة
٩٨ الاعراب
٩٨ المعنى
٩٩ الترجمة
١٠١ «ترجمة نامه ای که در شرح ذکر شده است»:
١٠١ المختار الواحد و الاربعون
١٠١ اشاره
١٠٢ اللغة
١٠٢ المعنى
١٠٣ الترجمة
١٠٤ المختار الثانى و الاربعون
١٠٤ اشاره
١٠٤ اللغة
١٠٤ الاعراب
١٠٥ المعنى
١٠٦ الترجمة
١٠٧ المختار الثالث و الاربعون
١٠٧ اشاره
١٠٨ اللغة
١٠٨ الاعراب
١٠٨ المعنى
١١١ الترجمة
١١١ المختار الرابع و الاربعون
١١١ اشاره
١١١ الفصل الأول من الكتاب
١١١ اشاره

اللغة ١١٢

الاعراب ١١٣

المعنى ١١٣

بقية من المختار الرابع و الاربعين من كتبه عليه السلام ١١٧

اشاره ١١٧

اللغة ١١٨

الاعراب ١١٨

المعنى ١١٨

الترجمه ١٣٩

بقية من المختار الرابع و الاربعين من كتبه عليه السلام ١٤٠

اشاره ١٤٠

اللغة ١٤١

الاعراب ١٤١

المعنى ١٤٢

بقية من المختار الرابع و الاربعين من كتبه عليه السلام ١٤٢

اشاره ١٤٢

اللغة ١٤٣

المعنى ١٤٣

بقية من المختار الرابع و الاربعين من كتبه عليه السلام ١٤٥

اشاره ١٤٥

اللغة ١٤٧

المعنى ١٤٧

المختار الخامس و الاربعون من كتبه عليه السلام ١٤٩

اشاره ١٤٩

اللغة ١٤٩

الاعراب ١٤٩

١٥٠	المعنى
١٥١	الترجمه
١٥٢	المختار السادس و الاربعون
١٥٢	اشاره
١٥٣	اللغه
١٥٣	الاعراب
١٥٣	المعنى
١٥٦	الترجمه
١٥٧	المختار السابع و الاربعون من كتبه عليه السلام
١٥٧	اشاره
١٥٨	اللغه
١٥٨	المعنى
١٦٠	الترجمه
١٦١	المختار الثامن و الاربعون من كتبه عليه السلام
١٦١	اشاره
١٦١	اللغه
١٦١	المعنى
١٦٣	الترجمه
١٦٣	المختار التاسع و الاربعون من كتبه عليه السلام
١٦٣	اشاره
١٦٤	اللغه
١٦٤	الاعراب
١٦٥	المعنى
١٦٨	الترجمه
١٦٩	المختار الخمسون من كتبه عليه السلام
١٦٩	اشاره

١٧٠ اللغة
١٧٠ الاعراب
١٧١ المعنى
١٧٣ الترجمة
١٧٤ المختار الواحد و الخمسون من كتبه عليه السلام
١٧٤ اشاره
١٧٥ اللغة
١٧٥ الاعراب
١٧٥ المعنى
١٨٤ الترجمة
١٨٥ المختار الثانى و الخمسون من كتبه عليه السلام
١٨٥ اشاره
١٨٨ موقعيه مصر فى الحكومه الاسلاميه
١٩٠ الفصل الاول
١٩٠ اشاره
١٩١ اللغة
١٩١ الاعراب
١٩١ المعنى
٢٠١ الترجمة
٢٠٢ الفصل الثانى من عهده عليه السلام للاشترا النخعى
٢٠٢ اشاره
٢٠٦ اللغة
٢٠٧ الاعراب
٢٠٧ المعنى
٢١٣ الترجمة
٢١٦ الفصل الثالث من عهده عليه السلام

٢١٦	اشاره
٢١٨	اللغه
٢١٨	الاعراب
٢١٨	المعنى
٢٢٤	الترجمه
٢٢٥	الفصل الرابع من عهده عليه السلام
٢٢٥	اشاره
٢٢٦	اللغه
٢٢٧	الاعراب
٢٢٧	المعنى
٢٢٧	اشاره
٢٣٠	ضابطتين تكونان كالأماره و الدليل على وجود
٢٣٠	الاول ضابطه الاسره و البيت
٢٣١	رساله الاسكندر الى أرسطو و رد أرسطو عليه
٢٣٥	الضابطه الثانيه ما يستفاد من حال الفرد نفسه
٢٣٦	الترجمه
٢٣٧	نامه اسكندر بارسطو و پاسخ أرسطو بنامه او
٢٣٩	ارسطو در پاسخ او چنین نوشت
٢٤١	الفصل الخامس من عهده عليه السلام
٢٤١	اشاره
٢٤٢	اللغه
٢٤٣	الاعراب
٢٤٣	المعنى
٢٤٣	اشاره
٢٤٨	وصيته عليه السلام باحياء الفضيله و حفظ الحقوق
٢٤٩	وصيته عليه السلام بالمساواه و ترك التبغيز

٢٤٩	توصيته عليه السلام برعايه القانون و تبين معناه
٢٥١	فما هي الايه المحكمه؟
٢٥٣	الترجمه
٢٥٤	الفصل السادس من عهده عليه السلام
٢٥٤	اشاره
٢٥٤	اللغه
٢٥٥	الاعراب
٢٥٥	المعنى
٢٦٤	الترجمه
٢٦٥	الفصل السابع من عهده عليه السلام
٢٦٥	اشاره
٢٦٧	اللغه
٢٦٨	الاعراب
٢٦٨	المعنى
٢٦٨	اشاره
٢٧٤	عهد سابور بن اردشير لابنه
٢٧٥	الترجمه
٢٧٧	الفصل الثامن من عهده عليه السلام
٢٧٧	اشاره
٢٧٨	اللغه
٢٧٨	الاعراب
٢٧٩	المعنى
٢٧٩	اشاره
٢٨١	فصل فى الكتاب و ما يلزمهم من الاداب
٢٨٤	الترجمه
٢٨٥	الفصل التاسع من عهده عليه السلام

٢٨٥	اشاره
٢٨٦	اللغه
٢٨٧	الاعراب
٢٨٧	المعنى
٢٩٧	الترجمه
٢٩٨	الفصل العاشر من عهده عليه السلام
٢٩٨	اشاره
٢٩٩	اللغه
٢٩٩	الاعراب
٣٠٠	المعنى
٣٠١	الترجمه
٣٠٢	الفصل الحادى عشر من عهده عليه السلام
٣٠٢	اشاره
٣٠٣	اللغه
٣٠٤	الاعراب
٣٠٤	المعنى
٣٠٧	الترجمه
٣٠٩	الفصل الثانى عشر من عهده عليه السلام
٣٠٩	اشاره
٣٠٩	اللغه
٣١٠	المعنى
٣١٢	الترجمه
٣١٢	الفصل الثالث عشر من عهده عليه السلام
٣١٢	اشاره
٣١٣	اللغه
٣١٤	الاعراب

٣١٤ المعنى
٣٢٠ الترجمة
٣٢١ الفصل الرابع عشر من عهده عليه السلام
٣٢١ اشاره
٣٢٢ اللغة
٣٢٢ الاعراب
٣٢٤ المعنى
٣٢٨ الترجمة
٣٢٩ الفصل الخامس عشر من عهده عليه السلام
٣٢٩ اشاره
٣٣١ اللغة
٣٣٢ الاعراب
٣٣٢ المعنى
٣٤١ الترجمة
٣٤٣ خاتمه عهده عليه السلام
٣٤٣ اشاره
٣٤٣ الاعراب
٣٤٤ المعنى
٣٤٤ الترجمة
٣٤٧ المختار الثالث والخمسون
٣٤٧ اشاره
٣٤٨ الاعراب
٣٤٨ المعنى
٣٥٢ الترجمة
٣٥٣ المختار الرابع والخمسون
٣٥٣ اشاره

٣٥٣ اللغة
٣٥٤ الاعراب
٣٥٤ المعنى
٣٥٤ الترجمة
٣٥٤ المختار الخامس و الخمسون
٣٥٤ اشاره
٣٥٧ اللغة
٣٥٧ الاعراب
٣٥٧ المعنى
٣٥٨ الترجمة
٣٥٨ المختار السادس و الخمسون
٣٥٨ اشاره
٣٥٩ اللغة
٣٥٩ الاعراب
٣٥٩ المعنى
٣٦١ الترجمة
٣٦١ المختار السابع و الخمسون
٣٦١ اشاره
٣٦٢ اللغة
٣٦٢ الاعراب
٣٦٣ المعنى
٣٦٧ الترجمة
٣٦٨ المختار الثامن و الخمسون
٣٦٨ اشاره
٣٦٨ اللغة
٣٦٩ الاعراب

٣٦٩	المعنى
٣٧١	الترجمة
٣٧١	المختار التاسع و الخمسون
٣٧١	اشاره
٣٧٢	اللغه
٣٧٤	الاعراب
٣٧٤	المعنى
٣٧٥	الترجمة
٣٧٦	المختار الستون
٣٧٦	اشاره
٣٧٧	اللغه
٣٧٧	المعنى
٣٧٨	الترجمة
٣٧٩	المختار الواحد و الستون
٣٧٩	اشاره
٣٨١	اللغه
٣٨١	الاعراب
٣٨٢	المعنى
٣٨٦	الترجمة
٣٨٨	المختار الثانى و الستون
٣٨٨	اشاره
٣٨٩	اللغه
٣٨٩	الاعراب
٣٨٩	المعنى
٣٩١	الترجمة
٣٩٣	المختار الثالث و الستون

٣٩٣	اشاره
٣٩٤	اللغه
٣٩٥	الاعراب
٣٩٥	المعنى
٤٠٠	الترجمه
٤٠٢	المختار الرابع و الستون
٤٠٢	اشاره
٤٠٣	اللغه
٤٠٣	الاعراب
٤٠٤	المعنى
٤٠٥	الترجمه
٤٠٦	المختار الخامس و الستون
٤٠٦	اشاره
٤٠٧	الترجمه
٤٠٨	المختار السادس و الستون
٤٠٨	اشاره
٤٠٨	اللغه
٤٠٩	الاعراب
٤٠٩	المعنى
٤١٠	الترجمه
٤١١	المختار السابع و الستون
٤١١	اشاره
٤١١	اللغه
٤١١	الاعراب
٤١٢	المعنى
٤١٢	الترجمه

٤١٢	المختار الثامن و الستون
٤١٢	اشاره
٤١٤	المعنى
٤١٤	اشاره
٤١٤	الحارث الهمداني و نسبه
٤١٤	الترجمه
٤١٧	المختار التاسع و الستون
٤١٧	اشاره
٤١٨	اللغه
٤١٨	الاعراب
٤١٨	المعنى
٤١٩	الترجمه
٤٢٠	المختار السبعون
٤٢٠	اشاره
٤٢١	اللغه
٤٢١	الاعراب
٤٢١	المعنى
٤٢٢	الترجمه
٤٢٢	المختار الواحد و السبعون
٤٢٢	اشاره
٤٢٣	المعنى
٤٢٣	الترجمه
٤٢٣	المختار الثاني و السبعون
٤٢٣	اشاره
٤٢٤	اللغه
٤٢٤	الاعراب

٤٢٥	المعنى
٤٢٥	الترجمة
٤٢٦	المختار الثالث و السبعون
٤٢٦	اشاره
٤٢٧	اللغه
٤٢٧	الاعراب
٤٢٧	المعنى
٤٢٨	الترجمة
٤٢٩	المختار الرابع و السبعون
٤٢٩	اشاره
٤٢٩	اللغه
٤٢٩	المعنى
٤٢٩	الترجمة
٤٣٠	المختار الخامس و السبعون
٤٣٠	اشاره
٤٣٠	الاعراب
٤٣٠	الترجمة
٤٣١	المختار السادس و السبعون
٤٣١	اشاره
٤٣١	اللغه و المعنى
٤٣١	الترجمة
٤٣٢	المختار السابع و السبعون
٤٣٢	اشاره
٤٣٣	اللغه
٤٣٣	المعنى
٤٣٤	الترجمة

٤٣٥	المختار الثامن و السبعون
٤٣٥	اشاره
٤٣٥	المعنى
٤٣٥	الترجمه
٤٣٧	درباره مركز

مشخصات کتاب

سرشناسه: خوئی، حبیب الله بن محمد هاشم، ۱۲۶۸ - ۱۳۲۴ ق.

عنوان و نام پدیدآور: منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه / لمولفه حبیب الله الهاشمی الخوئی؛ بتصحیحه و تهذیبه ابراهیم المیانجی.

مشخصات نشر: تهران: مکتبه الاسلامیه؛ قم: انتشارات دار العلم، ۱۳ -

مشخصات ظاهری: ۲۰ ج.

شابک: ۱۵۰ ریال (ج. ۸)

یادداشت: عربی.

یادداشت: فهرست نویسی براساس جلد هشتم، ۱۳۸۶ ق. = ۱۳۴۴.

یادداشت: چاپ دوم.

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- کلمات قصار

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق -- خطبه ها

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- نامه ها

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده: میانجی، ابراهیم، ۱۲۹۲ - ۱۳۷۰.، مصحح

شناسه افزوده: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره: BP۳۸/۰۲ خ ۹ ۱۳۰۰ ی

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی: ۱۹۹۲۰۶

تتمه باب المختار من كتب أمير المؤمنين عليه السلام و رسائله إلى أعدائه و أمرائه

المختار الحادى و الثلاثون

اشاره

و من وصيه له عليه السلام للحسن بن علي، كتبها اليه

بحاضرين منصرفا من صفين.

لفصل الاول من قوله

اشاره

من الوالد الفان، المقرّر للزّمان، المدبر العمر، المستسلم للدهر، الدّام للدّنيا، الساكن مساكن الموتى، الطّاعن عنها غدا إلى المولود المؤمل ما لا يدرك، السّالك سبيل من قد هلك، غرض الأسقام، و رهينه الأيام، و رميه المصائب، و عبد الدّنيا، و تاجر الغرور، و غريم المنايا، و أسير الموت، و حليف الهموم، و قرين الأحزان، و نصب الافات، و صريع الشّهوات و خليفه الأموات. أمّا بعد، فإنّ فيما تبينت من إدبار الدّنيا عني، و جموح الدهر عليّ، و إقبال الاخره إليّ، ما يزعني عن ذكر من سواي

ص: ٢

والاهتمام بما ورائي، غير أنّي حيث تفرّد بي - دون هموم الناس - هم نفسي، فصدفني رأبي، و صرفني عن هواي، و صرّح لي محض أمري، فأفضي بي إلى جدّ لا يكون فيه لعب، و صدق لا يشوبه كذب، وجدتك بعضي، بل وجدتك كلّي، حتّى كأنّ شيئاً لو أصابك أصابني، و كأنّ الموت لو أتاك أتاني، فعناني من أمرك ما يعينني من أمر نفسي، فكتبت إليك كتابي مستظهاً به إن أنا بقيت لك أو فنت.

اللغة

(حاضرین) بصيغه التشبيه و قرء بصيغه الجمع مع اللام و بدونها: اسم موضع بالشّام، (الفان) من الفناء حذف لامه للسّجع، (الرّميه): الهدف، (نصب):

المنصوب (يزعني): يكفني (المحض): الخالص (الشوب): المزج و الخلط.

الاعراب

من الوالد: متعلق بمحذوف بقرينه الحال و هو كتب و ما يساوقه، و إلى المولود متعلق به أيضاً، غرض الأسقام: صفه ثالثه للمولود و مجموعها معرّف مركب فترك فيها العطف، فيما تبيّنت ظرف مستقر اسم إنّ، و قوله: ما، لفظه موصول خبر لها، قوله: حيث تفرّد بي، ظرف يتضمن معنى الشّروط و قوله: فكتبت إليك بمنزله الجزاء له.

المعنى

هذه وصيّته عامّه تامّه أخرجها إلى ابنه الحسن عليه السّلام و جمع فيها أنواع المواعظ و النصائح الكافيه الشافيه و صنوف الحكمه العملّيه الوافيه، و كفى بها

ص: ٣

دستورا إرشاديا لكل مسلم بل لكل إنسان، فكأنه عليه السلام جرد من نفسه الزكّيه والدا لكل أو نموذجا لجميع الوالدين، و جرد من ابنه الحسن عليه السلام ولدا لكل الأولاد أو نموذجا لجميع الأبناء في أي بلاد، ثم سرد النصائح و نظم المواعظ لتكون وصيته هذا انجيلا لأمة الاسلام: و توجيه هذه الوصيه إلى ابنه الحسن يشير إلى زعامته بعده و اهتضامه و اعتزاله فلا يكون إلا إماما مبشرا منذرا بلا سلاح و لا اقتدار.

الترجمه

سی و یکم از سفارشنامه ئی که بحسن بن علی سپرد و آنرا در هنگام بازگشت از نبرد صفین در حاضرین نگارش فرمود:

از پدری فنا پذیر و زمان افکنده و از عمر گذشته و سر بروزگار سپرده، بدگوی دنیا و سکنی گزین منازل مرده ها که فردا از آن کوچا است.

بسوی فرزندی آرزومند بدانچه در نیابد آنکه براه هالکان است و بیماریهایش نشانه گرفته اند، گرو چند روز است و هدف مصائب و بنده دنیا غرور فروش است و بدهکار جان عزیز به مرگ ها و اسیر مردنست و پیوند سپار با هموم و همگام با احزان، نشانه آفات است و کشته شهوات و جانشین اموات.

أما بعد - بمن از ملاحظه برگشت دنیا و هجوم روزگار و پیشامد آخرت باندازه ای در آویخت که از یاد دیگران و از اهتمام باین و آنم باز داشت جز این که چون از همه بخود پرداختم و خود را شناختم و از هوسرانی گذشتم و کار خود را بخوبی فهمیدم بکوششی خسته ناپذیر و صداقتی بی دروغ برخاستم و تو را پاره از خویش یافتم نه بلکه همه خودم شناختم تا جایی که گزندت گزند من است و اگر بمیری من مرده باشم و بکار تو تا آنجا توجه دارم که بکار خود، و این نامه را برای کمک بتو پرداختم که در نظر بگیری چه بمانم و چه بمیرم.

ص: ۴

إشاره

فإني أوصيك بتقوى الله - أي بنى - ولزوم أمره، وعمارته قلبك بذكره، والاعتصام بحبله، وأي سبب أوثق من سبب بينك وبين الله إن أنت أخذت به؟! أحي قلبك بالموعظه، وأمته بالزّهاده، وقوّه باليقين، ونوره بالحكمه، وذلك بذكر الموت، وقّره بالفناء، وبصيره فجائع الدّنيا، وحذّره صوله الدّهر، وفحش تقلّب الليالي والأيام، واعرض عليه أخبار الماضين، وذكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين، وسرفى ديارهم وآثارهم، فانظر فيما فعلوا وعما انتقلوا، وأين حلّوا ونزلوا، فإنك تجدهم قد انتقلوا عن الأحبه، وحلّوا دار الغربه، وكأنك عن قليل قد صرت كأحدهم فأصلح مثواك، ولا تبع آخرتك بدنياك، ودع القول فيما لا تعرف، والخطاب فيما لم تكلف، وأمسك عن طريق إذا خفت ضلّالته، فإن الكفّ عند حيره الضّلاله خير من ركوب الأهوال وأمر بالمعروف تكن من أهله، وأنكر المنكر بيدك ولسانك وباين من فعله بجهدك، واجاهد في الله حقّ جهاده، ولا تأخذك

ص: ٥

فى الله لومه لائم، و خض الغمرات للحق حيث كان، و تفقه فى الدين، و عود نفسك التصبر على المكروه، و نعم الخلق التصبر و ألقى نفسك فى الأمور كلها إلى إلهك فإنك تلجئها إلى كهف حريز، و مانع عزيز، و أخلص فى المسألة لربك فإن بيده العطاء و الحرمان، و أكثر الإستخاره، و تفهم وصيتي، و لا تذهبن عنها صفحا، فإن خير القول ما نفع، و اعلم أنه لا خير فى علم لا ينفع و لا ينتفع بعلم لا يحق تعلمه.

اللغة

(الغمرات): جمع الغمره و هى اللجة فى البحر و كناية عن الشدائد، (المثوى): محل الإقامة.

المعنى

قد لخص عليه السلام فى هذا الفصل جوامع وصاياه فى أمور خمسة:

١ - التوجه إلى الله تعالى برعايه تقواه، و لزوم أمره، و الاعتصام بحبله.

٢- التوجه إلى القلب بتحليته بالفضائل، و إحيائه بالمواعظ، و تخليته عن الرذائل بالزهد و ذكر الموت.

٣- التوجه إلى الخلق الغابر، و التدبر فى أحوالهم و مال أمرهم.

٤- التوجه إلى طريقه فى الحيات و سيره فى صراط السعادة بالحذر عن الارتباك فيما لا يعلم.

٥- التوجه إلى الاجتماع بنشر الخير و المعروف، و دفع الشر و المنكر باليد و اللسان، و الجهاد للحق بملازمه الصبر و الالتجاء إلى الرب بالاخلاص فى مسأله و الاستخاره من حضرته.

ص: ٦

براستی سفارشت میکنم که از خدا پرهیز و بفرمانش بچسب و دلت را بیادش آباد کن و برشته‌وی در آویز، کدام وسیله محکمتر از آنست که میان تو و خدا باشد اگرش بدست گیری؟؟.

دلت را با پند زنده دار و با زهدش بکش و با یقینش نیرو بخش و با حکمتش درخشان دار و بیاد مرگش زبون ساز و بفناء تن مقرّش کن و بنا گواریه‌ها دنیایش بینا نما و از پوزش روزگارش بر حذر دار و از بی باکی دیگر گونیهای زمانه، اخبار گذشته گان را بر او عرض کن، و آنچه بر سرشان آمده بیادش آر، در خانمان و آثار آنان بگرد و ببین از کجا آمدند؟ کجا رفتند؟ کجا خفتند؟ تا در یابی که از دوستان بریدند و بغربت رسیدند و توهّم بزودی یکی از آنها شوی، آرامگاهت را درست کن و آخرت را بدنیا مفروش آنچه را ندانی مگو و در آنچه را نبایست ملای، از راهی که ندانی مرو، زیرا توقف هنگام گمراهی به است از دجاری پیرتگاه جانگاه.

بکارهای خیر وادار تا اهل خیر باشی، و با دست و زبانت از زشتیها جلوگیری کن و تا توانی از زشتکار بدور باش، در راه خدا تلاش و مبارزه کن و در راه خدا از سرزنش کسی نه‌راس، و برای حقّ هر جا باشد خود را در لجه‌ها افکن و مسائل دین را بیاموز، خود را ببردباری ناخواه دل وادار و چه خوب روشی است بردباری، و خود را در همه کارها پناه خدا بسپار که بدژ محکمی و مقام منیعی سپردی، از درگاه پروردگارت باخلاص در خواست کن که عطاء و حرمان بدست او است، پر استخاره کن و سفارش مرا بفهم و از ان رو مگردان، راستی که بهترین سخن آنست که سود بخشد و بدانکه در دانش بی سود خیری نیست و علمی که نباید آموخت سودی ندهد.

أى بنى إننى لما رأيتنى قد بلغت سنًا، و رأيتنى أزداد وهنا، بادرت بوصيتى إليك، و أوردت خصالا منها قبل أن يعجل بى أجلى دون أن أفضى إليك بما فى نفسى، أو أن أنقص فى رأى كما نقصت فى جسمى، أو يسبقنى إليك بعض غلبات الهوى، أو فتن الدنيا، فتكون كالصَّعب النَّفور، و إنما قلب الحدث كالأرض الخاليه ما ألقى فيها من شىء قبلته، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك و يشتغل لبك، ليستقبل بجدّ رأىك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته و تجربته، فتكون قد كفيت مثونه الطلب، و عوفيت من علاج التجربه، فأتاك من ذلك ما قد كنّا نأتيه و استبان لك ما ربّما أظلم علينا منه. أى بنى، إننى - و إن لم أكن عمّرت عمر من كان قبلى - فقد نظرت فى أعمالهم، و فكّرت فى أخبارهم، و سرت فى آثارهم، حتّى عدت كأحدهم، بل كأننى بما انتهى إلى من أمورهم قد عمّرت مع أولهم إلى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره، و نفعه من ضرره، فاستخلصت لك من كلّ أمر نخيله و توّخيت لك جميله،

و صرفت عنك مجهوله، و رأيت - حيث عناني من أمرك ما يعنى الوالد الشَّفِيق، و أجمعت عليه من أدبك - أن يكون ذلك و أنت مقبل العمر، و مقتبل الدهر، ذو نيّه سليمه، و نفس صافيه، و أن أبتدئك بتعليم كتاب الله و تأويله، و شرائع الإسلام و أحكامه، و حلاله و حرامه، [و] لا- أجاوز ذلك بك إلى غيره، ثم أشفقت أن يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من أهوائهم و آرائهم مثل اللذى التبس عليهم، فكان إحكام ذلك على ما كرهت من تنبيهك له أحبّ إليّ من إسلامك إلى أمر لا- آمن عليك به الهلكه، و رجوت أن يوفّقك الله لرشدك، و أن يهديك لقصدك، فعهدت إليك وصيتي هذه. و اعلم يا بنى، أن أحبّ ما أنت آخذ به إليّ من وصيتي تقوى الله، و الاقتصار على ما فرضه الله عليك، و الأخذ بما مضى عليه الأولون من آباءك، و الصّالحون من أهل بيتك، فإنّهم لم يدعوا أن نظروا لأنفسهم كما أنت ناظر، و فكّروا كما أنت مفكّر، ثم ردّهم آخر ذلك إلى الأخذ بما عرفوا، و الإمساك عمّا لم يكلّفوا، فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا فليكن طلبك

ص: ٩

ذلك بتفهّم و تعلّم، لا- بتورّط الشّبهات، و غلوّ الخصومات، و ابدأ قبل نظرك في ذلك، بالاستعانه بإلهك، و الرّغبه إليه في توفيقك و ترك كلّ شائبه أولجتك في شبهه، أو أسلمتك إلى ضلاله، فإذا أيقنت أن قد صفا قلبك فخشع، و تمّ رأيك فاجتمع، و كان همّك في ذلك همّا واحدا، فانظر فيما فسرت لك، و إن أنت لم يجتمع لك ما تحبّ من نفسك و فراغ نظرك و فكرك، فاعلم أنّك إنّما تخطب العشواء، و تتورّط الظّلماء، و ليس طالب الدّين من خبط أو خلط، و الإمساك عن ذلك أمثل. فتفهّم، يا بنى، و صيتى، و اعلم أنّ مالك الموت هو مالك الحياه، و أنّ الخالق هو المميت، و أنّ المفنى هو المعيد، و أنّ المبتلى هو المعافى، و أنّ الدّنيا لم تكن لتستقرّ إلّا على ما جعلها الله عليه من النّعماء و الإبتلاء و الجزاء فى المعاد، أو ما شاء ممّا لا نعلم، فإنّ أشكل عليك شىء من ذلك فاحمله على جهالتك به، فإنّك أوّل ما خلقت جاهلا ثمّ علمت، و ما أكثر ما تجهل من الأمر، و يتحير فيه رأيك، و يضلّ فيه بصرك، ثمّ تبصره بعد ذلك، فاعتصم بالذى خلقتك، و رزقك و سوّاك، فليكن له تعبّدك، و إليه

ص: ١٠

رغبتك، و منه شفقتك. و اعلم يا بنى، أنّ أحدا لم ينبىء عن الله كما أنبأ عنه الرسول، صلى الله عليه و آله، فارض به رائدا، و إلى النّجاه قائدا، فإنّى لم آلك نصيحه، و إنّك لن تبلغ فى النّظر لنفسك - و إن اجتهدت - مبلغ نظرى لك.

اللغة

(الوهن): الضعف، (أفضى): أوصل، (الحدث): الشاب و الغلام، (الصفو):

الخالص، (النخيل): الدقيق الذى غربل و اخذ دخيله، (الشائبه): الوهم، (خطب العشواء): كناية عن ارتكاب الخطر.

الاعراب

فاعلم أنك انما تخطب إلخ - بمنزله الجزاء لقوله عليه السّلام: و إن أنت لم يجتمع إلخ -، لم آلك: صيغه المتكلم من فعل الجحد من ألى يألو، نصيحه: تميز من فعل لم آلك.

المعنى

قد أشار عليه السّلام فى هذا الفصل إلى بيان سبب اقدامه لكتابه هذه الوصية عاجلا فى انصرافه من صفين مشوش البال منكسر الحال مبتلى بالأهوال من قبل الخوارج فى المال فبين أنّ سببه الخوف من الأجل و نقص الرأى و فوت الوقت من قبل المولود و قبل أن يغرق فى الفساد فلا ينفعه الموعظه.

قال الشارح المعتزلى فى «ص ٦٦ ج ١٦ ط مصر»: قوله عليه السّلام (أو انقص فى رأى) هذا يدلّ على بطلان قول من قال: إنه لا يجوز أن ينقص فى رأيه، و أنّ الإمام معصوم عن أمثال ذلك و كذلك قوله للحسن: (أو يسبقنى إليك بعض غلبات الهوى و فتن الدّنيا) يدلّ على أنّ الإمام لا يجب أن يعصم عن غلبات الهوى و لا عن فتن الدّنيا.

ص: ١١

أقول: مع اظهاره للاخلاص بعلّی و غلوّه فی توصیفه فی غیر مورد من الشرح و فی قصائده المشهوره كأنّه غلب علیه النّصب فی هذا المقام فاستفاد من کلام له و للحسن علیهما السّلام ما لیس بمقصود، لما قلنا من أنّ إخراج هذه الوصیّه ینظر إلى حال عامّه الوالدین و أبنائهم مجرّدا عن الخصوصیات الشخصیّه لیکون مثالا نافعا للکّل، و لا تنافی عصمته و عصمه ولده و مقام الامامه و القداسه فیهما، کیف؟! و عمر الحسن فی هذا الوقت یزید علی ثلاثین و قد استأهل للخلافه عند عامّه الناس و نصّ علیه بالامامه فی غیر مورد فلا یقصد علیه السّلام أن یربّیه بعد ذلك بهذا الکلام و إنما المقصود «إیّاک أعنی و اسمعی یا جاره».

الترجمه

ای پسر جانم چون بینی سالخورده ام و هر روزه سست تر میشوم در سفارشم بتو پیشدستی کردم و مواد آنرا پیش از آنکه مرگم برسد بر شمردم و خاطره خود را بر نهفتم تا مبادا دچار کاستی رأی شوم چونان که تنم کاسته می شود یا آنکه مبادا هوس و دلبری دنیا بر تو چیره شوند و چون شتر فراری از پندم سرباز زنی، همانا دل جوان چون زمین بکر است و هر بذری در آن افکنده شود بپذیرد، من پیشدستی کردم تا دلت سخت نشده و درونت مشغول باطل نگردیده تو را دریابم تا از صمیم قلب بدان روشی که آزموده شده رو آوری و از رنج جستجو راحت شوی و از صمیم قلب بدان روشی که آزموده شده رو آوری و از رنج جستجو راحت شوی و از آزمایش معاف گردی ما آنچه اندوختیم بتو دادیم تا اگر تیرگی در آن باشد خود نقطه آنرا روشن سازی.

ای پسر جانم گر چه من عمر کسان پیش از خود را نگذراندم ولی در کردار آنان نگریستم و در اخبارشان اندیشیدم و در آثارشان گردیدم تا یکی از آنان شمرده شدم بلکه چون هم کارهایشان بمن گزارش شده گویا از آغاز تا انجام با آنها عمر کردم و زلال و تیره و زیان و سود همه کارها را فهمیدم و زبده و خوب آنها را برایم بر گزیدم و کارهای جاهلانه را از تو دور کردم، و چون کارهای تو مورد توجه پدری مهربانست خواستم تو در آغاز عمر و نخست بر خورد با روزگار

نهادی پاک و خاطری تابناک داشته باشی و خواستم آموزش را از قرآن خدا و تفسیر آن و از دستورهای اسلام و احکام حلال و حرامش آغاز کنی و از آن نگذری و بر تو ترسیدم که در مورد اختلافات چون مردم دچار اشتباه شوی و دنبال اهواء و آراء باطل بروی و با این که دلخواه نیست که تو را تنبیه سازم ولی تحکیم این مطلب نزد من دوست تر است از این که تو را تسلیم بوصفی کنم که برای خطرناک باشد و امیدوارم خداوند توفیق رشدت دهد و براستی تو را هدایت فرماید برای اینست که سفارشنامه خود را بتو می سپارم.

ای پسر جانم بدانکه بهترین فصل وصیت من که بکار بندی پرهیزکاری و عمل بفرائض الهی است و پیروی از روش پدران شایسته خاندانست، زیرا آنها هیچ بی اعتنا نبودند که خود را منظور دارند چنانچه تو ناظر خودی و برای خود بیندیشند چنانچه تو در اندیشه ای و در نتیجه آنچه را دانستند بکار بستند و از آنچه نبایست دست باز داشتند، اگر دلت نپذیرفت ندانسته پیرو آنان باشی تا خود بدانی باید از روی فهم و آموزش حقیقت را بجوئی نه بوسیله پرت شدن در شبهه و از راه امتیاز پرستی، و پیش از جستجوی حقیقت از معبودت یاری بجو و توفیق بخواه و از هر توهمی که تو را در شبهه افکند و بگمراهی کشد دست بکش، و چون یقین کردی دلت پاک شده و خشوع دارد و رأیت تابناک است و تصمیم دارد و تشویش خاطر نداری در آنچه برایت شرح دادم نظر نما و گر نه بدانکه در رنج افتادی و در تاریکی پرتاب شدی و کسی که دچار خبط و اشتباه باشد طالب دین حق نباشد و بهتر است دست نگه دارد.

پسر جانم وصیت مرا خوب بفهم و بدانکه مالک مرگ و زندگی و آفریننده و میراننده یکی است و همان که بفنا می برد بزندگی باز می آورد و آنکه درد می دهد عافیت بخشد، و راستی که دنیا پایدار نباشد جز بر پایه نعمتهائی که خداوند در آن مقرر داشته و بر بنیاد ابتلا و جزاء در معاد یا هر آنچه او بخواهد و ما نمی دانیم و اگر چیزی از این بابت بر تو مشکل است بنادانی خود حمل کن زیرا تو در آغاز آفریدنت نادان بودی و سپس دانا شدی و چه بسیار است آنچه را نمی دانی و در باره

آن سرگردانی و دیدرس تو نیست و پس از آن خواهی دید، تو باید خود را در پناه آن کسی بیندازی که آفریدت و روزیت داد و درست کرد، و باید هم او را بپرستی و بدو روی آری و از او بترسی.

و بدان - ای پسر جانم - هیچکس از سوی خدا خبری درست تر نیاورده از آنچه رسول صلی الله علیه و آله آورده او را پیشوائی بپسند و برای نجات رهبر خود ساز، زیرا من هیچ اندرزی از تو دریغ نداشتم و تو هر چه هم تلاش برای خیر خواهی خود نمائی باندازه من نتوانی بحقیقت رسید.

الفصل الرابع من قوله عليه السلام:

اشاره

و اعلم، یا بنی، اَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكَ لَأَتَتْكَ رَسَلُهُ، وَ لِرَأْيَتِ آثَارِ مُلْكِهِ وَ سُلْطَانِهِ، وَ لَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وَ صِفَاتِهِ، وَ لَكُنَّ إِلَهُ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، لَا يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ، وَ لَا يَزُولُ أَبَدًا، وَ لَمْ يَزَلْ، أَوَّلُ قَبْلِ الْأَشْيَاءِ بَلَا أَوَّلِيَّةٍ، وَ آخِرُ بَعْدِ الْأَشْيَاءِ بَلَا نِهَآيَةٍ عَظِيمٍ عَنْ أَنْ تُثَبِّتَ رَبُوبِيَّتَهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ، فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صَغَرِ خَطَرِهِ، وَ قَلَّةِ مَقْدَرَتِهِ وَ كَثَرَةِ عَجْزِهِ، وَ عَظِيمِ حَاجَتِهِ إِلَى رَبِّهِ، فِي طَلَبِ طَاعَتِهِ، وَ الْخَشْيَةِ مِنْ عَقُوبَتِهِ، وَ الشَّفَقَةِ مِنْ سَخَطِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْكَ إِلَّا بِحَسَنِ، وَ لَمْ يَنْهَكَ إِلَّا عَنْ قَبِيحٍ. يَا بَنِي، إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَ حَالِهَا، وَ زَوَالِهَا وَ انْتِقَالَهَا

ص: ۱۴

و أنبأتك عن الآخره و ما أعدّ لأهلها فيها، و ضربت لك فيهما الأمثال لتعتبر بها، و تحذو عليها! إنّما مثل من خبر الدّنيا كمثّل قوم سفر نبا بهم منزل جديب فأمّوا منزلا خصيبا، و جنابا مريعا فاحتملوا وعثاء الطّريق، و فراق الصّديق، و خشونه السّفَر، و جشوبه المطعم، ليأتوا سعه دارهم، و منزل قرارهم، فليس يجدون لشيء من ذلك ألما، و لا يرون نفقه فيه مغرما، و لا شيء أحبّ إليهم ممّا قرّبهم من منزلهم، و أدناهم من محلّهم، و مثل من اغترّ بها كمثّل قوم كانوا بمنزل خصيب فنبا بهم إلى منزل جديب، فليس شيء أكره إليهم و لا أفظع عندهم من مفارقه ما كانوا فيه إلى ما يهجمون عليه، و يصيرون إليه. يا بنى، اجعل نفسك ميزانا فيما بينك و بين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحبّ لنفسك، و أكره له ما تكره لها، و لا تظلم كما لا تحبّ أن تظلم، و أحسن كما تحبّ أن يحسن إليك، و استقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك، و ارض من النّاس بما ترضاه لهم من نفسك، و لا تقل ما لا تعلم، و إن قلّ ما تعلم، و لا تقل ما لا تحبّ أن يقال لك.

ص: ١٥

و اعلم أنّ الإعجاب ضدّ الصّواب، و آفه الألباب، فاسع في كدحك، و لا تكن خازنا لغيرك، و إذا أنت هديت لقصدك، فكن أخشع ما تكون لربّك.

اللغة

هذا (عليه): اقتدى به: (قوم سفر): بالتسكين ای مسافرون، (أمّوا):

قصدوا (الجديب): ضدّ الخصيب (الجناب المريع): ذو الكلاء و العشب (و عثاء الطريق) مشقتها.

المعنى

قد استدلّ عليه السلام في إثبات التوحيد بما يقرب من الاستدلال في قوله تعالى «ما اتخذ الله من ولد و ما كان معه من إله إذا لذهب كلّ إله بما خلق و لعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عمّا يصفون - ٩١ المؤمنون» فإنّ المقصود نفى الشريك بنفى آثاره التي لا بدّ من ترتبه على وجوده لو كان، و هذا أحد طرق إثبات التوحيد المأثوره المشهوره.

ثمّ انتقل عليه السلام بعد تنوير الفكر بنور التوحيد إلى بيان زوال الدّنيا و ضرب المثل للفريقين من أهل السّيعاده و الشّقاوه و كفى به واعظا.

الترجمه

پسر جانم بدانکه اگر پروردگارت را شریکی بود فرستاده هایش نزد تو می آمدند و آثار ملک و سلطنتش را می دیدی و کردار و صفاتش را می شناختی، ولی همان معبود یکتا است چنانچه خود را بیگانگی ستوده در ملکش دیگری نیست و هرگز زوال نپذیرد و تا همیشه بوده است بی نهایت آغاز هر چیز است و بی نهایت در انجام هر چیز، بزرگتر از آنست که ربوبیتش در دل و دیده گنجد، چون این را دانستی چنان کن که مانند تو بی اهمیت و بی مقدار و پر عجز و حاجتمند پروردگار خود

ص: ۱۶

بایست در طلب طاعت و ترس از کیفر و نگرانی از غضبش بکار بندد زیرا تو را فرمان نداده جز بکار نیک، و نهی نکرده جز از کار بد.

پسر جانم منت از دنیا و حالش آگاه ساختم و هم از زوال و انتقالش، و از آخرت و آنچه برای اهلش آماده شده آگاه کردم و مثلها آوردم تا پند گیری و بروش آنها کار کنی، همانا مثل کسی که دنیا را بررسی کرده است اهلش مانند مردمی مسافرنده که در منزل قحط و سختی گرفتارند و قصد دارند بمنزل پر نعمت و آستان با برکتی بروند و سختی راه و دوری از دوست و رنج سفر و خوراک ناهموار را بر خود هموار کردند تا بخانه وسیع و قرارگاه خود رسند از رنجهای چنین سفری دردی نگشند و هزینه آنها زیانی ندانند و چیزی محبوبتر از آن نیست که آنها را بمنزل موعودشان نزدیک سازد و بقرارگاهشان بکشاند، و مثل آنانکه فریب دنیا خورده اند و دل بدان بسته اند مثل مردمی است که در منزل پر نعمت باشند و خواهند بمنزل قحطی و سختی سفر کنند و چیزی نزد آنها بدخواه تر و دشوارتر از آن نیست که از آنچه دارند جدا شوند و بدان آینده بد و سخت برسند.

پسر جانم خود را ترازویی قرار ده و با آن خویش را با دیگران بسنج برای دیگران همان را بخواه که برای خود می خواهی و همان را بدار که برای خود بدمیداری، ستم مکن چونان که دوست نداری ستم بشوی، احسان کن چنانچه دوست داری بتو احسان شود، از خود زشت شمار آنچه را از دیگران زشت می شماری از خود نسبت بمردم همان را پسند که از مردم نسبت بخودت پسندیده داری آنچه را ندانی مگو و اگر چه کم است آنچه را می دانی، مگو با دیگران آنچه را دوست نداری با تو بگویند.

و بدانکه خود بینی مخالف حق و صوابست و آفت خرد و عقل است، در رنج خود هموار باش و تلاش مکن که گنجینه برای دیگران بسازی و چون بقصد خود کامیاب شدی باید بیشتر برای پروردگارت خاشع و شکر گزار باشی.

ص: ۱۷

إشارة

و اعلم أنّ أَمَامَكَ طريقاً ذا مسافه بعيدة، و مشقّه شديده، و أنّه لا غنى بك فيه عن حسن الارتياح، و قدر بلاغك من الزّاد مع خفّه الظّهر، فلا- تحملنّ على ظهرك فوق طاقتك فيكون ثقل ذلك وبالا عليك، و إذا وجدت من أهل الفاقه من يحمل لك زادك إلى يوم القيامة فيوافيك به غدا حيث تحتاج إليه فاعتنمه و حمّله إياه، و أكثر من تزويده و أنت قادر عليه، فلعلّك تطلبه فلا- تجده، و اغتنم من استقرضك في حال غناك ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك. و اعلم أنّ أَمَامَكَ عقبه كؤودا، المخفّ فيها أحسن حالا- من المثقل و البطيء عليها أقبح حالا- من المسرع، و أنّ مهبطك بها لا- محاله على جنّه أو على نار، فارتد لنفسك قبل نزولك، و وطّئ المنزل قبل حلولك، فليس بعد الموت مستعجب، و لا إلى الدّنيا منصرف. و اعلم أنّ اللّذى بيده خزائن السّماوات و الأرض قد أذن لك في الدّعاء و تكفّل لك بالإجابة، و أمرك أن تسأله ليعطيك، و تسترحمه ليرحمك، و لم يجعل بينك و بينه من تحجبه عنك، و لم يلجئك إلى من يشفع لك إليه، و لم يمنعك إن أسأت من التّوبه، و لم يعيرك

ص: ١٨

بالإنابة، و لم يعاجلك بالتَّقمه، و لم يفضحك حيث الفضيحه بك أولى و لم يشدّد عليك فى قبول الإنابه، و لم يناقشك بالجرمه، و لم يؤيسك من الرّحمه، بل جعل نزوعك عن الذّنب حسنه، و حسب سيّئتك واحده و حسب حسنتك عشا، و فتح لك باب المتاب و باب الاستعتاب، فإذا ناديت سمع نداءك، و إذا ناجيته علم نجواك، فأفضيت إليه بحاجتك و أبشته ذات نفسك، و شكوت إليه همومك، و استكشفتة كروبك، و استعنته على أمورك، و سألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على إعطائه غيره: من زياده الأعمار، و صحّه الأبدان، و سعه الأرزاق، ثمّ جعل فى يديك مفاتيح خزائنه، بما أذن لك فيه من مسألته، فمتى شئت استفتحت بالدّعاء أبواب نعمته، و استمطرت شايب رحمته، فلا يقنطنك إبطاء إجابته، فإنّ العطيّه على قدر التّيه و ربّما أخرت عنك الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السّائل، و أجزل لعطاء الامل، و ربّما سألت الشّئ فلا تؤتاه، و أوتيت خيرا منه عاجلا أو آجلا، أو صرف عنك لما هو خير لك، فلربّ أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أوتيته، فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله، و ينفى عنك وباله، فالمال لا يبقى لك، و لا تبقى له.

ص: ١٩

(الارتداد): طلب المنزل الرّحب، (الوبال): الهلكة، (كؤود):

الشاق الصعود (الشاييب) الدفعات من المطر الغزير.

الاعراب

أمامك: ظرف مستقر خبر مقدّم لقوله «أن» و ما بعده اسم له، من زياده الأعمار: بيان للفظ ما في قوله: «ما لا يقدر».

المعنى

جعل عليه السّلام الانسان مسافرا في طريق الحيات واصلا إلى الجنّة أو النار بانتخابه السير المؤدّي إلى هذه أو هذه، و في طريقه عقبه شاقّه و هي المرور على شهواته و أهوائه و أخطائه فوضّاه بحمل الزاد الكافي للسير في هذا الطريق البعيد و الاجتهاد في تحصيل المعاون معه لحمل الزاد باعطاء الفقراء و المساكين مقدارا من أمواله ليكون ذخرا في مسعاه و معاده أو قرضا يرد عليه في أيام عسرته في آخرته.

ثمّ تبه عليه السّلام على ملازمه الدّعاء و التضرّع إلى الله في كلّ حال من الأحوال و لجميع الحوائج سواء كان مذنباً أو مطيعاً فإنّ المذنب إذا تضرّع إلى الله تعالى و سأل منه التوبة و المغفرة يخرج عن ذنبه، و المطيع إذا سألّه أجابه و إن لم يظهر له الاجابه كما يريد، و بيّن أنّ الدّعاء إلى الله لا يضيع بحال من الأحوال فان لم يوافق المسأله مع المصلحه أعطاه الله في إجابته دعائه ما هو خير ممّا سألّه عاجلاً أو آجلاً.

الترجمه

بدانکه در برابر تو راه دور و رنج سختی است و راستی که تو نیازمند یک بررسی عمیقی هستی که راه خود را هموار سازی و اندازه توشه خود را بسنجی و سبک بار باشی، مبادا بار گران و طاقت فرسائی بر دوش بگیری و از سنگینی آن بنالی و هلاک شوی، و اگر از نیازمندان کسی را یافتی که برایت توشه بقیامت برد و فردا که بدان نیاز داری بتو برساند وجود او را غنیمت شمار و توشه خود را

ص: ۲۰

بدوش او گزار و هر چه می توانی بیشتر باو بسیار شاید دیگر او را در نیابی و غنیمت بدان که کسی از تو مالی بوام گیرد و در روز سختی بتو بپردازد.

بدانکه در برابر تو گردنه سخت و دشواری است، هر که در آن سبک بار باشد خوش حالتر است از کسی که بارش سنگین است، و هر که کند رو باشد بد حال تر است از آنکه شتابان می رود، فرودگاه تو در پشت این گردنه بناچار بهشت است یا دوزخ، پیش از آنکه از این گردنه فرود شوی جلو پای خود را پاک کن و بیهشت برو نه بدوزخ، و پیش از مرگ برای خود منزل را هموار ساز که پس از مردن نه عذری پذیرفته شود و نه راه بازگشتی بدنیا می ماند.

و بدانکه آن خدائی که همه گنجهای آسمان و زمین را در دست دارد بتو اجازه داده تا بدرگاهش خواستار هر حاجتی شوی و از او بخواهی و دعاء کنی و ضامن شده که دعایت را اجابت کند و بتو فرموده از او بخواهی تا بتو بدهد و از او رحمت طلبی تا بتو رحم کند، و میان تو و خودش در بانی مقرر نداشته که تو را از او باز دارد و تو را وادار بواسطه تراشی نکرده، و اگر بد کرداری جلو توبه و بازگشت تو را نگرفته، و در بازگشت تو را مورد سرزنش نساخته، و در کیفر تو شتاب ندارد و در آنجا که شاید تو را رسوا نساخته و در پذیرش توبه و بازگشت تو سخت نگرفته و از تو جریمه نخواست و از رحمتش تو را نا امید نساخته، بلکه روگردانی تو را از گناه خوش کرداری مقرر کرده و بدکاری تو را یکی بشمار گرفته و کار خوبت ده برابر بحساب آورده است و در توبه را برای تو باز گذاشته و باب عذر خواهی را مفتوح داشته، هر آن گاهش بخوانی فریادت را می شنود و اگر رازش بگوئی رازت را میداند، تو می توانی عرض حاجت خود را بی واسطه باو برسانی و هر چه در دل داری با او در میان گذاری و از گرفتاریهای بوی شکایت کنی و از او چاره دردهایت را بخواهی و در هر کارت از او یاری بجوئی و از خزائن رحمتش درخواست کنی آنچه را جز او نتواند بتو عطا کند از فزونی عمر و تندرستی و وسعت روزی، سپس همه کلیدهای خزائن خودش را بتو سپرده که

اجازه مطلق در خواست از وی را بتو داده است، هر وقت بخواهی می توانی بوسیله دعاء أبواب نعمت بیدریغش را بروی خود باز کنی و از ریزش سیل آسای رحمتش بر خود بیارانی و برخوردار باشی، نباید تأخیر اجابتش تو را نومید سازد، زیرا بخشش باندازه صدق نیت است و بسا تأخیر اجابت برای اینست که اجر خواستار بزرگتر شود و عطیه بیشتری دریابد، و بسا که چیزی درخواست کردی و بتو نداده و در عوض بهتر از آنرا در دنیا و یا آخرت بتو خواهد رسانید، یا این که مسئول تو را دریغ داشته و پاداش بهتری مقرر نموده است چه بسا چیزی را خواستی که سبب از دست رفتن دین تو شود اگرش بدست آری، باید همیشه درخواست از درگاه خدا چیزی باشد که بهره آن برای تو بماند و وبال و رنجی بیار نیاورد، مال دنیا نه برای تو می ماند و نه تو برای آن می مانی.

الفصل السادس من قوله عليه السلام:

اشاره

و اعلم أنَّكَ إِنَّمَا خَلَقْتَ لِلْآخِرَةِ لَا لِلدُّنْيَا، وَ لِلْفَنَاءِ لَا لِلْبَقَاءِ، وَ لِلْمَوْتِ لَا لِلْحَيَاةِ، وَ أَنَّكَ فِي مَنْزِلِ قَلْعَةٍ، وَ دَارِ بُلْغَةٍ، وَ طَرِيقِ إِلَى الْآخِرَةِ، وَ أَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِي لَا يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ، وَ لَا يَفُوتُهُ طَالِبُهُ، وَ لَا يَدَّ أَنْهُ مَدْرَكُهُ، فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ أَنْ يَدْرِكَكَ وَ أَنْتَ عَلَى حَالٍ سَيِّئَةٍ قَدْ كُنْتَ تَحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ فِيحُولِ بَيْنِكَ وَ بَيْنَ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكَتَ نَفْسَكَ. يَا بَنِيَّ، أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَ ذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ، وَ تَفْضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَأْتِيَكَ وَ قَدْ أَخَذَتْ مِنْهُ حَذَرَكَ، وَ شَدَدَتْ

ص: ۲۲

له أزرِك، و لا يأتِيك بغته فيبهرِك، و إِيّاك أن تغتَرّ بما ترى من إخلاد أهل الدّنيا إليها، و تكالبهم عليها، فقد نبأك الله عنها، و نعت [نعت] لك نفسها، و تكشّفت لك عن مساويها، فإنّما أهلها كلاب عاويه، و سباع ضارِيه، يهرّ بعضها بعضا، و يأكل عزيزها ذليلها و يقهر كبيرها صغيرها، نعم معقله، و أخرى مهمله، قد أضلّت عقولها و ركبت مجهولها، سروح عاهه، بواد و عث! ليس لها راع يقيمها، و لا مسيم يسيمها، سلكت بهم الدّنيا طريق العمى، و أخذت بأبصارهم عن منار الهدى، فتاهوا في حيرتها، و غرقوا في نعمتها، و اتّخذوها ربّا فلعبت بهم و لعبوا بها، و نسوا ما وراءها!! رويدا يسفر الظّلام، كان قد وردت الأظعان، يوشك من أسرع أن يلحق.

اللغة

يقال: هذا منزل قلعه بضمّ القاف و سكون اللّام: ليس بمستوطن، و يقال:

هم على قلعه أى على رحله، (البلغه): قدر الكفايه من المعاش، (الأزر): الظّهر و القوّه، (فيبهرِك) أى يجعلك مبهورا مغلوبا لا تقدر على التدارِك، (أخلد)، إلى كذا: اتّخذ دار الخلد و الاقامه الدائمه، (التكالب): التنازع على التسلط كالكلاب يتنازعون للتسلط على الجيف، (المساوى): المعايِب، (الضراوه)، الجراء على الاصطياد، (المعقّده): المربوطه بالعقال، (المجهول) و المجهل: المفازه

ص: ٢٣

الَّتِي لَا أَعْلَامَ فِيهَا، (واد وعث): (واد وعث): لَا يَثْبِتُ فِيهِ خَفٌّ وَلَا حَافِرٌ لِسَهُولَتِهِ أَوْ كَوْنِهِ مَزْلَقًا (سروح عاهه) جمع سرح و هي المواشى المبتلاه بالافه المعرضه للهلاك، (مسيم يسيمها): راع يرهاها، (رويدا) تصغير رود و أصل الحرف من رادت الرّيح ترود تحرك حركه خفيفه و المعنى لا تعجل (يسفر الظلام)، يقال أسفر وجهه إذا أضاء و أسفر الصبح إذا انكشف، (الأظعان): جمع ظعن، و هي الجماعات المتنقله فى البرارى.

الاعراب

للاخره: اللّام للعاقبه، منزل قلعه و دار بلغه: الظاهر أنّ القلعه و البلغه بمعنى المصدر فالأولى إضافه ما قبلهما إليهما و يحتمل أن تكونا صفه لما قبلهما بالتأويل، نعم معقله: خبر بعد خبر لقوله «أهلها»، سروح عاهه: خبر ثالث بأبصارهم: مفعول أخذت و الظاهر أنّ الباء زائده للتأكيد، رويدا: منصوب بمقدر أى امهل رويدا، هذه الجملة و ما بعدها أمثال سائره.

المعنى

بين عليه السّلام فى هذا الفصل الهدف من خلق الانسان و أوضح بأبين بيان أنّ الدّنيا طريق و معبر له لا يستحقّ أن يطمئنّ إليه بل يجب أن يتزوّد منها لاخرته و يهياّ فيها لملاقات ربّه، و يكون على حذر من الاشتغال بها و ارتكاب سيئاتها حتّى يأتيه الموت بغته و لا يجد مهله للتوبه و التدارك لما فاتته.

ثمّ حدّره أكيدا عن تقليد الناس فى الافتنان بالدّنيا و الاشتغال بها كأنها دار خلود لهم و ليس لهم انتقال عنها إلى دار اخرى، و نبّه على ذلك بوجوه:

١ - إخبار الله تعالى عن فنائها.

٢ - توصيف الدّنيا نفسها بالفناء و الزوال آناء الليل و النّهار.

٣- المغتروّن بها كلاب و أنعام ضالّه مبتلاه بالافات بلا مرشد و لا راع و لا مناص لهم من الهلاكه و الدّمار، فلا ينبغى الاقتداء بهم فى أفعالهم و أحوالهم فى حال من الأحوال.

ص: ٢٤

بدان - پسر جانم - که تو تنها برای آخرت آفریده شدی نه دنیا، و برای فنا از دنیا بوجود آمدی نه برای زیست در آن، و سرانجامت در دنیا مرگ است نه زندگی، و بدانکه تو امروز در منزل کوچ و خانه موقت هستی که رهگذریست باخرت، و راستی که مرگ در پی تو است و گریزان از مرگ را رهائی نیست و از دست جوینده خود بدر نمی رود و بناچار او را می گیرد، تو بر حذر باشی که مرگت فرا رسد و در حال گناه باشی و در دل داشته باشی که از آن توبه کنی ولی مرگ بتو مهلت ندهد و بی توبه بمیری و خود را هلاک سازی، پسر جانم بسیار در یاد مرگ باش و بیاد دار که بکجا افکنده می شوی و پس از مرگ بکجا و بچه وضعی می رسی تا آنکه چون مرگت رسد خود را آماده کرده باشی و پشتیبانت محکم باشد و ناگهانت نگیرد تا خیره و درمانده شوی.

مبادا فریب بخوری که دنیا طلبان بدان دل داده و آنرا جاودانه گرفته اند و بر سر آن با هم سگانه مبارزه میکنند، زیرا خدا از فناء دنیا خبر داده و خود دنیا هم خود را به بیوفائی توصیف کرده و از بدیهای خود برایت پرده بر گرفته، همانا اهل دنیا سگهائی عوعو کننده و درنده هائی پوزش آور و زیان زننده اند بروی یکدیگر زوزه کشند، و عزیزانشان خوارهایشان را بخورند، و بزرگشان خوردشان را مقهور سازند، چار پایانی باشند بسته یا مهار گسیخته و آزاد، عقل خود را گمراه کرده و در بیابانی ناشناخته می تازند، رمه هائی بیمار و آفت زده در نمکزاری لغزان سرگردانند، نه شبانی دارند که آنها را نگهداری کند و نه چوپانی که آنها را بچراند، دنیا آنها را بکوره راه ناهمواری کشانده و چشم آنها را از دیدار راه روشن هدایت بسته، در سرگردانی دنیا گم شدانند و در نعمت بی عافیت آن اندرند، دنیا را پروردگار خود شناخته و دودستی آنرا گرفته اند و دنیایشان ببازی گرفته و آنها هم سرگرم بازی با دنیا شدند و فراموش کردند که در دنبال دنیا چه عالمی است؟.

آرام باش، پرده تاریکی بکنار می رود، گویا کاروانهای جهان ناپیدا وارد شوند، هر کس شتاب کند بزودی بکاروانهای پیش گذر می رسد.

الفصل السابع من قوله عليه السلام:

اشاره

و اعلم [يا بنی] اَنْ من كانت مطيته الليل و النهار فانه يسار به و ان كان واقفا، و يقطع المسافه و ان كان مقيما و ادعا. و اعلم يقينا اَنَّك لن تبلغ املكك، و لن تعدو اجلك، و اَنَّك في سبيل من كان قبلك فخفض في الطلب، و اجمل في المكتسب، فانه رب طلب قد جرّ إلى حرب، و ليس كلّ طالب بمرزوق، و لا- كلّ مجمل بمحروم، و اكرم نفسك عن كلّ دثيه و ان ساقتك إلى الرغائب، فإِنَّك لن تعترض بما تبذل من نفسك عوضا، و لا تكن عبد غيرك، و قد جعلك الله حرا، و ما خير خير لا ينال إلاّ بشرّ، و يسر لا ينال إلاّ بعسر! و إياك أن توجف بك مطايا الطمع فتوردك مناهل الهلكه، و ان استطعت أن لا يكون بينك و بين الله ذو نعمه فافعل، فَإِنَّك مدرك قسمك، و آخذ سهمك، و إنّ اليسير من الله - سبحانه - أعظم و أكرم من الكثير من خلقه، و ان كان كلّ منه. و تلافيك ما فرط من صمتك أيسر من إدراكك ما فات من

ص: ٢٦

منطقك، و حفظ ما فى الوعاء بشدّ الوكاء، و حفظ ما فى يديك أحبّ إلّى من طلب ما فى يد غيرك، و مراره اليأس خير من الطّلب إلى النّاس، و الحرفه مع العفّه خير من الغنى مع الفجور، و المرء أحفظ لسره، و ربّ ساع فيما يضّره! من أكثر أهجر، و من تفكّر أبصر، قارن أهل الخير تكن منهم، و باين أهل الشّرّ تبين عنهم، بنس الطّعام الحرام، و ظلم الضّعيف أفحش الظلم، إذا كان الرّفق خرقا كان الخرق رفقا، و ربّما كان الدّواء داء و الدّاء دواء، و ربّما نصح غير النّاصح و غشّ المستنصح، و إياك و الإتكال على المنى فإنّها بضائع النّوكى، و العقل حفظ التّجارب، و خير ما جرّبت ما وعظك، بادر الفرصه قبل أن تكون غصّه، ليس كلّ طالب يصيب، و لا- كلّ غائب يؤّب، و من الفساد إضاعه الزّاد و مفسده المعاد، و لكلّ أمر عاقبه، سوف يأتيك ما قدّر لك، التّياجر مخاطر، و ربّ يسير أنمى من كثير. و لا خير فى معين مهين، و لا فى صديق ظنين، ساهل الدّهر ما ذلّ لك قعوده، و لا تخاطر بشىء رجاء أكثر منه، و إياك أن تجمع بك مطيّة اللّجاج، أحمل نفسك من أخيك عند صرمه

على الصَّيْلِهِ، و عند صدوده على اللّطف و المقاربه، و عند جموده على البذل، و عند تباعده على الدّنوّ، و عند شدّته على اللّين، و عند جرمه على العذر، حتّى كأنّك له عبد، و كأنّك ذو نعمه عليك، و إيّاك أن تضع ذلك في غير موضعه، أو أن تفعله بغير أهله لا تتخذنّ عدوّ صديقك صديقا فتعادي صديقك، و امحض أخاك النصيحة حسنه كانت أو قبيحه، و تجرّع الغيظ فإنّ لم أر جرحه أحلى منها عاقبه و لا- ألذّ مغبّه، و لن لمن غالظك فإنّه يوشك أن يلين لك، و خذ على عدوّك بالفضل فإنّه أحلى الظّفرين، و إن أردت قطيعه أخيك فاستبق له من نفسك بقيّه يرجع إليها إن بدا له ذلك يوما ما، و من ظنّ بك خيرا فصدّق ظنّه، و لا- تضيعنّ حقّ أخيك اتكالا- على ما بينك و بينه، فإنّه ليس لك بأخ من أضعت حقّه، و لا يكن أهلك أشقى الخلق بك، و لا- ترغبنّ فيمن زهد عنك و لا- يكوننّ أخوك على مقاطعتك أقوى منك على صلته، و لا يكوننّ على الإساءه أقوى منك على الإحسان، و لا يكبرنّ عليك ظلم من ظلمك، فإنّه يسعى في مضرتّه و نفعك، و ليس جزاء من سرّك أن تسوءه.

ص: ٢٨

(المطية): ما يقطع به المسافه باختلاف الليل و النهار يوجب طي مدّه العمر، (تعدو): تجاوز (التخفيض و الاجمال): ترك
الحرص في طلب الدنيا، (الحرب): سلب المال و فائه، (أوجفت): أسرعت (التلافي): التدارك (الوكاء):

حبل يشدّ به رأس القربه، (الحرفه): الاكتساب بالتعب، (أهجر الرجل): اذا أفحش في منطقه (الرفق): اللين و (الخرق): ضده،
(النوكى): الحمقى (الصّرم):

القطع (الصدود): الاعراض، (الظنين): المتهم، (محضه النصيحة): أخلصها له (المغبه): العاقبه.

الاعراب

و قد جعلك الله حراً، جملة حاله، و ما خير خير: يحتمل أن يكون كلمه ما استفهاميه للانكار فالخير الأوّل مضاف إلى الثاني و
لو جعلت نافية ففي الاضافه غموض و فى العبارة إبهام و الاعراب فى قوله «و يسر لا ينال» أغمض فتدبر بشدّ الوكاء ظرف مستقر
خبر لقوله «حفظ»، ما ذلّ، لفظه ما مصدرية زمانيه رجاء أكثر منه: مفعول له لقوله «لا- تخاطر»، ما فى قوله «يوماماً» نكره تفيد
القله.

المعنى

قرّر عليه السلام فى هذا الفصل زوال الدنيا و فناءها بحساب رياضى فقال: إنّ العمر عدد من الليالى و الأيام الماره على الدوام و
يصل إلى النهايه و ينفد لا- محاله و بعد ما أثبت بالبرهان الرياضى أنّ العمر منقضى و أنّ الأجل محتوم فلا ينبغي الركون إلى
الدنيا و الاعتماد عليها، ثمّ توجه إلى ابطال ما يفتتن به أهل الدنيا من الامال و بين أنّ الانسان فى هذه الدنيا لا يبلغ إلى آماله لأنّ
الأمل غير محدود، و الأجل محدود، و وصّاه بترك الحرص و الكدّ فى طلب الدنيا، فإنّ الرزق المقدر يصل بأدنى طلب و ما
يطلب بجدّ و كدّ ربّما يتلف و يضيع و يعرضه الحرب.

قال ابن ميثم: و ذلك كما شوهد في وقتنا أنّ تاجرا كان رأس ماله سبعة عشر ديناراً فسافر بها إلى الهند مرارا حتّى بلغت سبعة عشر ألفاً فعزم حينئذ على ترك السفر و الاكتفاء بما رزقه الله، فسوّلت له نفسه الأثمّاده بالسوء في العود و حبّبت إليه الزّيادة فعاود السيّفر فلم يلبث أن خرجت عليه السيّراق في البحر فأخذوا جميع ما كان معه، فرجع و قد حرب ماله، و ذلك ثمره الحرص المذموم.

ثمّ تعرّض عليه السيّلام للوصيّة بحفظ كرامه النفس و الاحتفاظ بالشخصيّة التي هي شرف وجود الانسان و امتيازها عن سائر أنواع الحيوان فقال عليه السيّلام: (و أكرم نفسك عن كلّ دنيّه و إن ساقطت إلى الرغائب) و يندرج في وصيّة هذه الأمر بحفظ الحرّيّه و الاستقلال في عالم البشريّه التي هي لبّ الدّيموقراطيّه في الاجتماع الانسانيّ و أشار إلى أنّ النفس أعزّ و أعلى من كلّ شيء فلا قيمه له بوجه من الوجوه و أكّد ذلك بقوله عليه السّلام (و لا تكن عبد غيرك و قد جعلك الله حرّاً).

ثمّ أشار إلى أنّ آفة الحرّيّه الطمع فحدّر منه أشدّ الحذر و في التّشبث بالوسائط نوع من الضعف في الاستقلال و الحرّيّه فقال عليه السّلام (و إن استطعت أن لا يكون بينك و بين الله ذو نعمه فافعل).

ثمّ سرد أنواعاً من الفضائل و حثّ على اكتسابها، و أنواعاً من الرذائل و وصّى الاجتناب عنها، فمن الفضائل: الصّيمت، و حفظ المال، و تكلف الحرفه و من الرذائل: إظهار الحاجه إلى الناس، و تحصيل الغنى بالفجور و كثره الكلام.

و من الفضائل: الفكر و مصاحبه أهل الخير، و من الرذائل مصاحبه أهل الشرّ و الظلم بالضعيف، و جرّ عليه السيّلام كلامه إلى الوصيّة بحفظ روابط الودّ مع الأحباء و الأقرباء فإنّه أسّ الاجتماع و التعاون المفيد في الحياه، فقال عليه السّلام:

(احمل نفسك من أخيك عند صرمة على الصّيله) و بيّن كلّ ما يمكن أن يصير سبباً لقطع رابطة الاخاء و فت عضد المحبّه و الاجتماع و أراه دواءه الناجع النافع فدواء الإعراض الاقبال و المقارنه باللطف، و دواء المنع عن العطاء هو البذل عليه و دواء التّباعّد الناشئ عنه هو التقارب و الدّنوّ منه، و دواء شدّته و صولته هو اللّين

و الرِّفْق معه، و دواء جرمه و اجترائه هو الاعتذار منه و له، و قد لَخَّصَ كُلَّ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: (حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْد).

و قد ذِيل وصایته هذه بأنَّ تلك المعامله الاخائیه لا بدّ و أن تكون مع من يليق بها و هو المؤمن المعتقد.

الترجمه

ای پسر جانم بدانکه هر کس بر پاکش شب و روز سوار است همیشه بسوی مرگ در رفتار است گر چه در جای خود ایستاده و استوار است، و بنا خواه طی راه می نماید گر چه مقیم و آسوده می زید، بطور یقین بدان که بارزو و آرمان خود نمی رسی و از عمر مقدر نمی گذری و براه همه کسانی که پیش از تو بوده اند می روی، در طلب دنیا آرام باش و در کسب مال هموار رفتار کن زیرا بسا طلب که بسر انجام تلف می کشد، نه هر کس دنبال روزی دود بروزی می رسد و نه هر کس آرام و هموار کار میکند از روزی و می ماند، خود را از هر پستی در طلب دنیا گرامی دار و اگر چه آن کار پست تو را بارمانهایت برساند، زیرا اگر خود را بفروشی بهائی که ارزش شخصیت را داشته باشد بدست نیاوری، خود را بنده دیگری مساز و بأو مفروش در صورتی که خداوندت آزاد و مستقل آفریده است، چه خیر و خوبی دارد آن خیری که جز بوسیله بدی بدست نیاید، و چه آسایشی است در آنچه جز بدشواری فراهم نشود؟؟.

مبادا اختیار خود را بمرکب سرکش طمع بسپاری تا تو را در پرتگاه هلاک و نابودی کشاند، اگر توانی هیچ منعمی را میان خود و خدا واسطه طلب روزی نسازی همین کار را بکن وزیر بار نوکری دیگران مرو، زیرا تو قسمت روزی خود را خواهی یافت و بهره ات بتو خواهد رسید همان روزی اندک از طرف خداوند سبحان بی منت دیگران بزرگتر و گرامی تر است از بهره بیشتر از دست دیگران، و گر چه همه از طرف خداوند منّاست.

هر که نان از قبل خویش خورد منّت از حاتم طائی نبرد

ص: ۳۱

تدارک تقصیری که از خموشی بر آید آسانتر است از تدارک آنچه از گفتار ناهنجار زاید، نگهداری رازهای درون بیستن زبانت چون بستن سر ظرف آنچه را در آنست حفظ می نماید، نگهداری آنچه در دست خود داری نزد من محبوبتر است از جستن چیزی که در دست دیگرانست، تلخی نومییدی به است از دست نیاز بمردم دراز کردن، پیشه وری و آبرومندی به است از بی نیازی بوسیله هرزگی هر مردی بهتر، راز خود را نگه می دارد، بسا کسی که در زیان بخود می کوشد هر که پر گوید ژاژ خواهد، هر که اندیشه کند بینا گردد، با خیرمندان در آمیز تا از ایشان باشی، از شر انگیزان جدا شو تا از آنها بر کنار باشی، چه بد خوراکی است مال حرام، ستم بر ناتوان فاحش ترین ستم است، در جائی که از ملایمت کج خلقی بر آید کج خلقی ملایمت زاید، چه بسا که دارو درد گردد و درد دارو، چه بسا که اندرز از بد خواه بر آید و خیر خواه بد غلی در اندرز خود گراید، مبادا بر آرزوهای خود اعتماد کنی که آرزومندی کالای احمقان است، عقل و خرد تجربه اندوزیست، بهترین تجربه آنست که تو را پند دهد تا غصه و افسوس نیامده وقت را غنیمت شمار و از دستش مده، هر کس جوید بمقصد رسد و نه هر غائبی بخانه اش بر گردد، ضایع نمودن توشه راه ارتکاب تباه است و مفسد روز رستاخیز، هر کاری را دنباله ایست و بسر انجामी گراید، هر چه برای تو مقدّر باشد بتو خواهد رسید، بازرگان خود را بخطر می اندازد، چه بسا اندکی که پر برکت تر از بسیار است، در یاور و همکار پست و زبون خیری نباشد و نه در دوست دو دل و متهم بخیانت، تا روزگار با تو بسازد با او بساز، چیزی که در دسترس است بامید بیش از آتش در خطر میفکن، مبادا عنان خود را بدست مرکب سرکش لجبازی بسپاری، برای نگهداری برادر و دوست خود اگر از تو برید با او پیوست کن، و هنگام رو گردانی او با لطف و مهربانی با او نزدیک شو، و چون مشیت خود را بست با او ببخش، و چون دوری گزید با او نزدیک شو، و هنگام سختگیری او با او نرمش کن، و چون جرمی مرتکب شد بر او پوزش آور، تا آنجا در برابر

او فروتن باش بمانند بنده ای در برابر آقای خود و تا آنجا که او را منعم خویش بحساب آوری، و مبدا این معامله برادرانه را با نا اهل و ناشایست آن روا داری.

با دشمن دوستت طرح دوستی مریز تا با دوستت دشمنی کرده باشی، با برادر خود پاک و صریح نصیحت کن و حق را بأو بگو چه خوش آید او باشد چه او را بد آید، خشم را فرو خور زیرا من نوششی را شیرین سرانجام تر و لذت بخش تر در دنبال از آن آن ندیدم، با کسی که درشتت بر آید نرمش کن چه بسا که نرم شود، بر دشمن خود بتفضل و احسان برتری جو، زیرا که این شیرین تر پیروزیها است اگر خواستی از دوستی ببری یک رشته از حسن رابطه را بجای گزار که بوسیله آن بوی بر گردی اگر روزی پشیمان شدی، هر گاه کسی بتو گمان خوبی دارد بأو خوبی کن و گمانش را درست در آور باعتماد دوستی و یگانگی حق دوست را زیر پا مکن زیرا کسی که حقش را ضایع سازی با تو برادری نکند.

مبدا خاندان تو بد بختترین مردم باشند نسبت بتو و از آنها رعایت دیگران را نکنی، کسی که تو را ترک گوید و از تو رو گرداند دل بأو مبنده، برادر و دوست تو در قطع رابطه بر تو از پیوند تو با او پیشدستی نکند و پیش از آنکه او قطع رابطه کند جلو آنرا بگیر و مواظب باش که او در بد رفتاری با تو از خوشرفتاری تو با او پیشدستی نکند و با خوشرفتاری جلو بد رفتاریش را ببند ستم ستمگر بر تو گران نیاید زیرا که او در زیان خود و سود تو کوشش می نماید پاداش کسی که تو را شادمان می نماید این نیست که تو بأو بدی کنی و دلش را آزرده سازی.

الفصل الثامن من قوله عليه السلام:

اشاره

و اعلم، یا بنی اَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَان: رِزْقٌ تَطْلِبُهُ، و رِزْقٌ

ص: ۳۳

يطلبك، فإن أنت لم تأتته أتاك، ما أقبح الخضوع عند الحاجة، والجفاء عند الغنى، إنما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك، وإن جزعت على ما تفلت من يديك فاجزع على كل ما لم يصل إليك، استدلل على ما لم يكن بما قد كان فإن الأمور أشباه، و لا تكونن ممن لا تنفعه العظه إلا- إذا بالغت في إيلاسه، فإن العاقل يتعظ بالأدب، و البهائم لا تتعظ إلا بالضرب، اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر و حسن اليقين، من ترك القصد جار، و الصياح مناسب، و الصديق من صدق غيبه، و الهوى شريك العمى [العنا]، و رب قريب أبعد من بعيد، و بعيد أقرب من قريب، و الغريب من لم يكن له حبيب، من تعدى الحق ضاق مذهبه، و من اقتصر على قدره كان أبقي له، و أوثق سبب أخذت به سبب بينك و بين الله، و من لم يبالك فهو عدوك، قد يكون اليأس إدراكا إذا كان الطمع هلاكا، ليس كل عوره تظهر، و لا كل فرصه تصاب، و ربما أخطأ البصير قصده، و أصاب الأعمى رشده، آخر الشر فإنك إذا شئت تعجلته، و قطيعه الجاهل تعدل صله العاقل، من أمن الزمان خانته، و من أعظمه أهانه، ليس كل من رمى أصاب،

ص: ٣٤

إذا تَغَيَّرَ السَّيِّدُ لَطَانَ تَغَيَّرَ الزَّمانُ، سَلَّ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ، وَ عَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ. إِيَّاكَ أَنْ تَذَكَرَ مِنَ الْكَلَامِ مَا يَكُونُ مَضْحَكًا وَ
إِنْ حَكَيْتَ ذَلِكَ عَنْ غَيْرِكَ، وَ إِيَّاكَ وَ مَشَاوِرَهُ النِّسَاءِ، فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ، وَ عِزْمَهُنَّ إِلَى وَهْنٍ، وَ اكْفَفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ
بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ فَإِنَّ شَدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْهِنَّ، وَ لَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مِنْ لَا يُوَثِّقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ، وَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِنْ لَا
يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فَافْعَلْ، وَ لَا تَمْلِكْ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رِيحَانَةٌ وَ لَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ، وَ لَا تَعُدْ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا،
وَ لَا تَطْمَعُهَا فِي أَنْ تَشْفَعَ لْغَيْرِهَا، وَ إِيَّاكَ وَ التَّغَايِيرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ غَيْرِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّيْحَةَ إِلَى السَّيِّئِ، وَ الْبَرِيئَةَ إِلَى
الزَّيْبِ، وَ اجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خِدْمَتِكَ عَمَلًا تَأْخُذُهُ بِهِ، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ لَا يَتَوَاكَلُوا فِي خِدْمَتِكَ، وَ أَكْرَمَ عَشِيرَتِكَ فَإِنَّهُمْ
جَنَاحُكَ الْغَدَى بِهِ تَطِيرُ، وَ أَصْلُكَ الْغَدَى إِلَيْهِ تَصِيرُ، وَ يَدُكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ. أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ وَ دُنْيَاكَ، وَ أَسْأَلُهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ
لَكَ فِي الْعَاجِلِ وَ الْآجِلِ، وَ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ، وَ السَّلَامِ.

ص: ٣٥

(مثنوى): اسم مكان من ثوى بمعنى محلّ الاقامه، (تفلّت): تخلص و فى معناه الافلات و الانفلات (العظه): كالعده مصدر وعظ يعظ، (عزائم الصبر): ما لزمته منها، (مناسب) مفعول من ناسب أى من ذوى القربى، (العوره): قال ابن ميثم: هنا الاسم من أعور الصيد إذا أمكنك من نفسه و أعور الفارس إذا بدامنه موضع خلل الضرب، (أفن): الأفن بسكون الفاء، النقص، و المتأفن، المتنقص و روى إلى أفن بالتحريك فهو ضعيف الرأى، أفن الرجل يأفن أفنا أى ضعف رأيه (الوهن): الضعف، (القهرمانه): فارسى معزب.

الاعراب

رزق تطلبه، عطف بيان لقوله «رزقان»، من دنيائك متعلق بقوله «لك» و هى ظرف مستقر خبر مقدّم لقوله «ان» و ماء الموصوله اسم له، و اكفف عليهنّ من أبصارهنّ قال الشارح المعتزلى «ص ١٢٤ ج ١٦ ط مصر»: من ها هنا زائده و هو مذهب أبى الحسن الأخفش من زياده من فى الموجب، و يجوز أن يحمل على مذهب سيبويه فيعنى به: فاكفف عليهنّ بعض أبصارهنّ، بأشدّ خبر ليس، و الباء زائده، لا تعد: نهى من عدا يعدو أى لا تجاوز، التغاير: تفاعل من الغيره و هى الرقابه فى النساء.

المعنى

قد قسم عليه السلام الرزق إلى رزق يحصل بلا طلب و إلى رزق يحصل بالطلب و قد ورد فى غير واحد من الايات و الأخبار أنّ الرزق مضمون على الله تعالى و أصرح الايات قوله تعالى: «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَ مُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ»: ٦ - هود» و قوله تعالى «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ»: ٥٨ - الذاريات».

فالآيتان تدلان على أنّ الله تعالى تعهّد رزق كلّ دابّة كدين يجب الوفاء به و هو قادر على أداء هذا الدين فيصل رزق كلّ دابه إليها و أنّه تعالى هو الرّازق

على وجه الحصر و لا رازق غيره لأنّ ضمير الفصل فى قوله: هو الرّزاق، و تعريف المسند يفيدان الحصر فمعنى الايه أنّه تعالى رازق و لا رازق غيره، و ينبغى البحث هنا فى أمرين:

١ - أنّ وصول الرّزق إلى كلّ مرزوق مطلق أو له شرط معلّق عليه فاذا لم يحصل الشرط يسقط الرّزق المقدّر، و ما هو هذا الشرط؟ يستفاد من بعض الأخبار أنّ الرّزق مشروط بالطلب و الاكتساب بوجه ما فاذا ترك الطلب مطلقا يسقط الرّزق المقدّر، و ذلك كمن ترك تحصيل الرّزق و اعتزل فى زاويه منتظرا لمن يدخل عليه و يكفله، و يؤيد ذلك وجوب تحصيل النفقه لنفسه و لمن يجب عليه نفقته كالزّوجه و الأقارب باتفاق الفقهاء، فلو كان الرّزق واصلا مطلقا و حاصلًا بتقدير من الله فلا معنى لوجوب تحصيله، و لكن لا إشكال فى أنّ تأثير الطلب مختلف فى الأشخاص، فربما يحصل بطلب قليل رزق واسع كثير، و ربّما يحصل بالجدّ و الكد أدنى مثونه العيش و مقدار دفع الجوع و سدّ الرّمق، و نظره عليه السّلام فى هذا المقام ترك الحرص و تحمّل العناء فى طلب الدّنيا، كما أنّه لا إشكال فى حصول الرّزق لبعض الأشخاص من حيث لا يحتسب قال الشارح المعتزلى «ص ١١٤ ج ١٦ ط مصر»:

دخل عماد الدّوله أبو الحسن بن بويه شيراز بعد أن هزم ابن ياقوت عنها و هو فقير لا مال له فساخت إحدى قوائم فرسه فى الصحراء فى الأرض فزلّ عنها و ابتدرها غلمانة فخلّصوها، فظهر لهم فى ذلك الموضع نقب وسيع، فأمرهم بحفره فوجدوا فيه أموالا عظيمة و ذخائر لابن ياقوت.

ثمّ استلقى يوما آخر على ظهره فى داره بشيراز التى كان ابن ياقوت يسكنها فرأى حيّه فى السقف، فأمر غلمانة بالصّعود إليها و قتلها، فهربت منهم، و دخلت فى خشب الكنيسه فأمر أن يقلع الخشب و تستخرج و تقتل، فلمّا قلّعوا الخشب وجدوا فيه أكثر من خمسين ألف دينار لابن ياقوت.

و احتاج لأن يفصل و يخيّط ثيابا له و لأهله فقيل: ها هنا خياط حاذق كان

ص: ٣٧

يخيط لابن ياقوت، و هو رجل منسوب إلى الدين و الخير، إلا أنه أصم لا يسمع شيئاً أصلاً فأمر باحضاره فأحضر و عنده رعب و هلع، فلما أدخله إليه كلمه و قال:

اريد أن تخيط لنا كذا و كذا قطعه من الثياب، فارتعد الخياط و اضطرب كلامه و قال: و الله يا مولانا ماله عندي إلا أربعه صناديق ليس غيرها، فلا تسمع قول الأعداء في، فتعجب عماد الدولة و أمر باحضار الصناديق فوجدها كلها ذهباً و حلياً و جواهر مملوءه وديعه لابن ياقوت.

٢ - أن من يأكل من الحرام كالسارق و الكاسب من الوجوه المحرمه فهل يأكل رزقه المقدر أم يأكل من غير رزقه؟ و هل الحرام رزق الله و يندرج في كلامه هذا أن الرزق رزقان أم هو خارج عن مفهوم كلامه و رزق ثالث؟.

ثم قبح عليه السلام خلقاً معروفاً عند الناس و هو الخضوع عند الحاجه و الجفاء عند الغنى.

و قد ارتكب الناس هذا الخلق حتى مع الله تعالى فعاتبهم به في كلامه قال عز و جل «حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَ فَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَ جَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكَفِّرَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ»: ٢٢-٢٣ يونس.

و قد أشار عليه السلام إلى أن ما يفيد للانسان من الدنيا هو يصلح به أمر آخرته فحسب، و أما غير ذلك فيذهب هدراً و يبقى تبعته.

و أشار عليه السلام إلى تسليه مقنعه مستدله لترك الأسف على ما فات بأنه إذ جزع على ما خرج من يده من المال و الجاه فلا بد أن يجزع على جميع ما في الدنيا مما لم يصل إليه لأنه لا فرق بين القسمين، و وصي أن يكون للانسان قلباً خاصاً فهما مستعدا للاتعاظ و هو دليل العقل و الفراسه.

العبد يقرع بالعصا و الحر تكفيه الملامه

و لا يخلو الانسان من هموم ترد على قلبه من حيث يشعر و لا يشعر فوصي

عليه السّلام بطرد هذه الهموم بملازمه صبر ثابت و يقين صادق و بملازمه طريقه عادله فى أعماله و أخلاقه و تبه على أنّ
الصاحب الصديق كنسب قريب، و كان يقال:

«الصديق نسب الزّوج و الأخ نسب البدن».

و قد بين عليه السّلام موازين لامور هامه:

١ - ميزان الصّداقه، فقال: (و الصديق من صدق غيبه) يعنى أنّ الصّداقه يعرف بحفظ الغيب للصديق، فربّما شخص يظهر الصّداقه
فى الحضور و لم يكن إلّا منافقا.

٢ - ميزان الغربه، فقال: (الغريب من لم يكن له حبيب) أى من لم يكن له مونس يطمئنّ إليه و يلمسه عن ظهر قلبه برابطه و ديّه
صداقه فهو غريب و إن كان فى وطنه.

٣ - ميزان العداوه، فقال: (و من لم يبالك فهو عدوّك) أى من لم يكثر بك و يراعيك فهو عدوّ.

و قد استغرب الشارح المعتزلى هذه الميزانيه للعداوه فقال «ص ١١٩ ج ١٦ ط مصر»: و هذه الوصاه خاصّه بالحسن عليه السّلام و
أمثاله من الولاه و أرباب الرّعايا و ليست عامّه للسوقه من أفناء الناس، و ذلك لأنّ الوالى إذا أنس من بعض رعيته أنّه لا يباله و
لا يكثر به، فقد أبدى صفحته، و من أبدى لك صفحه فهو عدوّك و أما غير الوالى من أفناء الناس فليس أحدهم إذا لم يبال
بالآخر بعدوّ له.

أقول: قد ذكرنا فى بدء شرح هذه الوصيه أنها موجّهه من نوع الوالد إلى نوع الولد من دون ملاحظه أيّه خصوصيه فى البين، و
المقصود من عدم المبالاه فى كلامه عليه السّلام هو عدم رعايه الحقّ بعد المعرفه و وجود الرّابطه بين شخصين و كلّ من عرف
غيره و لم يراع له حقّه يكون عدوّا له و ظالما، سواء من السوقه و أفناء الناس، أو من الولاه و الحكّام، و الفرق أنّ المعرفه للوالى
أعمّ، و حقوقه على الرّعايا أتمّ و ألزم.

و قد اختلف فى تفسير قوله عليه السّلام: (ليس كلّ عوره تظهر) فقال الشارح المعتزلى «فى ص ١١٩ ج ١٦ ط مصر»: يقول: قد
تكون عوره العدوّ مستتره

عنك فلا تظهر، وقد تظهر لك ولا يمكنك إصابتها.

وقال ابن ميثم: تبه بقوله: ليس كل عوره - إلى قوله: رشده، على أنّ من الامور الممكنه و الفرض ما يغفل الطالب البصير عن وجه طلبه فلا يصيبه ولا يهتدى له، و يظفر به الأعمى - إلى أن قال: و غرض الكلمه التسليه عن الأسف و الجزع على ما يفوت من المطالب بعد إمكانها.

أقول: قد ارتبط ابن ميثم هذه الجمل الأربع إلى غرض واحد، و الظاهر أنّ كلّ منها حكمه عامّه تامّه، و المقصود من العوره العيب فى عدوّ أو غيره المعرض للانكشاف، فيقول: ربّما يبقى عيب معروض للانكشاف مستورا لغفله الناس أو سبب آخر، كما أنه ربّما لا يستفاد من الفرصه و ربما يخطأ البصير عن قصده كما أنه ربّما يصيب الأعمى رشده.

و هذه الحكم كلّها من قبيل المثل السائر المشهور: رميه من غير رام و تنبيه على أنّ الأسباب المعموله ليست عللا تامّه للوصول إلى المقاصد و الأهداف.

و تبه بقوله عليه السّلام (من أمن الزّمان خانه و من عظّمه هانه) على أنّ الزّمان إذا أقبل على الانسان لا يصحّ الاعتماد عليه، فانه دوّار غدار كما قال أبو الطيّب:

و هى معشوقه على الغدر لا تحفظ عهدا و لا تتمم وصلا و قد أشار إلى السّبب الأساسى فى تغيير الزّمان على بنى الانسان فقال: (إذا تغيّر السلطان تغيّر الزّمان) ذكر الشارح المعتزلى «ص ١٢١ ج ١٦ ط مصر» فى شرح هذه الجمله:

فى كتب الفرس أنّ أنوشروان جمع عمال السّواد و بيده درّه يقلبها، فقال:

أى شىء أضرب بارتفاع السّواد و أدعى إلى محقه؟ أيكم قال ما فى نفسى جعلت هذه الدرّه فى فيه؟ فقال بعضهم: انقطاع الشّرب، و قال بعضهم: احتباس المطر و قال بعضهم: استيلاء الجنوب و عدم الشمال، فقال لوزيره: قل أنت فإنى أظنّ عقلك يعادل عقول الرّعيه كلّها أو يزيد عليها، فقال: تغير رأى السلطان فى رعيته، و إضممار الحيف لهم، و الجور عليهم، فقال: لله أبوك، بهذا العقل أهلك

ص: ٤٠

آبائي و اجدادی لما اهلوك له، و دفع إليه الدرّه فجعلها في فيه.

ثم توجه عليه السلام في آخر وصيته إلى المعامله مع النساء و الخدم و هم أهل البيت و الخاصه و وصى في النساء بأمور:

١ - ترك المشاوره معهنّ لضعف الرأى و وهن العزم و التصميم في الأمور.

٢ - كفّ أبصارهنّ عن الأجانب و زهره الدنيا بواسطه الحجاب عليهنّ فانه موجب لبقائهنّ و وفائهنّ للزوج.

٣ - عدم إدخال الرجال الأجانب عليهنّ في البيت إذا كانوا أهل ريب و فتنه.

٤ - عدم إحاله تدبير امور البيت من شراء الحوائج و الامور الخارجه عن تدبير أنفسهنّ عليهنّ لأنّ ذلك يؤذيهنّ و يذهب بجمالهنّ و بهائهنّ و ينقص من الاستمتاع بوجودهنّ.

٥ - عدم إجابتهنّ في الشفاعه و الوساطه للأغيار، فانه يوجب توجههم إليهنّ و يؤدى إلى فسادهنّ يوما ما.

٦ - عدم اظهار الغيره عليهنّ في غير موضعها، و المقصود المنع من سوء الظنّ بهنّ ضنّا عليهنّ و شغفا بحبهنّ فانه يوجب سوقهنّ إلى الفساد، و يلوث براءه ساحتهنّ بالزيب و عدم الاعتماد.

و أما وصيته عليه السلام بالنسبه إلى الخدم فانه تنتظم أعمال خدمتهم بتقسيم اموره بينهم و إحاله كلّ أمر إلى من يناسبه منهم و جعله مسئولاً عنه بخصوصه لئلا يكل بعضهم إلى بعض و يضيع الامور و تبقى بلا مسئول خاص.

ثم ختم عليه السلام وصاياہ بقوله (و أكرم عشيرتك) و المقصود منه صله الرحم المأمور بها في الكتاب و السنّه معللاً بأنّ العشيره كالجناح للطيران و كالأصل للبنيان و كاليد للصّوله على ذوى العدوان.

و قد قرّر ابن خلدون في مقدمته المعروفه في علم الاجتماع و العمران، العصبه و الاعتماد على العشيره أصلاً ثابتاً في القبض على الحكومه و السّيلطان و تحصيل الزعامه على سائر أفراد الانسان، و قرّر ذلك الأصل بشواهد كثيره من التاريخ في شتى النواحي و البلدان.

ص: ٤١

قال فی «ص ۱۱۷ ج ۱ من المقدمه ط مصر»: الفصل السابع عشر فی أنَّ الغایه التي تجری إليه العصبیه هی الملك.

و ذلك لأننا قدّمنا أنَّ العصبیه بها تكون الحمايه و المدافعه و المطالبه و كل أمر یجتمع علیه و قدّمنا أنَّ الادمیین الطبیعه الانسانیه یحتاجون فی كل اجتماع إلى وازع و حاکم یزع بعضهم عن بعض، فلا بدّ أن یكون متغلّبا علیهم بتلك العصبیه و إلّا لم تتمّ قدرته علی ذلك و هذا التغلب هو الملك.

الترجمه

ای پسر جانم بدانکه روزی بر دو قسم است، یک روزیست که تو بدنبال آن می روی و روزی دیگری که دنبالت می آید و اگر بدنبال آن نروی او بدنبال تو می آید، وه چه زشت است که هنگام نیاز فروتن و زبون باشی و چون نیاز نداری جفا کنی و رو گردانی، تو از دنیای خود همانی را داری که با آن کار آخرت خود را درست کنی، اگر بدانچه از دستت رفته است بیتابی کنی باید بر هر چه که در جهانست و بتو نمی رسد بیتابی کنی و غم آنرا بخوری، بدانچه نباشد از آنچه هست رهیاب باش، زیرا همه امور بهم مانند و آنچه هست نمونه ایست برای آنچه نیست.

از آن کسانی مباش که پند نپذیرد مگر آنکه پندی جانگاہ و ملامت بار باشد و دلش را بدرد آورد، زیرا خردمند بهمان ادب و پرورش پند پذیرد، جانورانند و چهار پایان که جز با کتک فرمان پذیر نباشند، آنچه هم و اندوه بر دلت وارد شود بوسیله شکیبائی پایدار و خوش باوری از قدرت پروردگار از خود دور کن هر کس از راه عدل و داد بگردد جائز و نابکار باشد، و رفیق موافق برادر باشد دوست آن کس است در پشت سر دوستی را رعایت کند، هوس همعنان رنج و غم است، بسا خویشی که از بیگانه دورتر است و بسا بیگانه که از خویش نزدیکتر و مهربانتر، آواره کسی است که دوستی ندارد.

هر کس از حقّ تجاوز کند به تنگنای گرفتار آید، هر که قدر خود را

ص: ۴۲

شناسد و بر آن بایستد برای او پاینده تر است، محکمترین وسیله که به آن بچسبی آنست که میان تو و خدا است، هر کسی بتو بی اعتنا است دشمن تو است، گاهی شود که نومیدی رسیدن بمقصود باشد در صورتی که طمع ورزی مایه نابودیست، هر بدی فاش نگردد، و هر فرصتی مورد استفاده نباشد، بسا که بینا و هشیار از مقصد خود خطا رود و نابینا و نادان بمقصد رسد.

بدی را تا توانی بتأخیر انداز که هر دم می توانی در آن بشتابی، بریدن نادان برابر پیوند با خردمندانست، هر کس از مکر زمانه آسوده زید بخیانت او دچار گردد، و هر کس زمانه را بزرگ شمارد خواری آنرا ببند، نه هر کس تیر اندازد بههدف زند، وقتی سلطان دیگر گونه گردد زمانه هم دیگر گون شود نخست از رفیق پرسش کن آن گاه از راه، و از همسایه بررسی کن آن گاه از خانه مبدا سخنی بگوئی که خنده آور باشد و اگر چه از دیگری آنرا حکایت کنی.

مبدا با زنان خانه خود در کارهای مشورت کنی زیرا رأی آنان سست است و تصمیمشان نا پایدار است، با حجاب خود جلو دیده آنانرا بر گیر زیرا هر چه در پرده باشند بهتر می مانند و سالم ترند، بیرون رفتن آنها از خانه و گردش آنان در کوی و بر زن از آن بدتر نیست که بیگانه ای که مورد اطمینان نباشد نزد آنها آوری و با او معاشرت کنند، و اگر بتوانی آنها را چنان داری که جز تو را نشناسند همین کن.

زن را به بیش از آنچه راجع بخود او است بر کارها سر کار و صاحب اختیار مکن، زیرا زن چون گل است و جنس لطیف و قهرمان و کار گزار نیست، و نباید از اندازه احترام و شایستگی خود تجاوز نماید، زن را بطمع میانداز که پیش تو واسطه انجام کار دیگران شود، و مبدا بیجا غیرت ورزی کنی و بدنبال بدبینی باشی که این خود زن درست و پارسا را بیمار و ناهموار سازد و زن پاکدامن را بسوی آلودگی کشد.

برای هر کدام از خدمتکاران خود کاری مخصوص او مقرر دار که مسئول او

باشد، و در عهده او شناخته شود، زیرا این تقسیم کارها خود سبب می شود که کارها را بهم وانگذارند و خدمت را بی سرانجام نمایند.

عشیره و تیره و تبار خود را گرامی دار و محترم شمار زیرا که آنان بجای پرهای تواند که بوسیله آنها پران می شوی و پایه تواند که بدانهای می گردی، و چون دست تواند که بوسیله آنها یورش و فعالیت داری.

من تو را از نظر دین و دنیایت بخدا می سپارم، و از او برای تو فرمان خیر و صلاح را در دنیا و آخرت خواستارم و السلام.

المختار الثاني و الثلاثون

اشاره

من کتاب له علیه السلام الى معاويه

و أردیت جیلا- من الناس کثیرا: خدعتهم بغیّک، و ألقیتهم فی موج بحرک، تغشاهم الظّلمات، و تتلاطم بهم السّبّهات، فجازوا عن وجهتهم، و نکصوا علی أعقابهم، و تولّوا علی أدبارهم و عوّلوا علی أحسابهم إلّا من فاء من أهل البصائر فإنّهم فارقوک بعد معرفتک، و هربوا إلی الله من موازرتک، إذ حملتهم علی الصّعب، و عدلت بهم عن القصد، فاتّق الله یا معاویه فی نفسک و جاذب الشیطان قیادک، فإنّ الدّنيا منقطعه عنک، و الاخره قریبه منک، و السلام.

ص: ۴۴

من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان، أمّا بعد: فإنّ الدّنيا دار تجاره، و ربّحها أو خسرها الاخره، فالسّعيد من كانت بضاعته فيها الأعمال الصّالحه، و من رأى الدّنيا بعينها، و قدّرها بقدرها، و إنّى لأعظك مع علمى بسابق العلم فيك ممّا لا مردّ له دون نفاذه، و لكنّ الله تعالى أخذ على العلماء أن يؤدّوا الأمانه، و أن ينصحوا الغوى و الرّشيد، فاتّق الله، و لا تكن ممّن لا يرجو الله وقارا، و من حقّت عليه كلمه العذاب، فإنّ الله بالمرصاد، و إنّ دنيّاك مستدير عنك، و ستعود حسره عليك، فاقلع عمّا أنت عليه من الغيّ و الضلال، على كبر سنّك، و فناء عمرك، فإنّ حالك اليوم كحال الثوب المهيل الذى لا يصلح من جانب إلّا فسد من آخر، و قد أردت جيلا، إلخ.

اللغه

(أرديت): اوقعت في الهلاك و الضلاله، (جيلا): الجيل من الناس:

الصنف منهم فالترك جيل و الروم جيل و الهند جيل، (نكصوا): أى انقلبوا (قياد): حبل يقاد به البعير و نحوه، (المهيل) المتداعى فى التمزّق و منه رمل مهيل أى ينهال و يسيل (عول) على كذا، اعتمد عليه (فاء): رجع (المؤازره): المعاونه.

الاعراب

كثيرا: صفه للجيل و يدلّ على متابعه شعوب كثيره لمعاويه فى حرب على عليه السّلام كاقباط الشام و يهود من القاطنين فيها و غيرهم و غرضهم اشعال الحرب بين المسلمين و تضعيف الدين ليحصى لهموا حرّيتهم فى أديانهم، تغشاهم الظلمات: فعليه حاله، قيادك: مفعول ثان لقوله «جاذب» و لا- يتعدى باب المفاعله إلى مفعولين على الاصول و يمكن ان يكون منصوبا على التميز فتدبر.

المعنى

تعرّض عليه السّلام فى كتابه هذا لوعظ معاويه اتماما للحجّه عليه و وفاء بما فى

ذَمَّتْهُ مِنْ إِرْشَادِ النَّاسِ وَ تَوْضِيحِ الْحَقِّ لَهُمْ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يُحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ.

و تَبَّهَ مَعَاوِيَةَ عَلَى أَنَّ مَا ارْتَكَبَهُ مِنَ الْخِلَافِ أَمْرٌ يَرْجِعُ إِلَى إِضْلَالِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ وَ لَا تَدَارِكُ لَهُ إِلَّا بَرْجُوعُهُ إِلَى الْحَقِّ وَ إِعْلَامُهُ ضَلَالَتَهُ لِيَرْجِعَ عَنْهَا مَنْ وَقَعَ فِيهِ بَغْيُهُ وَ تَلْبِيسُهُ مَعَ إِشَارَتِهِ إِلَى أَنَّهُ لَا يَتَّعِظُ بِمَوَاعِظِهِ حَيْثُ يَقُولُ فِي صَدْرِ الْكِتَابِ «وَ إِنِّي لِأَعْظُكَ مَعَ عِلْمِي بِسَابِقِ الْعِلْمِ فِيكَ مِمَّا لَا مَرَدَّ لَهُ دُونَ نَفَاذِهِ - إلخ» وَ مَقْصُودُهُ إِعْلَامُ حَالِهِ عَلَى سَائِرِ الْمُسْلِمِينَ لئَلَّا يَقْعُوا فِي حَبْلِ ضَلَالَتِهِ وَ خَدَعُوا بِالْقَاءِ شِبْهَاتِهِ.

وَ قَدْ نَقَلَ الشَّارِحُ الْمَعْتَزَلِيُّ «ص ١٣٣ ج ١٦ ط مصر»: بَعْدَ نَقْلِ صَدْرِ كِتَابِهِ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَدَائِنِيِّ مَكَاتِبَاتِ عَدَّةٍ بَعْدَ هَذَا الْكِتَابِ بَيْنَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ مَعَاوِيَةَ تَحْتَوِي عَلَى جَمَلٍ شَدِيدٍ مِنَ اللَّحْنِ يَبِينُ فِيهَا عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا عَلَيْهِ مَعَاوِيَةَ مِنَ الْغَيِّ وَ الضَّلَالَةِ وَ الْخَدَعَةِ وَ الْجَهَالَةِ، فَيَرُدُّ عَلَيْهِ مَعَاوِيَةَ بِمَا يَفْتَرِي عَلَى عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْأَبَاطِيلِ وَ الْأُضَالِيلِ مَقْرُونًا بِالْوَعِيدِ وَ التَّهْدِيدِ، ثُمَّ يَقُولُ فِي «ص ١٣٦»:

قُلْتُ: وَ أَعْجَبَ وَ أَطْرَبَ مَا جَاءَ بِهِ الدَّهْرُ... يَفْضِي أَمْرُ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَنْ يَصِيرَ مَعَاوِيَةَ نَدًّا لَهُ وَ نَظِيرًا مِمَّاثِلًا، يَتَعَارَضَانِ الْكِتَابَ وَ الْجَوَابَ - إِلَى أَنْ قَالَ: ثُمَّ أَقُولُ ثَانِيًا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَيْتَ شَعَرِي لَمَا ذَا فَتَحَ بَابَ الْكِتَابِ وَ الْجَوَابِ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ مَعَاوِيَةَ؟ وَ إِذَا كَانَتِ الضَّرُورَةُ قَدْ قَادَتْ إِلَى ذَلِكَ، فَهَلَّا اقْتَصَرَ فِي الْكِتَابِ إِلَيْهِ عَلَى الْمَوْعِظَةِ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِلْمُفَاخَرَةِ وَ الْمُنَافَرَةِ، وَ إِذَا كَانَتْ لَا بَدَّ مِنْهُمَا فَهَلَّا اكْتَفَى بِهِمَا مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِأَمْرٍ آخَرَ يَوْجِبُ الْمُقَابِلَةَ وَ الْمَعَارَضَةَ بِمِثْلِهِ، وَ بِأَشَدِّ مِنْهُ «وَ لَا تَسْتَبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْتَبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بَغِيْرَ عِلْمٍ» وَ هَلَّا دَفَعَ هَذَا الرَّجُلَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ نَفْسَهُ عَنْ سَبَابِ هَذَا السِّفَةِ فِيهِ الْأَحْمَقِ» ثُمَّ جَرَّ الْكَلَامَ إِلَى ابْتِدَاءِ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بَلْعَنَ مَعَاوِيَةَ فِي الْقَنُوتِ مَعَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَ أَبِي مُوسَى وَ غَيْرِهِمْ، فَقَابَلَهُ مَعَاوِيَةَ بَلْعَنَهُ مَعَ أَوْلَادِهِ وَ مَعَ جَمْعٍ مِنْ أَخَصَّاءِ أَصْحَابِهِ.

أَقُولُ: ظَاهِرُ كَلَامِهِ تَأْسَفُ مَعَ اعْتِرَاضٍ شَدِيدٍ أَوْ اعْتِرَاضٍ مَقْرُونٍ بِتَأْسَفٍ

ص: ٤٦

عمیق، و یشدّد اعتراضه علیه استدلاله بالایه الشریفه، و فحوی کلامه أنّ عمله علیه السلام مخالف لمفاد الایه، و هذا جرئه علیه علیه السلام، و غرضه تنذیده بمقام عصمته و امامته و الجواب أنّ لعن أعداء الله و الدّعاء علیهم منصوص فی القرآن فی غیر واحد من الایات.

کقوله عزّ من قائل: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ» و قوله عزّ من قائل: «لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ»: ۷۹ - المائدة.

مضافا إلى أنّ ما یندرج فی کتب علی علیه السلام بیان للحقیقه من أحوال معاویه و المقصود کشف الحقیقه لعموم النّاس حتّی لا یضلّوا بتضلیلاته و لا ینخدعوا بخدعه و تسویلاته.

و مفاد الایه الّتی استدللّ بها النّهی عن سبّ الالهه و لعلّ وجهه أنّ الالهه غیر مستحقّین للسبّ لأنهم أجسام غیر شاعره یعبدون بغیر إرادتهم و مستحقّ الملامه و السبّ عبادهم الّذین یصنعونهم و یعبدونهم، مع أنّ الایه نزلت حین ضعف المسلمین و حین الهدنه لأنها مکّیه من سوره الأنعام.

قال فی مجمع البیان: «لَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» أی لا تخرجوا من دعوه الکفار و محاجّتهم إلى أن تسبّوا ما یعبدونه من دون الله فانّ ذلك ليس من الحجاج فی شیء «فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ» و أنتم الیوم غیر قادرین علی معاقبتهم بما یتستحقون لأنّ الدّار دارهم و لم یؤذن لكم فی القتال.

الترجمه

دسته های بسیاری از مردم را بنابودی کشاندی، بگمراهی خود آنان را فریفتی و در امواج تاریک وجود خود افکندی، و پرده های تاریک وجود تو آنها را فرو گرفت، و شبهه ها که ساختی و پرداختی آنها را درهم پیچید، تا از پیشاهنگی خود در گذشتند و بروی پاشنه پای خود سرنگون گشتند، و روی بر پشت دادند و از حق برگشتند، بخاندان و تبار خویش تکیه کردند و از دین خدا برگشتند،

ص: ۴۷

جز آنانکه از مردمان بینا و هشیار روی از تو برتافتند و پس از این که تو را شناختند از تو جدا شدند و بسوی خدا گریزان باز گشتند و از یاری با تو سر باز زدند، چون که آنان را بکوهستانی سخت می بردی و از راه هموار و درست بدر می کردی، ای معاویه برای خاطر خود از خداوند پرهیز و مهار خود را که بدست شیطان دادی و آنرا می کشد خود بدست گیر و بسوی حق بکش زیرا که دنیا بناخواه از تو بریده می شود و آخرت بتو نزدیکست و بناخواه می رسد، و السلام.

المختار الثالث و الثلاثون

اشاره

و من کتاب له علیه السلام الی قثم بن العباس

و هو عامله علی مکه:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ عَيْنِي بِالْمَغْرِبِ كَتَبَ إِلَيَّ يَعْلَمُنِي أَنَّهُ وَجَّهَ إِلَى الْمَوْسِمِ أَنَاسَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، الْعَمَى الْقُلُوبِ، الصَّمَّ الْأَسْمَاعِ، الْكَمَةَ الْأَبْصَارِ، الْعَذِينَ يَلْتَمِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَيَطِيعُونَ الْمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ، وَيَحْتَلِبُونَ الدُّنْيَا دَرَّهَا بِالْدِّينِ، وَيَشْتَرُونَ عَاجِلَهَا بِأَجْلِ الْآبِرَارِ الْمُتَّقِينَ، وَلَنْ يَفُوزَ بِالْخَيْرِ إِلَّا عَامِلُهُ، وَلَا يَجْزِي جِزَاءَ الشَّرِّ إِلَّا فَاعِلُهُ، فَأَقِمْ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ قِيَامَ الْحَازِمِ الصَّلِيبِ، وَ النَّاصِحِ اللَّيِّبِ، التَّيَابِعِ لِسُلْطَانِهِ، الْمُطِيعِ لِإِمَامِهِ، وَ إِيَّاكَ وَ مَا يَعْتَزِرُ مِنْهُ، وَ لَا تَكُنْ عِنْدَ النُّعْمَاءِ بَطْرًا، وَ لَا عِنْدَ الْبُأْسَاءِ فَشَلًا، وَ السَّلَامَ.

ص: ٤٨

(العين): الجاسوس، (المغرب): الشام لأنه في مغرب كوفه و مكّه، (الموسم): موقع أداء الحجّ و مجمع الحجاج في مكّه المكرّمه، (العمى) جمع أعمى: من لا يبصر، (الصمّ): جمع أصمّ، (الكمه): جمع الأكمه: الأعمى خلقه، (البطر): شدّه الفرح و كثره النشاط، (البأساء): الشدّه و لا أفعل له لأنه اسم غير صفه، (الفشل): الجبن و الضّعف.

الاعراب

بالمغرب: متعلّق بالعين لما فيه من معنى الوصفية و جملة كتب إلّى خبره العمى القلوب: من إضافه الصفه إلى معموله و الاضافه لفظيّة و لا مانع من دخول أل على المضاف و كذا ما بعده، درّها: بدل اشتمال من الدنيا.

المعنى

قثم بن عباس بن عبد المطلب من الموالين لعلّى عليه السّلام و لآه على مكّه المكرّمه بعد عزل أبا قتاده الأنصارى عنها، و لم يزل واليا عليها حتى قتل علّى عليه السّلام، حكى عن ابن عبد البر أنّ قثم استشهد بسمرقند، كان خرج إليها مع سعيد بن عثمان بن عفّان زمن معاوية فقتل بها، قيل: و كان قثم يشبه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم.

قال الشارح المعتزلى فى (ص ١٣٨ ج ١٦ ط مصر): كان معاوية قد بعث إلى مكّه دعاه فى السرّ يدعون إلى طاعته و يشبطون العرب عن نصره أمير المؤمنين و يوقعون فى أنفسهم أنه إمّا قاتل لعثمان أو خاذل، و إنّ الخلافه لا تصلح فيمن قتل أو خذل، و ينشرون عندهم محاسن معاوية بزعمهم و أخلاقه و سيرته، فكتب أمير المؤمنين عليه السّلام هذا الكتاب إلى عامله بمكه ينبهه على ذلك ليعتمد فيه بما تقتضيه السياسه و لم يصرّح فى هذا الكتاب بماذا يأمره أن يفعل إذا ظفر بهم.

أقول: لعلّ ذلك قد كان و لكن لا يلائم ما ذكره ما يستفاد من هذا الكتاب فانه صادر باعتبار موسم الحجّ و اجتماع الحجاج فى مكّه من كلّ صقع من الأصقاع

الاسلاميه، و الموقف يقتضى القيام بعمل جهري للمأ لا القيام بأمر سرى و قد ورد فى شأن صدور هذا الكتاب أنّ معاويه بعث يزيد بن شجره أميرا على ثلاثه آلاف جندى مجزّب و أمره بزحفه إلى مكّه جهارا و إقامته الحجّ للناس من قبله و إخراجهم و الى أمير المؤمنين من مكّه و أخذه البيعه له عن الحاضرين فى مكّه المكرّمه و لكن شرط عليه أن يكون كلّ ذلك من دون حرب و إراقه دم فى الحرم، و لمّا ورد جيش يزيد بن شجره الجحفه و أطلع قثم على ذلك عزم الهرب من مكّه و الالتجاء بالجبال، فمنعه الصّحابة الكبير أبو سعيد الخدرى فورد يزيد بن شجره مكّه و نزل بمنى و طلب أبا سعيد و أخبره أنّه لا يريد حربا و أنّ الأمير قثم لا يرضى بامامته للحاجّ و لا أرضاه و اقترح أن يختار الناس رجلا ثالثا يؤمّ الفريقين، فاستشاروا و توافقوا على إمامه شبيه بن عثمان العبدى، فأقام لهم الحجّ و صلّى بالفريقين و لم يقع حرب بينهما، و خرج يزيد بعد الحجّ بجمعه عن مكّه المكرّمه.

و هذا ألصق بما كتبه عليه السلام إلى قثم بن العباس فى هذا المقام.

و قوله عليه السّلام: (يحتلبون الدّنيا درّها بالدين) توصيف لأتباع معاويه و إشعار بعدم اعتقادهم بالدين و إنما يظهرون شعائر الدين ليحتلبون بها متاع الدّنيا و يجعلونها وسيلة لأغراضهم المادّيه الخسيسه.

الترجمه

نامه آن حضرت بقثم بن عباس که کار گزار او بود در مكّه معظمه:

أما بعد براستی که دیده بان من در مغرب بمن نامه ای نوشته و بمن گزارش داده که جمعی از مردم شام برای موسم انجام حج بمكّه فرستاده شدند، مردمی کوردل که نه گوش شنوا دارند و نه دیده بینا، مردمی که حق را باطل در آمیزند و آنرا وسیله مقاصد پوچ خود سازند، مردمی که در فرمانبردن از مخلوق نافرمانی آفریدگار را دارند، و پستان دنیا را بوسیله اظهار دین بدوشند، و دین را وسیله

ص: ۵۰

دریافت آرمانهای دنیای خود سازند، و سرانجام سعادت با نیکان پرهیزکار را بدنیای فانی بفروشد، هرگز بسرانجام نیک نرسد مگر نیکوکار، و سزای بدکرداری را نکشد مگر بدکار و شرانگیز.

تو بر آنچه در دست داری از کار گزاری مگر با کمال حزم و پایداری ایستادگی کن و مردی باش خیر اندیش و خردمند که پیرو حاکم خویش است و فرمانبر از پیشوای خود، مبدا مرتکب خلافی شوی که نیاز بیوزش داشته باشد و بر اثر دست یافتن بنعمتهای خداوند خوشگذرانی پیشه مکن، و در موقع سختی و گرفتاری سستی از خود نشان مده.

المختار الرابع و الثلاثون

اشاره

و من كتاب له عليه السلام الى محمد بن أبي بكر لما بلغه توجده من عزله

بالأشتر عن مصر، ثم توفي الأشتر في توجهه الى مصر قبل وصوله اليها

أما بعد، فقد بلغني موجدتك من تسريح الأشتر إلى عملك، وإني لم أفعل ذلك استبطاء لك في الجهد، ولا ازديادا في الجدّ، و لو نزعنا ما تحت يدك من سلطانك لوّيتك ما هو أيسر عليك مثونه، و أعجب إليك ولايه. إنّ الرّجل الذي كنت وليّته أمر مصر كان رجلا لنا ناصحا، و على عدونا شديدا ناقما، فرحمه الله فلقد استكمل أيامه، و لاقى حمامه، و نحن عنه راضون، أولاه الله رضوانه، و ضاعف الثّواب له، فأصبح لعدوّك، و أمض على بصيرتك، و شمّر لحرب من

ص: ٥١

حاربك، و ادع إلى سبيل ربك، و أكثر الاستعانه بالله يكفك ما أهّمك، و يعنك على ما نزل بك، إن شاء الله.

اللغة

(الموجده): الغضب و الحزن، وجدت على فلان موجده، (التسريح):

الإرسال، (الجهد): الطّاقه، و من رواها الجهد بالفتح فهو من قولهم أجهد جهداً في كذا أى أبلغ الغايه، (ناقما): من نقت على فلان كذا إذا أنكرته عليه و كرهته منه، (الحمام): الموت، (أصحر له): أخرج له إلى الصّحراء و أبرز له من أصرح الأسد من خيسه إذا خرج إلى الصّحراء، (شمر) فلان للحرب: أخذ لها اهبتها.

الاعراب

من تسريح: للتعليل، استبطاء: مفعول له، لنا: ظرف مستقر أى ثابتاً لنا و تعلّقه بقوله «ناصحاً» فيه غموض، أولاه الله: جمله دعائيه، يكفك مجزوم فى جواب الأمر.

المعنى

مصر بلده عامره ضمت إلى حكمه على عليه السّلام بعد تصديّه للحكمه، و هى بلده هامه من أعظم ثغور الإسلام كما أشار إليه عليه السّلام فى مكتوب له إلى محمّد بن أبى بكر بعد ما ولّاه على مصر: «ثم اعلم يا محمّد إنى وليّتك أعظم أجنادى أهل مصر و إذ وليّتك ما وليّتك من أمر النّاس فإنّك محقّق أن تخاف فيه على نفسك».

و لما كان مصر مجاوره للشّام و يمدّ إليها الأعناق لكثرة خيراتها كانت أحد مراكز دعاه معاويه و جواسيسه و سكن فيه جمع من شيعة عثمان، و لما ورد محمّد بن أبى بكر فيها واليا تخلّفوا عنها و لا يقدر على إخضاعهم فاختر على عليه السّلام مالك الأشر و عهد له على مصر لقوّته و منعه، و لمّا اطّلع محمّد بن أبى بكر على ذلك شقّ عليه تبديله بالأشتر لمكانته من أبى بكر و قريش، و لكنّ الأشتر لم يصل

ص: ٥٢

إلى مصر و اغتيل فى الطريق فكتب عليه السَّلام هذا الكتاب إلى محمَّد بن أبى بكر كاعتذار ممَّا بلغه و إعلام لوفاه الأُشتر و تثبيت ولايته على مصر مشيرا إلى أنَّ الولاية على مصر شاقَّ و معرض للخطر، و مؤكِّدا على التَّيقُّظ و الاستعداد لمقابله ما يجرى فى مصر من المكائد.

قال الشَّارح المعتزلى (ص ١٤٢ ج ١٦ ط مصر): أمَّ محمَّد رحمه الله أسماء بنت عميس الخنعميَّة و هى اخت ميمونه زوج النَّبى صَلَّى الله عليه و آله و اخت لبابه أمَّ الفضل و عبد الله زوج العبَّاس بن عبد المطلب، و كانت من المهاجرات إلى أرض الحبشه، و هى إذ ذاك تحت جعفر بن أبى طالب عليه السَّلام، فولد له هناك محمَّد بن جعفر و عبد الله و عوناً، ثم هاجرت معه إلى المدينه، فلمَّا قتل جعفر يوم موته تزوّجها أبو بكر فولدت له محمَّد بن أبى بكر هذا، ثم مات عنها فزوَّجها عليَّ عليه السَّلام، و ولدت له يحيى بن علي، لا خلاف فى ذلك - إلى أن قال -: و قد روى أنَّ أسماء كانت تحت حمزه بن عبد المطلب، فولدت له بنتا تسمَّى أمه الله - و قيل أُمَامَه - و محمَّد بن أبى بكر ممَّن ولد فى عصر رسول الله صَلَّى الله عليه و آله - إلى أن قال -: ثمَّ كان فى حجر عليَّ عليه السَّلام و قتل بمصر، و كان عليَّ عليه السَّلام يثنى عليه و يقرِّظه و يفضِّله، و كان لمحمَّد رحمه الله عباده و اجتهاد، و كان ممَّن حضر عثمان و دخل عليه.

الترجمه

نامه ای که بمحمَّد بن أبى بكر نوشت، چون به آن حضرت گزارش رسید که محمَّد از عزل خود بوسیله جای گزینی مالک اشتر ناراحت و اندوهگین شده، سپس اشتر پیش از رسیدن به مصر در راه مصر وفات کرد.

أما بعد بمن رسیده که از گسیل داشتن اشتر بکار گزاری در جای تو غمنده و ناراحت شدی، من این کار را برای آن نکردم که تو در کوشش و تلاش در کار خود کندی و مسامحه داری، و نه این که خواسته باشم تو را در کوشش بیشتر نسبت بکار گزاریت وادار کرده باشم، و اگر هم آن حکومت که داشتی از دست

ص: ۵۳

می گرفتم تو را حکومتی می دادم که اداره آن آسان تر باشد و در چشم تو خوش تر جلوه کند.

راستی آن مردی که من کار حکومت مصر را بدو واگذار کردم، مردی بود که از ما بود، خیر خواه بود و نسبت بدشمنان ما سخت گیر و دلیر بود، و خرده گیر و بدخواه، خدایش رحمت کند که روزگار عمر خود را بسر آورد و در گذشت، ما از او خوشنودیم، خداوندش مشمول رضایت خود سازد و ثوابش را دو چندان کند.

بایدت از خانه بدرآئی و در بیابانها بدشمن بتازی، و با بینائی دنبال وظیفه خود بروی، و با هر که بجنگ تو آید مردانه بجنگی، و پر از خدا یاری جوئی تا مهم تو را کفایت کند و تو را در گرفتاری یاری نماید، و السلام.

المختار الخامس و الثلاثون

اشاره

و من کتاب له علیه السلام الی عبد الله بن العباس،

بعد مقتل محمد بن أبی بکر.

أما بعد، فإنّ مصر قد افتتحت، و محمد ابن أبی بکر «رحمه الله» قد استشهد، فعند الله نحتسبه ولدا ناصحا، و عاملا كادحا، و سیفا قاطعا، و ركنا دافعا، و قد كنت حثت الناس على لحاقه، و أمرتهم بغياثه قبل الوقعه، و دعوتهم سرّا و جهرا، و عودا و بدءا، فمنهم الاتى كارها، و منهم المعتلّ كاذبا، و منهم القاعد خاذلا. أسأل الله أن يجعل لى منهم فرجا عاجلا، فوالله لو لا طمعى عند لقائى عدوى فى الشّهاده، و توطینى نفسى على المتيه، لأحببت

ص: ۵۴

أن لا أبقي مع هؤلاء يوما واحدا، ولا التقى بهم أبدا.

اللغة

(نحتسبه): يقال: احتسب ولده إذا مات كبيرا، وافترب ولده إذا مات صغيرا، و يقال: احتسبت كذا عند الله أى طلبت به الحسبه بكسر الحاء و هى الأجر (الشهادة): القتل فى سبيل الله، و استشهاد كأنه استحضر إلى الله (كادحا):

مجدّا فى الأمر، (حشت): أمرتهم أكيدا.

الاعراب

فعند الله: ظرف متعلّق بقوله «نحتسبه»، ولدا: بدل من ضمير نحتسبه قال ابن ميثم: و ولدا و عاملا و سيفا و ركنا أحوال، و فيه غموض و الأظهر أنّ عاملا و ما بعده نعوت لقوله ولدا، الوقعه: اللّام فيه للعهد: أى وقعه قتل محمّد بن أبى بكر سرا: بدل من المفعول المطلق و هو دعاء و قد حذف.

المعنى

بعث عليه السّلام بهذا المکتوب إلى عبد الله بن العباس و هو يومئذ عامله على البصره و هى أيضا ثغر من الثغور الهامه و متاخم للشام من وجه يطمع معاويه فى التسلّط عليها لكونها ثالث ثلاثه من المعسكرات الإسلاميه العظمى، و هى: مصر، و الكوفه، و البصره.

و يعلم معاويه أنّ فى البصره اناس يكرهون عليّا عليه السّلام بعد وقعه الجمل لقتل كثير منهم فى هذه الوقعه فلا يخلو صدورهم من حبّ الانتقام عن علىّ عليه السّلام و قد ولى عليها ابن عيّاس لشرفه و علمه و اعتماده عليه و كان أحد أركان حكومته و ينبغى إعلامه بما وقع فى الحكومه من الامور الهامه و فتح مصر.

و قتل محمّد بن أبى بكر من أهمّ ما وقع فى حكومته عليه السّلام لأنّ مصر أحد الأركان الثلاثه فى البلاد الإسلاميه، و محمّد بن أبى بكر من الرجال الأفذاذ و ابن أوّل الخلفاء فى الحكومه الإسلاميه، فكان قتله و هتك حرمة من أنكى الرّزايا

ص: ٥٥

مع الایماء إلى ابن عباس بشده صوله الأعداء و عدم رعايتهم أى حرمه و أى شخصیه لیكون یقظا فی حوزہ حکومتہ مدبرا فی رد کید الأعداء، فإن حوزہ حکومتہ و هی البصرہ مطمح نظر معاویہ و أعوانہ الطغاه.

و یتلظى لهبات قلبه الکثیر من خلال سطور هذا الکتاب، فقد أصابه جراحات عمیقہ لا تندمل من موت الأشتر الذى کان یمینہ القاطعہ فی دفع أعدائه و لم یتسلّى عنه حتّى ورد علیہ خبر فتح مصر و قتل محمّد بن أبی بکر المذی یكون قره عینہ فی العالم الإسلامی و ناصره المخلص الوحید من أبناء الخلفاء الماضین فكان إطاעתه له علیہ السلام حجه قاطعہ له تجاه مخالفیه و لعلّه وصفه فی کلامه بالسیف القاطع بهذا الاعتبار و من الوجهه السیاسیه کتوصیفه بأنه کان رکنا دافعا.

و کان فوت الأشتر و محمّد بن أبی بکر نکایه من جہتین:

۱ - أنّ الأشتر اغتیل و مات بالسّم المدسوس من قبل جواسیس معاویہ فعظم فوته علیہ حیث إنّہ لو کان قتل فی الحرب کان مصیبته أخفّ.

۲ - حیث إنّ محمّدا اخذ و قتل صبرا و احرق جثمانه بأشدّ الإحراق و أفضعه و لو کان قتل فی الحرب و الضّرب کان مصابه أخفّ.

و انضمّ إلى هذین المصیبتین الكبیرین عصیان أصحابه، فصار علیہ السّلام آیسا من الحکومه علی المسلمین و کارها من الحیاہ حتّى یسأل الله الفرج و الخلاص من هذا الأناس، و هل أراد علیہ السّلام بالفرج العاجل إلاّ الموت؟؟ فیا لله من مصیبه ما أعظمها و أفجعها.

الترجمه

نامہ ای کہ پس از کشته شدن محمّد بن أبی بکر به عبداللہ بن عباس نگاشته:

أما بعد، براستی کہ مصر بدست دشمنان گشوده و تصرف شد و محمّد بن أبی بکر - کہ خدایش رحمت کناد - بدرجہ شہادت رسید، من او را بحساب خدا می گذارم بحساب فرزندی خیر خواه و کارگزاری کوشا و رنج کش، و شمشیری

برنده و گذرا و پشتیبانی در دفع اعداء، من محققا مردم را ترغیب و وادار نمودم که وی را دریابند و به آنها فرمان دادم تا حادثه واقع نشده بفریاد او برسند، آشکارا و نهان و از آغاز تا انجام از آنها دعوت کردم.

یک دسته بنا خواه حاضر شدند و یک دسته آنها عذرهای دروغین آوردند و یک دسته شان تقاعد کردند و ترک یاری نمودند.

من از خدا خواهانم که راه خلاص نزدیکی از دست این مردم برایم مقرر سازد، بخدا سوگند اگر این آرزو نبودم که در برخورد با دشمن سعادت شهادت یابم و عزم بر مرگ نداشتم دوست داشتم یک روز هم با این مردم بسر نبرم و هرگز با آنها روی در رو نشوم.

المختار السادس والثلاثون

اشاره

من کتاب له علیه السلام الی عقیل بن ابی طالب فی ذکر جیش

أنفذه الی بعض الاعداء، و هو جواب کتاب کتبه الیه

فسرّحت إلیه جیشا کثیفا من المسلمین، فلما بلغه ذلک شمّر هاربا، و نکص نادما، فلحقوه ببعض الطریق و قد طفّلت الشمس للإیاب، فاقتتلوا شیئا کلا و لا، فما کان إلّا کموقف ساعه حتّی نجا جریضا بعد ما أخذ منه بالمخنق، و لم یبق منه غیر الرّمق فلأیا بلأی ما نجا فدع عنک قریشا و ترکاضهم فی الضّلال و تجوالهم فی الشّقاق و جماعهم فی التّیه، فإنّهم قد أجمعوا علی حربی کإجماعهم علی حرب رسول الله «صلّی الله علیه و آله» قبلی، فجزت قریشا عنّی الجوازی،

ص: ۵۷

فقد قطعوا رحمى، و سلبوني سلطان ابن أمى. و أما ما سألت عنه من رأى فى القتال، فإن رأى قتال المحلّين حتّى ألقى الله، لا يزيدنى كثرة الناس حولى عزّه، و لا تفرّقهم عنّى وحشه، و لا تحسبنّ ابن أيبك - و لو أسلمه الناس - متضرّعا متخشّعا، و لا مقرّا للضمّ واهنا، و لا سلس الزّمام للقائد، و لا وطفاء الظّهر للزّاكب المقتعد، و لكنّه كما قال أخو بنى سليم:

فإن تسألينى كيف أنت؟ فإنّنى صبور على ريب الزّمان صليب

يعزّ على أن ترى بى كابه فيشمت عاد أو يساء حبيب

اللغة

(سرحت): أرسلت، (كثيفا): متراكما كثيرا، (شمر): هتأ، (نكص): رجع إلى عقبه، (طفّلت) الشمس بالتشديد: إذا مالت للمغرب، (الجريض): أى غصّ ريقه من شدّه الجهد و الكرب، و حكى عن الاصمعى، و يقال: هو يجزّض نفسه: أى يكاد يموت، (المخنق) بالتشديد: موضع الخنق فى الحيوان من عنقه، (الزّمق): بقيه النفس و الرّوح، (اللاى): الشدّه و العسر و قيل: البطء، (الاجماع): تصميم العزم، (الجوازي): جمع جازيه كالجوارى جمع جاريه و هى أنواع العقاب للنفوس السيئه، (المحلّين): الناقضين للبيعه يقال لمن نقض عهده و بيعته: محلّ و لمن حفظه: محرم، (الضمّ): الظلم (واهنا): ضعيفا، (المقتعد): الزّاكب على ظهر البعير.

الاعراب

هاربا: حال، كلا و لا: ظرف مستقر فى محلّ النصب لأنه صفه لقوله «شيئا» و معناه قليلا و قليلا، كموقف ساعه: مستثنى مفرغ فى محلّ الاسم لقوله (كان)

ص: ٥٨

و هو فعل تامّ لا- خبر له، جريضا: حال من فاعل نجا، لأيا: مصدر منصوب قائم مقام الحال، أى نجا مبطئا و العامل فى المصدر محذوف أى أبطأ إبطاء و ما زائده و بلائى: جار و مجرور متعلق بقوله لأيا أى لأيا مقرونا بلائى، تركاضهم عطف على قرىشا و معناه شدّه العدو و كذا تجوالهم، الجوازى: فاعل جزت.

قال الشارح المعتزلى فى «ص ١٥١ ج ١٦ ط مصر»: هذه كلمه تجرى مجرى المثل، تقول لمن يسىء إليك و تدعو عليه: جزتك عنى الجوازى، أى أصابتك كلّ سوء و مجازاه تقدر لعملك.

المعنى

أشار السيد الرضى رحمه الله أن كتابه عليه السلام هذا جواب عن كتاب كتبه إليه عقيل، و الظاهر أنه أخوه عقيل بن أبى طالب و لم يذكر الشراح أن عقيل من أى بلد كتب إليه كتابه هذا، و يشير جوابه عليه السلام إلى أن كتاب عقيل يتضمّن بيان أحد من الغارات التى وجهها معاويه إلى أطراف حكومته فى أيام الهدنه السنويه المقرره بعد صلح صفين، و أن عقيل تعرض فى كتابه لبيان اضطراب حكومته و إعراض عامّه قرىش عنه عليه السلام، فيريد استبطان رأيه فى إدامه الحرب مع مخالفه بعد قلّه أنصاره و اضطراب أطراف حكومته فى أثر غارات معاويه و قتل كثير من شيعته، و أجابه عليه السلام بتسريح الجيش فى أثر المغير و الضّغط عليه إلى أن نجا برmq من حياته.

فيحتمل أن يكون كلامه هذا ناظرا إلى إغاره بسر بن أرطاه على نواحي جزيره العرب من الحجاز و اليمن و اليمامة فإنها أشدّ الغارات و أنكاها و أكثرها قتلا لشيعه على عليه السلام و أوقعها محلا فى قلوب أنصاره، و قد أشار إلى ذلك الشارح المعتزلى «ص ١٤٨ ج ١٦ ط مصر» حيث يقول بعد ذكر المکتوب: قد تقدّم ذكر هذا الكتاب فى اقتصاصنا ذكر حال بسر بن أرطاه و غارته على اليمن فى أوّل الكتاب.

و لكن لم نعثر فى التواريخ على محاصره جيش على عليه السلام بسرا على هذا

ص: ٥٩

الوجه الذى يشعر به هذا الكتاب، بل ذكروا أنه لما بلغ إليه عليه السلام إغاره بسر على المدينة و مكّه المكرمه و قتله لشيعته و ذبحه لا بنى عبيد الله بن عباس عامله على اليمن، خطب أهل الكوفه و أكثر من ذمهم و تأبينهم، فأجابه حارثه بن قدامه السعدى فرحب عليه السلام به و سرّحه فى ألفى رجل من الفرسان، و لما سمع بسر فى اليمن تسريح الجيش من الكوفه خاف و هرب إلى نجران و كان يستخير من جيش حارثه و يهرب من لقاءهم هنا و هنا حتى رجع إلى الشام.

نعم حكى عن ابن أعثم الكوفى أنه لما بلغ بسر إلى أرض اليمامة زحف فى عقبه عبيد الله بن عباس فى ألف فارس حتى لقيه و حارب معه و قتله.

و قد تعرّض عليه السلام فى جواب كتاب عقيل لامور:

١ - إظهار البسالة من قبل المسلمين فى تعقيب المعتدى و ضعفه قبال جيش المسلمين بحيث صار موردا للحمله عند التلاقى مع القرب من غروب الشمس فلم يقدر على المقاومه ليله واحده، قال الشارح المعتزلى «ص ١٤٩ ج ١٦ طبع مصر»: و الطفل بالتحريك بعد العصر حين تطفل الشمس للغروب - إلى أن قال :-

و قال الراوندى «عند الاياب» عند الزوال و هذا غير صحيح لأنّ هذا الوقت لا يسمّى طفلا، ليقال إنّ الشمس قد طفلت فيه.

٢- أنه لا- يتوجه إلى نصره قريش له و لا يعبا بمخالفتهم و أنهم كلّا يركضون فى الضلال و يجولون فى الشقاق معه فى تيه من الطريق و أنهم أجمعوا على حربه كإجماعهم على حرب رسول الله صلى الله عليه و آله و دعا عليهم بقوله: «جزت قريشا عنى الجوازي» و شكى منهم أنهم قطعوا رحمه و سلبوه سلطان ابن أمّه، قال الشارح المعتزلى «ص ١٥١ ج ١٦ ط مصر»: و سلطان ابن أمى يعنى به الخلافه، و ابن أمّه هو رسول الله صلى الله عليه و آله، لأنّهما ابنا فاطمه بنت عمرو بن عمران بن عائذ بن مخزوم أم عبد الله و أبى طالب، و لم يقل سلطان ابن أبى، لأنّ غير أبى طالب من الأعمام يشتركه فى النسب إلى عبد المطلب.

٣- أبدى رأيه صريحا فى القتال مع المحليين و هم الخارجون من الميثاق

ص: ٦٠

و البیعه یعنی البغاه و المخالفین مع الإمام المفترض الطاعه، و يقال لكل من خرج عن الإسلام أو حارب فی الحرم أو فی الأشهر الحرم: محلّ، و بین أنّه لا ینقاد للعتاه و لا یقرّ بالضّیم و لا یرضه و هن و فتور مهما قلّ ناصره و کثر أعداؤه.

الترجمه

ترجمه از نامه ای که بعقیل در باره اعزام قشون به برخی دشمنان نوشته در پاسخ نامه وی:

من قشونی انبوه از مسلمانان را بسوی او گسیل داشتیم، و چون این قشون به وی رسید برای گریختن کمر را تنگ بر بست و با پشیمانی فراوان بدنبال برگشت، قشون به تعقیب او پرداخت و در نیمه راهش دریافت و خورشید بدامن مغرب سرازیر شده بود جنگی ناچیز در میانه در گرفت و با نبردی اندک که باندازه ایست ساعتی بود شکست خورده، نیمه جانی با رنج فراوان از معرکه بدر برد، چون گلو گیر شده بود و جز رمقی بر تن نداشت و بکندی و سختی خود را نجات داد.

یاد قریش را از نهاد بدر کن که دو سپه بوادی گمراهی می تازند و در میدان تفرقه اندازی جولان می زنند و خود را به گمگاه شقاوت پرتاب می نمایند، راستی که همگی تصمیم دارند با من پیکار کنند چنانچه همه تصمیم داشتند تا با رسول خدا صلی الله علیه و آله پیش از من پیکار کردند، هر گونه کیفر و سزا بر قریش باد که براستی با من قطع رحم کردند و از من بریدند و خلافت همزاد و پسر مادرم را از من باز گرفتند.

أمّا این که از نظر من در باره جنگ پرسیدی، راستی که رأی من بر آنست که با شکننده های عهد و میثاق دیانت بجنگم تا بخدا برسم، فزونی مردم در دنبال من برای من عزتی نیفزاید، و جدا شدن آنها از من مایه هراس من نگردد گمان مبر پسر پدرت - و گر چه همه مردمش از دست بدهند و او را تنها بگذارند - زاری و زبونی پیشه سازد و بستم ستمکاران تن در دهد و سست گردد و مهارش را

ص: ۶۱

آرام بدست پیشوائی سپارد و پشت خود را برای را کبی هموار گیرد و خم کند، ولی او چنانست که شاعر بنی سلیم سروده:

اگر پرسی که چونی راست گویم که در ریب زمان سخت و شکیا

نخواهم در رخ من غم ببینی که دشمن شاد گردد، دوست رسوا

المختار السابع و الثلاثون

اشاره

و من کتاب له علیه السلام الی معاویه

فسبحان الله!! ما أشدّ لزومك للأهواء المبتدعه، و الحيره المتبعه، مع تضيق [تضييع] الحقائق، و أطراح الوثائق، التي هي لله طلبه، و على عباده حجه، فأما إكثارك الحجاج في عثمان و قتلته فإنك إنما نصرت عثمان حيث كان النصر لك، و خذلته حيث كان النصر له، و السلام.

و لهذا الكتاب صدر ذكره الشراح هكذا:

أما بعد، فإنّ الدّنيا حلوه خضره، ذات زينه و بهجه، لم يصب إليها أحد إلا و شغلته بزيتها عمّا هو أنفع له منها، و بالآخره امرنا و عليها حثنا، فدع يا معاويه ما يفنى، و اعمل لما يبقى، و احذر الموت الذي إليه مصيرك، و الحساب الذي إليه عاقبتك. و اعلم أنّ الله تعالى إذا أراد بعد خيرا حال بينه و بين ما يكره، و وفّقه لطاعته، و إذا أراد بعد شرا أغراه بالدّنيا و أنساه الآخره، و بسط له أمله، و عاقه عمّا فيه صلاحه، و قد وصلني كتابك فوجدتك ترمي غير غرضك، و تنشد غير ضالتك، و تخط في عمايه، و تتيه في ضلاله، و تعتصم بغير حجه، و تلوذ

ص: ٦٢

بأضعف شبهه. فأَمَّا سؤالك إلى المشاركة والإقرار لك على الشام، فلو كنت فاعلاً لذلك اليوم لفعلته أمس. و أما قولك: إنَّ عمر ولاَ كُها فقد عزل عمر من كان ولى صاحبه، و عزل عثمان من كان عمر ولاءه، و لم ينصب للناس إمام إلا ليرى من صلاح الامة ما قد كان ظهر لمن كان قبله، أو خفى عنهم عيبه، و الأمر يحدث بعده الأمر، و لكلّ وال رأى و اجتهاد، فسبحان الله ما أشدّ لزومك - إلى آخر الكتاب.

أقول: و قد اختلف متن المحذوف من كتابه عليه السّلام في نسخه شرح ابن ميثم و ابن أبى الحديد في موارد أهمّها في قوله: «و أما سؤالك إلى المشاركة» ففي نسخه ابن أبى الحديد «و أما سؤالك المتاركة» فالمقصود من المشاركة أن يكون شريكاً في أمر الخلافة، و الغرض منه تجزيه الحكومه الاسلاميه و إفراز الشام منها لمعاويه، و المقصود من المتاركة ترك الحرب و إقرار معاويه عاملاً على الشام، فالظاهر منه أنّ هذا الكتاب من الكتب التي تراوحت بين على عليه السّلام و بينه أيام حرب صفين و تضيق الأمر على معاويه كما يشير إليه قوله عليه السلام: (مع تضيق الحقائق، و أطراح الوثائق) و قد اقترح معاويه في كتابه اقتراحاً يشمل أمرين:

متاركة الحرب أو المشاركة في أمر الخلافة و إقراره على الشام، مستدلاً بأنَّ عمر ولاءه على الشام، و ردّ عليه السّلام اقتراحه بتصميمه على عزله من قبل لفقد صلاحيته في نظره للولايه على المسلمين، و ردّ استدلاله بأنَّ من شأن الإمام الاستقلال في عزل العمّال و الحكّام و جرت عليه سيره السلف، فعمر عزل من ولاءه أبو بكر، و عثمان عزل من ولاءه عمر، فلا وجه لهذا التشبّه، و ذكر أنه يلازم الأهواء المبتدعه بتقلّب الأحوال و يتبع الحيره و الضلال في أشدّ الأحوال مع ظهور الحجّه و الوثائق لديه على بطلان دعواه.

ثمّ يبيّن أنّه هو الذي خذل عثمان حتى قتل و إنما يظهر الانتصار له و الانتقام لدمه بحساب نفسه و لانتصار مقاصده كما روى عن البلاذري أنّه قال:

لَمَّا أُرْسِلَ عُثْمَانُ إِلَى مَعَاوِيَةَ يَسْتَمِدُّهُ، بَعَثَ يَزِيدُ بْنُ أَسَدٍ الْقَسْرِيُّ، جَدَّ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ أَمِيرَ الْعِرَاقِ، وَقَالَ لَهُ: إِذَا أَتَيْتَ ذَا خَشْبٍ فَأَقِمْ بِهَا، وَلَا تَتَجَاوَزَهَا، وَلَا تَقُلْ: الشَّاهِدُ يَرَى مَا لَا يَرَى الْغَائِبُ، فَأَنْتَ أَنا الشَّاهِدُ وَأَنْتَ الْغَائِبُ.

قال: فَأَقَامَ بِذِي خَشْبٍ حَتَّى قَتَلَ عُثْمَانَ، فَاسْتَقْدَمَهُ حِينَئِذٍ مَعَاوِيَةَ، فَعَادَ إِلَى الشَّامِ بِالْجَيْشِ الَّذِي كَانَ أُرْسِلَ مَعَهُ، وَإِنَّمَا صَنَعَ مَعَاوِيَةَ ذَلِكَ لِيَقْتُلَ عُثْمَانَ فَيَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ.

وَنَقَلَ عَنْ مَكْتُوبِ لَاحِبِ بْنِ عَبَّاسٍ فِي جَوَابِ مَعَاوِيَةَ أَنَّهُ قَالَ: وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنِّي مِنَ السَّاعِينَ عَلَى عُثْمَانَ، وَالْخَاذِلِينَ لَهُ، وَالسَّافِكِينَ دَمَهُ، وَمَا جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَكَ صَلَاحٌ فَيَمْنَعُكَ مِنِّي، فَاقْسَمَ بِاللَّهِ لَأَنْتَ الْمَتْرَبُّصُ بِقَتْلِهِ، وَالْمَحَبُّ لِهَلَاكِهِ، وَالْحَابِسُ النَّاسَ قَبْلَكَ عَنْهُ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ - إِلَى أَنْ قَالَ - أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ لَنْ يَتْرَكُوهُ حَتَّى يَقْتُلَ، فَقَتَلَ كَمَا كُنْتَ أَرَدْتَ.

الترجمه

از نامه ای که آن حضرت بمعاویه نوشت:

اُمّیاً بعد، براستی دنیا شیرین و خوش نما است، زیور دار و بهجت افزا است هیچکس بدان دل نبازد جز آنکه بزیورش او را سرگرم سازد تا از آنچه وی را سودمندتر است و اندازد، ما فرمان داریم بکار آخرت پردازیم و به آن است که ترغیب شده ایم.

ای معاویه، آنچه را نیست می شود از دست بگذار و برای آنچه بجا می ماند کار کن، بترس از مرگی که بسوی آن می روی و از حساب خداوند که سرانجام تو است، و بدانکه راستی چون خداوند برای بنده ای خیر و نیکوئی خواهد میان او و هر آنچه بد دارد حایل گردد و او را برای طاعت خود موفق دارد، و هر گاه برای بنده ای بدی خواهد او را بدینا وادار کند و آخرت را از یادش ببرد و پهنای آرزو را در برابرش بگشاید و او را از آنچه صلاح او است دور کند.

ص: ۶۴

نامه تو بمن رسید و دریافتم که بههدف خود تیر نیندازی و جز گمشده خود را می جوئی، در تاریکی می پوئی، و در گمگاه می دوی، بچیزی که حجت نتواند بود پناه می بری، و بسست ترین شبه ای دست می اندازی.

أما این که از من در خواست داری شریک کار خلافت باشی و جنگ متار که گردد و بر حکومت شام بمانی پاسخش اینست که:

اگر من امروز چنین کاری می کردم همان دیروز کرده بودم، و أمّیا این که میگوئی عمرت فرمان ولایت و حکومت بر شام صادر کرده است محقق است که عمر خودش والیان صاحب خود اُبی بکر را از کار بر کنار کرد و عثمان هم که بر سر کار آمد هر که را عمر والی کرده بود از کار بر کنار کرد و عزل نمود، برای مردم امام و رهبری منصوب نگردد جز برای این که صلاح امت را بنظر خود بسنجد و آنچه از پیش بر طبق آن بوده بکار بندد، و آن عیبی که نهفته بوده منظور دارد و بر طرف سازد، بدنبال هر کاری کار تازه ای می آید و باید تجدید نظر شود، هر پیشوائی رأی و اجتهادی دارد.

سبحان الله تا چند بدنبال هوسهای نو ظهور چسبیده ای و از سرگردانی پیروی میکنی با این که حقیقت محدود است، و دلائلی که مسئولیت إلهی بار می آورند و برندگان خدا حجت تمام میکنند در دست هستند و مشهود.

أمّیا این که در باره عثمان و کشندگانش پرمیگوئی و راه احتجاج می پوئی راستی که تو آنجا که یاری عثمان یاری خودت باشد با نصرت او همداستانی، و آنجا که یاری تو پیروزی او است او را ترک میگوئی و وامی گذاری.

المختار الثامن و الثلاثون

اشاره

و من كتاب له عليه السلام الى أهل مصر، لما ولي عليهم الاشر رحمة الله

من عبد الله على أمير المؤمنين إلى القوم الذين غضبوا لله حين

ص: ۶۵

عصى فى أرضه، و ذهب بحقه، فضرب الجور سرادقه، على البرّ و الفاجر، و المقيم و الظّاعن، فلا معروف يستراح إليه، و لا منكر يتناهى عنه. أمّا بعد، فقد بعثت إليكم عبدا من عباد الله، لا ينام أّيّام الخوف، و لا ينكل عن الأعداء ساعات الرّوع، أشدّ على الفجّار من حريق النّار، و هو مالك ابن الحارث أخو مذحج، فاسمعوا له، و أطيعوا أمره فيما طابق الحقّ، فإنّه سيف من سيوف الله، لا كليل الظبه، و لا نابى الضّريبه، فإن أمركم أن تنفروا فانفروا، و إن أمركم أن تقيموا فأقيموا، فإنّه لا يقدم و لا يحجم، و لا يؤخّر و لا يقدم، إلّا عن أمرى، و قد آثرتكم به على نفسى لنصيحتة لكم، و شدّه شكيمة على عدوّكم.

اللغة

(السّرادق) جمع سرادقات: الفسطاط الذى يعدّ فوق صحن البيت، (الظّاعن):

الراحل، (النكول): الرّجوع، (الظبه) بالتخفيف: حدّ السّيف، و (النابى) من السيوف: المذى لا يقطع، (الاحجام): ضدّ الإقدام، (شديد الشّكيمه):

القوى الأبى، و أصل الشّكيمه: الحديد المعترضه فى فم الفرس.

الاعراب

يستراح إليه: جملة فعلية خبر للاء المشبهه بليس و المقصود الاخبار عن سلب

ص: ٦٦

اطمينان الناس على ما يتظاهر به عمال عثمان من إقامة الصيلاه ونحوها، وكذا قوله: يتناهى عنه، خبر والمقصود عدم النهي عن المنكر، لا ينم: فعليه وصفه لقوله: «عبدا».

المعنى

وجّه عليه السلام كتابه هذا إلى الأخيار الوجهاء من أهل مصر الذين نقموا على المظالم الواقعة بيد عمال عثمان في مصر وقاموا للنهي عنها وبعثوا وفدا إلى عثمان يطلبون عزل عاملهم واستبداله برجل صالح، وقد استظهر الشارح المعتزلى من هذا العنوان الوصفى رضاء على عليه السلام بقتل عثمان وقال فى «ص ١٥٨ ج ١٦ ط مصر»: هذا الفصل يشكل على تأويله، لأن أهل مصر هم الذين قتلوا عثمان وإذا شهد أمير المؤمنين عليه السلام أنهم غضبوا لله حين عصى فى الأرض، فهذه شهادته قاطعه على عثمان بالعصيان.

ثم تعسف باعترافه فى الجواب عنه فى كلام طويل.

أقول: لا وجه لهذا الاستظهار فإنّ المخاطب بهذا الكلام من أهل مصر هم الموصوفون بما ذكره عليه السلام منهم، ولا يلزم أن يكون قتله عثمان داخلا فيهم.

و العجب من ابن ميثم حيث يقول «ص ٨٣ ج ٥»، فإن قلت: فيلزم أن يكون عليه السلام راضيا بقتل عثمان، إذ مدح قاتله على المسير بقتله.

أقول: قد عرفت أنّ الخطاب فى الكتاب لم يوجّه إلى عامّة أهل مصر ولا إلى قتله عثمان ولا وجه لهذا الاستنكار والتعرّض للجواب من ابن ميثم.

وقد بالغ عليه السلام فى كتابه هذا فى مدح الأشر وتعريفه، وذلك لتقريبه إلى أفكار أهل مصر، فإنّهم ينظرون إلى كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فى أمر الحكومه والولاية عليهم ويخضعون للصحابى والأشر من التابعين فيثقل عليهم الانقياد إلى طاعته والخضوع لحكومته خصوصا بعد حكمه محمد بن أبى بكر المعظم عند أهل مصر بأبيه ونسبه القرشى، و لهذا وصف الأشر فى خاتمه كتابه هذا بقوله: (فإنّه لا يقدم ولا يحجم، ولا يؤخر ولا يقدم إلا عن أمرى) ليقنع أهل مصر بأنّ الامر لهم

ص: ٦٧

و الحاكم عليهم هو نفسه و أنّ الأشر آله و واسطه لإيصال أوامره إليهم، فهو نفسه وال عليهم و حاكم بينهم.

قال الشارح المعتزلى «ص ١٥٩ ج ١٦ ط مصر»: و هذا إن كان قاله مع أنه قد سنج له أن يعمل برأيه فى امور الحرب من غير مراجعته فهو عظيم جدًا لأنّه يكون قد أقامه مقام نفسه، و جاز أن يقول: إنّه لا يفعل شيئاً إلّا عن أمرى و إن كان لا يراجعه فى الجزئيات على عادة العرب فى مثل ذلك، لأنّهم يقولون فيمن يثقون به نحو ذلك.

أقول: كان الأشر رحمه الله بطيب طينته و حسن استعداده و كمال خلوصه له عليه السّلام تأدّب بادابه و لمس بقلبه الطاهر روحيته الشريفة فينعكس فى نفسه إرادته و مشيته عليه السّلام فكانه كانت مرآه مجلّوه محاذيه لنفس على عليه السّلام أينما كان، فما أراد إلّا ما أَرادَه، و ما شاء إلّا ما شاء كما أنّ نفس النبى صلى الله عليه و آله كانت مرآه مجلّوه تجاه مشيه الله تعالى فيطبع فيها ما يشاء الله، فكان صلى الله عليه و آله «ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي حَقِّهِ «مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» ٧ - الحشر.

ثمّ تبّه على علوّ مقام الأشر رأيا و إقداما بقوله: (و قد آثرتكم به على نفسى).

الترجمه

از نامه اى كه در باره حكومت مالك اشتر بر مصر به اهل مصر نوشت:

از طرف بنده خدا على أمير مؤمنان بسوى مردمى كه براى خداوند بخشم آمدند چون در سرزمين آنان نافرمانى حضرت او شد و حق اطاعت او را از ميان بردند و ستمكارى و ناروا خيمه سياه خود را بر فراز سر نيكوان و بدكاران و مقيماني و كوچ كناني آن شهرستان برافراشت و همه را فرو گرفت، و كار خيبرى نماند كه وسيله آسائش باشد و كار زشتى نماند كه از آن جلوگيرى شود.

أما بعد، محققا من يكي از بندگان خدا را بسوى شما گسيل داشتم كه در

ص: ٦٨

روزگار نا امن خواب ندارد، و در هنگام هراس از تعقیب دشمنان سر باز نمی زند، بر جان نابکاران از زبانه آتش سخت تر در گیرد.

او مالک بن حارث از تیره مذحج است نسبت بأوشنوا باشید، و در آنچه مطابق حق است از او فرمان برید، زیرا که او شمشیرست از شمشیرهای خدا بر جان دشمنان دین نه دمش کند است و نه ضربتش بی اثر، اگر بشما فرماید، بسیج شوید، بسیج شوید، و اگر فرماید: در جای خود بمانید، بمانید، زیرا که او پیش نرود و عنان در نکشد و عقب ننشیند، و پیش نتازد مگر بفرمان خود من، من او را از خود باز گرفتم و بشما دادم، چون خیر اندیش شما و سخت گیر و شکننده دشمن شما است.

المختار التاسع والثلاثون

اشاره

و من كتاب له عليه السلام الى عمرو بن العاص

فإنك قد جعلت دينك تبعا لدنيا امرىء ظاهر غيّه، مهتوك ستره، يشين الكريم بمجلسه، و يسفّه الحليم بخلطته، فاتّبع أثره، و طلبت فضله اتّباع الكلب للضرغام: يلوذ إلى مخالبه، و ينتظر ما يلقي إليه من فضل فريسته، فأذهبت دنياك و آخرتك! و لو بالحقّ أخذت أدركت ما طلبت، فإن يمكّنني الله منك و من ابن أبي سفیان أجزكما بما قدّمتما، و إن تعجزاني و بقيما فما أمامكما شرّ لكما، و السلام.

المصدر

قال الشّارح المعتزلي «ص ١٦٣ ج ١٦ ط مصر»: و ذكر نصر بن مزاحم في كتاب «صفين» هذا الكتاب بزيادة لم يذكرها الرّضّي، قال: نصر، و كتب

ص: ٦٩

من عبد الله أمير المؤمنين إلى الأبرين الأبر عمرو بن العاص بن وائل، شاني محمّد وآل محمّد في الجاهلية والإسلام، سلام على من اتّبع الهدى، أمّا بعد، فإنّك تركتكَ مروءتك لامرء فاسق مهتوك ستره، يشين الكريم بمجلسه، ويسفّه الحليم بخلطته فصار قلبك لقلبه تبعاً، كما قيل: «وافق شئ طبقه» فسلبك دينك وأمانتك ودياك وأخرتك، وكان علم الله بالغائك، فصرت كالذئب يتبع الضّرغام إذا ما الليل دجى، أو أتى الصبح يلتمس فاضل سؤره، وحوايا فريسته، ولكن لا نجاه من القدر، ولو بالحق أخذت لأدركت ما رجوت، وقد رشد من كان الحقّ قائده، وإنّ يمكن الله منك ومن ابن آكله الأكباد ألحقتكما بمن قتله الله من ظلمه قريش على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن تعجزا وتبقيا بعد فالله حسبكما، وكفى بانتقامه انتقاماً، وبعقابه عقاباً، والسلام.

اللغة

(الغى): الضلاله، (يشين): يصير قبيح الوجه مذموماً، (الضّرغام):

الأسد (المخالب): أظفار السبع من الحيوان، (الفريسه): ما يصيده السبع ويقتله (اجز كما): اعاقبكما، (وافق شئ طبقه) أو طبقه: مثل سائر قال في فرائد الأدب: يضرب مثلاً للشئين يتفقان، قال الأسمعي: الشئ وعاء من آدم كان قد تشن أى تقبض فجعل له طبقاً أى غطاء فوافقه، وقيل أيضاً: شن رجل من دهاة العرب وكان ألزم نفسه أن لا يتزوَّج إلّا بامرأه ثلاثه، فكان يجوب البلاد فى ارتياد طلبته، فوافق فى بعض أسفاره رجلاً إلى بلاد ذلك الرجل وهما راكبان فقال له شن: أ تحملنى أو أحملك؟ فاستجعله الرجل، وإنما أراد أتحدّثنى أو أحدّثك لنميط عنا كلال السيفر، وقال له وقد رأى زرعاً مستحصداً: أكل هذا الزرع أم لا؟ وإنما أراد هل بيع وأكل ثمنه، ثم استقبلتهما جنازه فقال له شن:

أحى من على هذا النعش أم ميت؟ وإنما أراد هل له عقب يحيا به ذكره؟ فلمّا بلغ الرجل وطنه وعدل بشئ إليه، سأله بنت له اسمها طبقه عنه، فعرفها قصّته

و جهله عندها، فقالت: يا أبت ما هذا إلا فطن داه، و فسّرت له أغراض كلماته فخرج إلى شن و حكى له قولها، فخطبها فزوّجاها
إياه، و حملها إلى أهله، فلمّا رأوها و عرفوا ما حوته من الدهاء و الفطنة قالوا: وافق شنّ طبقه.

المعنى

يُبين عليه السّلام حال عمرو بن العاص و معاويه بأبلغ بيان، و يشعر كلامه إلى أنّ معاويه لا دين له أصلا، و أنّ عمرا جعل دينه
تبعاً لدنيا معاويه.

قال الشارح المعتزلي «ص ١٦٠ ج ١٦ ط مصر»: كلّ ما قاله فيهما هو الحقّ الصّريح بعينه، لم يحمله بغضه لهما، و غيظه منهما إلى
أن بالغ في ذمّهما به، كما يبالغ الفصحاء عند سوره الغضب، و تدقّق الألفاظ على الألسنه، و لا ريب عند أحد من العقلاء ذوى
الانصاف أنّ عمرا جعل دينه تبعاً لدنيا معاويه، و أنه ما بايعه و تابعه إلا على جعله له، و ضمان تكفّل له بايصاله، و هى ولاية
مصر مؤجّله و قطعه وافرّه من المال معجّله، و لولديه و غلمان مائلا أعينهم.

الترجمه

از نامه ای که بعمر بن عاص نوشت:

براستی که تو دین خود را دنبال و پیرو دنیای معاویه ساختی آن مردی که گمراهی و ضلالتش آشکار و بی پرده است،
آبرویش بر باد رفته و پرده اش دریده مرد راد و ارجمند از همنشینی با او لکه دار و آلوده و زشت می شود، و بردبار و با وقار
از آمیزش با او بنا بخردی و سفاهت کشیده می شود.

تو دنبال او رفتی و فضله او را خواستی چونان که سگی دنبال شیری رود و بنیروی چنگال او پناهنده گردد، و در انتظار ته
مانده شکار او باشد که پیش او اندازند.

تو دنیا و آخرت خود را از میان بردی، و اگر حق و راستی را پیشه می ساختی آنچه را خواستار بودی بدست میاوردی، اگر
خدا مرا بر تو و بر زاده ابو سفیان قدرت عنایت کرد بسزای کردار گذشته تان می رسانم، و اگر مرا درمانده کردید

ص: ٧١

و زنده ماندید آنچه در برابر شما است برای شما بدتر از سزائست که من بدهم، و السلام.

ترجمه نامه بروایت نصر بن مزاحم طبق نقل ابن ابی الحدید

از طرف بنده خدا علی امیر مؤمنان بسوی ابتر بن ابتر عمرو بن عاص بن وائل، دشمن محمّد و خاندان محمّد در جاهلیت و اسلام، درود بر آنکه پیرو حق است.

أما بعد براستی تو مردانگی خود را زیر پا کردی برای مردی فاسق و بی آبرو که راد مرد از نشستن با او لکه دار می شود، و مرد بردبار از آمیزش با او بی خرد و ناهنجار می گردد، دلت پیرو دل او شد چنانکه گفته اند (شن و طبقه با هم دمساز شدند) دین و امانت را از تو ربود و دنیا و آخرت را بر باد داد، و آنچه خدا می دانست در باره تو انجام گردید.

چون گرگی شدی که دنبال شیری باشد، در تاریکی شب، یا بامدادان آید در خواست ته مانده او را کند و درونیهای شکار او را که دور ریخته بخواهد، آری از قدر نجاتی نیست، اگر حق و راستی را پیشه کرده بودی آنچه را امید داشتی بدان می رسیدی، محققا براه راست رفته کسی که حق پیشوای او باشد، اگر خداوند مرا بر تو و زاده هند جگر خوار فرمانگزار ساخت، شما هر دو را بستمکاران قریش عهد رسول خدا صلی الله علیه و آله که خداوندشان کشت ملحق کنم، و اگر از دست من گریختید و زنده ماندید، خداوند شما را بس است، و کافی است انتقام او و شکنجه و عذاب او در برابر هر انتقام و هر شکنجه و عذابی، و السلام.

المختار الاربعون

اشاره

و من کتاب له علیه السلام الی بعض عماله

أما بعد، فإني كنت أشركتك في أمانتي، وجعلتك شعاري

ص: ۷۲

و بطانتى، و لم يكن فى أهلى رجل أوثق منك فى نفسى لمواساتى و موازرتى و أداء الأمانه إالى، فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب، و العدو قد حرب، و أمانه الناس قد خزيت، و هذه الأثمه قد فنكت و شغرت، قلبت لابن عمك ظهر المجن، ففارقته مع المفارقين، و خذلته مع الخاذلين، و خنته مع الخائنين فلا ابن عمك آسيت، و لا الأمانه أدت، و كأنك لم تكن الله تريد بجهادك، و كأنك لم تكن على بينه من ربك، و كأنك إنما كنت تكيد هذه الأثمه عن دنياهم، و تنوى غرتهم عن فيئهم، فلما أمكنتك الشده فى خيانه الأثمه أسرع الكره، و عاجلت الوثبه، و اختطف ما قدرت عليه من أموالهم المصونه لأراملهم و أيتامهم اختطاف الذئب الأزل داميه المعزى الكسيره، فحملته إلى الحجاز رحيب الصدر بحمله، غير متأثم من أخذه، كأنك - لا أبا لغيرك - حدرت إلى أهلك تراثك من أبيك و أمك، فسبحان الله! أ ما تؤمن بالمعاد؟ أ و ما تخاف نقاش الحساب؟ أيها المعداد - كان - عندنا من ذوى الألباب، كيف تسيف شرابا و طعاما و أنت تعلم أنك تأكل حراما و تشرب حراما؟ و تبتاع الإماء و تنكح النساء من مال

ص: ٧٣

اليتامى و المساكين و المؤمنين و المجاهدين الذين أفاء الله عليهم هذه الأموال، و أحرز بهم هذه البلاد!! فاتق الله و أردد إلى هؤلاء القوم أموالهم، فإنك إن لم تفعل ثم أمكنني الله لأعذرني إلى الله فيك، و لأضربنك بسيفي الذي ما ضربت به أحدا إلا دخل النار! و الله لو أن الحسن و الحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندى هوادة، و لا ظفرا منى بإرادته، حتى آخذ الحق منهما، و أزيل الباطل عن مظلمتهم، و أقسم بالله رب العالمين: ما يسرنى أن ما أخذته من أموالهم حلال لى أتركه ميراثا لمن بعدى، فضح رويدا فكأنك قد بلغت المدى، و دفنت تحت الثرى، و عرضت عليك أعمالك بالمحل الذي ينادى الظالم فيه بالحسرة، و يتمنى المضيق فيه الرجعة، و لات حين مناص.

اللغة

(الأمانة): الوديعه، قال الشارح المعتزلى «ص ١٦٨ ج ١٦»: جعلتك شريكا فيما قمت فيه من الأمر، و ائتمنى الله عليه من سياسه الأئمة، و سمي الخلافه أمانه، (الشعار): ما يلى الجسد من الثياب، (و بطانه الرجل): خاصيته، (كلب الزمان) اشتد، (حرب العدو): استأسد و اشتد غضبه، (و الفنك):

التعدى و الغلبه (شغرت) الأئمة: خلت من الخير، و شغل البلد خلا من الناس و قيل معناه: تفرقت.

ص: ٧٤

(و قلبت له ظهر المجنّ): إذا كنت معه فصرت عليه، و أصل ذلك أنّ الجيش إذا لقوا العدوّ كانت ظهور مجانّهم إلى وجه العدوّ، و إذا صاروا مع العدوّ قلبوها إلى رئيسهم الّذى فارقه. (أسرعت الكثره) أى حملت على جمع الأموال (الذّئب الأزلّ): خفيف الوركين و ذلك أشدّ على عدوه، (نقاش الحساب): مناقشته، (و الهواده): المصالحه و المصانعه (فضّح رويدا) أمر بالأناه و السكون، و أصلها الرّجل يطعم إبله ضحى و يسيرها مسرعا ليسير فلا يشبعها: فيقال له: ضحّ رويدا، (المناص): المهرب و المخلص و (النوص): الهرب و التخلّص.

الاعراب

ابن عمّك: مفعول مقدّم لقوله: «آسيت»، الله: مفعول تريد قدّم عليه و جمله تريد بجهادك خبر لم تكن، اختطاف الذّئب مفعول مطلق نوعى لقوله:

«اختطفت»، كان: كأنه زائده أن ما أخذت: مؤوّل بالمصدر أى المأخوذ من أموالهم و فاعل لقوله «يسرّنى» و حلال بدل منه، رويدا نائب للمفعول المطلق و صفه لمحذوف أى ضحى رويدا، حين مناص اسم لا و خبرها محذوف.

المعنى

و ممّا يوجب الأسف المحرّق هذا الكتاب المخاطب به أحد خواصّه من بنى عشيرته و الأكثر على أنه عبد الله بن عباس، فالظاهر أنه لما كتب عليه السّلام إليه كتابه بعد مقتل محمّد بن أبى بكر، و قد مرّ آنفا أيس ابن عباس من إدامه حكومته العادله و علم أنّ الحكومه تقع فى يد أعدائه و أعداء بنى هاشم و أقلّ ما ينتقمون منهم منعهم عن حقوقهم و ايقاعهم فى ضيق المعاش و ضنك العيش فادّخر من بيت مال البصره مقادير يظهر من كتابه عليه السّلام أنها كثيره تسع لابتياح العقار فى مكّه و المدينه و الطائف و ابتياح العبيد و نكاح الأزواج. و قد أثر عمله هذا فى قلبه الشريف حيث يتوجّه إلى تأمين معاش عشرات الالوف من الأراامل و الأيتام اللّاتى قتل أزواجهنّ و آباؤهم فى معارك جمل

ص: ٧٥

و صفین و لا کفیل لهنّ فی معاشهنّ، و کان ما یجمع فی بیت مال البصره مبلغا کثیرا یسدّ کثیرا من حاجته فی هذه الأرامل و الأیتام فالتهب قلبه الشریف من هذا الاختطاف و الاختلاس الّذى ارتکبه مثل ابن عیّاس أو من یقارنه أو یقاربه من أهله و عشیرته، فرماه من لسانه الشریف بسهام ما أغرزها فی القلب و سیوف ما أقطعها للوتین و کان ابن عباس یتوجّه إلى حاله علیّ الروحیّه فیبادر إلى جوابه بأخصر عباره و یشیر إلى عذره فی خیائنه. قال الشارح المعتبرلی «ص ۱۷۰ ج ۱۶ ط مصر»: و قد روى أرباب هذا القول «أى القول بأنّ هذا الكتاب خطاب إلى عبد الله بن عباس» أنّ عبد الله بن عباس كتب إلى علیّ علیه السّلام جوابا عن هذا الكتاب، قالوا: و کان جوابه:

أمّا بعد، فقد أتانی کتابک تعظّم علیّ ما أصبت من بیت مال البصره، و لعمری إنّ حقّی فی بیت المال أكثر ممّا أخذت، و السّلام. هذا و قد ذکر فی نسخه شرح ابن أبی الحديد کتابا منه إلى بعض عمّاله لم یذكر فی نسخه شرح ابن میثم نذکره هنا تتمیما للفائده قال:

الأصل: و من کتاب له علیه السّلام إلى بعض عمّاله:

أمّا بعد، فقد بلغنی عنک أمر إن كنت فعلته فقد أسخّطت ربّیک، و عصیت إمامک، و أخزیت أمانتک، بلغنی أنّک جرّدت الأرض فأخذت ما تحت قدمیک و أکلت ما تحت یدیک، فارفع الیّ حسابک، و اعلم أنّ حساب الله أعظم من حساب النّاس، و السّلام.

الترجمه

از نامه ای که آن حضرت علیه السّلام بیکی از کارگزارانش نوشت:

أمّا بعد براستی که من تو را در ریاست خود که سپرده بمن بود شریک کردم و تو را همراز دل و همکار حکمرانی خویش نمودم، در میان خاندانم در نظرم مردی از تو بیشتر برای همدردی و پشتیبانیم وجود نداشت، و در پرداخت سپرده و امانت

ص: ۷۶

بہتر مورد اعتماد نبود، چون دیدی کہ روزگار بر عمو زادہ ات دست انداخت و سخت گرفت و دشمن چیرہ شد و اختیار را از دست گرفت، و مردم در امانت داری خیانت کردند و برسوائی گرائیدند، و این ملت اسلامی ربودہ شدہ و پریشان و بدبخت گردید، تو پشت بعموزادہ خود دادی و از او برگشتی، و ہمراہی آنان کہ از او جدا شدند جدا شدی و ہمراہی آن دستہ بیوفا از او گسستی و با خیانتکاران وی پیوستی، نہ با عموزادہ خود ہمدردی و غمخواری کردی، و نہ امانت خود را پرداختی، گویا این کہ تو در جہاد و تلاش خود خدا را نخواستی و گویا کہ در برابر پروردگارت گواہ روشن بر طریقہ حق نداشتی، و گویا کہ ہمانا تو برای بدست آوردن دنیای این ملت با آنها نیرنگ باختی و در دل داشتی کہ آنها را فریب بدہی و بیت المال آنها را برای خودت ببری، و چون سختی روزگار برای خیانت بر امانت بتو فرصت داد شتابانہ بیورش پرداختی و بزودی جست و خیر را آغاز کردی، و ہر چہ را توانستی از اموال آنان کہ پشتوانہ زندگی بیوہ زنان و کودکان بی پدر آنان بود در ربودی چونان کہ گرگ لاغر کفل بزغالہ شکستہ استخوان خونین را در می رباید. این اموال بیت المال را بر گرتی و با دل خوش بحجاز فرستادی و خود را از برگرفتن آن گناہ کار ندانستی، گویائی کہ - جز تو بی پدر باد - ارث پدر و مادرت را بسوی خاندانت سرازیر کردی، سبحان اللہ، تو بروز رستاخیز ایمان نداری؟ تو از خوردہ گیری حساب قیامت خبر نداری؟! ای آنکہ نزد ما در شمار خردمندان و دلداران و ہشیاران بودی چگونه بر خود نوشابہ و خوراکی را گوارا می داری کہ می دانی حرام می خوری و حرام می نوشی؟؟ و چطور از مال یتیمان و مستمندان و مؤمنان و جانبازان کنیزان می خری و زنانی ہمسری در می آوری از مال کسانی کہ خداوند این اموال را غنیمت و بہرہ آنها مقرر داشتہ و بوجود آنها این بلاد اسلامی را در برابر دشمنان نگہ داشتہ است، از خدا پیرہیز اموال اینان را بدانہا باز گردان، زیرا اگر این کار را نکنی، و مال مردم را بہ آنها باز پس ندہی و سپس

خداوند مرا بر تو مسلط کند و بچنگ من افتی من نزد خداوند در عقوبت تو معذورم و هر آینه تو را از دم تیغ خود بگزرانم، همان شمشیری که بکسی نزد من مگر آنکه بدوزخ رفت. بخدا سوگند اگر حسن و حسینم بمانند کاری که تو کردی بکنند برای آنها در نزد من هیچ مسامحه و سازشی نیست و بجلب اراده من بسود خود پیروز نخواهند شد تا آنکه حق را از آنها بستانم و زنگ باطل را از ستمی که کردند بزدایم، من بخداوند پروردگار جهانیان سوگند می خورم: که خوش نداشتم آنچه را تو بر گرفتی و بردی از اموال مردم برایم از راه حلال میسر باشد و آنها را برای کسانم پس از خود بارث بگذارم. آرام بران و بیندیش گویا تو باخر عمر خود رسیدی، و زیر خاک تیره بگور اندر شدی و کردارت برخت کشیده شده، در همان جا که ستمکار فریاد افسوس بر آورد، و بنده ضایع روزگار و بدکردار آرزوی برگشت بدنیا دارد، و راه چاره ای وجود ندارد.

«ترجمه نامه ای که در شرح ذکر شده است»:

اُمّا بعد بمن از تو گزارش کاری رسیده که اگر آن را کرده باشی محققا پروردگار ترا بخشم آوردی و امام خود را نافرمانی کردی، و امانت خود را خیانت کردی، و کارش را بر سوائی کشاندی، بمن گزارش رسیده که تو سر زمین حکومت را لخت کردی، و هر چه زیر پایت بوده بر گرفتی و آنچه در پیش رویت بوده خوردی حساب خود را بمن صورت بده و بدانکه حساب خداوند از حساب مردم بزرگتر است، و السلام.

المختار الواحد والاربعون

اشاره

و من کتاب له علیه السلام الی عمر بن أبی سلمه المخزومی، و کان

عامله علی البحرین فعزله و استعمل نعمان بن عجلان الزرقی مکانه:

أما بعد، فإني قد وليت نعمان ابن عجلان الزرقی علی البحرین

ص: ٧٨

و نزعَت يدك بلا ذمّ لك و لا تثريب عليك، فلقد أحسنت الولاية و أدّيت الأمانة، فأقبل غير ظنين، و لا ملوم، و لا متّهم، و لا مأثوم، فلقد أردت المسير إلى ظلمه أهل الشّام، و أحببت أن تشهد معي، فإنّك ممّن أسْتَظهر به على جهاد العدو، و إقامة عمود الدّين، إن شاء الله.

اللغة

(لا تثريب عليك): لا لوم عليك و التّريب: الاستقصاء فى اللوم، (الظّنين):

المتهم، و الظّنه: التّهمة و الجمع الظنن.

المعنى

عمر بن أبى سلمه ربيب رسول الله صلّى الله عليه و آله، و أبوه أبو سلمه بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم يكنى أبا حفص: ولد فى السّنة الثّانية من الهجره بأرض الحبشه، و قيل: إنّّه كان يوم قبض رسول الله صلّى الله عليه و آله ابن تسع سنين. و أمّا النعمان بن عجلان الزّرقى من الأنصار من بنى زريق، قال ابن عبد البر:

كان النعمان هذا لسان الأنصار و شاعرهم و هو القائل يوم السقيفه:

و قلتم حرام نصب سعد و نصبكم عتيق بن عثمان حلال أبا بكر

و أهل أبو بكر لها خير قائم و إنّ عليّا كان أخلق بالأمر

و إنّ هوانا فى علىّ و إنّّه لأهل لها من حيث يدرى و لا يدرى

أقول: و لعلّ إحضار عمر بن أبى سلمه إلى جبهه صفّين باعتبار و جاهته و حرمة فى المسلمين حيث إنّّه قرشى و مهاجر و من بنى مخزوم و هم من سادات قريش يتنافسون بنى هاشم فى السيادة و الشّرف.

ص: ٧٩

و هذا من أهم موانع اسلام أبي جهل، كما في سيره ابن هشام «ص ١٩٣ ج ١ ط مصر»: في مصاحبه الأخنس مع أبي جهل بعد استماعهم آيات من القرآن في ليال متتابعه عن لسان النبي صلى الله عليه وآله باستراق السمع من وراء بيته: قال: ثم خرج من عنده «أى من عند أبي سفيان» حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: ما ذا سمعت، تنازعنا نحن و بنو عبد مناف الشرف: أطعموا فأطعمنا و حملوا فحملنا و أعطوا فأعطينا حتى إذا تحاذينا على الركب و كنّا كفرسي رهان، قالوا: منّا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك مثل هذه و الله لا يؤمن به أبدا و لا نصدّقه.

الترجمه

از نامه ای که آن حضرت علیه السلام به عمر بن ابی سلمه مخزومی نگاشته، وی از طرف آن حضرت کار گزار بحرین بود، و او را از کار برکنار کرد و نعمان بن عجلان زرقی را بجای او گماشت. اما بعد، من براستی نعمان بن عجلان زرقی را بر بحرین کار گزار ساختم و بدان ولایت گماشتم، و دست تو را از آن بر گرفتم، نه تو را نکوهشی هست و نه بر تو انتقاد و سرزنش میباشد، تو خوب فرمانگزاری کردی، و امانت خود را پرداختی، نزد من بیا، نه بد گمانی داری و نه شرمساری، نه متّهمی و نه گنه کار. من می خواهم بسوی ستمکاران اهل شام کوچ کنم، و دوست دارم که تو هم با من حاضر باشی، زیرا تو از کسانی هستی که پشت من در نبرد با دشمن بوجود تو نیرومند است، و هم تو در بر پا داشتن ستون دین یاور و پشتیبان من هستی، إن شاء الله.

ص: ٨٠

إشارة

و من كتاب له عليه السلام الى مصقله بن هبيرة الشيباني،

و هو عامله على أردشير خرّه

بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت إلهك، و أغضبت إمامك: أنك تقسم فيء المسلمين الذي حازته رماحهم و خيولهم، و أريقت عليه دماؤهم، فيمن اعتماك من أعراب قومك. فوالذي فلق الحبة، و برأ النسمه، لئن كان ذلك حقًا لتجدن بك على هوانا، و لتخفن عندى ميزانا، فلا تستهن بحق ربك، و لا تصلح دنياك بمحق دينك، فتكون من الأخسرين أعمالا. ألا و إن حق من قبلك و قبلنا من المسلمين في قسمه هذا الفىء سواء: يردون عندى عليه، و يصدرون عنه.

ورد في نسخه شرح المعتزلى «ص ١٧٥ ج ٦ طبع مصر»: و عصيت إمامك بدل أغضبت.

اللغة

(اعتماك): اختارك من بين الناس، أصله من العيمه، و هى خيار المال، و قد روى «فيمن اعتماك» بالقلب، و الصحيح المشهور الأول (الفىء): الغنيمه و مال الخراج المضروب على الأراضى المفتوحة عنوه، (حازته): جمعته، (المحق) محق محققا الشىء: أبطله و محاه.

الاعراب

لتجدن بك على هوانا: بالباء و معناها اللام و يصح أن يكون الباء

ص: ٨١

للسيئه أى بسبب فعلك كما فى قوله تعالى «فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم ١٦٠ - النساء» و روى «و
لتجدن بك عندى هوانا».

أردشير خرّه: كوره من كور فارس.

المعنى

مصقله بن هبيرة من سادات نجد و من بنى شيبان و فيه ضعف و اتباع هوى يظهر من عتابه عليه السلام فى كتابه هذا و يشير إلى
أنّه تصرف فى بيت المال و قسم الخراج فى بنى قومه من دون إجازته عليه السّلام ظلّنا منه احتسابه عليهم من سهامهم فى بيت
مال المسلمين و يظهر أنّه خصّص من بنى قومه من اعتمامه و اختاره و صار من خواصّه و حاشيته.

فبيّن عليه السّلام أنّ الفىء من أى بلد يحوز فهو لجميع المسلمين و لا يختصّ بمن حضر ذلك البلد منهم لأنّه من الأراضى
المفتوحة عنوه الّتى حازته جيوش الاسلام بضرب الرماح و زحف الخيول و بذل النفوس فصارت ملكا لعامة المسلمين و
اختيارها بيد الإمام فلا بدّ من جمع خراجها فى بيت المال و تقسيمه بنظر الامام حفظا للعدالة فإنّ خراج جميع الأراضى و البلدان
ليس مساويا و الساكن فى كلّ البلاد ليسوا مساوين حتّى يحرز العدالة باختصاص فى كلّ بلد بأهله.

مضافا إلى أنّ تصرف كلّ عامل فيما يجمع من الخراج يوجب الفوضى و اختلال النظام المالى و الاقتصادى للدولة الاسلاميه
فكان شرّع عليه السّلام فى كتابه هذا قانون الميزانيه العامه الّذى يتّكى عليه اقتصاد البلدان العامره الشامله للملايين من النفوس و
لا محيص عنه فى إداره شئون المائيه لبلد كافل بالجماهير فالخزانه العامه بمنزله القلب لجريان الشئون الاقتصاديه فينشعب منها
شرائين المصارف المائيه و ينتشر فى مجارى الامور الكلّيه و الجزئيه ثمّ يجتمع فيها ثمّ ينتشر كجريان الدم فى أعضاء الحيوان
ينتشر من القلب فى جميع العروق الدمويه ثمّ يجتمع فيه ثمّ ينتشر، و كان للمصقله خلاف آخر معه عليه السّلام أدّى إلى فراره
فى ظلّ معاويه و هو أنّه ارتدّ بنو الناجيه عن على عليه السّلام و أخذوا يحاربون

ص: ٨٢

مع المسلمین فصار فی تعقیبهم معقل بن قیس فی جهاد مَرَّ طویل حتّی غلب علیهم بعد ائتلافهم مع جمع من النصاری فی حوالی أهواز فأسر منهم جمّاً غفیراً فاشترأهم مصقله بمأه الالوف من الدراهم فی ذمّته و أعتقهم ثم امتنع من تسلیم ما تعهّد إلى بیت المال و طالبه علیّ علیه السّلام و استحضره إلى الکوفه و تعهّد بأدائه أقساطاً فأدّی قسطاً منه ثم هرب إلى معاویه فراراً عن أداء هذا الدّین فصدر منه علیه السّلام فی حقّه:

«عمل عمل الأحرار و فَرَّ فرار العبد» و هل ينظر هذا الكتاب إلى ذلك أو هذه قصّه آخر عنه فی خلافه معه؟ الله أعلم.

الترجمه

از نامه ای که بمصقله بن هبیره شیبانی نوشت و وی کار گزار آن حضرت بود بر شهرستان اردشیر خرّه:

بمن گزارشی رسیده در باره تو که اگر درست باشد محققاً معبود خود را بخشم آورده ای و امام خود را نافرمانی و غضبناک کردی.

راستی که تو در آمد خراج مسلمانان را که با سرنیزه و تاخت و تاز قشون و ریختن خون خود بدست آوردند میان آن دسته از اعراب قوم و قبیله ات که دور تو جمع شدند پخش کردی؟؟ سوگند بدان خدائی که دانه را سبز کند و جاندار را بیافریند اگر این گزارش درست باشد خود را در نزد من خوار و بی مقدار خواهی یافت و در پیش من سبک و کم ارج خواهی بود، بحقّ پروردگار خود سستی و بی اعتنائی روا مدار و دنیایت را با از میان بردن دینت اصلاح مکن تا از آنها باشی که در کردار خود از همه زیانمندترند، آگاه باش که حقّ کسانی که نزد تو هستند از مسلمانان و کسانی که نزد ما هستند در پخش این خراج و غنیمت برابرند و همه باید در نزد من و باجازه من بر آن وارد شوند و سهم خود را از دست من بگیرند و بر گردند، و السّلام

ص: ۸۳

و من كتاب له عليه السلام الى زياد بن أبيه، وقد بلغه أن معاويه

كتب اليه يريد خديعته باستلحاقه

و قد عرفت أن معاويه كتب إليك يستزلّ لبك، و يستفلّ غربك، فاحذره، فإنّما هو الشّيطان: يأتي المرء [المؤمن] من بين يديه و من خلفه، و عن يمينه و عن شماله، ليقتم غفلته، و يستلب غرّته. و قد كان من أبي سفيان في زمن عمر بن الخطّاب فلتة من حديث النّفس، و نزغ من نزغات الشّيطان، لا يثبت بها نسب، و لا يستحقّ بها إرث، و المتعلّق بها كالواغل المدفّع، و النّوط المذبذب. فلمّا قرأ زياد الكتاب قال: شهد بها و ربّ الكعبه، و لم تنزل في نفسه حتّى ادّعاه معاويه. قال الرّضّي:

قوله عليه السّلام: الواغل: هو الذي يهجم على الشّرب ليشرب معهم و ليس منهم، فلا يزال مدّفعاً محاجزاً، و النّوط المذبذب هو ما يناط برحل الراكب من قعب أو قدح أو ما أشبه ذلك، فهو أبداً يتقلقل إذا حثّ ظهره، و استعجل سيره.

ص: ٨٤

(يستزلّ لبك): يطلب زلّه و خطأه، اللب: العقل و القلب، (يستفلّ غريبك): يريد أن يفلّ عزمك، الغرب: حدّ السيف و هو مجاز عن العزم، و يصح أن يكون الجملة مجازاً مركّباً، (فلته): الكلام أو الأمر بغير رويّه، (نزغه من نزغات الشيطان): نزغ الشيطان بينهم أى أغرى بعضهم على بعض و نزغه الشيطان إلى المعاصى أى حثّه، (محاجزا): ممنوعاً، (القعب): القدح الضخم الغليظ - المنجد -.

الاعراب

فلته: اسم كان و خبره من أبى سفيان و هو ظرف مستقرّ و فى زمن جارّ و مجرور متعلّق بالظرف المتقدّم و يمكن أن يكون مستقراً خبراً بعد خبر.

من حديث النفس: متعلّق بقوله عليه السّلام «فلته». الهاء فى قول الرضى نقلاً عن زياد «شهد بها» يرجع إلى مقدّر و هو «القصة».

المعنى

قد حكم عليه السّلام فى هذا الكتاب بأنّ معاويه هو الشيطان باعتبار أنّه يوسوس من كلّ جانب مشيراً إلى ما ورد فى وصف الشيطان فى قوله تعالى «ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَ عَنْ شَمَائِلِهِمْ»، ١٧ الأعراف.

قال الشارح المعتزلى «ص ١٧٨ ج ١٦ ط مصر»: و قال شقيق البلخى:

ما من صباح إلّا قعد لى الشيطان على أربعة مراصد: من بين يديّ، و من خلفى و عن يمينى، و عن شمالى، أمّا من بين يديّ فيقول: لا- تخف فإنّ الله غفور رحيم، فأقرأ «وَ إِنِّى لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى»، ٨٢ - طه» و أمّا من خلفى فيخوّفنى الضيعه على مخلفى، فأقرأ: «وَ مَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا»، ٦ - هود» و أمّا من قبل يمينى فيأتينى من جهه الثناء، فأقرأ: «وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» و أمّا من قبل شمالى فيأتينى من قبل الشهوات، فأقرأ: «وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ»، ٥٤ - السباء».

ص: ٨٥

و قد تعرّض فيه لنفى نسب زياد من أبى سفيان و تكذيب معاويه فى ادّعائه أخا له و إنكاره استلحاقه به طمعا فى نصره له و هذه مسأله دقيقه و لا بدّ من النظر فيه من وجوه:

١ - قد ادّعى أبو سفيان فى زمن عمر أنّ زياد بن سميه مع كون امّها زوجه لعبيد مكوّنه من نطفته و هو الذى وضعه فى رحم أمّه، قال المعتزلى:

و روى أبو عمر بن عبد البرّ فى كتاب «الاستيعاب» عن هشام بن محمّد بن سائب الكلبي، عن أبيه، عن أبى صالح، عن ابن عبّاس، أنّ عمر بعث زيادا فى إصلاح فساد واقع باليمن، فلمّا رجع من وجهه خطب عند عمر خطبه لم يسمع مثلها - و أبو سفيان حاضر و علىّ عليه السّلام و عمرو بن العاص - فقال عمرو بن العاص: لله أبو هذا الغلام! لو كان قرشيا لساق العرب بعصاه، فقال أبو سفيان: إنّه لقرشى، و إننى لأعرف الذى وضعه فى رحم أمّه، فقال علىّ عليه السّلام: و من هو؟ قال أنا فقال: مهلا يا أبا سفيان، فقال أبو سفيان:

أما و الله لو لا خوف شخص يرانى يا علىّ من الأعداى

لأظهر أمره صخر بن حرب و لم يخف مقاله فى زياد

و قد طالت مجاملتى ثقيفا و تركى فيهم ثمر الفؤاد

و فى روايه نقلها عن الواقدي أنّه قال فى جواب علىّ عليه السّلام: أتيت أمّه فى الجاهليه سفاحا، فقال علىّ عليه السّلام: مه يا أبا سفيان! فإنّ عمر إلى المساء سريع، فعرف زياد ما دار بينهما، فكانت فى نفسه.

و قد روى فى هذا المعنى أحاديث اخر كلّها صريحه فى دعوى أبى سفيان لزياد ابنا له قطعا و الكلام فى أنّه ادّعى هذه الدعوى جزافا و على سبيل الخرص و السلف أو له علم بذلك و من أين علم ذلك فإنّ مجرّد بغائه مع سميه مرّه و زوجها معها حاضر عندها ثمّ حملها و ولادتها لا يدلّ على كونه منه.

و هذا ما روى عن المدائنى من حديث الاستلحاق، قال: لمّا أراد معاويه استلحاق زياد و قد قدم عليه الشام جمع الناس و صعد المنبر، و أصدع زيادا معه

فأجلسه بين يديه على المرقاه التي تحت مرقاته، و حمد الله و أثنى عليه ثم قال:

أيها الناس إني قد عرفت نسبتنا أهل البيت في زياد، و من كان عنده شهاده فليقم بها - إلى أن قال - فقام أبو مريم السلولى - و كان خمّارا في الجاهليّه - فقال:

أشهد يا أمير المؤمنين أنّ أبا سفيان قدم علينا بالطائف، فأتاني فاشتريت له لحما و خمرا و طعاما، فلمّا أكل قال: يا أبا مريم، أصب لي بغيا فخرجت، فأتيت بسميه فقلت لها: إنّ أبا سفيان ممّن قد عرفت شرفه و جوده، و قد أمرني أن اصيب له بغيا، فهل لك؟ فقالت: نعم، يجيء الان عبيد بغنمه - و كان راعيا - فإذا تعشّى و وضع رأسه أتيته فرجعت إلى أبي سفيان فأعلمته، فلم تلبث أن جاءت تجرّ ذيلها، فدخلت معه، فلم تزل عنده حتّى أصبحت، فقلت له لمّا انصرفت: كيف رأيت صاحبك؟ قال: خير صاحبه، لو لا ذفر في إبطيها.

و ربّما طال مصاحبه أبي سفيان مع سميّه حتّى عرف ذلك و أنّه كان كثيرا يزور الطائف للبغى و المصاحبه مع بغاتها كما يدلّ عليه ما تقدّم من شعره:

و قد طالت مجاملتي ثقيفا و تركى فيهم ثمر الفؤاد

ثمّ إنّ عليه السّلام تذكّر في كتابه ما أظهره أبو سفيان في زمان عمر، و وصفه بأنه فلتة من حديث النفس و نزغه من نزغات الشيطان، و يحتمل كلامه عليه السّلام وجهين:

١ - أنّ زعمه كون زياد منه لا أصل له، و إنّما هو صرف حديث نفس بلا رويّه و تخيل شيطانيّ كاذب لا أصل له.

٢ - أنّ إظهار هذه الحقيقه فلتة و كلام بلا رويّه و استلحاق زياد بمجرّد كونه من مائه نزغه من نزغات الشيطان لأنّ الماء من الزنا لا يثبت به النسب كما صرح به النّبى صلّى الله عليه و آله «الولد للفراش و للعاهر الحجر».

و كأنّ زيادا حمل كلامه عليه السّلام على الوجه الثاني حيث استفاد منه إثبات كونه متكوّنا من ماء أبي سفيان فقال: شهد بها و ربّ الكعبه، و لكنّ الظاهر منه هو الأوّل و الظاهر أنّ شهاده أبي مريم السلولى شهاده زور زوره معاويه و حمّلها عليه أو زورها هو طمعا في التقرب و العطاء و كان أبو بكر أخو زياد

ص: ٨٧

ينكر ذلك أشدّ الانكار، و حلف أن لا يكلمّ زياد أبدا و قال: هذا زني أمّه و انتفى من أبيه، و لا و الله ما علمت سمّيّه رأّت أبا سفيان قبل.

الترجمه

از نامه ای که حضرتش علیه السلام بزیاد بن ابیه نوشت چون به آن حضرت گزارش رسید که معاویه به او نامه ای نوشته و قصد دارد او را بفریبد و به برادری خود پیونددش دهد:

من دانستم که معاویه بتو نامه نوشته است تا دلت را بلغزند و تصمیمت را بگردانند، از او در حذر باش، همانا که او شیطانی است که بمؤمن در آید از پیش رو و از پشت سر و از سمت راست و از سمت چپ او از همه سو بادم در آویزد تا او را غافلگیر کند و فریب دهد.

از ابی سفيان در دوران خلافت عمر بن الخطاب يك سخن پریشان و بیجائی سر زد که ناشی از جهش نفس اماره بود و يك پرشی بود از پرشهای شیطان، با این سخن بی پرو پا و بیجا نه نسب ثابت می شود و نه پایه استحقاق ارث و میراثی می تواند بود، کسی که باین سخن چنگ زند چون شتریت بیگانه که با اشتران بر آبگاهشان در آید و او را برانند و یا چون ظرفی است که بیمار مرکبی بیاویزند و همیشه در لرزش و اضطراب باشد، رضی علیه الرحمه گوید: این که فرموده است (الواغل) آنست که هجوم برد برای نوشیدن از آب و بیگانه باشد و پیوسته او را برانند و دور کنند و (نوط مذبذب) آن ظرفی است که شتر سوار به بند زیر پای خود بندد مانند قدحی یا سبویی یا هر چه بدانها ماند و آن در موقع راندن مرکب یا شتاباندن آن پیوسته در لرزش است و زیرورو می شود.

المختار الرابع و الاربعون

اشاره

و من كتاب له عليه السلام الى عثمان بن حنيف الانصاري، و هو عامله على البصره، و قد بلغه أنه دعي الى وليمة قوم من أهلها فمضى اليها.

الفصل الأول من الكتاب

اشاره

أما بعد، يا ابن حنيف فقد بلغني أنّ رجلا من فتيه أهل البصره

ص: ٨٨

دعاك إلى مأدبه فأسرعت إليها، تستطاب لك الألوان، و تنقل إليك الجفان، و ما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفوّ، و غثيهم مدعوّ، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفظه، و ما أيقنت بطيب وجوهه [وجهه] فنل منه. ألا- و إنّ لكلّ مأموم إماما يقتدى به، و يستضيء بنور علمه ألا و إنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، و من طعمه بقرصيه، ألا و إنّكم لا تقدرون على ذلك، و لكن أعينوني بورع و اجتهاد و عفه و سداد، فوالله ما كنزت من دنياكم تبرا، و لا ادّخرت من غنائمها وفرا، و لا أعددت لبالي ثوبى طمرا.

اللغة

(الفتية): ج فتى كفتيان و فتوّ الشابّ و الجواد، (المأدبه) بضمّ الدال:

طعام يدعى إليه الجماعة و أدب القوم يأدبهم بالكسر أى دعاهم إلى طعامه، (الألوان): أنواع من الطعام اللذيذ، (الجفان): جمع جفن، و هو القصعه الكبيره، (العائل): الفقير، (مجفوّ): مفعول من جفاه أى معرض عنه يقال:

جفوت الرجل أجفوه إذا عرضت عنه، (المقضم): معلق الدابّه، يأكل منه الشعر بأطراف أسنانه، و الفضم: الأكل بأطراف الأسنان إذا أكل يابسا يقال:

قضمت الدابّه شعيرها من باب تعب و من باب ضرب لغه: كسّرت بأطراف أسنانها - مجمع البحرين -، و (لفظت) الشىء من فمى ألفظه لفظا من باب ضرب:

ص: ٨٩

رميت به، (الطمر) بالكسر هو الثوب الخلق العتيق أو الكساء البالى من غير الصوف - مجمع -.

الاعراب

تستطاب لك الألوان: جملة حاله عن المخاطب و ما بعدها عطف إليها، تجيب إلى طعام قوم، مفعول ثان لقوله ظننت، و جملة: عائلهم مجفوء، مبتدأ و خبر حال عن القوم و ما بعدها عطف إليها.

المعنى

عثمان بن حنيف، بضم الحاء، ابن واهب بن الحكم بن ثعلبه بن الحارث الأنصارى الأوسى أخو سهل بن حنيف أحد الأمجاد من الأنصار، أخذ من النبى صلى الله عليه و آله العلم و الترييه و بلغ الدرجة العاليه فنال مناصب كبرى، قال فى الشرح المعتزلى: «عمل لعمر ثم لعلى و ولّاه عمر مساحه الأرض و جبايتها بالعراق، و ضرب الخراج و الجزية على أهلها، و ولّاه على عليه السّلام على البصره، فأخرجه طلحه و الزبير منها حين قدماها».

و يظهر من ذلك أنّه كان رجلا- بارعا فى علم الاقتصاد و السياسه معا فاستفاد منه عمر من الناحيه الاقتصاديه و فوّض إليه أمر الخراج و الجزيه و هو من أهمّ الامور فى هذا العصر و خصوصا فى أرض العراق العامره، و كان من خواصّ على عليه السلام و من السابقين اللّذين رجعوا إليه و أخلصوا له، قال فى الرجال الكبير بعد ترجمته: «هو من السابقين اللّذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السّلام، قاله الفضل ابن شاذان» و كلمه السابقين فى وصفه مأخوذ من قوله تعالى فى سورة البراءه الايه ١٠٠ «و السابقون الأوّلون من المهاجرين و الأنصار و اللّذين اتّبعوهم بإحسان رضى الله عنهم و رضوا عنه و أعدّ لهم جنّات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم» و كفى له بذلك مدحا و إخلاصا له عليه السّلام فإنّ الايه تخصّص السابقين الأوّلين من الأنصار و المهاجرين بهذه الفضيله الّتى لا فضيله فوقها، و السبق و التقدّم إنّما هو بقبول ولايه أمير المؤمنين فإنّها ميزان الايمان

ص: ٩٠

و الإخلاص لله و رسوله و دليل البراءة من النفاق و المطامع الدنيويّة.

و مؤاخذته عليه السّلام بمجرّد إجابته دعوه من بعض فتیان البصره و تشديده في توبيخه بهذه الجمل البالغه في الطعن و المذمّه دليل آخر على علوّ رتبته و سموّ درجه ايمانه و أنّه لا ينبغي من مثله إجابته مثل تلك الدعوه و الاشتراك في حفله ضيافه تعقد لكسب الشهرة، أو جلب المنفعه، أو الانهماك في اللّذه و الغفله، أو الاستمتاع بالأغذيه اللذيذه، فظاهر الكتاب الموجّه على عثمان بن حنيف بالعتاب توبيخ عفيف على ارتكابه خلافا عظيما يستحقّ به هذا التوبيخ الشديد الذي آلم من الضرب بالسوط، أو الحبس إلى حين الموت، فلا بدّ من التدبّر في امور:

الاول: ما هو جوهر هذا الخلاف الذي ارتكبه هذا الوالي الذي فوّض إليه إداره امور ثغر هامّ من الثغور الاسلاميه في هذا الزمان، فالبصره أحد الثغور الهامّه الاسلاميه في تينك العصور تضاهي مركزيه الكوفه و مصر و الشام، و قد انتخبه عليه السّلام واليا له و فوّض إليه إداره شئونه و سياسه نظامه في هذا الموقف الرهيب، فكيف يؤبّخه و يؤثّبه بهذه الجمل القاسيه ملؤها الوهن و الاستضعاف فهذا الخلاف يحتمل وجوها:

١ - أنّه مجرّد إجابته دعوه الاشتراك في وليمه لذيله هيئت للتفريح و الانس مع الأحباب و الأقران.

٢ - اعدّت هذه الوليمه على حساب استماله الوالي و النفوذ فيه للاستفاده منه في شتّى المقاصد المرجوعه إليه و للاعتماد عليه في تنفيذ الحوائج كما هو عادته ذوى النفوذ و الجاه في كلّ بلد، فإنّ شأنهم تسخير عمّال الدوله بالتطميع و الإحسان للاستمداد منه في مقاصدهم.

٣ - إنّ هذه الوليمه اعدّت من عصابه مخالفه لعلّي عليه السّلام و مواليه لمعاويه و أعوانه فهي حفله مؤامره ضدّ عليّ عليه السّلام و الهدف منها جلب الوالي إلى الموافقه مع مقاصد سياسه هامّه و صرف عثمان بن حنيف عن موالاته عليه السّلام إلى معاداته كما فعل معاويه مع زياد بن أبيه بعد ذلك، فإنّه أحد أعوان عليّ عليه السّلام و أحد ولاته

ص: ٩١

المسيسن، و له يد فى تقويه حكومته فاستجلبه معاويه بالمكائد و المواعيد و أثبتة أخا لجلبه من موالاه على عليه السّلام إلى معاداته، و استفاد منه أكثر استفاده فى حكومته.

و ما ذكره عليه السّلام فى كتابه هذا يناسب الوجه الثالث، فإنّه موقف خطر يحتاج إلى الحذر منه أشدّ الحذر فشرع عليه السّلام يوبّخ عثمان فى قبول هذه الدعوه و الإسراع إليها و تقبّل ما أعدّوه له من النذل من إعداده الأطمعه الطّيبه المختلفه الألوان و تقديم الأقداح الكبيره فى الخوان، و أشار عليه السّلام إلى أنّ هذه الوليمه ممّا لم يقصد به رضاء الله و إكرام والى ولى الله، و إلّا فيشترك فيه ذووا الحاجه و الفقراء من الجيران و سائر المسلمين و لم يخصّصوا الدّعوه بالأغنياء و ذوى النفوذ و الثروه.

ثمّ أشار عليه السّلام إلى أنّ الحاضرين حول هذه الخوان من الغافلين المنهمكين فى اللذات المادّيّه، فعبر عن الخوان بالمقضم و هو ما يعدّ فيه علف الدابّه من التبن و الشعير، و تعبيره عليه السّلام يعمّ كلّ خوان و مطعم مهيا لأمثال هؤلاء المفتونين بأمر الدنيا.

و قوله عليه السّلام (فما اشتبه عليك علمه فالفظه) يحتمل وجهين:

١ - أن يكون المقصود منه بيان الأصل فى الأموال و أنّ الأصل فيها التحريم و لزوم الاحتياط و التحرّز إلّا- ما ثبت حلّه بوجه شرعى كما ورد فى الحديث أنّه: لا يحلّ مال إلّا من حيث ما أحلّه الله، فالأصل فى المال المشتبه الحلّ و الحرمة التحريم و إن قلنا فى غيره بالحليّه و هو الظاهر من قوله عليه السّلام «فما اشتبه عليك علمه فالفظه» و لكن يشكل عليه بأنّه لا ينطبق على المورد لأنّ مورد الكتاب الأكل من مأدبه الضيافه و دليل حلّها هو ظاهر يد المسلم و إصالة اليد دليل عام يتّكى عليه فى اكثر المعاملات و المبادلات.

٢ - أن يكون المقصود تحقيق الحلال الواقعى و عدم الاكتفاء بالأمارات و الأدلّه المحتمل له للخلاف تحصيلًا للورع عن الحرام الواقعى، كما يستفاد من

قوله عليه السّلام (و ما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه) فيستفاد منه أنّه قرّر على عمّاله احتياطا في الدين فوق حدّ العدالة التي كانت شرطاً في تصدّي هذه المناصب الجليلة.

قال ابن ميثم في شرح المقام: «و يفهم منه بحسب التأديب الأوّل أنّ التنزّه عن هذا المباح أفضل له من تناوله» فحمل كلامه عليه السّلام على الوجه الثّاني و هو أوضح، لأنّ مقام هذا الصحابي الكبير أجلّ من أن ينال ما لا يحلّ له من الطعام جهلا بالمسأله أو تسامحا في أمر دينه فكان هذا التشدّد منه عليه السّلام عليه لعلّو رتبته، فتبّه عليه السّلام على أنّه لا يليق هذا العمل بمثله و إن كان لا بأس عليه لغيره ممّن لم ينل مقامه في العلم و الورع.

ثمّ توجه عليه السّلام إلى بيان منظّمه لعمّاله أو مطلق شيعته، و لخصّها في كلمتين:

١ - الاقتداء بالامام في العمل و السيره.

٢ - الاستضاءه من نور علمه و الأخذ بدستوره في كلّ الامور، و الاقتداء بالامام عملا و أخذ دستور العمل منه، كلاهما سلوكك طريق النجاه و لكنّ الثّاني أعمّ، فانه يشمل الغايب عن محضر الامام و يشمل التكاليف الخاصّه بالمأموم دون الامام، و هي كثيره جدّا.

ثمّ لخصّ عليه السّلام سيرته في كلمتين لتكون مدار العمل لعمّاله و للاقتداء به عليه السلام:

١ - الاكتفاء من ريش الدنيا و لباسها و زينتها بطمرين أي ثوبين باليين إزار و رداء من غير صوف يلبسه أحوج الناس.

٢ - الاكتفاء من طعامها و غذائها و لذائذها بقرصين من خبز الشعير اليابس الفارغ عن الادام.

و قد مثّل عليه السّلام في هذه الكلمتين الزهد بأدقّ معانيه و أشقّ ما فيه بحيث جعله من كراماته و أنّه ممّا لا يقدر على العمل به غيره فقال عليه السّلام: (ألا و إنكم لا تقدرون على ذلك).

ص: ٩٣

ثم نظم برنامجا تربوياً لعماله و من يتصدى إداره امور حكومته فى أربع مواد:

١ - الورع - و هو تحصن النفس عن الرذائل و الاجتناب عن المحارم و المحرمات.

٢ - الاجتهاد - فى تحرّى الحقيقه و العمل على مقتضى الوظيفه و تحمّل الكدّ و الاذى فى سبيل الحقّ.

٣ - العفّه - و هى ضبط النفس عمّا لا يحلّ و لا ينبغى من المشتبهات و ما فيه الرغبات.

٤ - السداد - و هو تحكيم المعرفه بالامور و الأخذ باليقين و تحكيم العمل و الدقه فى تقرير شرايطه و كيفياته و عدم التسامح فيه.

و قد بقى فى المقام نكته و هى أنّه ربما يزهد بعض الناس فى معاشهم حيّا بجمع المال و ادّخاره، فيعيشون عيش الفقراء و يكتزون الذهب و الفضّه و يقتنون العقار و الدار فقال عليه السّلام (فو الله ما كنزت من دنياكم تبرا و لا ادّخرت من غنائمها وفرا و لا أعددت لبالى ثوبى طمرا)، و زاد فى متن الكتاب فى شرح ابن أبى الحديد «ج ١٦ ط مصر»: «و لا حزت من أرضها شبرا، و لا أخذت منه إلّا كقوت اتان دبره» و هى التى عقر ظهرها فقلّ أكلها.

ثمّ يّين إحساسه من الدنيا التى يطلبها أهلها و يجهدون فى طلبها و أنّه من النفرة و الانزجار إلى أقصى حدّ، فقال «دنياكم فى عيني أهون من عفصه مقره» و العفصه حبّه كالبنده تستعمل فى دبغ الجلود و يتّخذ منها الحبر - كما فى مجمع البحرين - أى من طعم هذه الحبه المرّه و هى فى نهايه النفور.

بقية من المختار الرابع و الاربعين من كتبه عليه السلام

اشاره

بلى كانت فى أيدينا فدك من كلّ ما أظلتّه السّماء، فشخّحت عليها نفوس قوم، و سخّت عنها نفوس [قوم] آخرين، و نعم الحكم الله

ص: ٩٤

و ما أصنع بفدك و غير فدك، و النفس مظانها في غد جدث، تنقطع في ظلمته آثارها، و تغيب أخبارها، و حفره لو زيد في فسحتها، و أوسعت يدا حفرها لأضغطها الحجر و المدر، و سدّ فرجها التراب المتراكم، و إنّما هي نفسى أروضها بالتقوى لتأتى آمنه يوم الخوف الأكبر، و تثبت على جوانب المزلق.

اللغة

(فدك): قرية من قرى اليهود بينها و بين مدينه النبى صلى الله عليه و آله يومان، و بينها و بين خير دون مرحله - مجمع البحرين -، (الشخ): البخل مع حرص فهو أشدّ من البخل، (سخوت) نفسى عن الشىء: تركته، (الجدث): القبر، (أضغطها الحجر): جعلها ضاغطة، (المظانّ) جمع مظنة: موضع الشىء و مألّفه الذى يكون فيه.

الاعراب

فى أيدينا: ظرف مستقرّ خبر كانت و قوله: فدك، اسم لها، من كلّ:

جار و مجرور و ما موصوليه و جملة أظلمته السماء صلتها و جملة الظرف فى محلّ الحال من فدك، و النفس مظانها فى غد جدث: جملة حاله، و قوله: حفره، عطف على جدث.

المعنى

لَمَّا قال عليه السّلام «و لا حزت من أرضها شبرا» توجّه إلى ماض بعيد و هو بعيد وفاه النبى صلى الله عليه و آله فقال: (كانت فى أيدينا فدك) فبخلت بها قوم، سلبوها و أخذوها من أيدينا غصبا و هم المتصدّون لغصب خلافته خوفا منهم أن يجمع الناس حول أهل البيت برجاء هذا المال فأيدوهم و استردّوا حقّهم (و سخت عنها نفوس

ص: ٩٥

آخرين) يظهر من بعض الشراح أنّ المراد من نفوس آخرين هم أهل البيت أى تركوها فى أيدي الغاصبين و انصرفوا عنها قال الشارح المعتزلى: و سخت عنها نفوس آخرين أى سامحت و أغضت و ليس يعنى بالسخاء ها هنا إلا هذا لا السخاء الحقيقى لأنه عليه السلام و أهله لم يسمحوا بفدك إلا غصبا و قسرا.

أقول: يمكن أن يكون المراد من الآخرين هم الأنصار حيث سكتوا عن مطالبه حقهم و قعدوا عن نصرتهم لاسترداده و إن لم ييخلوا بكونها فى أيديهم و هذا هو الظاهر لأنه عليه السلام فى مقام الشكوى إلى الله عمن ظلمه و أهله فى غضب فدك و قد سامح الأنصار فى نصرته لردّها بعد مطالبتها من جانب فاطمه عليها السلام.

قال فى الشرح المعتزلى: قال أبو بكر: حدّثنى أبو زيد عمر بن شبّه قال:

حدّثنا حيّان بن بشر، قال: حدّثنا يحيى بن آدم، قال: أخبرنا ابن أبى زائدة عن محمّد بن إسحاق، عن الزهرى، قال: بقيت بقيّه من أهل خيبر تحصيّنوا، فسألوا رسول الله صلى الله عليه و آله أن يحقن دماءهم و يسيرهم ففعل، فسمع ذلك أهل فدك، فنزلوا على مثل ذلك، و كانت للنبي صلى الله عليه و آله خاصّه، لأنه لم يوجف عليها بخيل و لا ركاب.

و قال ابن ميثم: ثم المشهور بين الشيعة و المتفق عليه عندهم أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله أعطاه فاطمه عليها السلام و رووا ذلك من طرق مختلفه.

منها: عن أبى سعيد الخدرى قال لما انزلت «و آت ذا القربى حقه ٣١ - الروم» أعطى رسول الله صلى الله عليه و آله فاطمه فدك، فلما تولى أبو بكر الخلافه عزم على أخذها منها فأرسلت إليها يطالبها بميراثها من رسول الله صلى الله عليه و آله و تقول: إنه أعطانى فدكا فى حياته و استشهدت على ذلك عليّا عليه السلام و أمّ أيمن فشهدا لها بها فأجابها عن الميراث بخبر رواه هو: نحن معاشر الأنبياء لا نورث فما تركناه فهو صدقه، و عن دعوى فدك: أنّها لم تكن للنبي و إنما كانت للمسلمين فى يده يحمل بها الرجال و ينفقه فى سبيل الله و أنا أليه كما كان يليه.

و فى شرح المعتزلى قال: أبو بكر و حدّثنى محمّد بن أحمد بن يزيد، عن عبد الله بن محمّد بن سليمان، عن أبيه، عن عبد الله بن الحسن بن حسن قالوا جميعا:

لَمَّا بَلَغَ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ إِجْمَاعَ أَبِي بَكْرٍ عَلَى مَنَعِهَا فَدَكَ، لَاقَتْ خَمَارَهَا، وَ أَقْبَلَتْ فِي لَمَمِهِ مِنْ حَفْدَتِهَا وَ نَسَاءِ قَوْمِهَا تَطَأَ فِي ذِيولِهَا، مَا تَحْرَمُ مَشِيَّتَهَا مَشِيهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ حَتَّى دَخَلَتْ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَ قَدْ حَشَدَ النَّاسُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ، فَضَرَبَ بَيْنَهَا وَ بَيْنَهُمْ رِيْطَهُ بِيْضَاءَ وَ قَالَ بَعْضُهُمْ: قَبْطِيْهِ وَ قَالُوا قَبْطِيْهِ، بِالْكَسْرِ وَ الضَّمِّ، ثُمَّ أَتَتْ أَنَّهُ أَجْهَشَ لَهَا الْقَوْمَ بِالْبُكَاءِ، ثُمَّ أَهْمَلَتْ طَوِيْلًا حَتَّى سَكَنُوا مِنْ فَوْرَتِهِمْ، ثُمَّ قَالَتْ:

أَبْتَدَأَ بِحَمْدِ مَنْ هُوَ أَوْلَى بِالْحَمْدِ وَ الطَّوْلِ وَ الْمَجْدِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ وَ لَهُ الشُّكْرُ بِمَا أَلْهَمَ، وَ ذَكَرَ خُطْبَهُ جَيِّدَهُ قَالَتْ فِي آخِرِهَا:

فَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَ أَطِيعُوهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، فَإِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ، وَ أَحْمَدُوا اللَّهَ الَّذِى بَعْظَمَتِهِ وَ نُوْرُهُ يَبْتَغَى مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ، وَ نَحْنُ وَسِيلَتُهُ فِي خَلْقِهِ، وَ نَحْنُ خَاصِّيَّتُهُ، وَ مُحَلِّ قُدْسِهِ، وَ نَحْنُ حُجَّتُهُ فِي غِيْبِهِ، وَ نَحْنُ وَرَثَتُهُ أَنْبِيَائِهِ، ثُمَّ قَالَتْ:

أَنَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، أَقُولُ عَوْدًا عَلَى بَدْءِ مَا أَقُولُ ذَلِكَ سُرْفًا وَ لَا شَطَطًا فَاسْمَعُوا بِأَسْمَاعِ وَاعِيهِ، وَ قُلُوبَ دَاعِيهِ، ثُمَّ قَالَتْ: «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ»: ١٢٨ - التوبة» فَانْ تَعَزَّوْهُ تَجِدُوهُ أَبِي دُونِ آبَائِكُمْ، وَ أَخَا ابْنِ عَمِّي دُونِ رَجَالِكُمْ.

ثُمَّ ذَكَرَتْ كَلَامًا طَوِيْلًا، سَنَذْكُرُهُ فِيمَا بَعْدَ فِي الْفَضْلِ الثَّانِي، ثُمَّ أَنْتَمُ الْآنَ تَزْعُمُونَ أَنَّ لَا إِرْثَ لِي «أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ»: ٥٠ - المائدة» أَيُّهَا مَعَاشِرُ الْمُسْلِمِينَ، ابْتَرِّ إِرْثَ أَبِي، أَبِي اللَّهِ أَنْ تَرِثَ يَا ابْنَ أَبِي قَحَافَةَ أَبَاكَ وَ لَا أَرِثَ أَبِي، لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا فَرِيًّا، فَدُونُكُمَا مَخْطُومُهُ مَرْحُولُهُ تَلْقَاكَ يَوْمَ حَشْرِكَ، فَنَعْمَ الْحُكْمُ لِلَّهِ، وَ الزَّعِيمُ مُحَمَّدٌ، وَ الْمَوْعِدُ الْقِيَامَةُ، وَ عِنْدَ السَّاعَةِ يَخْسِرُ الْمَبْطُلُونَ، وَ لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ، مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَ يُحَلِّ

عليه عذاب مقيم، ثم التفت إلى قبر أبيها فتمثلت بقول هند بنت أاثه:

قد كان بعدك أنباء و هيمنه لو كنت شاهدا لم تكثر الخطب

أبدت رجال لنا نجوى صدورهم لما قضيت و حالت دونك الكتب

تجهمتنا رجال و استخف بنا إذ غبت عنا فنحن اليوم نغتصب

قال: و لم ير الناس أكثر باك و لا باكيه منهم يومئذ: ثم عدلت إلى مسجد الأنصار فقالت: يا معشر البقيّة، و أعضاء المله، و حضنة الاسلام، ما هذه الفتره عن نصرتي، و الوليه عن معونتي، و الغمزه في حقّي، و السنه عن ظلامتي، أما كان رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: «المرء يحفظ في ولده» سرعان ما أحدثتم، و عجلان ما أتيتم، الان مات رسول الله صلى الله عليه و آله أمّتم دينه، ها إنّ موته لعمرى خطب جليل استوسع و هنه، و استبهم فتقه، و فقد راتقه، و اظلمت الأرض له، و خشعت الجبال و أكدت الامال، اضيع بعده الحريم، و هتكت الحرمه، و اذيلت المصونه، و تلك نازله أعلن بها كتاب الله قبل موته، و أنباكم بها قبل وفاته، فقال «و ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» ١٤٤ - آل عمران.

ايها بنى قيله أ أهتضم تراث أبى، و أنتم بمرأى و مسمع، تبلغكم الدعوه و يشملكم الصوت، و فيكم العدّه و العدد، و لكم الدار و الجنن، و أنتم نخبه الله الّتى انتخب، و خيرته الّتى اختار، باديتم العرب، و بادهتم الامور، و كافحتم البهم، حتّى دارت بكم رحي الاسلام، و درّ حله، و خبت نيران الحرب، و سكنت فوره الشرك، و هدأت دعوه الهرج، و استوثق نظام الدين، أفأخّرتم بعد الإقدام، و نكصتم بعد الشّدّه، و جبنتم بعد الشجاعه عن قوم «إِنْ نَكُنْثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَ طَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ» ألا و قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، و ركنتم إلى الدعه، فجحدتم الّذى وعيتم، و سغتم الّذى سوغتم، و إن تكفروا أنتم و من فى الأرض جميعا فإنّ الله لغنى حميد.

ألا وقد قلت لكم ما قلت على معرفه منى بالخذله التى خامرتكم، و خور القناه، و ضعف اليقين، فدونكموها فاحتووها مدبره الظهر، ناقبه الخف، باقيه العار، موسومه الشعار، موصوله ب «نارُ الله الموقده التى تطلع على الأفئده»، فبعين الله ما تعملون، «و سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون».

و حدث بسنده عن عوانه بن الحكم قال: لما كلمت فاطمه عليها السلام أبا بكر بما كلمته به حمد أبو بكر الله و أثنى عليه و صلى على رسوله، ثم قال: يا خيرہ النساء و ابنه خير الابهاء: و الله ما عدوت رأى رسول الله صلى الله عليه و آله، و ما عملت إلا بأمره، و إن الرائد لا يكذب أهله، و قد قلت فأبلغت و أغلظت فأهجرت، فغفر الله لنا و لك، أما بعد، فقد دفعت آله رسول الله و دابته و حذائه إلى على عليه السلام، و أما ما سوى ذلك فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول «إنا معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً و لا فضة و لا أرضاً و لا عقاراً و لا داراً و لكننا نورث الايمان و الحكمة و العلم و السنه» فقد عملت بما أمرنى و نصحت له، و ما توفيقى إلا بالله عليه توكلت و إليه انيب.

قال أبو بكر: و روى هشام بن محمد، عن أبيه قال: قالت فاطمه لأبى بكر:

إن أم أيمن تشهد لى أن رسول الله صلى الله عليه و آله أعطانى فذك، فقال لها: يا ابنه رسول الله، و الله ما خلق الله خلقاً أحب إلى من رسول الله صلى الله عليه و آله أبيضك و لوددت أن السماء وقعت على الأرض يوم مات أبوك، و الله لأن تفتقر عائشه أحب إلى من أن تفتقرى، أترانى اعطى الأحمر و الأبيض حقّه و أظلمك حقك، و انت بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم، إن هذا المال لم يكن للنبي صلى الله عليه و سلم، و إنما كان مالا من أموال المسلمين يحمل به النبى الرجال، و ينفقه فى سبيل الله، فلما توفى رسول الله صلى الله عليه و سلم وليته كما كان يليه، قالت:

و الله لا- كلمتك أبدا، قال: و الله لا هجرتك أبدا، قالت: و الله لأدعون الله عليك قال: و الله لأدعون الله لك، فلما حضرتها الوفاه أوصت ألا يصلى عليها، فدفنت ليلا، و صلى عليها عباس بن عبد المطلب، و كان بين وفاتها و وفاه أبيها اثنتان

قال أبو بكر: و حدثني محمد بن زكريا، قال: حدثنا جعفر بن محمد بن عماره بالإسناد الأول قال: فلما سمع أبو بكر خطبتها شقّ عليه مقاتلتها، فصعد المنبر و قال: أيّها الناس ما هذه الرّعه إلى كلّ قاله، أين كانت هذه الأمانى في عهد رسول الله صلّى الله عليه و سلّم، ألا من سمع فليقل، و من شهد فليتكلم، إنّما هو ثعالب شهيد ذنبه، مربّ لكلّ فتنه، هو الذى يقول كزوها جذعه بعد ما هربت، يستعينون بالضعفه، و يستنصرون بالنساء، كامّ طحال أحبّ أهلها إليها البغى ألا إنّى لو أشاء أن أقول لقلت، و لو قلت لبحث، إنّى ساكت ما تركت.

ثمّ التفت إلى الأنصار فقال: قد بلغنى يا معشر الأنصار مقاله سفهائكم، و أحقّ من لزم عهد رسول الله صلّى الله عليه و سلّم أنتم، فقد جاءكم فإوئيتم و نصرتهم، ألا- إنّى لست باسطة يدا و لا لسانا على من لم يستحقّ ذلك منّا، ثمّ نزل، فانصرف فاطمه إلى منزلها.

أقول: هذا شطر ممّا ورد فى أمر فذك عن طرق أهل السنّه، ذكرناه بنصّه عن الشرح المعتزلى، و قد بحث الفريقان فى هذه المسأله بحثا وافيا لا مزيد عليه، و أوّلوا ما ورد فيه و ما صدر من النصوص بكلّ وجه ممكن لتأييد كلّ فريق مذهبه و كفى فى ذلك ما نقله الشارح المعتزلى عن قاضى القضاة و ما نقله من النقد و الردّ عليه من السيّد المرتضى - رحمه الله - و ما علّق على نقوض السيّد المرتضى انتصارا لقاضى القضاة، من أراد الاطلاع فليرجع إليه، و نحن نلخص البحث فى أمر فذك بما يلى:

الاول: لا- خلاف و لا- شكّ فى أنّ فذك كانت ملكا صافيا خالصا لرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، لأنّ أهلها ملكوها إيّاها صلحا على أن يزرعوها بنصف عوائدها، و ما روى من أنّه صلّى الله عليه و آله صالحهم على النصف محمول على العوائد لا على صلب الملك و لا ينافى مع ما دلّ على أنّ أهلها صالحوه على جميعها، و الدليل على ذلك من وجوه:

١ - قوله تعالى: «وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَا لِكِنَّ اللَّهِ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» : ٦ - الحشر.

ظاهر هذه الآية أنّ ما أعطاه الله رسوله من أهل القرى من غير إيجاف الخيل والركاب و زحف المجاهد والمحارب فهو خاصّ به للرسول لا يشترك فيه سائر المسلمين كأرض صالح أهلها مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو باد أهلها أو تركوها و هاجروا منها، و فذلك ممّا سلّمها أهلها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من دون حرب و زحف، فهي له خاصّة، و الآية التالية تنظر إلى الفيء الذي اخذ عنوه، فهو للنبي صلى الله عليه وآله وسلم و آله و ذوى القربى و غيرهم.

٢ - اعتراف أبي بكر بأنّه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث تمسّك بمنعها عن فاطمة عليها السلام بحديث رواه عن النبي و هو قوله «لا- نورث، ما تركناه صدقه» مع أنّه لو لم يعترف بكونها ملك النبي صلى الله عليه وآله وسلم و آله لا- يحتاج إلى التمسك بهذا الحديث، بل يمنعها باعتبار عدم ارتباطها بها.

٣ - أنّه بعد ما ادّعت فاطمة عليها السلام أنّها نحلته أبي و قد وهبها لى، طلب أبو بكر منها الشهود، و طلب الشهود على النحلة، يدلّ على اعترافه بأنّها ملك مخصوص بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم و آله، لأنّه لا هبة إلّا فى ملك، نعم قال فى الشرح المعتزلى:

قال أبو بكر: و روى هشام بن محمّد، عن أبيه قال: قالت فاطمة لأبى بكر: إنّ أمّ أيمن تشهد لى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطاني فذك، فقال لها: يا ابنه رسول الله و الله ما خلق الله خلقا أحبّ إلى من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و آله أبيك - إلى أن قال - إنّ هذا المال لم يكن للنبي صلى الله عليه وآله وسلم و سلّم و إنّما كان مالا من أموال المسلمين يحمل النبي به الرجال و ينفقه فى سبيل الله، فلمّا توفّى رسول الله وليته كما كان يليه، قالت: و الله لا كلّمتك أبدا - إلخ.

و يرد الإشكال على هذا الحديث بوجوه:

١ - معارضته صريحا مع ما رواه فى الشرح أيضا:

ص: ١٠١

قال أبو بكر: حدّثني أبو زيد عمر بن شَبّه قال: حدّثنا يحيى بن بشر، قال: حدّثنا يحيى بن آدم، قال: أخبرنا ابن أبي زائدة عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، قال: بقيت بقيّة من أهل خير تحصّنوا، فسألوا رسول الله صَلَّى الله عليه وآله أن يحقن دمائهم و يسيرهم ففعل، فسمع ذلك أهل فدك، فنزلوا على مثل ذلك، و كانت للنبي صَلَّى الله عليه وآله خاصّة، لأنّه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب.

و هذا الحديث صريح و معلّل و موافق للقرآن و له وجوه من الترجيح سنداً.

٢ - قال الشارح المعتزلي: و أمّا الخبر الثاني و هو العذّي رواه هشام بن محمّد الكلبي عن أبيه ففيه إشكال أيضاً، لأنّه قال: إنّها طلبت فدك و قالت: إنّ أبي أعطانيها، و إنّ أم أيمن تشهد لي بذلك، فقال لها أبو بكر في الجواب: إنّ هذا المال لم يكن لرسول الله صَلَّى الله عليه و سلّم و إنّما كان مالا من أموال المسلمين يحمل به الرجال و ينفقه في سبيل الله، فلقاتل أن يقول له: أ يجوز للنبي صَلَّى الله عليه و آله أن يملكك ابنته أو غير ابنته من أفناء الناس ضيعه مخصوصه، أو عقارا مخصوصا من مال المسلمين، لوحى أوحى الله إليه - إلى أن قال: و هذا ليس بجواب صحيح.

٣ - مخالفته مع الايه السابقه السادسه من سوره الحشر كما بيّناه، فالقول بأنّ فدك لم يكن للنبي صَلَّى الله عليه و آله مردود و مخالف لما عليه الفريقان، فاذا ثبت أنّ فدك كانت خاصّه لرسول الله يثبت أنّ انتقالها إلى فاطمه عليها السّلام كان بهبه رسول الله إيّاها لا بالارث فانه لو كان بالارث لا يختص بفاطمه سلام الله عليها، فإنّها لم تكن وارثه منحصره له صَلَّى الله عليه و آله بل تشترك مع أزواج النبي التسع و عصبه النبي صَلَّى الله عليه و آله، على مذهب العامّة فلا يصحّ لها دعوى كلّ فدك.

و لم يرد في روايه اشتراك غيرها معها في دعوى فدك إلّا ما رواه في الشرح عن أبي بكر بسنده عن عروه عن عائشه أنّ فاطمه و العباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و هما حينئذ يطلبان أرضه بفدك و سهمه بخير، فقال لهما أبو بكر: إنّني سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه و سلّم يقول: «لا نورث، ما تركناه صدقه» إنّما يأكل آل محمّد صَلَّى الله عليه من هذا المال، و إنّني و الله لا

ص: ١٠٢

احيز أمرا رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يصنعه إلا صنعته، قال: فهجرت فاطمه فلم تكلمه حتى ماتت.

و هذه روايه شاذه تتضمن إرث العصبه مع الأولاد، و هو مخالف لمذهب الاماميه، مع احتمال أن يكون ارضه بفدك غير ضيعه فدك، بل قطعه ارض مخصوصه فيها.

الثاني لا بدّ و أن يكون في بحث فاطمه عليها السلام مع أبي بكر دعويان:

١ - دعوى فدك بعنوان النحل لا بعنوان الميراث.

٢ - دعوى ميراث النبي ممّا تركه من غير فدك، و هو امور، منها سهمه صلى الله عليه وآله بخير، و منها سهم الخمس الذي كان له في حياته من سهم الله و سهم الرسول، و منها سائر ما يملكه من الدار و المتاع و غيرهما و قد حازها كلّها أبو بكر بحجّه ما تفرد بروايته من قوله «لا نورث ما تركناه صدقه» فدعوى الهبه و الارث لم تتعلّق بموضوع واحد و هو فدك، بل الهبه متعلّقه بفدك و دعوى الارث بغيرها، كما يستفاد ممّا رواه في الشرح المعترلي عن أبي بكر بسنده إلى امّ هاني، أنّ فاطمه قالت لأبي بكر: من يرثك إذا متّ؟ قال: ولدي و أهلي، قالت: فمالك ترث رسول الله صلى الله عليه وآله دوننا؟ قال: يا ابنه رسول الله، ما ورث أبوك دارا و لا - مالا و لا ذهبا و لا فضّه، قالت: بلى سهم الله الذي جعله لنا، و صار فينا الذي بيدك، فقال لها: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّما هي طعمه أطعمنا الله، فاذا متّ كانت بين المسلمين.

و لا - بدّ من القول بأنّ الدعويين مختلفتان و لم تتواردا على مورد واحد، فإنّهما متكاذبان، لأنّ دعوى الهبه تقتضى الاعتقاد بخروج المورد عن ملك النبي صلى الله عليه وآله في حياته، و دعوى الارث تقتضى بقائه في ملكه إلى حين الموت اللهم إلا أن يقال: إنّ دعوى الهبه مقدّمه على دعوى الارث فلما ردّت طرحت دعوى الارث على وجه التّنزّل عنها و على وجه الجدل مع الخصم، و فيه بعد.

و قد اختلف كلامهم في أنّ أيّ الدعويين مقدّمه، قال في الشرح المعترلي

ص: ١٠٣

فى الفصل الثالث من مباحثه التى طرحها فى أمر فذك «ص ٢٦٩ ج ١٦ ط مصر»:

وقد أنكر أبو على ما قاله السائل من أنها لما ردت فى دعوى النحلة ادّعتة إرثا وقال: بل كانت طلبت الارث قبل ذلك، فلما سمعت منه الخبر كفت و ادّعت النحلة.

و العجب كلّ العجب من أبى على، كيف خفى عليه أنه لو كانت دعوى الارث مقدّمة فقد اعترفت فاطمه عليها السلام ببقاء المورد فى ملك أبيه إلى حين الوفاة، فكيف يصحّ منها أن تدعى النحلة بعد ذلك.

و العجب من السيّد المرتضى - رحمه الله - حيث لم يتوجّه فى جوابه عن كلامه هذا فى الشافى إلى خبطه فقال: و أمّا إنكار أبى على أن يكون النحل قبل ادّعاء الميراث و عكسه الأمر فيه، فأول ما فيه أن لا نعرف له غرضا صحيحا فى إنكار ذلك لأنّ كون أحد الأمرين قبل الآخر لا يصحّ له مذهبا فلا يعتدّ على مخالفه مذهبا، ثم قال رحمه الله:

ثم إنّ الأمر فى أنّ الكلام فى النحل كان المتقدم ظاهرا، و الروايات كلّها به وارده، و كيف أن تبتدأ بطلب الميراث فيما تدّعيه بعينه نحلا- أو ليس هذا يوجب أن تكون قد طالبت بحقّها من وجه لا تستحقّه منه مع الاختيار و كيف يجوز ذلك و الميراث يشتركها فيه غيرها، و النحل تنفرد به».

أقول: قد ترى أنّ السيّد رحمه الله لم يشر إلى التكاذب و التناقض الذى يلزم على المدّعى للميراث قبل ادّعاء النحل، فأنه لو ادّعى الميراث أولا فقد اعترف ببقاء الملك على ملك المورث إلى حين الموت، فلو ادّعى النحل بعد ذلك فقد ناقض دعواه الاولى و كذب نفسه، و لا يصحّ صدوره من فاطمه عليها السلام مع عصمته و طهارته، فلا بدّ من القطع بتقدّم دعوى النحل على دعوى الارث، و لا يصحّ جعله ظاهر الحال أو ظاهر الأخبار، كما يستفاد من كلام السيّد رحمه الله.

و قد انتصر الشارح المعتزلى لأبى على بما يلى «ص ٢٨٥ ج ١٦ ط مصر»:

فأمّا تعجّب المرتضى من قول أبى على أنّ دعوى الارث كانت متقدّمة على

ص: ١٠٤

دعوى النحل وقوله: إنّنا لا نعرف له غرضاً فى ذلك، فأنّه لا يصحّ له بذلك مذهب ولا يبطل على مخالفه مذهب، فإنّ المرتضى لم يقف على مراد الشيخ أبى على فى ذلك، وهذا شىء يرجع إلى اصول الفقه، فإنّ أصحابنا استدّلوا على جواز تخصيص الكتاب بخبر الواحد باجماع الصحابه، لأنّهم أجمعوا على تخصيص قوله تعالى: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ» بروايه أبى بكر عن النبىّ صلّى الله عليه وآله «لا نورث ما تركناه صدقه»، قالوا: والصحيح فى الخبر أنّ فاطمه عليها السّلام طالبت بعد ذلك بالنحل لا بالميراث، فلهذا قال الشيخ أبو على: إنّ دعوى الميراث تقدّمت على دعوى النحل، وذلك لأنّه ثبت أنّ فاطمه انصرفت عن ذلك المجلس غير راضيه ولا موافقه لأبى بكر، فلو كانت دعوى الارث متأخّره، وانصرفت عن سخط لم يثبت الاجماع على تخصيص الكتاب بخبر الواحد، أمّا إذا كانت دعوى الارث متقدّمه فلما روى لها الخبر أمسكت وانتقلت إلى النزاع من جهه اخرى، فانه يصح حينئذ الاستدلال بالاجماع على تخصيص الكتاب بخبر الواحد، فأما أنا فالأخبار عندي متعارضه، يدلّ بعضها على أنّ دعوى الارث متأخّره، وبعضها على أنّها متقدّمه وأنا فى هذا الموضع متوقّف، وما ذكره المرتضى من أنّ الحال تقتضى أن تكون البدايه بدعوى النحل فصحيح، انتهى.

أقول: لا يخفى ما فى كلام الشارح المعتزلى من الاضطراب والتناقض، فتاره ينتصر لأبى على جزماً ليصحّ الاجماع، و اخرى يحكم بتعارض الأخبار ويتوقّف و ثالثه يصحّ كلام المرتضى فى تقدّم دعوى النحل.

والأصحّ أنّ مورد دعوى النحل خصوص فدك و لم يرد عليها دعوى الارث أصلاً لا قبلها ولا بعدها، و مورد دعوى الارث سائر ما تركه رسول الله من سهمه بخير و سهمه فى الخمس و غير ذلك من متاعه، و قد تصرّف أبو بكر فى جميع ذلك و قام مقامه كلّاً و لم يمسك عن أموال رسول الله يداً إلّا من آله رسول الله و دابّته و حذائه حيث دفعها إلى على عليه السّلام، كما فى روايه عوانه بن الحكم.

و العجب من الشارح المعتزلى حيث انتصر لأبى على بما يوجب تكاذب فاطمه

عليها السَّلام لنفسها و سقوط كلامها عن الاعتبار بالتناقض الظاهر، و كيف يصحَّ لها عليها السَّلام دعوى النحل في فذك بعد الاعتراف بأنَّها ميراث لرسول الله صَلَّى الله عليه و آله، و قد أصرَّ في غير موضع من كلامه على اعتراف فاطمه بصحَّه ما رواه أبو بكر من قوله «لا- نورث، ما تركناه صدقه» و موافقتها معه في ذلك، و من يتدبَّر في كلام فاطمه تجاه أبي بكر و من وافقه يفهم أنَّ فاطمه عليها السَّلام أنكر حديثه و نسبت المعتبر به إلى الكفر و الالحاد و الخروج عن الاسلام و متابعه القرآن، فانظر إلى قولها فيما ذكره الشارح المعتبرلى بأسناد عدّه:

«ثُمَّ أَنْتُمْ الْآنَ تَزْعُمُونَ أَنْ لَا إِرْثَ لِي «أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ» ايها معاشر المسلمين ابتزَّ إرث أبي، أبي الله أن ترث يا ابن أبي قحافة أباك و لا أرث أبي، لقد جئت شيئاً فرياً، فدونكها مخطومه مرحوله تلقاك يوم حشرك، فنعمة الحكم الله، و الزعيم محمد، و الموعد القيامة، و عند الساعة يخسر المبطلون، و «لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ وَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ»، «مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَ يَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ»، و قالت فيما خاطبت و عاتبت به الأنصار:

«ما هذه الفتره عن نصرتي، و الونيه عن معونتي، و الغمزه في حقِّي، و السَّينه عن ظلامتي - إلى أن قالت عليها السَّلام: ايها بنى قيله، أ أहतضم تراث أبي، و أنتم بمرأى و مسمع، تبلغكم الدعوه، و يشملكم الصوت، و فيكم العدّه و العدد، و لكم الدار و الجنن، و أنتم نخبه الله التي انتخب، و خيرته التي اختار، باديتم العرب، و بادهتم الامور، و كافحتم البهم، حتّى دارت بكم رحي الاسلام، و درّ حله، و خبت نيران الفتنة، و سكنت فوره الشرک، و هدأت دعوه الهرج و استوثق نظام الدين، أفتأخرتم بعد الإقدام، و نکصتم بعد الشدّه، و جبنتم بعد الشجاعه، عن قوم «نَكُثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَ طَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَنَهُ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ».

أقول: من تدبَّر هذه الكلمات التي خرجت من قلب ملتهب و أسف عميق

يفهم بوضوح عدم طريق للموافقه بين بنت الرسول المظلومه الممنوعه عن حقها مع مخالفيها بوجه من الوجوه، و قد صرحت فيها بنكث العهد و مخالفه الرسول عن اولئك المخالفين.

الثالث ممّا يهمّ في المقام، بيان أنّ فدك كانت في تصرّف فاطمه عليها السّلام فانترعها منها أبو بكر؟ أو كانت في ضمن ما تركه النبيّ صلّى الله عليه و آله فمنعها أبو بكر من التصرّف فيها؟ حكى في الشرح المعتزلي عن قاضي القضاة ما يلي «ص ٢٦٩ ج ١٦ ط مصر»:

و لسنا ننكر صحّه ما روى من ادّعائها فدك، فأما أنّها كانت في يدها فغير مسلم، بل إن كانت في يدها لكان الظاهر أنّها لها، فإذا كانت في جملة التركة فالظاهر أنّها ميراث.

و نقل عن السيّد المرتضى في ردّ كلامه «ص ٢٧٥ ج ١٦ ط مصر»:

فأمّا إنكار صاحب الكتاب لكون فدك في يدها فما رأيناه اعتمد في إنكار ذلك على حجّه، بل قال: لو كان ذلك في يدها لكان الظاهر أنّها لها، و الأمر على ما قال، فمن أين أنّه لم يخرج عن يدها على وجه يقتضي الظاهر خلافه، و قد روى من طرق مختلفه غير طريق أبي سعيد الّذى ذكره صاحب الكتاب أنّه لمّا نزل قوله تعالى «فَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ» ٣٨ - الروم» دعا النبيّ صلّى الله عليه و آله فاطمه عليها السّلام فأعطاه فدك، و إذا كان ذلك مرويًا فلا معنى لدفعه بغير حجّه.

أقول: لا- إشكال في أنّ ظاهر «فأعطاه فدك» الوارده في غير واحد من الأخبار هو إقباض النبيّ صلّى الله عليه و آله إيّاها، لا مجرّد إنشاء صيغه الهبه، فإنّ العطاء حقيقه في العمل الخارجى، و من هذه الجبهه عنون الفقهاء المعاطاه في مقابل العقد و المعامله الانشائيّه، فالمعاطاه معاملة بالعمل و بالأخذ و الردّ، و أدلّ دليل على كونها في تصرّف فاطمه عليها السّلام عليها السّلام حين موت النبيّ صلّى الله عليه و آله كلام أمير المؤمنين عليه السّلام في هذا الكتاب الموجه إلى عثمان بن حنيف من كبار الصحابه حيث يقول صلوات الله عليه:

«بلى كانت في أيدينا فدك» فأنّه كاد أن يكون صريحا في كونها تحت

ص: ١٠٧

تصريف أهل البيت.

الرابع: لقضيته فذك جهتان هامتان:

الاولى النظر إليها عن الوجهه الحقوقية و القضائيه و البحث من حيث إنّ فذك كانت حقاً لفاطمه سلام الله عليها بهبه من النبي صلى الله عليه و آله كما هو الظاهر، أو بالارث كما ذكره غير واحد من الأصحاب و جم من المخالفين فاخذت منها غصبا و تعمّداً، أو على وجه الشبهه باعتماد الحديث العدى رواه أبو بكر عن النبي صلى الله عليه و آله «لا نورث، ما تركناه صدقه» و البحث فى هذا الحديث يقع من وجهين:

الأول: من جهه السند، و يضعف من وجوه شتى، كتفرد أبى بكر بنقله مع وفور صحابه و توفر الداعى ببيانه للناس لإزاله الشبهه، و كعدم اطلاع أهل البيت عليهم السلام و أزواج النبي صلى الله عليه و آله عنه مع مسيس الحاجه إلى إبلاغهم هذا الحكم من النبي ليعرفوا تكليفهم فى تركته من حين موته، و يكاد يقطع باستحاله إخفاء النبي صلى الله عليه و آله هذا الحكم عنهم مع ولعه بتقوى ذويه و أهل بيته.

الثانى: من جهه دلالته حيث إنّ للنبي صلى الله عليه و آله جهتان متميزتان: الاولى جهه شخصيه و أنّه كسائر أفراد البشر و المسلمين يملك و يتزوج و يصير أباً و يكون ابناً لأبيه، و له حقوق متساويه مع غيره فيملك و يملك و يرث و يورث، الثانیه جهه نبوته و ما يتعلّق به بعنوان أنّه نبى فيكون والد الامّه و مالك الوجوه العامه من الغنائم و السبايا، و بيده مفتاح بيت المال يتصرف فيه على ما يراه صلاحاً، فيمكن أن يكون مقصوده من قوله صلى الله عليه و آله «لا نورث» الجهه الثانيه و معناه أنّ ما يملكه النبي بعنوان أنّه نبى غير مورث و تترك صدقه عامه للامّه و لا- يشمل ما يملكه باعتبار شخصه من أمواله الخاصه فإنّها متروكه لوارثه كسائر الأفراد.

و حيث كانت فذك مطرحة لدعوى فاطمه عليها السلام من جهه النحل و طلب أبو بكر منها البيّنه فشهد لها على عليه السلام و امّ أيمن فردّت شهادتهما أو لم يكتف بهما لنقصانهما عن حدّ البيّنه الشرعيه فإنّها تتحقّق بشهاده رجلين أو رجل و امرأتين عرضت القضيه لبحث قضائى من وجوه شتى.

ص: ١٠٨

منها، هل يصحّ أو يجب الاكتفاء بمجرد الدعوى من فاطمه عليها السلام للحكم لها؟ أم حالها حال سائر الناس و لا بدّ من عرض دعويها على الموازين القضائيّة العامّة؟ و تحقيق البحث فيه يرجع إلى النظر في أمرين:

الأول في أنّ البيّنه حجه لاثبات دعوى المدّعى باعتبار صرف الحكايه عن الواقع و من جهه الكاشفيّه فقط، فكّل كاشف عن الواقع يساويها في البيان أو يقوى عليها يقوم مقامها، أم هي حجّه قضائيّه بخصوصها و لها موضوعيّة لفصل الدعوى و إثبات المدّعى؟ و الظاهر هو الأوّل لأنّ البيّنه كاشفه عن الواقع و حجّه بهذا الاعتبار و لذا يقوم مقامها الشياخ، و حينئذ فعصمه فاطمه عليها السّلام و طهارتها عن الكذب بحكم آيه التطهير الشامل لها ممّا يوجب العلم بصدق دعويها فيحكم لها لهذا العلم الناشئ عن خصوصيه المدّعى و إن منعنا عن جواز حكم القاضي في موضوع النزاع بمجرد علمه الغير المستند إلى طرح الدعوى كالوحي أو الاستظهار بالغيب من الرياضه أو مثل علوم الجفر و الرمل و نحوهما لمن هو أهله.

ففي الشرح المعتزلي: قال المرتضى: نحن نبتدئ فندلّ على أنّ فاطمه عليها السلام ما ادّعت من نحل فذكّ إلا ما كانت مصيبه فيه، و أنّ مانعها و مطالبها بالبيّنه متعنّت، عادل عن الصواب، لأنّها لا تحتاج إلى شهاده و بيّنه - إلى أن قال - أمّا الذي يدلّ على ما ذكرناه فهو أنّها معصومه من الغلط، مأمون منها فعل القبيح و من هذا صفته لا يحتاج فيما يدّعيه إلى شهاده و بيّنه.

ثمّ استشهد لاثبات عصمتها، بآيه التطهير و حديث «فاطمه بضعه مني، من آذاها فقد آذاني و من آذاني فقد آذى الله عزّ و جلّ» و هذا يدلّ على عصمتها، لأنّها لو كانت ممّن يقترب الذنوب لم يكن من يؤذيها مؤذيا له على كلّ حال، بل متى فعل المستحقّ من ذمّها، أو إقامه الحدّ عليها، إن كان الفعل يقتضيه سارا له و مطيعا، على أنّنا لا نحتاج في هذا الموضع على الدلاله على عصمتها، بل يكفي في هذا الموضع العلم بصدقها فيما ادّعته، و هذا لا خلاف فيه بين المسلمين لأنّ

أحدا لا يشكّ أنّها لم تدّع ما ادّعته كاذبه، و ليس بعد أن لا تكون كاذبه إلا أن تكون صادق، و إنّما اختلفوا في أنّه هل يجب بعد العلم بصدقها تسليم ما ادّعته بغير بينه أم لا يجب ذلك؟ ثمّ استدلّ على أنّ البينه من جهه الكاشفيه لا من جهه الموضوعيه بوجوده:

١ - اشتراط العدالة في البينه للاعتماد بصدقها.

٢ - جواز حكم الحاكم بعلمه من غير شهاده.

٣ - كون الإقرار أقوى من البينه من حيث أنّه أكشف للواقع - إلى أن قال:

«والذى يدلّ على صحّحه ما ذكرناه أيضا أنّه لا خلاف بين أهل النقل في أنّ أعرابيا نازع النبيّ صلى الله عليه وآله في ناقه، فقال عليه السّلام «هذا لى وقد خرجت إليك من ثمنها» فقال الأعرابى: من يشهد لك بذلك؟ فقال خزيمه بن ثابت: أنا أشهد بذلك، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «من أين علمت، و ما حضرت ذلك؟» قال: لا و لكن علمت ذلك من حيث علمت أنّك رسول الله، فقال: «قد أجزت شهادتك و جعلتها شهادتين» فسمّى ذا الشهادتين، و هذه القضية شبيهه لقضيه فاطمه عليها السّلام.

و منها أنّه حيث كانت فاطمه عليها السّلام مدّعيه لفدك باتّفاق أهل الحديث يستفاد أنّها كانت متصرّفه فيها و صاحبه يد عليها، فلا يصحّ مطالبتها بالبينه إلا أن يقال بأنّ دعويها مقرونه بالاستناد إلى ادّعاء الهبه و بهذا الاعتبار تحتاج إلى البينه، و قد شهد لها علىّ عليه السّلام و امّ أيمن، و يظهر مما نسب إلى أبى بكر التوقّف فى الحكم لها باعتبار نقصان البينه، فإنّها تتحقّق برجلين أو رجل و امرأتين، فيبحث عن خطأ أبى بكر فى ذلك باعتبار أنّ عليّا مشمول لايه التطهير و معصوم، فيقوم شهادته مقام رجلين و امّ أيمن ممّن ثبت كونها من أهل الجنّه فيقطع بصدقها و يقوم شهادتها مقام امرأتين و أكثر، و نسب إلى عمر ردّ شهادتهما باتّهام علىّ عليه السّلام بأنّه يجرّ النار إلى قرصه، و القدح فى امّ أيمن بأنّها عجميه مردوده الشهاده فيا لهما من خطأ و جور.

الثانيه النظر إليها من الوجهه السياسيه، و هى أنّ أخذ فدك من فاطمه عليها السّلام

ص: ١١٠

و أخذ سائر موارث النبي منها و من سائر الوراث تابع للاستيلاء على الخلافه و الحكم، فلا يستقر بيعه سقيفه على أبي بكر إلا بهذين الأمرين، لأن الرياسه على الامه من أهم موارث النبي صلى الله عليه و آله و من أوفر ما تركه بعده فتعلق بذويه الأقربين من اهل بيته، و لا يكفي مجرد بيعه الناس مع ابي بكر لسلب هذا الحق عن اهل البيت إلا بمنع التوريث عن النبي صلى الله عليه و آله، و منع الارث يحتاج إلى قضيه عامه و هي جملة «لا نورث»، ما تركناه صدقه» التي ابتكرها أبو بكر و تفرد بنقلها و لم يكن لمن بايع معه من المهاجرين و الأنصار إلا التسليم لها و ترك النكير عليها، فإنهم لو أنكروها و قاموا في وجه أبي بكر لردّها يضطرون إلى نقض بيعتهم معه بالرئاسه و الخلافه فلا يستقيم قبول وراثه فاطمه و سائر اهل البيت عمّا تركه النبي صلى الله عليه و آله مع بيعتهم لأبي بكر بالخلافه.

و يدلّ على ذلك ما حكى أنّ هارون العباسي قال لموسى بن جعفر عليه السلام:

حدّ لي فذك حتّى أردّه، فقال عليه السلام: حدّها من سيف البحر إلى دومه الجندل إلى عريش مصر، فقال هارون: حتّى أنظر فيها، فالظاهر أنّ مقصوده عليه السلام أنّ فذك نموذج ما تركه النبي صلى الله عليه و آله لأهل بيته و هو ما استقرّ حكومته عليه في حياته.

و قال الشارح المعتزلي «ص ٢٨٤ ج ١٦ ط مصر»: «و سألت عليّ بن الفارقي مدرّس المدرسه الغريّه ببغداد، فقلت له: أ كانت فاطمه صادقه؟ قال:

نعم، قلت: فلم لم يدفع إليها أبو بكر فذك و هي عنده صادقه؟ فتبسّم، ثم قال كلاماً لطيفاً مستحسنًا مع ناموسه و حرمة و قلّه دعابته، قال: لو أعطاه اليوم فذك بمجرّد دعواها لجاءت إليه غدا و ادّعت لزوجها الخلافه، و زحزحته عن مقامه، و لم يكن يمكنه الاعتذار و الموافقه بشيء لأنّه يكون قد أسجل على نفسه أنّها صادقه فيما تدّعي كائناً ما كان من غير حاجه إلى بيّنه و لا شهود، و هذا كلام صحيح، و إن كان قد أخرجه مخرج الدّعابه و الهزل».

ثمّ إنّ عمق سياسه قضيه فذك يظهر من التدبّر في خطب ابي بكر و مكالمته

ص: ١١١

مع فاطمه عليها السّلام حيث يستفاد منها أنّ أبا بكر كان داهيه دهياء و لا يكون في المسلمين يومئذ أدهى منه و أمكر، و صوّر خطّه سياسته في هذه القضيه من ثلاث:

الاولى رفته و لینه تجاه فاطمه عليها السّلام بما لا مزيد عليه و تمسّكه بالإطاعه لرسول الله صلّى الله عليه و آله و ولعه على العمل بسنّته و سيرته حرفا بحرف و قدما على قدم، و تحريش الناس على فاطمه عليها السّلام بأنّها يريد خلاف قول أبيها طلبا لحطام الدنيا فانظر فيما يلي:

في الشرح المعتزلي «ص ٢١٤ ج ١٦ ط مصر»: و روى هشام بن محمّد عن أبيه قال: قالت فاطمه لأبي بكر: إنّ أمّ أيمن تشهد لي أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله أعطاني فدك، فقال لها: يا ابنه رسول الله، و الله ما خلق الله خلقا أحبّ إليّ من رسول الله صلّى الله عليه و آله أبيضك، و لوددت أنّ السماء وقعت على الأرض يوم مات أبوك، و الله لأنّ تفتقر عايشه أحبّ إليّ من أن تفتقرى، أتراني اعطى الأحمر و الأبيض حقّه و أظلمك حقّك، و أنت بنت رسول الله صلّى الله عليه و سلّم، إنّ هذا المال لم يكن للنبيّ صلّى الله عليه و سلّم، و إنّما كان مالا من أموال المسلمين، يحمل النبيّ به الرجال، و ينفقه في سبيل الله، فلمّا توفّي رسول الله صلّى الله عليه و سلّم وليته كما كان يليه، قالت: و الله لا كلّمتك أبدا، قال: و الله لا هجرتك أبدا، قالت: و الله لأدعونّ الله عليك، قال: و الله لأدعونّ الله لك، فلمّا حضرتها الوفاة أوصت ألاّ يصلى عليها. فدفنت ليلا...

و في الشرح أيضا «ص ٢١٣ ج ١٦ ط مصر»: عن عوّانه بن الحكم، قال:

لَمّا كلّمت فاطمه عليها السّلام أبا بكر بما كلّمته به، حمد أبو بكر الله و أثنى عليه و صلّى على رسوله ثمّ قال: يا خير النساء و ابنه خير الالباء، و الله ما عدوت رأى رسول الله صلّى الله عليه و آله، و ما عملت إلّا بأمره، و إنّ الرائد لا يكذب أهله، و قد قلت فأبلغت و أغلظت فأهجرت، فغفر الله لنا و لك، أمّا بعد، فقد دفعت آله رسول الله، و دابّته و حذاءه إلى عليّ عليه السّلام، فأما ما سوى ذلك فأنّى سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: إنّنا معاشر الأنبياء لا نورث ذهبا و لا فضّه و لا أرضا و لا عقارا و لا دارا،

ص: ١١٢

و لكنّا نورث الايمان و الحكمه و العلم و السنّه، فقد عملت بما أمرنى، و نصحت له، و ما توفيقى إلا باللّٰه عليه توكلت و إليه انيب.

فقد ترى أبا بكر فى هذه المكالمة و هذه الخطبه القصيره التى أجاب بها عن خطبه فاطمه الطويله القاصعه يظهر الخضوع و التذلل لفاطمه عليها السّلام و الطوع و الانقياد لأمر أبيها حتّى يصوّر فاطمه عليها السّلام فى نظر الناس عاقه لأبيها و طالبه لحطام الدنيا.

الثانيه استصغار علىّ و أهل بيته و إهانتهم فى نظر الناس ليسقط عندهم هيبه أهل البيت و ينتهك حرمتهم التى اكتسبوها فى ضوء توصيات النّبي صلّى الله عليه و آله و حرمه مهبط الوحى و الرساله، و يجترءوا على الصّول عليهم، بما يقتضيه السياسه فى مواقفها الاتيه.

فانظر إلى قوله فى تلك الخطبه «أمّا بعد، فقد دفعت آله رسول الله و دابّته و حذاءه إلى علىّ» فإنّ فيه من الإهانه بمقام علىّ عليه السّلام ما لا يخفى، فيغضب أبو بكر منبر رسول الله و سيفه و يدفع إلى علىّ عليه السّلام حذاءه.

ثمّ انظر إلى ما أفاده فى خطبته الثانيه كما فى الشرح المعتزلى «ص ٢١٤ ج ١٦ ط مصر»: قال أبو بكر: و حدّثنى محمّد بن زكريّا قال: حدّثنا جعفر بن محمّد بن عماره بالإسناد الأوّل قال: فلمّا سمع أبو بكر خطبتها شقّ عليه مقالاتها، فصعد المنبر و قال: أيّها الناس، ما هذه الرعه إلى كلّ قاله، أين كانت هذه الأمانى فى عهد رسول الله صلّى الله عليه و سلم، ألا من سمع فليقل و من شهد فليتكلم، إنّما هو ثعالبه شهيد ذنبه، مربّ لكلّ فتنه هو الّذى يقول: كزوها جذعه بعد ما هرمت، يستعينون بالضعفه و يستنصرون بالنساء كامّ طحال أحبّ أهلها إليها البغى ألا أنّى لو أشاء أن أقول لقلت، و لو قلت لبحت، إنّى ساكت ما تركت...

قال الشارح المعتزلى: قرأت هذا الكلام على النقيب أبى يحيى جعفر بن يحيى بن أبى زيد البصرى و قلت له: بمن يعرّض؟ فقال: بل يصرّح، قلت:

لو صرّح لم أسألك، فضحك و قال: بعلىّ بن أبى طالب عليه السّلام، قلت: هذا الكلام كلّه لعلىّ يقوله؟ قال: نعم، إنّهُ الملك يا بنى، و يظهر نهايه استخفافه بعلىّ

و فاطمه عليها السّلام و استصغاره لشأنهما بما فسّره من غريب ألفاظ الخطبه، قال: فسألته عن غريبه، فقال: أمّا الرعه بالتخفيف، أى الاستماع و الاصغاء، و القالة: القول، و ثعاله: اسم الثعلب علم غير مصروف مثل ذؤاله للذئب، و شهيد ذنبه: أى لا شاهد له على ما يدعى إلا بعضه و جزء منه، و أصله مثل، قالوا: إنّ الثعلب أراد أن يغرى الأسد بالذئب فقال: إنّّه قد أكل الشاه التى قد أعددتها لنفسك، و كنت حاضرا، قال: فمن يشهد لك بذلك؟ فرفع ذنبه و عليه دم، و كان الأسد قد افتقد الشاه فقبل شهادته، و قتل الذئب، و مربّ: ملازم، أرّب بالمكان، و كزوها جذعه: أعيدوها إلى الحال الاولى، يعنى الفتنة و الهرج، و أمّ طحال امرأه بغى فى الجاهليّه، فيضرب بها المثل فيقال: أزنى من أمّ طحال، انتهى.

فقد اتهم علياً عليه السّلام فى كلامه هذا بأنّه يجزّ النار إلى قرصه و يشهد لجزّ النفع و جلب المنفعه و أنّه يريد إلقاء الفتنة بين المسلمين و إيقاد نيران الحرب و ردّ الاسلام قهقري، فيستعين بالضعفه و النساء، و كفى و هنا به و بفاطمه قوله:

كأمّ طحال أحبّ أهلها إليها البغى، و هل قصد تشبيه عليّ عليه السّلام بأمّ طحال أو فاطمه عليها السّلام أو هما معا، و كفى به توهينا لهما و إظهارا للكفر و الزندقه.

و يقصد فى ضمن ذلك سلب الفوائد عن عليّ عليه السّلام بحيث لا يملك درهما و لا دينارا، فيكون قد اشتغل بتحصيل القوت و يكون آكلا سهمه من بيت المال بنظارته كأحد اجرائه و امرائه لئلا يتوجّه إليه الناس فيعتزّ بهم و يطلب حقّه من الخلافه.

قال فى الشرح المعتزلى (ص ٢٣٦ ج ١٦ ط مصر): و قال لى علوى من الحلّه، يعرف بعليّ بن مهنا، ذكىّ ذو فضائل: ما تظنّ قصد أبى بكر و عمر بمنع فاطمه فذكّ؟ قلت: ما قصدا؟ قال: أرادا أن لا يظهر لعلّى - و قد اغتصباه الخلافه - رقه ولينا، و لا يرى عندهما خورا، فاتبعا القرع بالقرع.

و قلت لمتكلّم من متكلّمى الإماميه يعرف بعليّ بن تقى من بلده النّيل و هل كانت فذكّ إلا نخلا يسيرا و عقارا ليس بذلك الخطير؟ فقال لى: ليس الأمر

كذلك، بل كانت جليله جدًّا، و كان فيها من النخل نحو ما بالكوفه الان من النخل، و ما قصد أبو بكر و عمر بمنع فاطمه عنها إلا يتقوى على بحاصلها و غلتها على المنازعه فى الخلافه، و لهذا اتبعوا ذلك بمنع فاطمه و على و سائر بنى هاشم و بنى المطلب حقهم فى الخمس، فإنّ الفقير الذى لا مال له تضعف همته و يتصاغر عند نفسه و يكون مشغولا بالاحتراف و الاكتساب عن طلب الملك و الرئاسة، فانظر إلى ما قد وقر فى صدور هؤلاء...

الثالثه إرعاب الناس و تخويفهم إلى حيث ينقادون لحكمهم و يتهيئون لكل ما يقرّونه بعد ذلك من مؤامراتهم، فتشديدهم الأمر على أهل بيت النبى إلى حيث هدّوهم بإحراق بيتهم أو أشعلوا النار فى باب فاطمه عليها السّلام و فى روايات عدّه أنّهم ضربوها بالسياط تقرير لهذه السياسه الحديديه الناريه التى يرتكبها الطامعون فى استقرار حكومتهم و كبج مخالفيهم.

قال فى الشرح المعتزلى «ص ٢٨٣ ج ١٦ ط مصر»: فيما نقله عن السيّد المرتضى فى جواب قاضى القضاة: فأما قوله إنّ حديث الإحراق لم يصحّ، و لو صحّ لساغ لعمر مثل ذلك فقد بيّنا أنّ خبر الإحراق قد رواه غير الشيعة و قوله أنّه يسوغ مثل ذلك، فكيف يسوغ إحراق بيت على و فاطمه عليها السّلام و هل فى ذلك عذر يصغى إليه أو يسمع، و إنّما يكون على و أصحابه خارقين للاجماع و مخالفين للمسلمين لو كان الاجماع قد تقرّر و ثبت، و ليس بمتقرّر و لا ثابت مع خلاف على و حده فضلا عن أن يوافقه على ذلك غيره...

و تهديد أبى بكر للناس و خصوص الأنصار الذين هم العدّه و العدد و صاحبوا الدار و الجنن يظهر من ذيل خطبته السابقه «ص ٢١٥ ج ١٦ ط مصر»:

ثمّ التفت إلى الأنصار فقال: قد بلغنى يا معشر الأنصار مقال سفهائكم، و أحقّ من لزم عهد رسول الله أنتم، قد جائكم فاوئتم و نصرتم، ألا أنّى لست باسطا يدا و لا لسانا على من لم يستحقّ ذلك منّا، ثمّ نزل، فانصرفت فاطمه عليها السّلام إلى منزلها.

ص: ١١٥

قال الشارح المعتزلي في ضمن ما سأله عن النقيب أبي يحيى «قلت: فما مقاله الأنصار؟ قال: هتفوا بذكر علي فخاف من اضطراب الأمر عليهم، فنهاهم».

و بهذه السياسه الحديديه المقرونه بأشد الارعاب أحمدا نار الثوره الفاطميه التي أشعلتها عليهم بخطبتها الرثانه الفائقه و تمسكوا بالملك و الخلافه بكلّ قوه و شده، و سيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون.

الترجمه

از نامه آن حضرت عليه السلام است که بعثمان بن حنیف انصاری نگاشته - عثمان ابن حنیف کار گزار آن حضرت بود بر استان بصره، و از وی به آن حضرت گزارش رسیده بود که برای صرف ولیمه جشن جمعی از مردم بصره دعوت شده و این دعوت را پذیرفته و در آن ولیمه شرکت کرده، و در ضمن نامه بدو نوشته است:

أما بعد أي زاده حنیف، بمن خبر رسیده که مردی از جوانان اهل بصره از تو بر سر خوان مهمانی دعوت کرده و توهّم بدان شتافتی، خوراکهای رنگارنگ برایت آورده اند و قدحهای چند در برابرت چیده اند (تو حریصانه از آنها خوردی و استخوانهای گوشت را بدنندان پاک کردی).

من گمان نمی بردم تو پذیرای دعوت مردمی شوی بر سر خوان خوراکشان که بینوایان آنها گرسنه اند و توانگرانشان دعوت شده اند، بنگر از این آخر دنیا چه می جوی، آنچه را یقین نداری که حلال است بدور انداز و از آنچه یقین می دانی حلال است استفاده کن.

هلا براستی که هر مأمومی را امامی است که از او پیروی کند و از پرتو دانشش روشنی گیرد، هلا براستی امام و پیشوای شما از دنیای خود بدو پاره کرباس و دو قرصه نان جوین قناعت کرده، معلومست که شما نتوانید چنین زندگی کنید و تا این اندازه قناعت ورزید، ولی بورع و کوشش خود در کار دین بمن کمک کنید، و با پارسائی و درستکاری مرا مدد کنید، بخدا سوگند، من از دنیای شما گنجینه زری نیندو ختم و از دست آوردهای آن بری برنگرفتم، و ذخیره و پس اندازی نیندو ختم، و برای

کهن جامه تن خود پارچه کرباسینی آماده نساختم، و از زمین این دنیا یک وجب بچنگ نیاوردم، و از این دنیا جز قوتی اندک باندازه خوراک ماده الاغی پشت ریش بر نگرفتم، و هر آینه این دنیا در چشم من سست تر و پست تر است از دانه بلوطی گرف و نامطبوع.

آری در زیر دست ما تنها یک فدک بود از هر آنچه آسمان بر آن سایه دارد و دل‌های مردمی بر آن دریغ آورد و دل‌های دیگران بر آن بخششگر شد و از دست ما ربوده گردید، و چه خوب دادگری است خداوند، مرا چه کار است با فدک یا جز فدک با این که منزل فردای هر کس گور است، گوری که در تاریکیش آثار و کردار هر کس منقطع می گردد و اخبارش نهان می شود گودالی که اگر در میدانش بیفزایند و دست حفّارش پهن‌آور سازد سنگ و کلوخش تنگ سازد و خاک‌های انباشته سوراخ و روزنش را مسدود سازد، همانا منم و این نفس سرکشم که بوسیله تقوی و پرهیزکاری آنرا سوقان می دهم تا بلکه در روز هراس بزرگتر در آسایش باشد و بر اطراف پرتگاه دوزخ پابرجا و استوار گذر کند.

بقیه من المختار الرابع و الاربعین من کتبه علیه السلام

اشاره

و لو شئت لاهتدیت الطّریق إلى مصفّی هذا العسل، و لباب هذا القمح، و نسائج هذا القزّ، و لكن هیّات أن یغلبنی هوای، و یقودنی جشعی إلى تخیر الأّطعمه و لعلّ بالحجاز أو الیمامه من لا طمع له فی القرص، و لا عهد له بالشّبع!! أو أبیت مبطانا و حولی بطون غرثی، و أكباد حرّی، أو أكون كما قال القائل:

و حسبک داء [عاراً] أن تبت بیطنه و حولک أكباد تحنّ إلى القدّ.

ص: ۱۱۷

أَقْنَع من نفسى بأن يقال أمير المؤمنين و لا- أشاركهم فى مكاره الدّهر؟ أو أكون أسوه لهم فى جشوبه العيش، فما خلقت ليشغلنى أكل الطّيبات كالبهيمة المربوطه همّها علفها، أو المرسله شغلها تقمّمها تكثرش من أعلافها، و تلهو عمّا يراد بها، أو أترك سدى، أو أهمل عابثاً، أو أجّر حبل الضّلاله، أو أعتسف طريق المتاهه.

اللغه

(القمح): الحنطه: (الجشع): أشدّ الحرص، (المبطان)، الّذى لا يزال عظيم البطن من كثره الأكل، فأما المبطن: فالضامر البطن، و أمّا البطين فالعظيم البطن بالخلقه، و أمّا البطن: فهو الّذى لا- يهّمه إلّا- بطنه، و أمّا المبطون فالعليل البطن، (و البطون الغرثى): الجائعه، (البطنه): الكظّه، و ذلك أن يمتلى الانسان من الطّعام امتلاء شديداً، (القّد): إناء من جلد يدّخر فيها الغذاء أو بمعنى القديد: اللحم المشوى المقدّد الّذى يجفّ بالشّمس و يدّخره أهل البادية يتغذّون به (التقمّم): أكل الشاه ما بين يديها بمقمّمها أى بشفّتها (تكثرش من أعلافها): أى تملأ كرشها من العلف، و الكرش للشاه بمنزله المعده للإنسان، و يقال (أجررته) رسنه: أى أهملته، (الاعتساف): السلوك فى غير طريق (المتاهه): أرض يتاه فيها لعدم وجود الطريق.

الاعراب

هيهات اسم فعل بمعنى بعد، بالحجاز جار و مجرور متعلّق بفعل مقدّر و الجملة خبر مقدم لقول لعلّ، و من لا طمع له اسم لها، أو أبيت، عطف على قوله يغلبنى و منصوب مثله، حولى، ظرف مستقر خبر لقوله بطون غرثى و الجملة حالیه عن الضمير فى قوله أبيت، همّها علفها، جملة حالیه عن البهيمة، شغلها تقمّمها

ص: ١١٨

مبتدأ و خبر و الجملة حال عن المرسله، أو اترك سدى عطف على قوله يشغلنى و كذلك قوله اهمل و اجرّ و اعتسف.

المعنى

يُنّ عليه السّلام فى هذا الفصل من كتابه إلى عثمان بن حنيف أنّ تجنّبهُ عن الأكل الطيّب الهنيء و القناعه بقرصين جافين من شعير ليس من الضروره لعدم القدره على ما زاد من الماكل الهنيئه، و أشار إلى اقتداره على أطيب الأكل و أهنى العيش من وجوه:

١ - من فوائد ما استنبطه من العيون و ما غرسه من النّخيل فى ينبع أيام اعتزاله فى المدينه و اشتغاله بالحرث و الزراعه فى نواحيها، فمن ضياعه العين المعروفه بعين نيزر أحد مواليه المشتغلين بالزراعه من قبله عليه السّلام فى ينبع، فقد ورد فى الحديث أنه حضر يوما يحفر فيه بئرا فأصاب حجرا فألقى عليه السّلام ردائه و أخذ المعول و ضرب الحجر حتّى كسره فطلع من تحته عين ماء كأنها عنق البعير.

و فى حديث آخر: أنّ مغيره بن شعبه مرّ عليه عليه السّلام يوما و قد ركب بعيرا و تحته حمل فقال له عليه السّلام: ما تحتك يا على؟ فأجابه: مائه ألف نخله إن شاء الله فكان يحمل نوايا التمر ليغرسه.

و على الجملة كان له عليه السّلام ضياع و نخيل أنشأها و جعلها صدقه و صرفها على الفقراء.

٢ - أنّه عليه السّلام يقدر على الاحتراف و الكسب بوجوه شتى و يهتدى إلى تهيه أطيب العيش من كدّ يده مضافا إلى ما يستحقه من العطايا و الحقوق من بيت المال و هو رئيس المسلمين و أمير المؤمنين، فيقدر على ما يريد من العيش الرّغيد، و لكنّه ترك ذلك و لازم الزّهد و الرياضه ليكون اسوه للزاهدين.

بقية من المختار الرابع و الاربعين من كتبه عليه السّلام

اشاره

و كأتى بقائلكم يقول: إذا كان هذا قوت ابن أبى طالب فقد قعد

ص: ١١٩

به الضّعف عن قتال الأقران، و منازل الشّجّان؟! ألا و إنّ الشّجره البرّيه أصلب عودا، و الرّوائع الخضره أرقّ جلودا، و النّباتات العذيه [و النّباتات البدويّه] أقوى وقودا و أبطأ خمودا! و أنا من رسول الله كالصّينو من الصّينو و الذّراع من العضد، و الله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها، و لو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها، و سأجهد في أن أطهر الأرض من هذا الشّخص المعكوس، و الجسم المركوس حتّى تخرج المدره من بين حبّ الحصيد.

اللغة

(الأقران): جمع قرن و هو الكفو في المبارزه و القتال، (الشجره البرّيه):

الّتي تنبت في البرّ الذي لا ماء فيه، (الرّوائع): جمع رائعه و هي الشجره النابتة على الماء، (النّباتات العذيه) بسكون الذال: الزرع لا يسقيه إلّا ماء المطر، (الصنو):

إذا خرجت نخلتان أو أكثر من أصل واحد فكلّ واحد منها هي صنو أو صنو، (ركس) ركسا الشيء: قلب أوله على آخره.

المعنى

كان المخالفون لعلّي عليه السّلام يعترضون عليه حتّى في زهده و رياضته و يذمّون قلّه أكله باعتبار أنّه مخلّ بما يجب عليه من وظيفه الجهاد و الدفاع عن العدو، لأنّه موجب لضعفه و قلّه مقاومته تجاه العدو الشجاع اللدود، و كأنّه ارتفع صدى هذا الاعتراض من الكوفه إلى البصره فتذكّر عليه السّلام في هذا الكتاب وجه الدفاع عنه بقوله: (ألا و إنّ الشجره البرّيه أصلب عودا و الرّوائع الخضره أرقّ جلودا).

و يمكن أن يكون هذا الكلام جوابا عن اعتراض ربما يرد على تحريص

ص: ١٢٠

أصحابه بالزهد و قله الأكل و المواظبه على جشوبه العيش، فدفعه عليه السلام بأن القوه و الشجاعه ذاتيه للمؤمن و لا تتوقف على تقويه الجسم بالأغذيه اللذيذه.

ثم أُيد سيرته هذه بمتابعته للنبي صلى الله عليه و آله فقال: (أنا من رسول الله) كغصنان من أصل واحد فأصلهما عبد المطلب عليه السلام تفرع منه عبد الله أبو النبي و أبو طالب أبو علي عليه السلام أو أنهما مشتقان من أصل نورى واحد فى تسلسل الوجود و انبعائه عن المصدر الأزلى كما فى غير واحد من الأخبار، و عن النبي صلى الله عليه و آله قال: أنا و علي من شجرة واحده و سائر الناس من شجرة شتى. و هذه الروايه تؤيد النسخه التى روت قوله (كالصين من الصين) بالصّاد المهمله بعدها نون معجمه.

و نسخه شرح ابن أبى الحديد «٢٨٩ ج ١٦ ط مصر»: «كالضوء من الضوء» بالصّاد المعجمه، و بهذا الاملاء فسره فى شرحه فقال: (ص ٢٩٠) و ذلك لأنّ الضوء الأوّل يكون علّه فى الضوء الثانى، ألا ترى أنّ الهواء المقابل للشمس يصير مضيئا من الشمس، فهذا الضوء هو الضوء الأوّل.

ثمّ إنّه يقابل وجه الأرض فيضىء وجه الأرض منه، فالضوء الذى على وجه الأرض هو الضوء الثانى، و ما دام الضوء الأوّل ضعيفا فالضوء الثانى ضعيف، فإذا ازداد الجوّ إضاءة ازداد وجه الأرض إضاءة لأنّ المعلول يتبع العلّه، فشبه عليه السلام نفسه بالضوء الثانى، و شبه رسول الله صلى الله عليه و آله بالضوء الأوّل، و شبه منبع الأضواء و الأنوار سبحانه و جلّت أسماؤه بالشمس التى توجب الضوء الأوّل، ثمّ الضوء الأوّل يوجب الضوء الثانى، و ها هنا نكته و هى أن الضوء الثانى يكون أيضا علّه لضوء ثالث، و ذلك أنّ الضوء الحاصل على وجه الأرض - و هو الضوء الثانى - إذا أشرق على جدار مقابل ذلك الجدار قريبا منه مكان مظلم، فإنّ ذلك المكان يصير مضيئا بعد أن كان مظلمًا.

أقول: قد اعتبر الشارح المذكور لفظه من فى كلامه نشويّه فيصير المعنى و أنا من رسول الله كالضوء الناشى من الضوء، و استفاد منه تسلسل أنواع العلوم و الافاضات إلى سائر الناس بوساطته جيلا بعد جيل إلى أن يضعف و يضمحلّ و يعود

ص: ١٢١

الإسلام غريبا، و يمكن استفاده تسلسل الإمامه منه نسلا بعد نسل كما هو معتقد الاماميّه و لا يلزم أن يكون الضوء الثانى أضعف من الضوء الأول إذا تساوت القابليّات و الانعكاسات المثاليه كما لا يخفى.

ثمّ التفت عليه السّلام إلى شجاعته فى ذات الله و أنّه لا يخاف تظاهر العرب تجاهه و بين أنّهم ارتدّوا عن الإسلام و صاروا كالمشركين يجب قتالهم و تطهير الأرض من وجودهم و أنّ من يجاهد الكفّار يجب عليه أن يغلظ عليهم و يستأصل شافتهم، و أشار إلى معاويه رأس النفاق و الشقاق و وصفه بأنّه شخص معكوس انقلب على وجهه و ارتدّ عن حقيقه إنسانيته، و سقط فى مهوى شهواته حتّى أثر باطنه فى ظاهره فصار جسمه مركوسا إلى ظلمات الطبيعه و دركات الهوى و البهيميه، فوجوده بين المسلمين كالمدره بين حبّ الحصيد يوجب الفساد و يضلّ العباد قالوا: و إلى ذلك وقعت الاشاره بقوله تعالى: «أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»: ٢٢ - الملك.

بقية من المختار الرابع و الاربعين من كتبه عليه السلام

اشاره

إليك عنى يا دنيا فحبلك على غاربك، قد انسللت من مخالبك، و أفلتت من حبالك، و اجتنبت الدّهاب فى مداحضك أين القرون المّدين غررتهم بمداعبك؟ أين الأمم المّدين فتنتهم بزخارفك؟ ها هم رهائن القبور، و مضامين اللّحد، و الله لو كنت شخصا مرثيا، و قالبا حسّيا، لأقمت عليك حدود الله فى عباد غررتهم بالأمانى، و أمم أقيتهم فى المهاوى، و ملوك أسلمتهم إلى التّلف، و أوردتهم موارد البلاء، إذ لا ورد و لا صدر.

ص: ١٢٢

هيهات من وطىء دحضك زلق، و من ركب لججك غرق، و من ازورّ عن حبالك وفق، و السّالم منك لا يبالى إن ضاق به مناخه، و الدّنيا عنده كيوم حان انسلاخه.

أعزبى عنّى فوالله لا أذلّ لك فتستذلّينى، و لا أسلس لك فتقودينى، و أيم الله - يمينا أستثنى فيها بمشيئه الله - لأروضنّ نفسى رياضته تهشّ معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوما، و تقنع بالملح مأدوما، و لأدعنّ مقلتى كعين ماء نصب معينها مستفرغه دموعها، أ تملئ السّائمه من رعيها فتبرك؟ و تشبع الرّبيضه من عشبها فتربض؟ و يأكل علىّ من زاده فيهجع؟ قرّت إذا عينه إذ اقتدى بعد السّنين المتطاولة بالبهيمه الهامله، و السّائمه المرعيه! طوبى لنفس أدّت إلى ربّها فرضها، و عركت بجنبها بؤسها، و هجرت فى اللّيل غمضها، حتّى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها و توسّدت كفّها، فى معشر أسهر عيونهم خوف معادهم، و تجافت عن مضاجعهم جنوبهم، و همهمت بذكر ربّهم شفاههم، و تقشّعت بطول استغفارهم ذنوبهم «أولئك حزّب الله ألا إنّ حزّب الله»

ص: ١٢٣

«هُمُ الْمُفْلِحُونَ» ٢٢ - المجادلہ». فَاتَّقِ اللَّهَ يَا ابْنَ حَنِيفٍ، وَتَكْفِكَ أَقْرَاصَكَ، لِيَكُونَ مِنَ النَّارِ خَلَاصَكَ.

اللغة

(الغارب) جمع غوارب: الكاهل، أو بين الظهر أو السنام والعنق، حبلك على غاربك: كناية من كنايات الطلاق، أى اذهبى حيث شئت، لأنَّ الناقه إذا القى حبلها على غاربها فقد فسح لها أن ترعى حيث شاءت و تذهب حيث شاءت.

(المخالب) جمع مخلب و هى للطيور الجوارح، (المداحض): المزلق، (المداعب) جمع مدعبه: الدعابات، (زخارف) جمع زخرف: ما يترزين به، (رهائن) جمع رهينه و هى الوثيقة، (مضامين): أى الذى تضمّنّتهم القبور فاستعارها للموتى لشبههم فى اللحد بالأجنّة فى بطون الأمّهات، (المهاوى) جمع مهواه: المهلكه، (الدحض): المكان الزلق، (ازورّ): تنحّى، (مناخ البعير):

مبركه، (اعزبى): ابعدى، (اسلس): انقاد، (ايم الله): من صيغ الحلف، (تهشّ): تفرح (نضب): غار فى الأرض، (ماء معين): جار على وجه الأرض، (فتبرك): أى تنام، (الريضة): جمع الغنم (فيهجع): فينام، (البهيمه الهامله): المسترسله المهمله من الزمام، (السائمه المرعيه): جمع الغنم مع الراعى، (عركت بجنبها): أى تحمل الشدّه فى العبادہ ناقلا من جنب إلى جنب.

المعنى

كتب على عليه السلام هذا الكتاب إلى أحد عمّاله فى ناحيه كبيره من دار حكومته الواسعه و هو فى ابان قدرته و على عرش حكومته الاسلاميه التى حازها بحقّ، فينبغى أن يتوجّه إليها و يطمئنّ بها، و لكن يتوجّه إلى أنّها مظهر من مظاهر الدنيا الغراره الفتّانه يكاد يغلب عليه بهرجها و زينتها و عواملها الخلاعه الخلابه

ص: ١٢٤

من توجّه عموم الناس إلى بابه، و من انقياد الامراء و الحكّام و الضابطين إلى جنبه، و من ورود سيل الخراج و الأموال و الغنائم من شتى نواحي البلاد الاسلاميّة تحت يده، فمن هو الرجل الذي لا يغرّ بهذه المظاهر الفتّانه الدنيويّه و يقدر على ضبط نفسه عن التأثير بها و الافتتان منها، فكان عليه السّلام يلقّن بهذه الجمل النافذه كره الدنيا و كيدها و غرورها و عواقبها على نفسه و على قلوب أعوانه و حكامه و يطرد الدنيا عن حوله و عن فنائه بقوله عليه السّلام: (إليك عنّي يا دنيا) فأنت مطلقه عنّي لا سبيل لك إلّى، و يهدّدها أشدّ التهديد بأنّها لو كانت جسما محسوسا كالواحد من البشر يقيم عليها الحدّ و يعرضها للمجازات بما ارتكبتها من الخلاف فى حقّ ذوبها:

١ - بجرم التغرير و إرائه ما لا واقع له لطلابها فكانت مدلّسه يتوجّه إليها مجازات التدليس.

٢ - التسبب إلى الهلاك و التلف لأبنائها و جرّهم إلى موارد البلاء و الدمار.

ثمّ يبيّن أنّه لا نجاه لمن غرّبها و صار فى طلبها فليس لها إلّا مزالق هائله و لجج مهلكه، فمن سلم عنها فهو على طريق النجاه، و إن ضاق عليه أمر الدنيا، فإنّ الدنيا لمحّه يسيره تنصرم عاجلا- و يفوز المؤمن السالم فيها عن مكائدها إلى الفوز الأبديّ و الراحة الطويله.

ثمّ يبيّن عليه السّلام سيرته فى معيشه الدنيا مقرونا بالحلف باللّهِ تعالى فى التمسك بالرياضه و تقليل الطعام إلى حيث يفرح نفسه بأكل قرصه من الشعير لسدّ جوعتها و تقنع بالملح للإدام، و مع ذلك يبكى من خشية اللّهِ و موقف الحساب إلى حيث ينضب عينه من الدموع، و أشار إلى أنّ النفس الانسانيّه أشرف من الاقتداء بالبهائم من الابل و البقر و الغنم فى الأكل و طلب الراحة، فلا بدّ من حفظ الامتياز، و هو ملازمه الجوع و الخوف من اللّهِ و العباده فى جوف الليل، و الهمهمه بذكر اللّهِ بالشفاه، و غسل الذنوب بالاستغفار فى باب اللّهِ.

ص: ١٢٥

إشاره

و من كتاب له عليه السلام الى بعض عماله

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ مَمَّنْ أَسْتَظْهَرُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ، وَ أَقْمَعُ بِهِ نَخْوَةَ الْأَثِيمِ، وَ أَسَدُّ بِهِ لِهَاهِ الشَّجَرِ الْمَخُوفِ، فَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ عَلَى مَا أَهَمَّكَ، وَ أَخْلُطِ الشَّدَّةَ بَضْعًا مِنَ اللَّيْنِ، وَ ارْفُقْ مَا كَانَ الرِّفْقُ أَرْفَقَ، وَ اعْتَرِّمْ بِالشَّدَّةِ حِينَ لَا يَغْنَى عَنْكَ إِلَّا الشَّدَّةُ وَ اخْفُضْ لِلزَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ، وَ ابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ، وَ أَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَ آسَ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَ النَّظَرَةِ وَ الْإِشَارَةِ وَ التَّحِيَّةِ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعِظْمَاءُ فِي حَيْفِكَ، وَ لَا يَيْأَسَ الضَّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ، وَ السَّلَامُ.

اللغة

(أستظهر): أجعلك كظهرى أتقوى بك، (النخوة): الكبر، (الأثيم):

المخطئ المذنب، (اللهات): ما بين الفكين الأعلى و الأسفل، و هى كناية عن هجوم العدو كالسبع فاتحا فاه لأخذ الصيد، (الضغث): النصيب من الشئ يختلط بغيره.

الاعراب

ما كان الرفق: ما مصدرية زمانية و كان صلتها، حتى لا يطمع: لفظه حتى تفيد التعليل.

ص: ١٢٦

لم يشر الشراح إلى من كاتبه عليه السّلام بهذا الكتاب و إلى من خاطبه بهذه التوصيات الحكيمه، و لكن يستفاد من قوله عليه السّلام (و أسدّ به لهاه الثغر المخوف) أنّه كان من الأمراء و العَمال المرابطين في أحد الثغور الهامّة الهائله، و الثغور التي لا بدّ من مراقبه منها في عصر حكومته على قسمين: منها ما كانت بين المسلمين و الكفار من ناحيه المشرق و المغرب، و منها ما كان بين المؤمنين و الفسّاق في داخل البلاد الاسلاميه كثغور الشام و العراق، فإنّ معاويه يحكم في قطعه واسعه من البلاد الاسلاميه تمتدّ من شمال الجزيره إلى نواحي العراق، و كان يراقب الغرّه من المجاهدين المؤمنين الذين يطيعون عليّاً للفتك بهم و التسلّط على ما في يدهم كما فعله بحسّان بن حسان البكري عامل عليّ عليه السّلام على أنبار، و ربما يشعر قوله عليه السّلام (و اقمع به نخوه الأثيم) على الوجه الثاني كما أنّ قوله عليه السّلام «لهاه الثغر المخوف» لا يخلو من ايماء إلى ذلك فإنّ الثغور الداخليه حينئذ كانت أخوف من الثغور الخارجيه المجاوره مع الكفّار، و قد ارتكب معاويه أيّام الهدنه المضروب به طيله سنه في قضيه الحكمين من العيث و الفساد في نواحي العراق و الحجاز ما لا يرتكبه الكفّار في الثغور الاسلاميه الخارجيه.

و قد أمر عليّ عليه السّلام عامله على محافظه امور ثلاثه:

١ - الاعانه على إقامه الدين الذي هو برنامج تربيته المسلمين مادّه و معنا.

٢ - قمع العصاه و المخالفين الذين يريدون الفساد و الافساد في حوزة المسلمين.

٣ - المراقبه على الثغر الاسلامي و الدفاع عن هجوم الأعداء، و أمر عامله بالاستعانه على ما يهّمه من الله تعالى و الاستمداد من سياسته ذات جهتين مخلوطه و مرّكبه من الرفق و الشّدّه و اللين و الضغط، بحسب ما يعترضه من الحوادث و العوارض تجاه العدو و المخالف، فإنّ مدار التدبير و السياسه على الانذار و التبشير و الاحسان و التقدير كما قال الشاعر:

ص: ١٢٧

فوضع الندى فى موضع السيف بالعلام مضرّ كوضع السيف فى موضع الندى و وصّاه فى معاملته مع الرعايا المطيعين بمراعاة أربعه امور:

١ - التواضع لهم و خفض الجناح تجاههم لحفظ حرمتهم و عدم إظهار الكبرياء فى وجوههم كما أمر الله نبيه صلى الله عليه و آله فى السلوك مع المؤمنين فقال تعالى: «وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ» ٨٨ - الحجر.

٢ - لقائهم بالبشر و البشاشه و الفرح للدلاله على مودّتهم و لتحكيم رابطه الاخويه معهم ٣ - الاستيناس بهم و التلطف معهم ليطمئنوا برحمه الحكومه و يخلصوا لها ايمانهم بها.

٤ - المواساه بينهم و رفع التبعض بحيث ينسلكون فى نظم الأخوه الاسلاميه كملا، و لا يطمع العظماء و أرباب الثروه و النفوذ فى سوء الاستفاده من الحاكم فى الظلم على الضعفاء، و لا يئس الضعفاء من عدل الحاكم و الشكايه عن الظالم.

الترجمه

در نامه ای بیکی از کارگزاران خود چنین می نویسد:

أما بعد، تو یکی از کسانی هستی که من برای پایدار کردن دین بدانها پشت گرم هستم، و سر بزرگی گنهکار را بوسیله آنها می گویم، و مرز معرض هجوم و بیمناک را مسدود می سازم، از خدا در کارهائی که بعهده تو است یاری بجو، سخت گیری را با اندکی نرمش در آمیز، تا آنجا که نرمش برای پیشرفت کارت هموارتر است نرمش کن، و چون جز سخت گیری چاره ای نماند بر دشمن سخت گیر.

در برابر رعیت فرمانبر تواضع پیشه کن و بزرگی بدانها مفروش، با خوشروئی با آنها روبرو شو، و آنانرا بخود راه بده و مأنوس کن، و مساوات و برابری کامل را میان آنها رعایت کن تا آنجا که نگاه و توجه و اشاره و درود را میان همه پخش کنی و برابری را رعایت کنی تا آنکه بزرگان و ارباب نفوذ در طرفداری و ستم تو طمع نورزند و بوسیله تقرّب بتو بر دیگران ستم نکنند و بینوایان از عدالت و داد خواهیت نومید نگردند، و از شکایت ستمکاران دم در نبندند.

ص: ۱۲۸

و من وصيه له عليه السلام للحسن و الحسين عليهما السلام

لما ضربه ابن ملجم لعنه الله

أوصيكمما بتقوى الله، و أن لا تبغيا الدنيا و إن بغتكما، و لا تأسفا على شيء منها زوى عنكما، و قولاً بالحق، و اعملاً للأجر، و كونا للظالم خصماً، و للمظلوم عوناً. أوصيكمما و جميع ولدى و أهلى و من بلغه كتابى بتقوى الله، و نظم أمركم، و صلاح ذات بينكم، فإننى سمعت جده كما - صلى الله عليه و آله - يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامه الصلاه و الصيام. الله الله فى الأيتام، فلا تغبوا أفواههم، و لا يضيعوا بحضرتكم و الله الله فى جيرانكم، فإنهم وصية نبيكم، ما زال يوصى بهم حتى ظننا أنه سيورثهم، و الله الله فى القرآن، لا يسبقكم بالعمل به غيركم و الله الله فى الصلاه فإنها عمود دينكم، و الله الله فى بيت ربكم، لا تخلوه ما بقيتم، فإنه إن ترك لم تناظروا، و الله الله فى الجهاد بأموالكم و أنفسكم و ألسنتكم فى سبيل الله، و عليكم بالتواصل و التبادل و إياكم و التدابر و التقاطع، لا تتركوا الأمر بالمعروف و النهى

ص: ١٢٩

عن المنكر، فيولّي عليكم أشراركم، ثمّ تدعون فلا- يستجاب لكم. ثمّ قال: يا بني عبد المطلب لا- ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً تقولون: قتل أمير المؤمنين، قتل أمير المؤمنين، ألا- لا- تقتلنّ بي إلّا قاتلي. انظروا إذا أنا متّ من ضربته هذه فاضربوه ضربه بضربه، ولا- يمثّل بالرجل فإنّي سمعت رسول الله - صَلَّى الله عليه وآله - يقول: «إياكم والمثله ولو بالكلب العقور».

اللغة

(لا تبغيا): لا تطلبا، (زوى عنكما): قبض عنكما، (صلاح ذات البين):

الصلح بينكم و ترك الخصومه و ذات ها هنا زائده مقحمه، (لا تغبوا أفواههم):

لا تطعموهم يوما بعد يوم فتجيعوهم، (لم تناظروا): عجل لكم البلاء و الاستيصال، (المثله): قطع الاعضاء.

الاعراب

الله الله: منصوب على التحذير أى اتّقوا الله، إيّاكم و التدابر: مفعول لمحذوف على التحذير.

المعنى

هذه وصيّة عامّة لأهل بيته و غيرهم من المسلمين نظمها فى اثنتى عشره مادّه و قدّم عليها وصيّة خاصّه لولديه الحسن و الحسين عليهما السّلام فى ستّ موادّ تاليه:

١ - ملازمه التقوى ٢ - ترك طلب الدنيا و إن أقبلت ٣ - ترك التأسّف على فوت امور الدنيا مهما كانت ٤ - ملازمه القول بالحقّ ٥ - العمل للثواب و إدراك أجر الاخره ٦ - الخصومه مع الظالم و عون المظلوم للدّفاع عنه.

ص: ١٣٠

١ - ملازمه التقوى ٢ - التزام النظم فى كلّ الامور، فإنّ عدم رعايه النظم يوجب عدم الوصول إلى المارب و الحوائج.

٣ - إصلاح ذات البين و ترك الخصومه و النزاع و النفاق.

٤-رعايه الأيتام فى حفظ مالهم و تغذيتهم و تربيتهم و هو الغير البالغ الذى فقد أباه، قال الشارح المعتزلى: و الظاهر أنّه لا يعنى الأيتام الذين لهم مال تحت أيدي أوصيائهم، لأنّ أولئك الأوصياء محرّم عليهم أن يصيبوا من أموال اليتامى إلّا القدر النزر جدّا عند الضروره ثم يقضونه مع التمكن، و من هذه حاله لا يحسن أن يقال له: لا تغيروا أفواه أيتامكم، و إنّما الأظهر أنّه يعنى الذين مات آبائهم، و هم فقراء يتعيّن مواساتهم، و يقبح القعود عنهم، كما قال تعالى:

و يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَ يَتِيمًا وَ أَسِيرًا « ٨ - الدهر » و اليتم فى الناس من قبل الأب، و فى البهائم من قبل الأم - إلى أن قال - و لا يسمّى الصبى يتيما إلّا إذا كان دون البلوغ و إذا بلغ زال اسم اليتم عنه، و اليتامى أحد الأصناف الذين عيّنوا فى الخمس بنصّ الكتاب العزيز.

٥ - رعايه الجيران، فإنّ الجار بمنزله الملتجئ المأمون بالنسبه إلى جاره و من حقّه كفّ السوء عنه و الاحسان و الاعانه بالنسبه إليه، و أبلغ ما روى فى حق الجار ما حدّثه عليه السّلام عن النّبى صلّى الله عليه و آله من قوله (ما زال يوصى بهم حتّى ظننّا أنّه سيورّثهم).

قال فى الشرح المعتزلى: و اللفظ الذى ذكره عليه السّلام قد ورد مرفوعا فى روايه عبد الله بن عمر لما ذبح شاه، فقال: أهديتم لجارنا اليهودى؟ فأتى سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: «ما زال جبرئيل يوصينى بالجار حتّى ظننت أنّه سيورّثه» و فى الحديث أنّ حسن الجوار و صله الرحم يعمران الديار و يزيدان فى الأعمار.

و قد ورد في ذمّ جار السوء أخبار و آثار كثيرة.

٦- ملازمه القرآن تعليماً و تعلّماً و ملازمه العمل به و بأحكامه، و قد حذّر عليه السلام من المسامحه في ذلك إلى حيث يسبق غير المسلمين عليهم في العمل به كما نشاهده الآن من عمل غير المسلمين بأحكام العامّة من الصدق و التعاون و الجدّ في العمل حتّى تقدّموا على المسلمين في كثير من الأمور.

٧ - ملازمه إقامة الصلاة بالجمعه و الجمعة كما هي سنّة الرسول صلّى الله عليه و آله، فإنّها بهذه الكيفيه عمود الدين و ملاك تربيّه المسلمين و جمعهم و تأليف قلوبهم و وحدتهم.

٨ - ملازمه إقامة شعائر الحجّ في كلّ سنه، ليجتمع جميع المسلمين في هذا المعبد الاسلامي العامّ فيتعارفون و يتعاونون و يشدّ بعضهم أزر بعض، فإنّ الحجّ عمود الاجتماع الاسلامي فلو ترك ينثلم الوحده الاسلاميه و لا يناظر المسلمون.

٩ - الجهاد بالمال و النفس و اللسان، فإنّه واجب على كلّ حال بحسب ما اقتضاه الأحوال.

١٠- التواصل و حفظ رابطه مع الاخوان المسلمين في شتى البلاد الاسلاميه و بذل العون بالمال و الحال بعضهم مع بعض.

١١ - ترك التدابر و الهجر و القطيعه فإنّه يوجب المقت و العداوه و سوء الظنّ و التخاذل.

١٢ - ملازمه الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر لردع الاشرار عن أعمالهم السوء و قيام الأبرار باجراء الأمور النافعه للعامّة و الائمّه، فإنّ التسامح فيهما يوجب تسلّط الأشرار و الاستيلاء على موارد القدره و الثروه في الجامعه الاسلاميه و يؤثّر الدعاء في دفعهم لتقصير المسلمين و جرّهم البلاء على أنفسهم.

ثمّ وصّى عشيرته بالاكْتفاء بالقصاص عن القاتل و عدم الأخذ بالظنّه و التهمه و عدم الانتقام من سائر الأئمّه و إن كانوا أعداء و عدم التجاوز على الجاني دون ضربه ارتكبه في قتله.

ص: ١٣٢

چون ابن ملجم ملعون ضربت بر سر آن حضرت زد بحسن و حسین علیهما السلام چنین وصیت کرد:

من بشما وصیت می کنم که پرهیزکار باشید و بدنبال دنیا نروید و گر چه دنیا بدنبال شما آید، بهر چه از دنیا که از دست شما بدر رفت افسوس مخورید، حق بگوئید، برای ثواب آخرت کار کنید، دشمن ظالم باشید و کمک کار مظلوم.

من بشما و همه فرزندان و خاندانم و بهر کس این نامه من بدو رسد وصیت می کنم که:

تقوا پیشه سازید و کارهای خود را منظم دارید و با هم خوب باشید و خوب رفتار کنید زیرا از جد شما صلی الله علیه و آله شنیدم که می فرمود: صلح و صلاح میان مسلمانان بهتر است از همه گونه نماز و روزه.

خدا را، خدا را در باره کودکان پدر مرده، مبادا آنها را گرسنه بگذارید و در حضور شما از میان بروند و نابود گردند.

خدا را، خدا را در باره همسایه های شما که مورد سفارش پیمبر شمایند پیوسته در باره آنان سفارش می کرد تا آنجا که پنداشتیم سهمی از ارث برایشان مقرر خواهد داشت.

خدا را، خدا را در باره قرآن، مبادا دیگران در عمل بدان بر شما پیشدستی کنند.

خدا را، خدا را در باره نماز که ستون دین شما است.

خدا را، خدا را در باره خانه پروردگارتان کعبه معظمه، تا زنده اید آنها وانگذارید زیرا اگر متروک گردد مهلت نخواهید یافت.

خدا را، خدا را در باره جهاد با مال و جان و زبانتان در راه خدا.

بر شما باد که با هم پیوسته باشید و بهم بخشش کنید، مبادا بهم پشت کنید و از هم ببرید، امر بمعروف و نهی از منکر را از دست ندهید که بدان شما بر شما حکمران

گردند و سپس هر چه دعا کنید پذیرفته نباشد و باجابت نرسد، سپس فرمود:

ای زادگان عبد المطلب و هاشمیین، شما را فتنه جو و خونریز نیابم که دست بخون مسلمانان بیالائید و بگوئید: امیر المؤمنین را کشتند، امیر المؤمنین را کشتند «چنانچه معاویه خون عثمان را بهانه کرد و بقتل و غارت مسلمانان پرداخت» نباید بخاطر کشتن من جز کشنده مرا بکشید.

متوجه باشید اگر من بر اثر این ضربت ابن ملجم کشته شدم و وفات کردم از او با یک ضربت قصاص کنید، مبدا آن مرد را مثله کنید و دست و پایش را ببرید، زیرا من خود از رسول خدا صلی الله علیه و آله شنیدم که می فرمود: پرهیزید از مثله گر چه نسبت بیک سگ گزنده باشد.

المختار السابع و الاربعون من كتبه عليه السلام

اشاره

و من كتاب له عليه السلام الى معاوية

و إنّ البغى و الزور يوتغان [يذيعان] بالمرء فى دينه و دنياه و يبدیان خلله عند من يعيبه، و قد علمت أنّك غير مدرک ما قضى فواته و قد رام أقوام أمرا بغير الحق فتأولوا على الله فأكذبهم، فاحذر يوما يغتبط [يغبط] فيه من أحمد عاقبه عمله، و يندم من أمكن الشيطان من قياده فلم يجاذبه. و قد دعوتنا إلى حكم القرآن و لست من أهله، و لسنا إياك أجبناء، و لكنّا أجبناء القرآن فى حكمه، و السلام.

ص: ۱۳۴

(الزور): خلاف الحقّ و يطلق كثيرا على الشهاده الكاذبه، (يوتغان):

يهلكان، و الوتغ بالتحريك الهلاك، و قد وتغ يوتغ وتغا: أى أثم و هلك، (رام):

طلب، (فتأولوا): التّأويل: حمل الكلام على خلاف ما قصد منه فى الظاهر أو حمل المجل على أحد احتمالاته، و فى الشرح المعتزلى: فتالوا، أى حلفوا.

المعنى

قال ابن ميثم: هذا الفصل من كتاب له إليه بعد التحكيم و تمسك معاويه بما حكم به الحكمان و يحتمل أن يكون عند إجابته إلى التحكيم.

أقول: صدر عنه عليه السّلام هذا الكتاب فى مبتدأ حكمه معاويه و استقرار سلطته الظالمه على ناحيه كبيره من البلدان الاسلاميه المتعقبه لتسلّطه على سائر البلاد، و بين أن مبنى حكومته البغى و هو خروجه عن إطاعه الحكومه الحقّه الاسلاميه و عدم إطاعته عن أمير المؤمنين عليه السّلام و ايجاده الفوضى فى بلاد الشام و إغوائه لأهلها مؤيدا بالزور و البهتان الذى تمسك به من الطلب بدم عثمان و تعاون اتباعه معه باتّهام على عليه السّلام بقتله أو معاونته فى ذلك، و نبّهه على أن الحكومه المكتسبه بهذين العاملين توجب هلاكه فى الدين و الدنيا و تبدى مساويه عند أهل النقد و أهل البصيره فى مسير التاريخ، و أشار إلى أنّه لا ينال ما رامه و ما قصد إليه من تقمّصه بخلافه و أماره ظاهره الصلاح عند كافّه المسلمين كحكومته الأوّل و الثانى و أن المسلمين يتنفّرون عنه لمساوى أعماله، أو المقصود أنّه لا يدرك ثار عثمان عمّن قتله، أو المراد أنّه لا يدرك إثبات تهمه على عليه السّلام بدم عثمان لأنّه زور و بهتان معلوم عند المسلمين.

ثمّ بين أن اناسا ممّن يؤيدونه يطلبون السلطنه و الأماره بغير حقّ فتحالفوا على الله على ذلك فأكذبهم، و الظاهر أن المقصود من هؤلاء الأقوام طلحه و الزبير و أشياعهما ممّن حضر البصره و أثاروا حرب الجمل فأكذبهم الله بانهمزاهم و فشلهم، و حذر بهذا التذكّر معاويه و خوّفه من سوء عاقبته و أفاد عليه السّلام

ص: ١٣٥

أَنَّ الشيطان قائده، فلا بدّ له من المقاومة تجاه الشيطان حتّى لا يندم من سوء عاقبته.

ثمّ أشار إلى أنّ دعوته معاوية إلى حكم القرآن كانت خدعه منه و أنّه لا يعتقد بالقرآن و لا يكون من أهله و أنّ أمير المؤمنين و شيعة لم يوافقوا على إجابته و إنّما وافقوا على إجابته حكم القرآن فى أمر الإمامه و الخلافه عن النبىّ صلى الله عليه و آله و حكمه إقرار خلافه علىّ عليه السّلام لنصوص خاصه و عامه تعين إمامته بعد النبىّ صلى الله عليه و آله من الايات الداله على إمامته.

قال ابن ميثم: قوله: و قد دعوتنا - إلى آخره صورته سؤاله و الجواب عنه، و كونه ليس من أهله إذ لم يكن صالحا للإمامه كما سبق بيانه مرارا، و حيث لم يكن أهلا لأن يجاب إلى الرضا بالتحكيم أعلمه بذلك و أنه إنّما أجاب القرآن إلى حكمه و ذلك فى قوله تعالى فى حقّ الزوجين: «و إن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله و حكما من أهلها» الايه، فجعل هذا أصلا و قاس عليه بالطريق الأولى حال الامه عند وقوع الشقاق بينهم، و بعين ذلك احتجّ ابن عباس - رضى الله عنه - على الخوارج حيث أنكروا التحكيم فقالوا: كيف يجوز لعلى أن يحكم فى دين الله الرجال؟ فقال لهم: إنّ ذلك ليس بأمر علىّ عليه السّلام و إنّما هو بأمر من الله تعالى فى كتابه، إذ يقول فى حقّ الزوجين: «و إن خفتم» الايه أفترون أنّه أمر تعالى بذلك فى حقّ الرجل و امرأته مراعاة لمصلحتهما و لا يأمر بذلك فى حقّ الامه رعا لمصلحتهم؟ فرجع كثير منهم إلى قوله، و بالله التوفيق.

أقول: و فى كلامه هذا موارد من النظر:

١ - أنّ مفاد قوله عليه السّلام (و لكنّا أجبتنا القرآن فى حكمه) ليس الإجابة إلى الدّعوه بالتحكيم فى أمر الإمامه على وجه عرضه معاويه، فإنّ الإمامه تشريع إلهى لا يناله رأى البشر، بل المراد الإجابة إلى حكم القرآن فى تعيين أمر الإمامه و بيان أوصاف الإمام ممّا ينطبق عليه عليه السّلام.

٢ - أنّه عليه السّلام لم يرض بالتحكيم و إنّما أكرهوه على ذلك فسكت عمّا يطلبه

ص: ١٣٦

ذووا الباس من جنده حفظا لدماء أهله و خصوصا الحسن و الحسين عليهما السّلام منهم حيث إنّهما إمامان بعده و لا بدّ من بقائهما و تحمّلهما أمر الإمامه على ما قرّره النّبىّ صلّى الله عليه و آله، و قد أوضح عليه السّلام ذلك فيما أجاب به رأس اليهود فى مصاحبته معه عليه السّلام بعد المراجعة من صفّين، كما ذكره الشّيخ الصّدوق رحمه الله فى الباب الرّابعه عشر من الخصال فى ضمن ما يلى به من الامتحان و الابتلاء فى زمان حياه النّبىّ صلّى الله عليه و آله و بعد مماته، فاكّره عليه السّلام على التحكيم أوّلا و على انتخاب أبى موسى الأشعرى حكما ثانيا.

٣ - أنّ قياس الحكميّة فى أمر الإمامه بالحكميّة فى اختلاف الزّوجين قياس مع الفارق من وجوه شتى، فإنّ الاختلاف بين الزّوجين يرجع إلى حقوقهما الخاصّه بهما و لهما الحقّ على إسقاطها و الطلب بها و التراضى عليها بكلّ وجه و لكن أمر الإمامه حقّ إلهى و لا مدخل للرأى و النظر من النّاس فيها، و يرجع إلى كافّه الرّعيّه فكيف يصحّ تحكيم جمع أو أفراد فيه، و ما نقله عن ابن عبّاس لا يصحّ إلّا على وجه الجدال بالأحسن و الاحتجاج على الخصم بما يلتزم به دحضا لشبهته و دفعا لتهمته و إرجاعا له إلى الحقّ بأى وجه تيسّر، و إلّا - فإيه التحكيم بين الزّوجين بمعزل عن الإمامه و الخلافه خصوصا على ما التزم به الاماميّه من أنّها لا يثبت إلّا بالنّص من المعصوم فى حقّ إمام معصوم.

الترجمه

از يك نامه اى كه بمعاوليه نگاشته است:

و راستى كه شورش بر حكومت و گفتار دروغ مرد را در ورطه هلاكت دين و دنيا اندازند و كم و كاستى او را نزد تيز بينان و عيب جويان هويدا سازند.

تو بخوبى مى دانى كه آنچه بحكم قضاي حتمى از دست رفته بدست نتوانى آورد، مردمى بنا حق دنبال كارى و مقامى ناشايست آنها رفتند و با هم بر خداوند هم سوگند شدند و خداوند دروغ آنها را فاش ساخت.

ص: ۱۳۷

بر حذر باش از روزی که بر هر که سرانجامش ستوده و رضایت بخش است رشک برند و هر کس شیطاننش مهار کشیده و در برابرش مقاومتی نکرده و دنبال او رفته پشیمان است و افسوس می خورد.

تو ما را بحکم قرآن دعوت کردی با این که اهل آن نبودی، و ما هم پاسخ گو و پذیرای دعوت تو نبودیم ولی قرآن را در حکم و فرمانش پذیرا هستیم. و السلام.

المختار الثامن و الأربعون من كتبه عليه السلام

اشاره

و من كتاب له عليه السلام الى غيره [الى معاويه أيضا]

أما بعد، فَإِنَّ الدُّنْيَا مشغله عن غيرها، و لم يصب صاحبها منها شيئاً إِلَّا فتحت له حرصاً عليها، و لهجاً بها، و لن يستغنى صاحبها بما نال فيها عمّا لم يبلغه منها، و من وراء ذلك فراق ما جمع، و نقض ما أبرم! و لو اعتبرت بما مضى حفظت ما بقى، و السلام.

اللغة

اللّهج: الحرص الشديد.

المعنى

قال الشارح المعتزلى: و قد ذكر نصر بن مزاحم هذا الكتاب و قال:

إِنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كتبه إلى عمرو بن العاص، و زاد فيه زياده لم يذكرها الرضى: «أما بعد، فَإِنَّ الدُّنْيَا مشغله عن الآخره، و صاحبها منهوم عليها، لم يصب شيئاً منها قطّ إِلَّا فتحت عليه حرصاً، و ادخلت عليه مؤنه تزيده رغبه فيها و لن يستغنى صاحبها بما نال عمّا لم يدرك، و من وراء ذلك فراق ما جمع، و السّعيد من وعظ بغيره، فلا تحبط أجرك أبا عبد الله و لا تشرك معاويه، فى باطله، فَإِنَّ معاويه غمص الناس و سفه الحقّ، و السلام».

ص: ١٣٨

قال نصر: و هذا أوّل كتاب كتبه عليّ عليه السّلام إلى عمرو بن العاص فكتب إليه عمرو جوابه:

أمّا بعد، فإنّ الذي فيه صلاحنا، و ألفه ذات بيننا، أن تنيب إلى الحقّ، و أن تجيب إلى ما ندعوكم إليه من الشورى، فصبر الرّجل منّا نفسه على الحقّ، و عذره النّاس بالمحاجزه، و السّلام.

قال نصر بن مزاحم: فكتب عليّ عليه السّلام إلى عمرو بن العاص بعد ذلك كتابا غليظا و هو الذي ضرب مثله فيه بالكلب يتبع الرّجل، و هو مذكور في نهج البلاغه.

أقول: ما ذكره عن نصر بن مزاحم صريح في أنّ هذا الكتاب موجه إلى غير معاويه و تذكّر بالغ لعمرو بن عاص في الرجوع عن غيّه و هربه عن حباله معاويه فإنّه عليه السّلام نبّه عليّ أنّ مشغله الإنسان على وجهين:

١ - المشغله الروحانيه و الهدف الإنساني المجرّد عن الأميال المادّيه و هي التقرب إلى الله و تحصيل رضاه لأداء شكره و رسم العبوديّة تجاه عظمته ثمّ طلب رضوان الله و نيل المثوبات الاخرويّه و منها رعايه الوجهه الملكيه و السّماويّه الرّاجعه إلى الرّوح الإنسانيّه الّتي هي من عالم القدس و التجرّد، و رعايه الأخلاق الساميه البشريّه من طلب العلم و المعرفه و كشف الحقائق الكونيّه و رموز أنوار الوجود المطلق.

٢ - المشغله الدّنيويّه الشامله لما فيها من الامور المادّيه المتنوّعه كالجمال و الجاه و الانانيّه و كلّما يرجع إلى الغرائز الحيوانيّه من الملاذّ و الشّهوات و المكاره و الأسفات الّتي منشأها كلتا القوّتين الشهويّه و الغضيبيّه، فبيّن عليه السّلام أنّ ما رame مخاطبه بهذا الكتاب سواء كان عمرو بن عاص كما نصّ عليه نصر بن مزاحم أو معاويه أو غيرهما ممّن يتبعهما محبّ للدّنيا و شئونها من الثّروه و القدره و الجاه، و يّين أنّ الدّنيا مشغله موبقه و مهلكه للشاغل بها و للطالب لها لأنّ صاحب الدّنيا كشارب الماء المالح كلّما ازداد شربا ازداد عطشا، و كالمبتلى بمرض الاستسقاء لا يرتوى من شرب الماء.

ص: ١٣٩

قال الشارح المعتزلي: «و الأصل في هذا قول الله تعالى «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا، و لا يملأ عين ابن آدم إلا التراب» و هذا من القرآن الذي رفع و نسخت تلاوته».

مضافا إلى أنّ للدنيا شئون و حوائج لا- تحصي و لا يؤثر نيل شأن من شئونها أو قضاء حاجه من حوائجها عن سائر الشئون و الحوائج. بل كلما نال طالبها حاجه من حوائجها و شأنها من شئونها ازداد حوائج اخرى، فمن نال ثروتها يحتاج إلى حفظه يحفظونها و مخازن تحتويها، و من نال جاهها و ملوكيتها تحتاج إلى خدم و جند و أعوان، ثمّ يئنّ أنّه من نال شيئا منها فلا يبقى له بل يفارقه و ينقطع منه إمّا بفناء ما ناله و زواله و هلاكه، و إمّا بموت صاحبه و طالبه، و عبّر عن الجامع بين الوجهين بقوله (و من وراء ذلك فراق ما جمع و نقض ما أبرم).

الترجمه

أما بعد براستی که دنیا از هر آنچه جز خودش بازدارنده است، دنیادار بچیزی از آن دست نیابد جز آنکه آزش بر آن بیفزاید و دلش بیشتر دربند آن باشد، و هرگز دنیادار بهر آنچه که از آن بدست آرد بی نیاز نگردد از آنچه را که بدان دست نیافته است.

و در دنبال آن همه جدا شدن از هر آنچه است که فراهم آورده و شکست هر آنچه است که محکم ساخته، و اگر تو از آنچه گذشته است عبرت پذیر باشی آنچه را که از عمر و فرصت برایت بجا است غنیمت شماری و نگهداری، و السلام.

المختار التاسع و الاربعون من كتبه عليه السلام

اشاره

و من كتاب له عليه السلام الى امرائه على الجيوش

من عبد الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين إلى أصحاب المسالح:

ص: ١٤٠

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ حَقًّا عَلَى الْوَالِي أَنْ لَا يَغَيِّرَهُ عَلَى رِعْيَتِهِ فَضْلَ نَالِهِ، وَلَا طَوْلَ خَصِّ بِهِ، وَأَنْ يَزِيدَهُ مَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ مِنْ نِعْمِهِ دُنُوًّا مِنْ عِبَادِهِ، وَعُطْفًا عَلَى إِخْوَانِهِ. أَلَا وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدِي أَنْ لَا أُحْتَجَزَ دُونَكُمْ سِرًّا إِلَّا فِي حَرْبٍ، وَلَا أُطَوَّى دُونَكُمْ أَمْرًا إِلَّا فِي حَكْمٍ، وَلَا أُؤَخَّرَ لَكُمْ حَقًّا عَنْ مَحَلِّهِ، وَلَا أَقْفَ بِهِ دُونَ مَقْطَعِهِ، وَأَنْ تَكُونُوا عِنْدِي فِي الْحَقِّ سَوَاءً، فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ وَجِبَتْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ النَّعْمَةُ، وَلِي عَلَيْكُمْ الطَّاعَةُ، وَأَنْ لَا تَنْكُصُوا عَنْ دَعْوِهِ، وَلَا تَفَرِّطُوا فِي صِلَاحٍ، وَأَنْ تَخُوضُوا الْغَمَرَاتِ إِلَى الْحَقِّ، فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا لِي عَلَى ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِمَّنْ أَعُوَجَّ مِنْكُمْ، ثُمَّ أَعْظَمَ لَهُ الْعُقُوبَةَ، وَلَا يَجِدُ عِنْدِي فِيهَا رَخْصَةً، فَخُذُوا هَذَا مِنْ أَمْرَائِكُمْ، وَاعْطُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَا يَصْلَحُ اللَّهُ بِهِ أَمْرَكُمْ، وَالسَّلَامُ.

اللغة

(أصحاب المسالحي): جماعات تكون بالثغر يحمون البيضة، والمسليحه هي الثغر، كالمرغبه، (لا أحتجز): لا أستر، (لا تنكصوا): لا ترجعوا أي لا تردوا الدعوه، (الغمرة): اللجه من البحر يغرق من وقع فيه.

الاعراب

أن لا يغيره: تركيب من لفظه أن الناصبه مع لاء النافيه، وفضل فاعل لقوله

ص: ١٤١

يغيّره، و الجملة خبر فأنّ، و أن يزيد، عطف على قوله: أن لا- يغيّره، و هو خبر لقوله فأنّ أيضا، دنوّا من عباده مفعول ثان لقوله يزيد.

المعنى

كتابه هذا إلى امراء الجيوش، أوّل مصدر تشريعيّ و سند قانونيّ للنظام العسكريّ في الدّولة الإسلاميّة الفتيّة يبيّن فيه الحقوق و النّظامات بين الوالى و هو مقام الرئاسة المطلقة للقوى المسلّحة فى الحكومه مع الامراء و الضّباط و القوّاد الذين بيدهم الأمر فى الحرب و السّلم، و تعرض فى هذا الكتاب للرباطه بين الوالى و الامراء و هم الطبقة الاولى و أصحاب الدرجة العليا من المراتب العسكريّة المعبّر عنهم فى هذا العصر بالفريق، و دونهم درجات و مراتب متنازله إلى أن ينتهى إلى قائد عشره، و من بيان الرّابطه و الحقوق المتبادله بين الوالى و امراء الجيوش يتّضح الحقوق و الروابط بين الامراء و سائر المأمورين و الرّؤساء، و قد بنى الأمر فى هذا المقام على أكمل درجات الديموقراطيه العليا و هو سقوط الرتبه و المزيّه بين الوالى و امراء الجيوش، و بيّن أنّ هذا الفضل الّذى ناله الوالى من ارتقائه إلى مقام الرئاسة بأمر من الله أو بعله اخرى كانتخابه من طرف الرّعيّه يلزم ألاّ يغيّره على الرّعيّه و لا- يثبت له درجه و مزيّه عليهم، بل لا بدّ و أن يزيد ما قسم الله له من نعمته دنوّا من عباده و عطفًا على إخوانه فيكون بينهم كأحد، و قد كان سيرته عليه السّلام مع رعيّته هكذا طول أيام أمارته و ولايته، و هذا هو الدّرجه العليا فى الديموقراطيه لم يبلغ النّظامات الديموقراطيه البشريه إليها بعد.

ثمّ التزم فى مقام ولايته العليا لامراء جيوشه بامور أربعة:

١ - اشتراكهم معه فى الاطلاع على إجراء كلّ أمر إلّا فى بعض الأسرار المتعلّقه بالحرب، فإنّه ربما يلزم إخفائه حتّى عن الأمراء، صيانته عن إفشائه قبل أوانه لئلاّ يطّلع عليه العدو، فكتمان الأسرار الحربيّه من مهام الامور العسكريّه حتّى فى هذه العصور، و قد اكتسب نظره هذا أهمّيّه فى خلال القرون الماضيه إلى هذا العصر، و قد اهتمّ الدّول الكبرى فى إنشاء إدارات هامّه للتجسس و كسب

ص: ١٤٢

الاطلاع عن برامج أعدائهم في الحروب و عن سائر ما يتعلّق بها.

قال ابن ميثم: و يحتمل أن يكون ترك مشورتهم لأمرين:

أحدهما: أنّ أكثرهم ربّما لا يختار الحرب، فلو توقّف على المشوره فيه لما استقام أمره بها، و لذلك كان كثيرا ما يحملهم على الجهاد و يتضجّر من ثقافتهم عليه و هم له كارهون كما سبق.

الثاني: أن يكتّم ذلك خوف انتشاره إلى العدو فيكون سبب استعداده و تأهّبه للحرب، و لذلك كان رسول الله صلّى الله عليه و آله إذا أراد سفرا إلى الحرب ورّى بغيره كما روى أنّه لما نوى غزاه بدر كتب للسريّه كتابا و أمرهم أن يخرجوا من المدينه إلى صوب مكّه يومين أو ثلاثه أيام، ثم ينظروا في الكتاب و يعملوا بما فيه. فلمّا ساروا المدّه نظروا فيه فاذا هو يأمرهم بالخروج إلى نخله محمود و أن يفعلوا كذا و كذا ففعلوا و خرج النبيّ صلّى الله عليه و آله خلفهم إلى بدر و كان الظفر لهم و لو أعلمهم حين أمرهم بالخروج أنّه يسير إلى قريش لا تنشر ذلك إلى قريش و كان استعدادهم لهم أقوى، و جاز أن يكون ذلك أيضا مانعا لبعض الصحابه عن التّهوض خوفا من أهل مكّه و شوكتهم.

أقول: في حمل كلامه هذا على ترك المشوره معهم نظر، فإنّ اخفاء بعض الامور الحربيه غير ترك المشوره، مع أنّ حروبه في الجمل و صفين و نهروان كان مع الشور و الاطلاع.

و أما ما ذكره من إخفائه صلوات الله عليه أمر بدر فلا يوافق ما ذكر ابن هشام في سيرته قال: في (ص ٣٦٩ ج ١ ط مصر) عن ابن عباس في حديث بدر قالوا:

لما سمع رسول الله صلّى الله عليه و آله بأبى سفيان مقبلا من الشام ندب المسلمين إليهم فقال:

هاهي غير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعلّ الله ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم و ثقل بعضهم و ذلك أنهم لم يظنوا أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله يلقي حربا...

نعم ذكر في غزوه تبوك ما يلي: إنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الرّوم، و ذلك في زمن عسره من الناس و شدّه من الحرّ و جذب من البلاء،

ص: ١٤٣

و حين طابت الثمار، و الناس يحبون في ثمارهم و ظلالهم، و يكرهون الشّخوص على الحال من الزّمان الّذى هم عليه، و كان رسول الله صلّى الله عليه و آله قلّما يخرج في غزوه إلّا كُنّي عنها و أخبر أنّه يريد غير الوجه الّذى يصمد له إلّا ما كان من غزوه تبوك فإنّه بيّنها للنّاس لبعده الشّقه و شدّه الزّمان و كثره العدو الّذى يصمد له ليتأّهب النّاس لذلك اهبتهم فأمر النّاس بالجهاد و أخبرهم أنّه يريد الرّوم...

٢ - عدم استقلاله بانجاز الامور و اجرائها و دعوتهم للشركه فيها إلّا أن يكون ذلك الأمر حكما إلهيا فإنّه لا مجال لاشتراك غيره معه في بيان الحكم الإلهي أو إنشاء حكم شرعي.

٣ - عدم تأخير حقوقهم عن محلّه و وقته و عدم التردّد فيه، بل ينفذه في وقته صريحا سواء كان في عطايا بيت المال المقرّره لهم أو غيرها ممّا يستحقونها.

٤ - عدم التبعيض فيما بينهم و عدم ترجيح بعضهم على بعض مع تساوى العمل و الرّتب لأغراض شخصيّة أو قبليّة أو ارتشاء أو استماله و توصيه من ذوى النفوذ كما يرتكبه الولاه الغير العدول أو الولاه الظلمه فإنّهم يرجّحون من يستخدمهم في أغراضهم على غيرهم.

ثمّ أعلمهم عليه السّلام أنّ مراعات هذه الشروط يتمّ عليهم نعمه الولاية العادله من الله تعالى فيلزم عليهم رعايه امور أربعة:

١ - الطّاعه في كلّ ما أمرهم من الوظائف و ما وجهه إليهم من الأوامر.

٢ - عدم ردّ دعوته في اجراء الامور و إنجازها و ما يلزم في ذلك من عقد المؤمرات و اللّجان المربوطه بها.

٣ - عدم التّقصير و التّفريط في اظهار نظرات اصلاحيّه و ارتكاب ما يلزم في صلاح أمر الأمّه و حفظ وحدتها و الالفه بين أفرادها و جماعاتها ليكونوا يدا واحده على أعدائها.

٤ - أن يخوضوا الغمرات و يتحمّلوا الشّدائد و يجهدوا في تثبيت الحقّ و دحض الباطل.

ص: ١٤٤

ثمَّ توجَّه إلى تشريع المجازات على التخلُّف بوجهين:

الألف - إسقاط الرتب و الدرجات عن المتخلِّفين و إنزال المعوِّجين عن درجاتهم فقال عليه السَّلام: (فلم يكن أحد أهون على مَن اعوجَّ منكم).

ب - تشديد العقوبة المقتضيه للتخلُّف و ترك الانضباط و الاطاعه و عدم الارفاق بالمتخلِّف.

فقد شرَّع عليه السَّلام في كتابه هذا نظاما عسكريًا و أعطى اصولًا كليًّا فَرَعَ عليه علماء الحقوق النظاميين قوانين شتَّى يكون المدار على العمل بها في النظمات العسكريه إلى عصرنا هذا.

الترجمه

از نامه ای که بفرماندهان و افسران قشون خود نوشته است.

از طرف بنده خدا علی بن ابی طالب امیر المؤمنین بسرپرستان و فرماندهان مرزهای اسلامی.

أَمَّا بعد، براستی بر شخص والی و فرمانده کلّ و رئیس ارتش لازمست که فضیلت ولایت و فرمانروائی مزاج برادرانه او را دگرگون نسازد نسبت برعایا و زیر دستانش و مقام شامخی که مخصوص او است او را از اَمّت جدا نکند بلکه این نعمتی که خداوندش نصیب کرده او را به بندهایش نزدیکتر سازد و بر برادران همکیش او مهربانتر نماید، بدانید که شما را بر من این حقوق در عهده است:

۱ - هیچ رازی را از شما کتمان نکنم و همه اطلاعات را در دسترس شما بگذارم و بشما گزارش دهم مگر راجع باسرار جنگی باشد که کتمان آن لازمست.

۲ - هیچ امری را بی مشورت و مراجعه بشما انجام ندهم مگر بیان حکم إلهی باشد که مخصوص مقام خود من است.

۳ - هیچ یک از حقوق شماها را از موقع خود بتأخیر نیاندازم و دچار تردید و توقف نسازم.

ص: ۱۴۵

۴ - تبعیضی میان شما قائل نشوم و همه را در حقوق و مزایا برابر بحساب آورم.

چون این شرائط و مقررات را رعایت کردم نعمت ولایت عدلِ الهی بر شما مسلّم گردیده است، و شما هم باید چهار حق را نسبت بمن رعایت کنید:

۱ - فرمانبردار و طاعت گزار باشید.

۲ - دعوت مرا رد نکنید و از آن سرباز نزنید.

۳ - در صلاح و اصلاح امور کشور و ملت تقصیر و کوتاهی روا ندارید.

۴ - در اجرای حق نهایت بکوشید و خود را باب و آتش بزنید تا حق مجری شود.

در خاتمه بدانید که اگر بر این مقررات پای بند نشوید و از آنها تخلف ورزید هیچکس نزد من خوارتر و زبونتر نیست از کسی که راه کج رفته در میان شماها، و سپس مجازات و سزای او را سخت و بزرگ نمایم و تخفیف و گذشتی از آن رعایت نکنم این دستور را از فرماندهان خود بگیرید، و خود را آماده کنید که وسیله صلاح کارهای خود باشید، و السلام.

المختار الخمسون من کتبه علیه السلام

اشاره

و من کتاب له علیه السلام الی عماله علی الخراج

من عبد الله علیّ امیر المؤمنین الی أصحاب الخراج:

أما بعد، فإنّ من لم يحذر ما هو صائر إليه لم يقدّم لنفسه ما يحرزها، واعلموا أنّ ما كلّتم يسير، وأنّ ثوابه كثير، و لو لم يكن فيما نهى الله عنه من البغى و العدوان عقاب يخاف لكان في ثواب اجتنابه ما لا عذر في ترك طلبه، فأنصفوا الناس من

ص: ۱۴۶

أنفسكم، و اصبروا لحوائجهم، فإنكم خزّان الرّعيّة، و وكلاء الأمّة، و سفراء الأئمّة، و لا تحشّموا أحدا عن حاجته، و لا تحبسوه عن طلبته، و لا تبيعنّ للنّاس فى الخراج كسوه شتاء و لا صيف و لا دابّه يعتملون عليها و لا عبدا، و لا تضربنّ أحدا سوطا لمكان درهم، و لا تمسّنّ مال أحد من النّاس مصلّ و لا معاهد إلّا أن تجدوا فرسا أو سلاحا يعدى به على أهل الإسلام فإنّه لا ينبغى للمسلم أن يدع ذلك فى أيدي أعداء الإسلام فيكون شوكة عليه، و لا تدّخروا أنفسكم نصيحة، و لا الجند حسن سيره، و لا الرّعيّة معونه، و لا دين الله قوّه، و أبلوا فى سبيل الله ما استوجب عليكم، فإنّ الله سبحانه قد اصطنع عندنا و عندكم أن نشكره بجهدنا، و أن ننصره بما بلغت قوّتنا، و لا قوّه إلّا بالله العلىّ العظيم.

اللغة

(السفير): الرسول، (حشمته) و احتشمته بمعنى: أى أغضبتّه و أخجلته، (الشوكة): القوّه، (أبليته): أعطيته.

الأعراب

عقاب: اسم لم يكن آخر عن خبره، يخاف: فعل مبنى للمفعول المستتر فيه و الجملة صفه لقوله عقاب، ما لا- عذر: ما نكره موصوفه بما بعده و هو اسم مكان.

ص: ١٤٧

لا تبيعن: نهى مؤكد بنون التأكيد الثقيله، كسوه شتاء: مفعول، اصطنع:

افتعال من صنع أى أعطى، أن نشكره: بمنزله المفعول له لقوله: اصطنع بحذف اللام أى لأن نشكره، قال فى الشرح المعتزلى: و حذفها أكثر نحو قوله تعالى «لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» ٨٠ - المائدة.

المعنى

قد نظم عليه السلام فى كتابه هذا الاقتصاد العمومى و اعتمد فى نظمه هذا على الايمان و الأخلاق، فإن أكثر ما يصل إلى بيت المال فى ذلك الزمان يجتمع من أموال الزكاه التى تتعلق بالمسلمين فيما يجب عليه الزكاه من الغلات الأربعة و الأنعام الثلاثة و الذهب و الفضه المسكوكتين بشرائطها المقرره فى الفقه الاسلامى و من أموال الخراج التى تؤخذ من أهل الذمه و المعاهدين المدين يعملون فى الأراضى المفتوحه عنوه، فإن هذه الأراضى ينتقل إلى ملك المسلمين عموما فتسلم إلى من يعمل فيها قبال سهم من زراعتها أو مقدار معين من النقود و الأول يسمى بالمقاسمه و الثانى بالخراج.

قال ابن هشام فى سيرته «ص ٢٤١ ج ٢ ط مصر»: فأخبرنى ابن هشام أن رسول الله صلى الله عليه و آله افتتح خيبر عنوه بعد القتال و كانت خيبر ممّا أفاء الله عزّ و جلّ على رسول الله صلى الله عليه و آله و خمّسها رسول الله صلى الله عليه و آله و قسّمها بين المسلمين و نزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال فدعاهم رسول الله صلى الله عليه و آله فقال: إن شئتم دفعت إليكم هذا الأموال على أن تعملوها و تكون ثمارها بيننا و بينكم و أقرّكم ما أقرّكم الله، فقبلوا فكانوا على ذلك يعملونها و كان رسول الله صلى الله عليه و آله يبعث عبد الله بن رواحه فيقسّم ثمرها و يعدل عليهم فى الخرص.

و قد نظم أمر الخراج فى البلاد التى استولى عليه المسلمون بعد ذلك من بلاد الروم و فارس، و قد بعث عمر أيام حكومته عبد الله بن مسعود و حذيفه بن يمان لمساحه الأراضى العامره فى عراق و ضرب الخراج فحسبوها ثلاثين ألف ألف جريب من مزارع الحنظله و الشعير و النخل فضربوا على كلّ جريب من النخيل

ص: ١٤٨

ثمانية دراهم و من الحنطة درهمين و من الشعير أقل من ذلك، فكان الخراج يبلغ مائة و سبعون ألف ألف درهم، و كان مهمّة الحكومة الاسلاميّة تحصيل هذا الخراج و حفظه و إيصاله إلى موارد و مصارفه، فكان عمّال الخراج من عمد النظام في عالم الاسلام، و كان يعتمد على تقواهم و دينهم في ذلك و قد تّبهم عليه السّلام على ذلك و حدّهم من الخيانة و التسامح في أموال المسلمين فابتدأ كلامه بقوله:

(فانّ من لم يحذر ما هو سائر إليه، لم يقدّم لنفسه ما يحرزها) أشار إلى أنّ المسير هو الموت و لقاء الله العالم بكلّ خفيّه و خائنه فمن اهتّمه أمر نفسه فلا بد من الحذر من موارد الهلكه و العقاب، و تّب على أنّ اشتغالهم بأمر الخراج لا بدّ و أن يكون باعتبار إطاعه الله و وليّه فيما يلزم عليهم و يكون في عهدتهم لا- باعتبار ما ينالونه من الاجره المائيه في هذا العمل بما هو حلال لهم، فقال عليه السّلام: (ما كلّتم يسير و إنّ ثوابه كثير) و أكّد ذلك بقوله: (لو لم يكن فيما نهى الله عنه من البغى و العدوان عقاب يخاف، لكان في ثواب اجتنابه ما لا عذر في ترك طلبه).

ثمّ حرّضهم على رعايه العدل و الانصاف في أخذ الخراج و إيصاله إلى مصارفه، قال ابن هشام في سيرته (ص ٢٣٩ ج ٢ ط مصر): فكان رسول الله صلى الله عليه و آله كما حدّثني عبد الله بن أبي بكر - يبعث إلى أهل خيبر عبد الله بن رواحه خارصا بين المسلمين و يهود فيحرص عليهم فاذا قالوا: تعدّيت علينا قال: إن شئتم فلکم و إن شئتم فلنا فتقول يهود: بهذا قامت السماوات و الأرض.

ثمّ وصف عمّال الخراج بألقاب شامخه ثلاثه:

- ١ - جعلهم خزّان الرّعيّه فيلزم عليهم رعايه الأمانه و ترك الخيانه.
 - ٢ - جعلهم و كلاء الامّه فلا بدّ لهم من رعايه العداله و المصلحه في ما حوّل إليهم من أمر الامّه.
 - ٣ - جعلهم سفراء الأئمّه فلا بدّ لهم من حفظ مقام سفارتهم برعايه الصّحه و الأمانه في ما تحت أيديهم.
- ثمّ نهاهم عن إظهار الحشمه و الهيئه تجاه الناس ليمنعوهم عن إظهار حوائجهم

ص: ١٤٩

و يحبسوهم عن مطالبهم.

ثم استثنى من الخراج لوازم المعيشه من اللباس و دوابّ العمل و العبد الخادم و نهى عن ضرب الناس فى تحصيل الخراج و عن مصادره أموالهم و إن كانوا كفّارا فى ذمّه الاسلام و عهده إلّا أن يكون ممّا يعين به على مخالفه الاسلام و تقويّه أعداء الاسلام من الفرس و السلاح فلا بدّ من ضبطها لدفع مادّه الفساد و حفظ الأمن فى البلاد الاسلاميه.

ثمّ وصّاهم امورا أربعة:

١ - بذل النصّح لأنفسهم.

٢ - و حسن السيره مع الجنود الذين يضخّون أنفسهم فى سبيل تقويه الاسلام.

٣ - و إعانه الرعيّه فيما يقويهم على العمل و الاكتساب لتوفير الفوائد و مزيد الدخل القومى.

٤ - تقويه الدين بالتبليغ و المواظبه على العمل بقوانينه.

ثمّ أمرهم بالجدّ فى سبيل ما أوجب الله عليهم من التكاليف و ضبط الخراج و رعايه الأمانه فيه لأداء شكر الله تعالى فى قبال نعمه الاسلام و التسلّط على الأعداء و بلادهم و نعمهم.

الترجمه

از نامه ای که بکارمندان خراج نگاشت:

از طرف بنده خدا علی امیر مؤمنین بأصحاب خراج أمّا بعد هر کس از سرانجامی که بدان در حرکت است نهراسد برای خود پیشگیری لازم را مراعات نکرده است، بدانید این وظیفه ای که بشما واگذار شده اندک است و ثوابش بسیار است، اگر در ارتکاب آنچه خداوند از آن نهی کرده از ستمگری و تجاوز عقوبتی بیمناک نبود همان درک ثواب اجتناب از آن برای قطع عذر در ترک اطاعت فرمان خدا بس بود.

از طرف خود نسبت بمردم انصاف را رعایت کنید و در برابر انجام حوائج

ص: ۱۵۰

و نیازمندیهای آنان شکبیا باشید زیرا شماها خزانه داران رعیت و وکلاء امت و سفیران ائمه هستید، هیچکس را از نیازی که دارد گرفتار حشمت خود نسازید و او را از تقاضایش باز ندارید.

برای تحصیل خراج از مردم جامه تن آنها را چه تابستانی باشد و چه زمستانی نفروشید و حیوانی که وسیله کار آنها است از گاو و الاغ نفروشید و بنده و خدمتکار را هم بفروش نرسانید.

بخاطر یک درهم بدهی خراج احدی را یک تازیانه نزنید، بمال احدی چه مسلمان باشد و چه کافر در پناه اسلام دست درازی نکنید، مگر این که اسب یا ساز و برگ جنگ باشد که وسیله تجاوز باهل اسلام گردد که برای مسلمان نشاید که نیروی جنگی را در دست دشمنان اسلام وانهد و وسیله شوکت آنها در برابر مسلمانان گردد.

از نصیحت و اندرز خود دریغ نکنید و از خوشرفتاری با قشونی ها کوتاهی نکنید، از کمک برعیت خودداری ننمائید و از تقویت و تأیید دین خدا باز نایستید در راه آنچه خدا بر شما واجب کرده تلاش کنید، زیرا خداوند بما و شماها احسان کرده و نعمت بخشیده تا با همه کوشش خود شکر او را بگزاریم و تا آنجا که نیروی ما برسد او را یاری کنیم و جنبش و توانی نیست جز بخداوند والا و بزرگوار.

المختار الواحد و الخمسون من کتبه علیه السلام

اشاره

و من کتاب له علیه السلام الی امراء البلاد فی معنی الصلاه

أما بعد، فصلّوا بالنّاس الظّهر حتّی تفتیء الشّمس مثل مربض العنز، و صلّوا بهم العصر و الشّمس بیضاء حیّیه فی عضو من النّهار
حین یسار فیها فرسخان، و صلّوا بهم المغرب حین یفطر الصّائم و یدفع

ص: ۱۵۱

الحاجّ إلى منى، و صلّوا بهم العشاء حين يتوارى الشّفق إلى ثلث الليل، و صلّوا بهم الغداة و الرّجل يعرف وجه صاحبه، و صلّوا بهم صلاه أضعفهم و لا تكونوا فتّانين.

اللغة

(مربض العنز): محلّ نوم الشاه طوله يقرب من ذراعين و عرضه يقرب من ذراع، (و يدفع الحاجّ إلى منى): وقت الافاضه من عرفات إلى منى و هو آخر يوم عرفه يبتدء من المغرب الشرعى، (يتوارى الشفق): يزول الحمره المغريّه الحادثه بعد غروب الشمس، (و الرجل يعرف وجه صاحبه): أى إذا كانا تحت السماء و لم يكن غيم و لا مانع.

الاعراب

صلّوا بالناس: الباء فى قوله: بالناس، يشبه أن تكون للتعديه كالباء فى ذهب به لأنّ الامام يوجد الصلاه فى المأمومين بتصدّيه للامامه كما أنّ ذهب به ربما يستعمل فى مقام تصدّى الفاعل لهدايه الذهاب و إمامته فى الذهاب، مثل مربض العنز: أى فيثا مثل مربض العنز فحذف الموصوف و هو مفعول مطلق لقوله تفىء، و الشمس بيضاء حيّه مبتدأ و خبر و الجملة حالّيه عن فاعل صلّوا، و فى عضو من النهار: ظرف مستقرّ خبر بعد خبر لقوله: و الشمس، و كذلك قوله:

حين يسار فيها فرسخان، و يمكن أن يكون ظرفا لغوا متعلّقا بقوله: صلّوا، و قوله:

حين يفطر الصائم، ظرف متعلّق بقوله: صلّوا.

المعنى

هذا دستور لإقامه صلاه الجماعه مع الناس إلى امراء البلاد لأنّ الإمامه فى الصّلاه من أهمّ وظائف الامراء فى الإسلام و خصوصا فى ذلك العصر لأنّ،

ص: ١٥٢

الجماعه فى الصلاه محور تربيه المسلمين و تعليمهم لما يهتمهم من امور الدين و خصوصا تعليم آى القرآن و سوره، فانّ الامام يقرأ بعد الحمد ما يتيسر من سور القرآن الكريم و المأمومين ينصتون له و يحفظون ما يقرؤه بالمدامه و المحافظه على الصلاه كما أنّ إقامه الصلاه فى صفوف مرصوه منظّمه يدرّبهم على الاصطفاف تجاه الأعداء فى ميادين الجهاد و معارك القتال و هو فنّ نظامى عسكري كان له أثر كبير فى تقدّم جيوش الاسلام و الغلبه على أعدائهم، و قد اشير إليه فى قوله تعالى «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ» ٣ - الصفّ» فالمقاتله فى صفّ كائنهم بنيان مرصوص ممّا يدرّبون عليها فى الاصطفاف للصلاه الجماعه.

فالظاهر أنّ هذا الدستور لا يرجع إلى تحديد أوقات الصلاه تشريعا بحيث يمكن الاستناد به لاثبات الوقت المشروع، نعم يستفاد منه أنّ إقامه الصلاه فى هذه الأوقات مقرونه بالفضيله و مناسبه مع حال الامه.

و ليس الغرض منه تحديد وقت الصلاه الشرعى كما يظهر من ابن ميثم قال:

«ص ١٣٣ ج ٥» يبين فى هذا الكتاب أوقات الصلاه المفروضه، فالأوّل وقت الظهر وحدّه بوقت فىء الشمس أى رجوعها و ميلها إلى المغرب، ثمّ تبه بتقديره بمرىض العنز و هو أوّل وقت الظهر و ذلك ممّا يختلف باختلاف البلاد.

أقول: ظاهر كلامه بل صريحه أنّ رجوع الظلّ الحادث بعد الزوال إلى مقدار مريض العنز أوّل وقت الظهر، و فيه:

١ - أنّ ظاهر قوله عليه السّلام: (صلّوا بالناس الظهر حتّى تفىء الشمس مثل مريض العنز) أنّ بلوغ الفىء إلى هذا المقدار آخر وقت صلاه الظهر، لأنّ لفظه حتّى تفيد انتهاء الغايه فى الزمان و المكان لا ابتداءها، فالمقصود أنّه صلّوا الظهر من حين الزوال إلى أن يبلغ الفىء هذا المقدار.

٢ - أنّه مخالف لقوله تعالى «أَقِمِ الصَّلَاةَ لِتَذْكُرُوا شَمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا» ٨٧ - الأسراء».

قال فى المجمع: أقم الصّلوه لدلوك الشمس، أى لزوالها و ميلها، يقال:

ص: ١٥٣

دلكت الشمس و النجوم من باب قعد دلوكا إذا زالت و مالت عن الاستواء، قال الجوهري: و يقال دلوکها غروبها، و هو خلاف ما صحّ عن الباقر عليه السلام من أنّ دلوک الشمس زوالها، فهذه الايه شرّعت أوقات الصلاه و ابتدأت بيان وقت الظهر من حين زوال الشمس و رجوع الفیء إلى مقدار مريض العنز متأخر عنه بساعات خصوصا فی البلاد التي يسامت الشمس رءوس أهلها و يزول الظلّ عند زوال الشمس كالمدينه فی أيام من كون الشمس فی برج جوزاء.

۳ - أنّه مخالف لما اتفق عليه الفقهاء الامامیّہ من أنّ أوّل وقت صلاه الظهر من حين زوال الشمس و ميلها عن دائره نصف نهار البلد.

قال المحقّق فی الشرائع: فما بين زوال الشمس إلى غروبها وقت للظهر و العصر و إن كان يختصّ الظهر من أوّله بمقدار أدائها و كذا العصر من آخره و ما بينهما فمشترك.

قال صاحب الجواهر فی شرح كلامه: كلّ ذلك على المشهور بين الأصحاب بل لا خلاف فی كون الزوال مبدأ صلاه الظهر بين المسلمين كما عن المرتضى و غيره الاعتراف به عدا ما يحكى عن ابن عبّاس و الحسن و الشعبي من جواز تقديمها للمسافر عليه بقليل و هو بعد انقراضه لا يقدح فی إجماع من عداهم من المسلمين على خلافه إن لم يكن ضروريّا من ضروريّات الدين.

ثمّ تعرّض صاحب الجواهر رحمه الله لأخبار كثيره يستفاد منها تأخير وقت الظهر عن الزوال، فقال: فما فی صحيح الفضلاء عن الباقر و الصادق عليهما السلام من أنّ وقت الظهر بعد الزوال قدما و وقت العصر بعد ذلك قدما، و صحيح زراره عن الباقر عليه السلام أنّ وقت الظهر بعد ذراع من زوال الشمس و وقت العصر ذراعين من وقت الظهر، و ذلك أربعة أقدام من زوال الشمس، بل عن ابن مسكان أنّه قال:

حدّثنى بالذراع و الذراعين سليمان بن خالد و أبو بصير المرادى و حسين صاحب القلانيس و ابن أبى يعفور و من لا أحصيه منهم، و خبر عبد الله بن مسكان أنّه كان حائط مسجد رسول الله صلّى الله عليه و آله قبل أن يظلل قامه و كان إذا كان الفیء ذراعا و هو قدر مريض

ص: ۱۵۴

غزال صَلَّى الظهر و إذا كان ضعف ذلك صَلَّى العصر و نحوه غيره.

و خبر إسماعيل الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام: كان رسول الله صَلَّى الله عليه و آله إذا كان فيء الجدار ذراعا صَلَّى الظهر و إذا كان ذراعين صَلَّى العصر، قلت: إنَّ الجدار يختلف، بعضها قصير و بعضها طويل؟ فقال: كان جدار مسجد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله يومئذ قامه.

و خبر إسماعيل بن عبد الخالق عن الصادق عليه السلام: إنَّ وقت الظهر بعد الزوال بقدم أو نحو ذلك إلا في يوم الجمعة أو في السفر فإنَّ وقتها حين تزول الشمس.

و مضمر ابن أبي نصر: سألته عن وقت صلاه الظهر و العصر؟ فكتب: قامه للظهر و قامه للعصر.

و خبر عمر بن سعيد بن هلال عن الصادق عليه السلام: قال: قل لزاره إذا كان ظلّك مثلك فصلّ الظهر و إذا كان ظلّك مثليكَ فصلّ العصر.

و خبر سعيد الأعرج عن الصادق عليه السلام أيضا عن وقت الظهر، أ هو إذا زالت الشمس؟ فقال: بعد الزوال بقدم أو نحو ذلك إلا في السفر و يوم الجمعة فإنَّ وقتها إذا زالت الشمس فقال: بعد الزوال.

و خبر ابن شبيب عن الصادق عليه السلام: سألته عن صلاه الظهر؟ فقال: إذا كان الفء ذراعا قلت: ذراعا من أيّ شيء؟ قال: ذراعا من فيئك، قلت: فالعصر؟ قال: الشطر من ذلك، قلت: هذا شبر؟ قال: أ و ليس الشبر بكثير.

و خبر زراره عن الصادق عليه السلام أيضا: وقت الظهر على ذراع.

و خبر ذريح المحاربي: سأل أبا عبد الله اناس و أنا حاضر، إلى أن قال:

فقال بعض القوم: إنّا نصلّي الاولى إذا كانت على قدمين و العصر على أربعة أقدام فقال أبو عبد الله عليه السلام: النصف من ذلك أحبّ إليّ.

و خبر أبي بصير عن الصادق عليه السلام: الصلاه في الحضر ثمان ركعات إذا زالت الشمس ما بينك و بين أن يذهب ثلثا القامه، فاذا ذهب ثلثا القامه بدأت بالفريضة.

ص: ١٥٥

و خبر عبيد بن زرارہ: سألت أبا عبد الله عليه السلام من أفضل وقت الظهر؟ قال:

ذراع بعد الزوال، قال: قلت: فالشتاء والصيف واحد؟ قال: نعم.

و يستفاد من مجموع هذه الأخبار امور:

١ - أنَّ المقصود من مريض العنز في كلامه عليه السلام هو مقدار مريضه عرضا و يقرب من ذراع.

٢ - أنَّ المقصود من هذه التعبيرات المختلفه كمريض العنز و مريض الغزال و الذراع و القدمين أمر واحد و أنَّ اختلاف التعبير بمناسبة انس ذهن المخاطب بأحد هذه المقادير.

٣ - أنَّ تأخير صلاه الظهر عن الزوال بهذا المقدار كان لغرض من الأغراض:

منها - إرادته الرخصه في التنفل كما ذكره في الجواهر، قال: محمول على إرادته الرخصه للمتفل في تأخير الظهر هذا المقدار و أنَّه لا يتوهم حرمة للنهي عن التطوع وقت الفريضة كما يؤمى إليه الأمر بالظهر عند الزوال حيث لا تشرع النافله فيه كالسفر يوم الجمعة، و في خبر زرارہ قال: قال لى: أ تدرى لم جعل الذراع و الذراعان؟ قال: قلت: لم؟ قال: لمكان الفريضة لك أن تتنفل من زوال الشمس إلى أن يبلغ ذراعا فاذا بلغ ذراعا بدأت بالفريضة و تركت النافله.

و منها - انتظار اجتماع الناس و حضورهم في الجماعه و عدم تخلف أحد منها كما هو الظاهر من دستوره لامراء بلاده.

و منها - انتظار بروده الهواء في الأيام الشديده الحر كما ورد من قوله صلى الله عليه و آله «أبردوا بصلاه الظهر» و فسّر بأن المقصود من الإبراد بصلاه الظهر هو تأخيره إلى أن يبلغ الظل مقدار ذراع و تنكسر سوره الحر.

هذا، و لم يتعرض عليه السيّلام في كتابه هذا لبيان آخر وقت الظهر، و هذا دليل على أنَّه ليس في مقام تحديد الوقت، و وقت صلاه العصر بعد مضى مقدار أداء صلاه الظهر من الزوال و يمتدّ إلى غروب الشمس فيختصّ العصر بمقدار أربع ركعات من آخر النهار كما في مرسله داود بن فرقد المنجبره عن الصادق عليه السلام إذا

ص: ١٥٦

زالت الشمس فقد دخل وقت الظهر حتى يمضى مقدار ما يصلى المصلى أربع ركعات فاذا مضى ذلك فقد دخل وقت الظهر و العصر حتى يبقى من الشمس مقدار ما يصلى أربع ركعات فاذا بقى مقدار ذلك فقد خرج وقت الظهر و بقى وقت العصر حتى تغيب الشمس - إلخ.

و لكنه قرّر وقت أداء صلاه العصر و عقد الجماعه لها بقوله: (و صلّوا بهم العصر و الشمس بيضاء حيّه) أى لم ينكسر ضوءها بقربها و هبوطها إلى افق المغرب ثم أوضح ذلك بقوله (حين يسار فيها فرسخان) و المقصود سير القوافل المعموله و يشغل مسير الفرسخين ممّا يقرب من ساعتين و الظلّ فى هذا الوقت يقرب من المثلين كما نقل فى الجواهر: و دخل أبو بصير على أبى عبد الله عليه السلام فقال: إنّ زرارہ سألنى عن شىء فلم اجبه فقد ضقت من ذلك فاذهب أنت رسولى إليه فقل له: صلّ الظهر فى الصيف إذا كان ظلّك مثلك و العصر إذا كان مثليک، و كان زرارہ هكذا يصلى فى الصيف.

و لم يتعرّض عليه السلام لبيان آخر وقت العصر أيضا و قد عرفت أنّه يمتدّ إلى غروب الشمس.

و أما صلاه المغرب فقد أمر بعقد الجماعه لها من أوّل وقتها و هو غروب الشمس و ذكر له علامتين:

١ - حين يفطر الصائم، و إفطار الصائم إنّما يكون بعد انتهاء النهار و دخول الليل لقوله تعالى «ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ».

٢ - حين يدفع الحاجّ من عرفات إلى المشعر، و هو بعد انتهاء نهار عرفه أيضا و لكن فى التعبير بقوله عليه السلام: إلى منى، غموض فإنّ دفع الحاجّ إلى منى إنّما يكون فى عشية يوم الترويه ليبيتوا بمنى ثم يذهبوا إلى عرفات من صبيحه اليوم التاسع و ليس له وقت محدود و على أىّ حال فالمقصود إقامه صلاه المغرب فى أوّل الليل بعد انتهاء النهار، و قد اختلف كلمات الأصحاب فى تحديده:

قال فى الشرائع: و كذا إذا غربت الشمس دخل وقت المغرب و يختصّ من

أَوَّلُهُ بِمَقْدَارِ ثَلَاثِ رَكَعَاتٍ ثُمَّ يَشَارِكُهَا الْعِشَاءَ حَتَّى يَنْتَصِفَ اللَّيْلُ وَيَخْتَصُّ الْعِشَاءَ مِنْ آخِرِ الْوَقْتِ بِمَقْدَارِ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ - إِلَى أَنْ قَالَ: وَ يَعْلَمُ الْغُرُوبَ بِاسْتِتَارِ الْقُرْصِ وَقِيلَ: بِذَهَابِ الْحُمْرَةِ عَنِ الْمَشْرِقِ وَ هُوَ الْأَشْهُرُ، قَالَ صَاحِبُ الْجَوَاهِرِ فِي شَرْحِهِ:

بَلْ فِي كَشْفِ اللَّثَامِ أَنَّهُ مَذْهَبُ الْمَعْظَمِ بَلْ هُوَ الْمَشْهُورُ نَقْلًا وَ تَحْصِيلًا فَتَوَى وَ عَمَلًا شَهْرُهُ عَظِيمُهُ سَيِّمًا بَيْنَ الْمُتَأَخِّرِينَ، بَلْ فِي الرِّيَاضِ أَنَّ عَلَيْهِ عَامَتَهُمْ إِلَّا مَنْ نَدَرَ، بَلْ فِي الْمَعْتَبَرِ أَنَّ عَلَيْهِ عَمَلُ الْأَصْحَابِ كَمَا عَنِ التَّذْكَرَةِ بَلْ عَنِ السَّرَائِرِ الْإِجْمَاعِ عَلَيْهِ....

أَقُولُ: لَا إِشْكَالَ فِي أَنَّ الْمَدَارَ فِي دُخُولِ اللَّيْلِ وَ انْتِهَاءِ النَّهَارِ هُوَ سَقُوطُ الشَّمْسِ عَنِ الْإِفْقِ وَ غِيُوبُهُ الشَّمْسِ عَنِ الْأَبْصَارِ وَ الْأَنْظَارِ وَ حُلُولِ السَّوَادِ مُحَلًّا بِيَاضِ النَّهَارِ، وَ لَكِنَّ الْبَحْثَ فِي أَنَّ سَقُوطَ الشَّمْسِ عَنِ أَى الْإِفْقِ مَدَارُ نَهَايَةِ النَّهَارِ وَ دُخُولِ اللَّيْلِ، فَالْإِفْقُ الظَّاهِرِيُّ هُوَ مَا يَحِيطُ بِهِ خَطٌّ مُوَهَّومٌ يَخْرُجُ مِنْ عَيْنِ النَّازِلِ وَ يَتَّصِلُ بِمَنْتَهَى الْإِفْقِ فِي الْأَرْضِ الْمُسْتَوِيَةِ بِحَيْثُ إِذَا هَبَطَتْ عَنْهُ الشَّمْسُ تَغِيبُ عَنْ عَيْنِ النَّازِلِ، وَ الْإِفْقُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ مَا يَحِيطُ بِهِ دَائِرَةُ مُتَوَهِّمَةٍ يَمُرُّ بِمَرْكَزِ الْأَرْضِ مِنْ تَحْتِ رِجْلِ النَّازِلِ بِحَيْثُ إِذَا جَاوَزَتْ عَنْهُ الشَّمْسُ تَقَعُ مُحَاذِيَةً لِلْقِسْمِ الْأَسْفَلِ مِنَ الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ، فَسَقُوطُ الشَّمْسِ عَنِ الْإِفْقِ الظَّاهِرِيِّ مُحْسُوسَةٌ فِي الْأَرْضِ الْمُسْتَوِيَةِ وَ أَقْرَبًا سَقُوطُهُ عَنِ الْإِفْقِ الْمَرْكَزِيِّ فَيَعْلَمُ بِعَلَامَتِهِ وَ هِيَ ذَهَابُ الْحُمْرَةِ الْمَشْرِقِيَّةِ الْحَادِثَةِ أَوْ أَنَّ غِيُوبَهُ الشَّمْسِ عَنِ الْإِفْقِ الظَّاهِرِيِّ كَانَ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَقَالَ أَنَّهُ لَا خِلَافَ فِي أَنَّ حَقِيقَةَ الْمَغْرَبِ هُوَ سَقُوطُ الْقُرْصِ كَمَا أَنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ الْإِمَامِيَّةِ فِي اعْتِبَارِ ذَهَابِ الْحُمْرَةِ عِلَامَةً لِلْمَغْرَبِ، إِنَّمَا الْكَلَامُ فِي تَحْقِيقِ مَعْنَى ذَهَابِ الْحُمْرَةِ عَنِ الْمَشْرِقِ، فَفَسَّرَهُ بَعْضُهُمْ بِأَنَّهُ عِبَارَةٌ عَنْ ارْتِفَاعِ الْحُمْرَةِ إِلَى فَوْقِ الرَّأْسِ ثُمَّ هَبُوطُهَا إِلَى إِفْقِ الْمَغْرَبِ وَ ظُهُورُهَا هُنَاكَ، وَ لَكِنَّهُ لَيْسَ بِصَحِيحٍ، لِأَنَّ الْحُمْرَةَ الْمَشْرِقِيَّةَ تَرْتَفِعُ عَنِ الْإِفْقِ إِلَى فَوْقِ الْقَامَةِ ثُمَّ تَمُحُو وَ تَضْمَحَلُّ وَ لَا مَفْهُومَ لِتَجَاوُزِ الْحُمْرَةِ عَنْ فَوْقِ الرَّأْسِ بِهَذَا الْمَعْنَى.

وَ فُسِّرَهُ بَعْضُهُمْ بِارْتِفَاعِ الْحُمْرَةِ عَنْ إِفْقِ الْمَشْرِقِ إِلَى مَا يَتَجَاوَزُ قَامَةَ إِنْسَانٍ مُعْتَدِلٍ بِحَيْثُ إِذَا تَوَهَّمَ قِيَامَ إِنْسَانٍ فِي الْإِفْقِ الْمَشْرِقِيِّ وَ قَيْسَ الْحُمْرَةَ الْمُرْتَفِعَةَ مَعَهُ

كانت الحمرة فوق رأسه فيصح أن يقال إن الحمرة جاوزت عن الرأس، وهذا هو الصحيح.

فالحاصل أن المغرب يدخل بسقوط الشمس عن الافق المركزي و علامته ارتفاع الحمرة عن افق المشرق فوق القامه و إن كانت باقيه بعد، وهذا هو المراد من تجاوز الحمرة قمه الرأس، كما ورد في مرسل ابن أبي عمير الذي وصفه في الجواهر بأنه في قوه المسند عن الصادق عليه السلام وقت سقوط القرص و وقت الافطار من الصيام أن تقوم بحذاء القبلة و تتفقد التي ترتفع من المشرق فاذا جاوزت قمه الرأس إلى ناحيه المغرب فقد وجب الافطار و سقط القرص - انتهى.

و هذا هو مراد ابن أبي عقيل فيما حكى عنه كما في الجواهر:

«أول وقت المغرب سقوط القرص، و علامه ذلك أن يسودّ افق السماء من المشرق و ذلك الليل» فإنه لا معنى لتجاوز الحمرة عن قمه الرأس إلا ارتفاعها فوق القامه فإنها بعد ذلك تضمحلّ و تمحو فإنّ ظهور هذا الحمرة إنما هو من تجلّى أشعه الشمس في الطبقة البخاريّه الهوائيه حول الافق.

و يؤيد ذلك ما رواه في الجواهر عن كتاب محمد بن علي بن محبوب، قال:

أمرت أبا الخطاب أن يصلّي المغرب حين زالت الحمرة من مطلع الشمس فجعل هو الحمرة التي من قبل المغرب و كان يصلّي حين يغيب الشفق.

هذا، و لم يتعرّض عليه السلام في كتابه هذا لبيان آخر وقت صلاه المغرب و قد عرفت أنّه يمتدّ إلى نصف الليل و إن اختصّ من آخره مقدار أربع ركعات بصلاه العشاء.

ثمّ قال عليه السلام (و صلّوا بهم العشاء حين يتوارى الشفق الى ثلث الليل).

فقد فسّر الشفق بالحمرة المغريه، قال في الشرح المعتزلي: فأما وقت العشاء فقال الشعافعي: هو أن يغيب الشفق و هو الحمرة - إلى أن قال: و قد حكينا مذهب أبي حنيفة فيما تقدّم و هو أن يغيب الشفق الذي هو البياض و به قال زفر و المزني - انتهى.

ص: ١٥٩

فقد ترى اختلاف الفقهاء في أنَّ الشفق هو الحمرة المغريّة القليلة البقاء بعد غروب الشمس أو البياض الباقي في افق المغرب إلى ما يقرب ساعتين من الليل، وقد فسّر بعض الفقهاء الشفق بالحمرة المغريّة فقال بضيق وقت المغرب و نافلتها حيث إنّ هذا الوقت لا- يكفي إلاّ- لأداء فريضه المغرب و نافلتها، و الظاهر أنّ المراد من الشفق في كلامه عليه السّلام هو البياض الساطع بعد غروب الشمس إلى مقدار ساعه و نصف من الليل تقريبا فإنّه المعهود لأداء صلاه العشاء عند تفريقها عن صلاه المغرب، و عليه جرت السنّه و السيره في مدينه الرسول صلّى الله عليه و آله إلى عصرنا هذا.

و حدّد عليه السّلام آخر وقت أداء صلاه العشاء بمضىّ ثلث الليل و ظاهره سعه وقت إقامه الجماعة في صلاه العشاء إلى ثلث الليل باختلاف وضع البلدان و اختلاف الليل و النهار في الفصول المختلفه و ليس المقصود أنّ ثلث الليل نهايه وقت صلاه العشاء على وجه الاطلاق، لما عرفت ممّا ذكرنا أنّ هذا الكتاب ليس بصدد بيان الأوقات بحدودها، بل المقصود منه دستور لإقامه الجماعة في وقت مناسب لها.

و أمّا الغداه فقال عليه السّلام (و صلّوا بهم الغداه و الرجل يعرف وجه صاحبه) و هذا التعبير كناية عن بسط ضوء الفجر بحيث يعرف الرجل صاحبه إذا نظر إليه كما عبّر في القرآن الكريم عن الفجر الصادق بقوله عزّ من قائل «حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ» ففسّره بعضهم بأنّ المراد منه بسط ضوء الصباح إلى حيث يمتاز الخيط الأسود من الخيط الأبيض لأصحاب العيون الصحيحه، بناء على أنّ لفظه من في قوله تعالى «من الفجر» للتعليل فالمقصود أنّ الفجر يعتبر من بسط الضوء إلى حيث يكشف الظلمه و يتبين الأشياء فيمتاز الخيط الأسود من الخيط الأبيض أو يعرف الرجل وجه صاحبه إذا لم يكن هناك مانع من غيم أو سقف أو غيرهما.

و قد وصّى عليه السّلام امراءه بعد بيان أوقات الجماعة بأمرين:

ص: ١٦٠

۱ - مراعاة حال الضعفاء فى الصلاة بترك التطويل و أداء المستحبات فى الركوع و السجود فيصعب الأمر على الضعفاء و يرد عليهم المشقة فيغضون الجماعة.

۲ - ترك الفتنة فى إقامة الجماعة و هى على وجوه:

الالف - أى لا تفتنوا الناس بإتعايبهم و إدخال المشقة عليهم بإطالة الصلاة و إفساد صلاة المأمومين بما يفعلونه من أفعال مخصوصه...، هكذا فسره فى الشرح المعتزلى.

ب - وجه الفتنة هنا أنهم يكونون صادقين للناس عن الاتفاق و تساعد على الجماعة باطالتها المستلزمه لتخلف العاجزين و الضعفاء، هكذا فسره ابن ميثم «ص ۱۳۴ ج ۵».

أقول: و أنت ترى أنّ كلا التفسيرين متشابهان و كأنه تكرار للأمر الأول.

ج - أن يكون المراد من النهى عن الفتنة عدم التوسيل بالمأمومين و اجتماعهم لاثاره الخلاف و الصول على المخالفين أو عدم الافتتان بالصفوف المرتضه خلفهم فيدخلهم الكبرياء و العجب، فتدبر.

الترجمه

از يك نامه اى كه در معنى نماز بفرماندهان بلاد نگاشت.

أما بعد نماز ظهر را برای مردم بخوانید تا گاهی که سایه خورشید باندازه خوابگاه گوسفندی بر گردد، و نماز عصر را هنگامی برای آنان بخوانید که خورشید پرتو افکن و زنده است و قسمتی از روز باقی است باندازه اى که بتوان مقدار دو فرسخ در آن طى مسافت کرد (پیاده یا با چهارپا)، نماز مغرب را در آن گاه برایشان بخوانید که روزه دار افطار کند و حاج از عرفات کوچ کنند «بسوی منی»، و نماز عشا را در آن گاه برایشان بخوانید که شفق نهان می شود تا یک سوم از شب، و نماز بامداد را در آن گاه بخوانید که هر مردی چهره مصاحب خود را می شناسد، نماز را برابر توانائی ضعیف ترین مردم بخوانید، و در نماز فتنة جو مباحثید.

ص: ۱۶۱

و من عهد له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي رحمه الله، لما ولاه على مصر و أعمالها حين اضطرب أمر محمد بن أبي بكر، و هو أطول عهد و اجمع كتبه للمحاسن مالك بن الحارث الأشتر النخعي قد عدّه الشيخ رحمه الله في رجاله من أصحاب أمير المؤمنين عليه السّلام و قال في القسم الأوّل من الخلاصه: «و هو ما اجتمع فيه الصحاح و الحسان» مالك بن الأشتر قدّس الله روحه و رضى الله عنه جليل القدر عظيم المنزله كان اختصاصه بعليّ عليه السّلام أظهر من أن يخفى، و تأسف أمير المؤمنين لموته و قال: لقد كان لي مثل ما كنت لرسول الله صلّى الله عليه و آله، انتهى، و قد روى عن الكشّى فيه روايات:

فمنها ما عن الفضل بن شاذان أنّه من التابعين الكبار و رؤسائهم و زهادهم.

و منها ما رواه مرسلا بقوله لمّا نعى الأشتر مالك بن الحارث النخعي أمير المؤمنين عليه السّلام تأوّه حزنا، ثمّ قال: رحم الله مالكا و ما مالك؟! عزّ عليّ به هالكا لو كان صخرًا لكان صلدا و لو كان جبلا لكان فندا و كأنّه قدّمني قدا.

و منها ما رواه هو عن محمّد بن علقمه بن الأسود النخعي، قال: خرجت في رهط اريد الحجّ، منهم مالك بن الحارث الأشتر و عبد الله بن الفضل التميمي و رفاعه بن شدّاد البجلي حتّى قدمنا الربدّه، فاذا امرأه على قارعه الطريق تقول:

يا عباد الله المسلمين هذا أبوذّر صاحب رسول الله صلّى الله عليه و آله هلك غريبا ليس لي أحد يعينني عليه، قال: فنظر بعضنا إلى بعض و حمدنا الله على ما ساق إلينا و استرجعنا على عظيم المصيبة، ثمّ أقبلنا معها فجّهزناه و تنافسنا في كفنه حتّى خرج من بيننا بالسواء، ثمّ تعاونا على غسله حتّى فرغنا منه، ثمّ قدّمنا الأشتر فصلّى بنا عليه، ثمّ دفنناه، فقام الأشتر على قبره ثمّ قال: اللهم هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلّى الله عليه و آله عبدك في العابدين و جاهد فيك المشركين، لم يغيّر و لم يبدل لكنّه

رأى منكرا فغيّره بلسانه و قلبه حتّى جفى و نفى و حرم و احتقر ثمّ مات وحيدا غريبا، اللهمّ فاقصم من حرمه و نفاه عن مهاجره حرم رسولك، قال: فرفعنا أيدينا جميعا و قلنا آمين، ثمّ قدّمت الشاه التي صنعت فقالت: إنّهُ قد أقسم عليكم أن لا تبرحوا حتّى تتغدّوا فتغدّينا و ارتحلنا.

و منها ما روى عن حلام دلف الغفارى و كانت له صحبه، قال: مكث أبو ذر بالربذه حتّى مات فلمّا حضرته الوفاة قال لامرأته: اذبحى شاه من غنمك و اصنعىها فاذا نصجت فاقعدى على قارعه الطريق فأول ركب تريهم قولى يا عباد الله المسلمين هذا أبو ذر صاحب رسول الله قد قضى نجه و لقي ربّه فأعينونى عليه و أجيبوه.

فإنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله أخبرنى أنّى أموت فى أرض غربه و أنّه يلى غسلى و دفنى و الصلاه على رجال من أمّته صالحون.

و منها ما فى البحار من أنّه ممّا كتب أمير المؤمنين إلى مالك الأشتر لمّا نعى إليه محمّد بن أبى بكر و كان مقيما بنصيبين، أمّا بعد فإنّك ممّن أسْتَظْهَر به على إقامه الدين و أقمع به نخوه الاثيم و أسدّ به الثغر المخوف، و قد كنت وليّت محمّد ابن أبى بكر مصر فخرج خوارج و كان حدثا لا علم له بالحرب فاستشهد فاقدّم إلّى لنظر فى امور مصر و استخلف على عملك أهل الثقه و النصيحه من أصحابك و استخلف مالك بن شبيب بن عامر.

و قد ذكر جماعه من أهل السير أنّه لمّا بلغ معاويه إرسال على عليه السّلام الأشتر إلى مصر عظم ذلك إليه و بعث إلى رجل من أهل الخراج و قيل: دسّ إليه مولى عمر، و قيل مولى عثمان فاغتاله فسقاه السمّ فهلك، و لمّا بلغ معاويه موته خطب الناس فقال: أمّا بعد فإنّه كان لعلى بن أبى طالب يمينان قطعت إحداهما يوم صفّين و هو عمّار بن ياسر و قد قطعت الاخرى اليوم و هو مالك بن الأشتر.

و فى شرح ابن أبى الحديد أنّه كان فارسا شجاعا رئيسا من أكابر الشيعة و عظماؤها شديد التحقّق بولاء أمير المؤمنين عليه السّلام و نصره و قال فيه بعد موته: رحم الله مالكا فلقد كان لى كما كنت لرسول الله صلّى الله عليه و آله.

ص: ١٦٣

أقول: إنّ الأشر كان رجل فذ من نخع أحد قبائل يمن وقد كان أكثر أهل يمن ذووا بصيره فى الدين و من المخلصين لأمر المؤمنين لوجوه:

١ - أنّ مقاطعه يمن دخل تحت حمايه فارس منذ زمان كسرى أنوشروان و أنّها صارت تحت إداره الفرس عشرات من السنين و اختلطت سكّانها بالفرس فكانوا ذوى بصيره و أجابوا إلى الاسلام عن طوع و إرادته و اتّصلوا بأهل بيت النبى صلى الله عليه و آله فنشأ فيهم رجال من المخلصين لعلى عليه السلام العارفين بحقه أمثال مالك الأشر النخعى و كميل بن زياد النخعى.

٢ - أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله خصّ أهل يمن بأن بعث عليهم على بن أبى طالب عليه السلام غير مرّه، قال فى «ص ٤١٥ ج ٢ من سيره ابن هشام ط مصر»:

«غزوه على بن أبى طالب رضوان الله عليه إلى اليمن»:

و غزوه على بن أبى طالب رضوان الله عليه اليمن غزاها مرّتين، قال ابن هشام: قال أبو عمرو الممدنى: بعث رسول الله صلى الله عليه و آله على بن أبى طالب إلى اليمن و بعث خالد بن الوليد فى جند آخر و قال: إن التقيتما فالأمر على بن أبى طالب.

و كان على عليه السلام سنه حجّه الوداع فى يمن و التحق برسول الله صلى الله عليه و آله فى الحجّ و قد أحرم على إحرام رسول الله صلى الله عليه و آله فاشترك معه فى الهدى الذى ساقه.

قال ابن هشام فى سيرته «ص ٣٨٩ ج ٢ ط مصر»:

قال ابن إسحاق: و حدّثنى عبد الله بن أبى نجيح أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله كان بعث عليّاً رضى الله عنه إلى نجران فلقبه بمكّه و قد أحرم فدخل على فاطمه بنت رسول الله رضى الله عنها فوجدها قد حلّت و تهيأت فقال: ما لك يا بنت رسول الله؟ قالت: أمرنا رسول الله أن نحلّ بعمره فحللنا، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه و آله فلمّا فرغ من الخبر عن سفره قال له رسول الله صلى الله عليه و آله: انطلق فطف بالبيت و حلّ كما حلّ أصحابك قال: يا رسول الله إنّى أهملت كما أهملت فقال: ارجع فاحلل كما حلّ أصحابك قال: يا رسول الله إنّى قلت حين أحرمت: اللهم إنّى اهلّ بما اهلّ به نبيك و عبدك و رسولك محمّد صلى الله عليه و آله، قال: فهل معك من هدى؟ قال: لا، فأشركه

ص: ١٦٤

رسول الله في هديه و ثبت على إحرامه مع رسول الله صلى الله عليه و آله حتى فرغا من الحج و نحر رسول الله صلى الله عليه و آله الهدى عنهما.

قال ابن إسحاق: و حدثني يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن دكانه قال: لما أقبل على رضى الله عنه من اليمن لتلقى رسول الله صلى الله عليه و آله بمكة تعجل إلى رسول الله صلى الله عليه و آله فاستخلف على جنده الذين معه رجلا من أصحابه فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حله من البر الذي كان مع على رضى الله عنه، فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم فاذا عليهم الحلل قال: ويلك ما هذا؟ قال: كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس، قال:

ويلك انزع قبل أن تنتهى به إلى رسول الله صلى الله عليه و آله قال: فانزع الحلل من الناس فردّها في البر قال: و أظهر الجيش شكواه لما صنع بهم.

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم عن سليمان ابن محمد بن كعب بن عجرة، عن عمته زينب بنت كعب و كانت عند أبي سعيد الخدري عن أبي سعيد الخدري قال: اشتكى الناس عليا رضوان الله عليه فقام رسول الله فينا خطيبا فسمعته يقول:

أيها الناس لا تشكوا عليا فوالله إنه لأخشن في ذات الله أو في سبيل الله من أن يشكى، انتهى ما أردنا نقله عن السيرة لابن هشام.

فمما ذكرنا يظهر أنّ عرب اليمن و قبائله الذين سكنوا كوفه بعد الفتح الاسلامي كانوا أهل بصيره بالدين و أهل إخلاص لأهل بيت النبي و أمير المؤمنين عليه السلام، و من هذه الجهة لئلا جمع طلحه و الزبير الجموع في بصره بغيا على حكومه على عليه السلام خرج على إليهم من مدينه بما لا يبلغ ألف نفس من كبار أصحاب النبي اعتمادا على نصره أهل كوفه فاستنصر منهم فنصروه، فانهزم أصحاب الجمل و أكثر المهاجرين في الكوفه من قبائل يمن

موقعه مصر في الحكومه الاسلاميه

مصر من البلاد العريقه في المدينه منذ آلاف من القرون، و قد كشف الباحثون

ص: ١٤٥

فيها آثار المديتيه إلى ما يزيد عن عشرات من القرون، و برع فيها جمع من الفلاسفه الأول قد استمدّ يونان في عصره الذهبي من تعليمات شائعته فيها، ثم عَقِبَ ذلك بحكومته البطالسه فيها فأَسَـسوا فيها دور الحكمة و أَلَّفوا كتباً قيمته بقي منها نحو مجسطى، فكانت مصر متهيئه لبيان دقائق النظم الاجتماعيه و القضائيه و العسكريه أكثر من سائر البلاد.

و هذا هو السبب في تطويل هذا العهد و تعرّضه لكافّه شئون الحياه الماديّه و المعنويّه، فإنّ الاسلام حاو لكلّ ما يحتاج إليه بنو الانسان من النظم و القوانين لتربيته الروح و المادّه، و هذا أحد معانى الشريعه الكامله الناسخه لما قبلها من الشرائع و الباقيه إلى آخر الدهر.

و لكنّ العرب في الحجاز و سائر أقطار الجزيره كانوا في سداجه من العيش و بساطه من الفهم لا يستطيعون تحمّل دقائق القوانين و تفاصيل النظم ممّا يتعلّق بشتّى أنواع المعاش من الزراعه و التجاره و القضاوه و غير ذلك، لعدم الانس بها في حياتهم و عدم ممارسه شئونها.

فدعاهم الاسلام في بادىء الأمر على أبسط تعاليمها في العقيده و الأخلاق، و أزكى شئون الانسانيه من الاعتقاد بالصانع و عبادته و ملازمه الامور الخيريّه من البرّ بالوالدين و صله الأرحام و ترك الفحشاء و الكذب و غير ذلك، و لمّا نشر الاسلام إلى بلاد فارس وجد قوما عريقا في المديتيه و أليفا بالنظم الاجتماعيه ففسح أمامه مجالا لبسط تعاليمه الجذريّه.

كما أنّه إذا نشر الاسلام في مصر وجد أمامه قوم من الأقباط و بقايا الفلاسفه و البطالسه ما رسوا الحياه المديتيه أكثر و أدقّ و لمّا وقعت في حوزة حكومه علىّ عليه السلام قام فيها بتعاليم هامّه و عامّه منها صدور هذا العهد، و إن كان علىّ عليه السّلام يتفرّس بعدم توفيق مالك نفسه لإجرائه.

و قد نفّضّ له علىّ خمسّه عشر فصلا يمتاز بعضها عن بعض بما تضمّن منها من الشئون المختلفه و الاداب الممتازه في كلّ شأن من الشئون.

ص: ١٦٦

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر به عبد الله على أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه، حين ولاه مصر: جباية خراجها، و جهاد عدوها، و استصلاح أهلها، و عماره بلادها. أمره بتقوى الله، و إثارة طاعته، و اتباع ما أمر به في كتابه:

من فرائضه و سننه، التي لا يسعد أحد إلا باتباعها، و لا يشقى إلا مع جحودها و إضاعتها، و أن ينصر الله سبحانه بقلبه و يده و لسانه، فإنه - جل اسمه - قد تكفل بنصر من نصره، و إعزاز من أعزه. و أمره أن يكسر نفسه عند الشهوات، و ينزعها [يزعها] عند الجمحات فإن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم الله. ثم اعلم، يا مالك أنني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل و جور، و أن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك، و يقولون فيك ما كنت

ص: ١٦٧

تقول فيهم، و إنما يستدلّ على الصّالحين بما يجرى الله لهم على ألسن عباده، فليكن أحبّ الذّخائر إليك ذخيره العمل الصّالح فاملِك هواك، و شخّ بنفسك عمّا لا يحلّ لك، فإنّ الشّخّ بالنفس الإنصاف منها فيما أحبّت أو كرهت.

اللغة

(الجباية): جبا الخراج: جمعه، (يزعها): يكفّها، (جمع الفرس):

تغلّب على راكبه و ذهب به لا ينشئ - المنجد -.

الاعراب

حين ولّاه مصر: ظرف اضيف إلى جملة فعلية متعلّق بقوله: عهده.

المعنى

قد عقد لمالك ولايه عامّه على كلّ امور مصر و جمعها في أربع:

١ - الامور المائيّه و الاقتصاديّه الّتي تتركّز في ذلك العصر في جمع الخراج فانّ مصر من الأراضي المفتوحه عنوه انتقل أراضيها العامره إلى المسلمين فقرّروا فيها الخراج.

٢ - في الامور العسكريّه فأثبت له القياده العامّه على القوى المسلّحه و الجامع لها جهاد الأعداء.

٣ - الامور الاجتماعيّه و النظم الحقوقيّه الراجعه إلى كلّ فرد فعبر عنها بقوله: (و استصلاح أهلها).

٤ - عمران البلاد بالزّراعه و الغرس و سائر ما يثمر للناس في معاشهم.

ثمّ ابتداء بما يلزم عليه في نفسه من التّأديب و الحزم ليقدر على إجراء أمره عليه السّلام و حصرها في امور:

١ - تقوى الله و إثارة طاعته.

ص: ١٤٨

٢ - اتباع ما أمر الله في كتابه من الفرائض و السنن.

٣- نصره الله بالقلب و اليد و اللسان.

قال الشارح المعتزلى: نصره الله باليد: الجهاد بالسيف، و بالقلب الاعتقاد للحق، و باللسان: قول الحق.

أقول: لا- ينحصر نصره الله باليد على الجهاد بالسيف فانها تحقق فى كل أعمال الجوارح المرضيه لله تعالى، و منها الجهاد بالسيف إذا حان وقته و حضر شرطه.

ثم وصاه بحفظ نفسه عن التغلب عليه فى اموره و أمر بكسر شهواته و ميوله نحو اللذائذ الماديه و حذره منها أشد الحذر.

ثم خاطبه باسمه فقال:(ثم اعلم يا مالك انى قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل و جور) فقد أثبت عليه السيلام لمصر فى تاريخها الماضى دول و حكومات و وصفها بأنها عدل و جور، فلا بد من الفحص عن هذه الدول و الفحص عن ماهى عادله أو جائره.

فهل المقصود من هذه الدول هى العمال الاسلاميين بعد فتح مصر، و هل يصح التعبير عنهم بأنها دول عدل و لو باعتبار شمول السلطه الإسلاميه من أواخر خلافه أبى بكر إلى أيام عمر و عثمان فاللدول الجاريه دوله عمر و عثمان مثلا، أو حكومه عمرو بن عاص فاتح مصر و من وليه من امثال ابن أبى السرح، و هل توصف واحده منها بأنها عادله؟ أو المراد من الدول الجاريه المتتاليه فى مصر الدول قبل الإسلام فى قرون كثيره و أشكال شتى فلا بد من بيان إجمالى لهذه الدول، و هل يمكن تعرف دوله عادله فيها أم لا.

فنقول: نتوجه إلى دول مصر فى ضوء القرآن الكريم فانه قد تعرض لشرح بعض دولها إجمالا فيما يأتى.

١ - دوله مصر المعاصر لىوسف النبى صلوات الله عليه المعبر عنها بدوله عزيز مصر.

ففى سورة يوسف الايه ٣٠ «وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا»

ص: ١٦٩

«عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ».

و الظاهر أنَّ عزيز مصر هو حاكمها و رئيسها في هذا العصر المعبر عنه بفرعون و قد قيل: إنَّ عزيز مصر غير فرعون مصر بل هو رئيس جندها أو أحد أركان دولتها و لكن سياق الايات الواردة يأبأها، فانظر إلى آيه ٤٢ في بيان رؤيا الملك:

«وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَ سَبْعَ سُتَلَاتٍ خُضِرٍ وَ أُخْرَى بَاسَاتٍ » - إلى آيه - ٥٠ - «وَقَالَ الْمَلِكُ اثْنُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ النُّسُوءِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ » - ٥١ - «قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتَنِّي يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْبَآنُ حَصِيْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ » - إلى آيه - ٥٤ - «وَقَالَ الْمَلِكُ اثْنُونِي بِهِ أَشَيْتَ خَلِصَهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ».

فسياق هذه الايات يشهد بوضوح أنَّ زوج زليخا و عزيز مصر رجل واحد و هو حاكم مطلق على امور مصر و ليس فوقه أحد، و يستفاد من نص الايات الأخيره من سوره يوسف أنَّ عزيز مصر لما اطلع على مقام يوسف و طهارته و عصمته و نبوته تنزل عن عرش مصر و فوض إليه امور مصر كافه فصار يوسف عزيز مصر، كما في آيه ٧٨ «يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ » - إلى آيه ٨٨ - «قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَ أَهْلْنَا الضَّرَّ وَ جِئْنَا بِبِضَاعِهِ مُزْجَاهٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَ تَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ».

فعزيز مصر و هو زوج زليخا و إن لم يتنزل عن العرش رسماً بحيث تتحوّل الحكومه من بيت إلى بيت لكنه آمن بيوسف و انقاد له و فوض إليه اموره، كما يستفاد من الايه ٢٤ - المؤمن - عن قول مؤمن آل فرعون موسى «وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا».

و هذا الذي ذكرناه و إن كان مخالفا لما اثبتته التوراه في تاريخ يوسف

ص: ١٧٠

و تبعها التواريخ و لكن الالتزام بتحريف التوراه و التاريخ ليس بعيدا عن الصواب بعد ظهور القرآن المستند إلى الوحي، و بهذه الجبهه قال الله تعالى في آيه ١٠٢:

«ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ» و يتعارض القرآن مع التوراه في موارد شتى من قصه يوسف أشرنا إليها في تفسيرنا لسوره يوسف «كانون عفت قرآن» من أراد الاطلاع فليرجع إليه.

فعلى ضوء هذا التفسير كان دوره عزيز مصر فى زمن يوسف عليه السلام دوره عادله و دوره فرعون مصر المعاصر لموسى بن عمران دوره جائره من كل النواحي منكر الله تعالى و لعبادته و مناديا على رءوس الأشهاد «أَنَا رَبُّكُمْ الْمَعْلَى» و ظالما لبنى إسرائيل إلى حيث يذبح أبنائهم و يستحيى نسائهم و يجزّ عليهم بلاء عظيمما ليستأصلهم عن شافتهم حتى صارت من الأمثال السائرة العالميه فى الجور و الظلم و العدوان.

هذا بالنظر إلى مجمل التاريخ المنعكس فى الكتب السماويه.

و قد انتهت حكمومه مصر قبل الإسلام إلى بطالسه يونان فأثروا فى بسط الفلسفه اليونانيه فيها و أسسوا دورا لتعليم الفلسفه و مكتبه عامّه بقيت إلى عصر الفتح الإسلامى و كان حاكم مصر و واليه فى ذلك العصر مقوقس الذى كتب إليه رسول الله صلى الله عليه و آله كتابا يدعوه إلى قبول الإسلام مع الكتب التى بعثها إلى غير واحد من رؤساء و ملوك ذلك العصر، فى سيره ابن هشام «ص ٣٩٢ ج ٢ ط مصر».

قال ابن هشام: حدثني من أثق به عن أبي بكر الهذلي قال: بلغني أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله خرج على أصحابه ذات يوم بعد عمرته التى صدّعنها يوم الحديبيه فقال: أيها الناس إنّ الله قد بعثنى رحمه و كافه فلا تختلفوا علىّ كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم، فقال أصحابه: و كيف اختلف الحواريون يا رسول الله؟ فقال:

دعاهم إلى الذى دعوتكم إليه فأما من بعثه مبعثا قريبا فرضى و سلم، و أما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وجهه و ثقّل و شكّا ذلك عيسى إلى الله، فأصبح المتثاقلون و كلّ واحد منهم يتكلّم بلغه الامّه التى بعث إليها، و بعث رسول الله صلى الله عليه و آله رسلا من أصحابه و كتب معهم كتابا إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام، فبعث دحيه بن خليفه

ص: ١٧١

الكلبي إلى قيصر ملك الروم، وبعث عبد الله بن حذافه السهمي إلى كسرى ملك فارس، وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشه، وبعث حاطب ابن أبي بلتعنه إلى المقوقس ملك الاسكندريه - إلخ.

و مقوقس هذا رجل يوناني يحكم على مصر عقب ملوك بطالسه و كان تحت حمايه ملوك الروم البيزنطيه في ذلك العصر، فلمّا جاءه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليه الكتاب لقيه ببشر و احترام و ردّه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله مصحوباً بهدايا منها الماريه القبطيه التي قبلها رسول الله صلى الله عليه وآله بقبول حسن و سرّيتها و اتّخذها لفراشه و أولدها فولدت له إبراهيم ابن النّبي و نالت حظوه عند رسول الله صلى الله عليه وآله.

و قد دخل مصر في حوزة الإسلام سنه العشرين من الهجره و أقدم على فتحها عمرو بن العاص بعد ما استتب للمسلمين فتح سوريّه و تسلّطوا عليها و فرّ هرقل ملك الروم الشرقيه إلى قسطنطينيه.

فلما سافر عمر إلى الشام للنظر في أمر معاويه و ما بلغه من سرفه لقيه عمرو بن العاص في قريه يقال لها: جابيه قرب دمشق و أدخله به و عرض عليه زحفه إلى مصر بجيش من المسلمين معللاً بأنّ فتح مصر يضاعف شوكة الإسلام، فمنعه عمر معللاً بخوفه من جموع الروم الساكنين في مصر للدفاع عنها على جيش الإسلام، فأقام عمرو بن العاص في دمشق حتّى استقرّ سلطه الإسلام على جميع بلاد الشام و رجع بعد فتح النوبه إلى فلسطين بأمر من عمر، و يهّمّه فتح مصر دائماً حتّى تهيأ جيشاً و قصد مصر من دون تحصيل رخصه من عمر، و بلغ خبره إلى عمر فلم يرتضه و كتب إليه: «من عمر بن الخطاب إلى العاصي بن العاصي أمّا بعد فانك سرت إلى مصر و من معك و بها جموع الروم، و إنّما معك نفر يسير و لعمري لو ثكلت أمك و ما سرت بهم فإن لم يكن بلغت مصر فارجع بهم».

و أمر عقبه بن عامر الجهني بإيصال هذا الكتاب إلى عمرو بن عاص معجلاً فأسرع لإيصال المكتوب حتّى أدركه في رفح، و هي مرحله في طريق مصر منها إلى عسقلان يومان، فلمّا رآه عمرو بن العاص تفرّس أنه قاصد من عمر ليرجع

فماطل في أخذ كتابه حتى بلغ عريش و كانت هي بلده من مصر في ساحل بحر الرّوم و نهايه أرض الشّام، فطلب عقبه و أخذ منه كتاب عمر و قرأه على النّاس و قال: هذا العريش الّذى نحن فيه من أى البلاد؟ قالوا: من بلاد مصر، فقال:

لا ينبغي لنا أن نرجع لأنّ الخليفه شرط لرجوعنا عدم دخول مصر، فرحل في تخوم مصر حتى بلغ جيل [الحلال].

و وصل الخبر إلى مقوقس ملك مصر، فأرسل قائدا له يسمّى مذقور الأعيرج بجيش لدفع المسلمين و تلاقى الفريقان في أرض فرما، و اشتدّ الحرب بينهما و قتل من الفريقين جمع كثير فهزم جمع الرّوم و تقدّم عمرو بن العاص إلى قواصر و رحل إلى أمّ دنين و نزل فيها بقرب القاهره، و هي بلده في جنب فسطاط بينهما سور، و هي كانت دار الملك لمصر كما أنّها عاصمه مصر في هذا العصر، ثمّ رجع أعيرج إلى الحرب مع عمرو بن عاص فتلاقيا في أمّ دنين و قتل خلق كثير من الجانبين و دامت الحرب مدّه شهر كامل و لم يتيسّر فتح مصر، و كتب عمرو بن عاص إلى عمر و استمدّ منه، فأرسل عمر أربعة من أبطال المسلمين و هم زبير بن العوام و المقداد ابن الأسود و عباد بن صامت و مسلمه بن المخالم في اثني عشر ألفا لمدهم فأسرعوا في السير و لحقوا بعمرو بن العاص فقوى جيش الإسلام و وهن أمر أعيرج و تحصّن في قصر له و حوله خندق يتخلّله معابر إلى القصر ملاها بقطعات حادّه من الحديد لا يقدر العبور عليها الراكب و الرّاجل، و جهد المسلمون في فتح الحصن، و بلغ الخبر إلى مقوقس، فزحف بجيوش لحرب المسلمين و دام الحرب سبعة أشهر.

فقال الزبير: اضحى بنفسى في سبيل الله عسى أن يفتح هذا الحصن للمسلمين فصنع عدّه مراقى و نصبها على الحصن فقال: إذا سمعتم تكبيرى من فوق السور فارفعوا أصواتكم جميعا معى بالتكبير، فصعد الحصن بجمع من رجاله و هبط و فتح الباب فعرض مقوقس على المسلمين الصلح لما رأى من جهودهم في فتح الحصن و شرط لهم دينارين من الذهب كلّ سنه عن كلّ شخص في مصر، فطلبوا هذا الجزيه من الرّوم الساكنين في أرض مصر و عرض على هرقل فلم يرض بذلك، و أمر مقوقس بالحرب

ص: ١٧٣

مع المسلمين و لكن مقوقس لم ينكث عهده و لحق القبط بالمسلمين، و لما استقرّ المسلمون في مصر صلحا أو عنوه على قول بعضهم و فتحوا الاسكندريّه و دخلها عمرو ابن العاص فتن بها و أراد الإقامة فيها كمرکز لجيوش الإسلام، فاستجاز من عمر في ضمن مكتوب أفصح فيه عن فتوحاته فأجابه بما يلي:

لا تجعلوا بيني و بينكم ماء حتّى إذا ما أردت أركب اليكم راحلتى حتّى أقدم عليكم قدمت.

فلما قرأ مكتوب عمر رحل من اسكندريّه إلى الفسطاط فسكنها و جعلها معسكر المسلمين فتنازع الجيش في مسكنهم حول فسطاط فأمر عمرو أربعة من امراء الجيش فخطوا لهم و عينوا حدود مساكنهم، و قد اشترك من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله في حرب مصر أربعة عشر من المهاجرين يرأسهم زبير بن العوّام، و ستة عشر من الأنصار يرأسهم عباده بن صامت الأنصارى.

و لما تمّ فتح مصر صار عمرو بن عاص واليا عليها و هو أوّل من صار واليا على مصر من المسلمين و هو قرشيّ من سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لوى، و كان يسافر إلى مصر تاجرا في أيّام الجاهليّه، و فتح مصر أيّام عمر يوم الجمعة غرّه محرّم سنه العشرين من الهجره، و بقى فيها واليا أربع سنين و شهورا، زار عمر خلالها مرّتين.

كان في إسكندريّه مصر رجل يسمّى يحيى النحوى من أساقفه إسكندريّه فهداه الله إلى الإسلام فكبر على الأساقفه فاجتمعوا حوله و ناظروه فأجابهم و دام على إسلامه، فلما فتح عمرو بن العاص المصر دخل عليه فاستقبله باكرام لما سمع من فضله و مجاوبته للنصارى في إثبات حقائقه الإسلام و اتّخذة نديما له يكتسب من فضله و حكمته.

فقال يوما لعمرو: قد حزت ما في الإسكندريّه من الأموال و الخزائن و لا كلام لأحد معك في ذلك لكن هنا شيء لا يفيدكم و نحتاج إليه فاعف عنه و دعه لنا، فقال عمرو: ما هو؟ قال: كتب الحكمة التي جمعها ملوك إسكندريّه طيله

ص: ١٧٤

قرون خاصه يونانطيس الذى يدعوه أهل أوروبا فيلاد لفس و كان محباً للحكمه، فأمر رجلاً يسمى زهيره بجمع الكتب و نصبه ضابطاً لمكتبته، فاشترى الكتب من التجار بأثمان غاليه حتى اجتمع فى مكتبته أكثر من أربعه و خمسين ألف كتاباً، و قلده ملوك البطالسه فى جمع الكتب إلى ما خرج عن الاحصاء.

فعجب عمرو بن العاص من كلامه، و قال: لا بدّ من أن أكتب ذلك لعمر بن الخطاب و آخذ منه الجواب فكتب إليه، فأجابه: إن كان ما فى هذه الكتب ما يوافق كتاب الله لا حاجه لنا بها و إن كان مخالفاً له لا نرتضيها فأعدها و امح أثرها فقسّمها عمرو على حمّامات إسكندريّه ليصرفوها فيها بدلاً من الوقود فأوقدوها خلال ستّه أشهر حتى أفنوها.

و قد استنكر بعض المؤرّخين الجدد من أهل مصر صدور الأمر من عمر باحراق كتب مكتبه إسكندريّه لما صدر فى الإسلام من الأمر بالفحص و البحث عن الحقائق و تحصيل العلم و لو بالصّين.

أقول: و قد عرفت ممّا ذكرنا من ملخص تاريخ فتح مصر بيد المسلمين أنّه لم يحكم فى مصر إلى أيّام أمير المؤمنين عليه السّلام و إلى حين صدور هذا العهد التاريخى للأشتر النخعى إلّا عمرو بن العاص و عبد الله بن سرح بن أبى سرح الذى ولّاه عثمان على مصر بعد عزل فاتحه عمرو بن العاص فثار عليه الرّومان، فاستعان عثمان بعمرو فسار إلى مصر و أخمد ثوره الرّومان و أخرجهم من مصر و لكن لم يرض عثمان بعزل عبد الله فاشتركا فى إداره امور مصر و تنازعا و رجّح عثمان عبد الله بن سرح عليه فرجع إلى المدينه ناقماً على عثمان معينا لأعدائه و محرّضاً للقيام عليه حتى قتل و هما واليان على مصر.

و لا يصدق على حكومتهما باعتبار أنهما عاملان للخليفه لفظ الدّوله و لا يمتازان بالعدل و الجور بل كلاهما من نسيج واحد و من أهل النفاق و من أعداء أهل البيت و المخالفين لولايه أمير المؤمنين عليه السّلام و من الحكّام الجائرين فإنّ عمرو ابن العاص توجه فى مصر إلى جمع المال و الادّخار حتى بلغ ثروته إلى حيث

ظهر للملأ- اغتصابه لأموال المسلمين و أخذه من بيت المال فوق حقه و سهمه حتى بلغ خبره إلى عمر بن الخطاب فكتب إليه معاتباً له:

أما بعد، فقد ظهر لي من مالك ما لم يكن في رزقك و لا كان لك مال قبل أن أستعملك، فأنتي لك هذا؟ فوالله لو لم يهمني في ذات الله إلا- من اختان في مال الله لكثير همى و انتثر أمرى، و لقد كان عندي من المهاجرين الأولين من هو خير منك و لكنى قلدتك رجاء غنائك فكتب إلي من أين لك هذا المال؟ و عجل.

فأجابه عمرو بن العاص:

أما بعد، فقد فهمت كتاب أمير المؤمنين فأما ما ظهر لي من مال فإننا قدمنا بلادا رخيصه الأسعار و كثيره الغزو، فجعلنا ما أصابنا في الفضول التي اتصل بأمر المؤمنين نباها و الله لو كانت خيانتك حلالا ما خنتك و قد ائتمنتني فإن لنا أحسابا إذا رجعنا إليها أغنتنا عن خيانتك، و ذكرت أن عندك من المهاجرين الأولين من هو خير مني فإذا كان ذاك فوالله ما دقت لك يا أمير المؤمنين بابا و لا فتحت لك قفلا.

فلما وصل جوابه إلى عمر كتب إليه ثانيا:

أما بعد فإنني لست من تسطيرك الكتاب و تثقيفك الكلام في شيء، و لكنكم معشر الامراء قعدتم على عيون الأموال و لن تقدّموا عذرا، و إنما تأكلون النار و تتعجلون العار، و قد وجهت إليك محمد بن مسلمه فسلم إليه شطر مالك.

فأعطى الكتاب محمد بن مسلمه و بعثه إلى مصر، فلما وصل إلى مصر و حضر عند عمرو بن العاص أحضر له طعاما، فقال محمد: لو دعوتني إلى الضيافة و أحضرت لي طعاما لأكلته و لكن هذا الطعام مقدّمه للشرّ فنحّه عني و احضر شطر مالك، و لا مناص لعمر و بن العاص من إطاعه أمر عمر، فأمر باحضار شطر من ماله من المواشى و الذهب و الفضه و أثاث الدار و غيرها، فلما نظر إليها رأى خزانة جزيله فقال تأسفا:

لعن الله زمانا صرت فيه عاملا لعمر، و الله لقد رأيت عمر و أباه على كلّ واحد

ص: ١٧٦

منهم عبائه قطوانيه لا تجاوز ما يض ركبتيه و على عنقه حزمه (١) حطب و العاص بن وائل فى مزردات الديباج.

و كان محمّد بن مسلمه من شجعان الأنصار و المخلصين لحكومته عمر فاختره من عمّال غضبه و يبعثه إلى كبار الرجال لإجراء أوامره الرّهيبة الشاقه فهو الذى أجرى أمره فى تشطير أموال خالد بن الوليد فى الشّام و عزله من إماره جيش الإسلام و تأديبه فى محضر الأنام.

و هو الذى أجرى أمر عمر فى سعد بن وقاص باحراق قصره الذى بناه فى الكوفه و نصب فيه بايين من أبواب قصر مدائن.

و هو الذى فتك بكعب بن أشرف و قتله فى عصر النّبىّ صلّى الله عليه و آله كما قال ابن هشام فى سيرته.

فنعول: إنّ الدول التى وقع فى صدر هذا العهد و وصفها عليه السّلام بأنّ فيها عادل و جائر لا يصحّ أن تكون حكومه عمرو عاص و خلفه على مصر لأنّها ليست دوله إلاّ- بتكلّف و لا- يطلق عليها دول بلفظ الجمع مع أنّهما جائران لاتباعهما عمر و عثمان و حالهما معلومه مع أنّهما عريقان فى النفاق و عداوه أهل البيت و خصوصا الثانى منهما.

فلا بدّ أن يكون المقصود من هذه الدّول الحاكمه على مصر قبل الإسلام ممّا بقيت آثارها و أخبارها و عرفها خلق مصر و لو بالنقل عن الأسلاف أو بسبب ثبت أخبارها فى كتب التاريخ، فوجه عليه السّلام مالكا إلى هذا التاريخ العميق العريق فى القدم و ملأ عهده هذا من القوانين السائده فى مصر القديمه و من بعض سير ملوكها العدول.

و لا ينافى توصيف بعض دول مصر بالعداله مع كونهم و ثنيين، لأنّ عداله الدّوله بالنسبه إلى رعاياها و حفظ النظم و الحقوق لا يرتبط بمذهبها، و يمكن أن يعدّ ذلك من كراماته عليه السّلام و إحاطته بالعلوم و الأخبار.

ثمّ تبّه عليه السّلام إلى أنّ سيره الحاكم و الوالى بمالها من التعلّق إلى عموم

ص: ١٧٧

١- (١) كساء قطوانى موضع بالكوفه، المايض: باطن الركبه من كل شىء، حزمه: كومه من حطب.

النَّاسُ تَنعَكِسُ فِي التَّارِيخِ وَ تَلْهَجُ بِهَا الْأَلْسُنُ وَ كَمَا أَنَّكَ تَقْضِي فِي أَعْمَالِ الْوَلَاةِ قَبْلَكَ يَقْضِي عَلَيْكَ مِنْ يَقُومُ مَقَامَكَ، بَعْدَكَ وَ دَلِيلُ الصَّيْلِحَاءِ مَا يَجْرِي عَلَى لِسَانِ الْعِبَادِ بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَا تَتَوَجَّهْ إِلَى ادِّخَادِ الْأَمْوَالِ كَمَا هُوَ عَادَةُ طُلَّابِ الدُّنْيَا الْمُفْتُونِينَ بِهَا بَلْ لِيَكُنْ أَحَبَّ الذِّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ لِلْوَالِي وَ عَامِلِهِ مَا يُوْجِبُ رَاحَةَ رَعِيَّتِهِ وَ اجْرَاءَ الْعَدْلِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَ لَذَا أَمْرٌ بِمَنْعِ الْهَوَى عَنْ التَّأْثِيرِ فِي أَعْمَالِهِ وَ مَنْعِ النَّفْسِ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُ.

الترجمه

بنام خداوند بخشنده مهربان.

این فرمان بنده خدا امیر مؤمنانست بمالک بن حارث الأشتر که باید آنرا در عهده خود بشناسد، و این فرمان هنگامی شرف صدور یافته که او را والی بر کشور مصر نموده تا خراج آن را بگیرد و با دشمن آن بجنگد و ملت آنرا اصلاح کند و بلاد آنرا آباد نماید.

۱ - تقوا از خدا را شعار خود کند و طاعتش را غنیمت شمارد و از آنچه در کتابش از فرائض و سنن دستور داده پیروی نماید، زیرا هیچکس بسعادت نرسیده مگر با پیروی از آنها، و کسی بدبخت نگردد مگر بانکار و ترک عمل بدانها.

۲ - خداوند سبحان را با دست و دل و زبان یاری کند، زیرا خدای جلّ اسمه ضامن یاری و عزت کساناست که او را یاری کنند و عزیز شمارند.

۳ - خود را از شهوترانی و سرکشی نفس بازدارد، زیرا نفس بطبع خود بدخواه است مگر خدا رحم کند.

ای مالک من تو را بکشوری فرستادم که پیش از تو دولتهای عادل و ظالمی بخود دیده، مردم بهمان چشم تو را بینند که تو والیان پیش از خود را بینی، و در باره تو همان را می گویند که در باره آنها میگوئی، خداوند مردمان نیک و شایسته را بزبان بندگان خود معرفی میکند، باید محبوبترین ذخیره در نظر تو پس انداز کردن عمل صالح باشد، هوای نفس خود را داشته باش و نسبت بخود از آنچه بر تو

ص: ۱۷۸

حلال نیست دریغ کن، زیرا دریغ کردن بخویشتن رعایت انصاف با او است در آنچه دوست داری یا بد داری.

الفصل الثانی من عهده علیه السّلام للاشتر النخعی

اشاره

و أشعر قلبك الرَّحمة للزَّعِيَّةِ، و المَحَبَّةَ لَهُمْ، و اللطْفَ بِهِمْ، و لا- تكونَنَّ عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم، فَإِنَّهُمْ صَنَفَانِ: إِمَّا أَخْ لَكَ فِي الدِّينِ، و إِمَّا نَظِيرَ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلَلُ، و تعرض لهم العِلَلُ، و يؤتى على أيديهم فى العمد و الخطاء، فأعطهم من عفوكَ و صفحك مثل الذى تحبُّ أن يعطيك الله من عفوهِ و صفحهِ، فَإِنَّكَ فوقهم، و والى الأمر عليك فوقك، و الله فوق من ولّاكَ، و قد استكفأك أمرهم، و ابتلاك بهم، و لا تنصبَنَّ نفسك لحرب الله، فَإِنَّهُ لا يَدَى لَكَ بنقمتِهِ، و لا غنى بك عن عفوهِ و رحمتِهِ، و لا تندمَنَّ على عفو، و لا تبجحنَّ بعقوبهِ، و لا تسرعنَّ إلى بادرهِ وجدت منها مندوحة، و لا تقولنَّ إِنِّي مؤمَّرٌ أمر فأطاع، فَإِنَّ ذَلِكَ إدغال فى القلب، و منهكهُ للدِّينِ، و تقَرَّبَ من الغير، و إذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبَّهه أو مخيله فانظر إلى عظم ملك الله فوقك و قدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، فَإِنَّ ذَلِكَ

ص: ١٧٩

يطامن إليك من طماحك، و يكفّ عنك من غربك، و يفىء إليك بما عزب عنك من عقلك. إتيأك و مساماه الله في عظمته، و التشبّه به في جبروته، فإنّ الله يذلّ كلّ جبار، و يهين كلّ مختال. أنصف الله و أنصف النّاس من نفسك و من خاصّيه أهلك و من لك فيه هوى من رعيتك، فإنّك إلّا تفعل تظلم، و من ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، و من خاصمه الله أدحض حجّته، و كان لله حربا حتّى ينزع و يتوب، و ليس شيء أدعى إلى تغيير نعمه الله و تعجيل نعمته من إقامه على ظلم، فإنّ الله يسمع دعوه المضطهدين، و هو للظّالمين بالمرصاد. و ليكن أحبّ الأمور إليك أوسطها في الحقّ، و أعمّها في العدل و أجمعها لرضى الرّعيه، فإنّ سخط العامّه يجحف برضى الخاصّه، و إنّ سخط الخاصّه يغتفر مع رضى العامّه، و ليس أحد من الرّعيه أثقل على الوالى مثونه في الرّخاء و أقلّ معونه له في البلاء، و أكره للإنصاف، و أسأل بالإلحاف، و أقلّ شكرا عند الإعطاء و أبطأ عذرا عند المنع، و أضعف صبيرا عند ملّات الدّهر

ص: ١٨٠

من أهل الخاصه، و إنما عماد الدين و جماع المسلمين و العده للأعداء العامه من الأثمه، فليكن صغوك لهم، و ميلك معهم. و ليكن أبعد رعيتك منك، و أشنؤهم عندك أطلبهم لمعايب الناس، فإن في الناس عيوباً، الوالى أحق من سترها، فلا تكشف عن عَمَّا غاب عنك منها، فإنما عليك تطهير ما ظهر [منها] لك، و الله يحكم على ما غاب عنك، فاستر العوره ما استطعت، يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك، أطلق عن الناس عقده كل حقد، و اقطع عنك سبب كل وتر، و تغاب عن كل ما لا يصح لك، و لا تعجلن إلى تصديق ساع، فإن الساعى غاش و إن تشبه بالناصحين. و لا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل، و يعدك الفقر، و لا جباناً يضعفك عن الأمور، و لا حريصاً يزين لك الشره بالجور، فإن البخل و الجبن و الحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله. إن شر وزراءك من كان للأشرار قبلك وزيراً، و من شركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانه، فإنهم أعوان الأثمه،

ص: ١٨١

و إخوان الظلمه، و أنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم و نفاذهم، و ليس عليه مثل آصارهم و أوزارهم ممن لم يعاون ظالما على ظلمه و لا- آثما على إثمه، أولئك أخفّ عليك مئونه، و أحسن لك معونه، و أحنى عليك عطفها، و أقلّ لغيرك إلها، فاتخذ أولئك خاصه لخلواتك و حفلاتك، ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمرّ الحقّ لك، و أقلّهم مساعدته فيما يكون منك ممّا كره الله لأوليائه، واقعا ذلك من هواك حيث وقع، و الصق بأهل الورع و الصّدق ثم رضهم على أن لا يطروك، و لا- ييجحوك بباطل لم تفعله، فإنّ كثره الإطراء تحدث الزّهو، و تدنى من العزّه. و لا- يكوننّ المحسن و المسيء عندك بمنزله سواء، فإنّ في ذلك تزهيدا لأهل الاحسان في الإحسان، و تدريبا لأهل الإساءه على الإساءه و ألزم كلّا منهم ما ألزم نفسه. و اعلم أنّه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظنّ و [ال [راع]] برعيته من إحسانه إليهم، و تخفيفه المئونات عليهم، و ترك استكراهه إيّاهم على ما ليس له قبلهم، فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظنّ برعيّتك، فإنّ حسن

ص: ١٨٢

الظَّنَّ يقطع عنك نصبا طويلا، و إِنَّ أَحَقَّ من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده، و إِنَّ أَحَقَّ من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده. و لا تنقض سنّه صالحه عمل بها صدور هذه الأثمّه، و اجتمعت بها الألفه، و صلحت عليها الرّعيتّه، و لا تحدثن سنّه تضرّ بشيء من ماضى تلك السّين فيكون الأجر لمن سنّها، و الوزر عليك بما نقضت منها. و أكثر مدارس العلماء، و منافثه [مناقشه] الحكماء فى تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك، و إقامه ما استقام به النّاس قبلك.

اللغه

(الضارى): المعتاد للّصّيد، الجرىء عليه، (الصفح): الإعراض عن الذنب و غفرانه، (البجح) بسكون الجيم: الفرح و السرور، (البادره): الحدّه، (المندوحه): السّعه فى الأمر و عدم الضيق و الاضطرار، (الإدغال): إدخال الفساد فى الأمر، (المنهكه): الضعف، (الابّه) و (المخيله): الكبر، (يطامن):

يسكّن، (طماح) النفس: جماحها عن المشتهايات، طمح البصر: ارتفع، (عزب) الفرس حدته و أول جريه، (المساماه): مفاعله من السموّ، (الجبروت):

عظيم الكبر، (أدحض حجته): أبطلها، (ينزع): يرجع، (اجحف) به: ذهب به، (الالحاف): شدّه السؤال و الاصرار فيه، (ملميّات الدّهر): ما يلم و ينزل من خطوبه و بلاياه، (جماع المسلمين): جمعهم و عاقبتهم (الصغو): الميل،

ص: ١٨٣

(أشأنهم): أبغضهم، (الوتر): الحقد، (التغابي): التجاهل و التغافل، (بطانه) الرّجل: خاصّيته الملاصقون به، (الاصار) جمع إصر: الاثام، (حفلاتك):

جلساتك فى المجالس و المحافل، (الاطراء): المبالغه فى المدح و الثناء، (الرّهو):

الكبر، (التدريب): التّعويد، (المناقشه): المحادثه و البحث.

الاعراب

تغتئم أكلهم: جملة حالیه عن اسم لا تكوننّ، مثل الذى تحبّ، صفه موصوف محذوف أى عفوا و صفحا مثل الذى تحبّ، و والى الأمر مبتدأ و فوقك ظرف مستقر خبر له و الجملة حالیه، لا یدى، نافیه للجنس و یدى مبنى على علامه النصب و هو الياء و حذف النون على التوسع و التشبيه بالمضاف.

إِيّاك و مساماه الله، منصوب على التحذير، تغاب: أمر من تغابى يتغابى تغايا للأشرار قبلك، قبلك ظرف مستقر حال عن الأشرار.

المعنى

قد تعرّض عليه السّلام هذا فى الفصل من عهده للأشتر لبيان روابطه مع رعيته و المسوسين له من العامّة و الخاصّه فى ثلاثه مراحل:

الاولى: رابطته باعتبار أنه وال على النّاس و بيده القدره و الأمر و النهى مع كلّ أحد، و بينها فى امور:

١ - أن يكون ملؤ قلبه المحبّه و اللطف و الرّحمه لكافّه الرعيّه.

٢ - عدم سوء الاستفاده عن قدرته عليهم فيصير ذبّا وقع على غنم يأكلهم لأنّ رعاياه، إمّا إخوانه فى الدّين ككافه المسلمين، و إمّا إخوانه فى الإنسانيه كالذّمّى و المعاهد.

٣-الصفح عن خطاياهم و العفو عن ذنوبهم لنقصان التّربيه، و نبّهه على أنّ نسبتهم إليه كنسبته إلى الوالى الامر عليه و فوقه أيضا هو الله، فينبغى الصفح

ص: ١٨٤

عنهم، كما أنّه يرجو الصفح عنه من الوالى الامر و فوقه من الله القادر، و بين أنّ تعذيب عباد الله بمنزله الحرب مع الله العدى لا قدره تجاه عقوبته، و لا غنى عن عفوه و رحمته.

٤ - عدم الندامه على عفو المجرم مهما كان.

٥ - عدم السرور و الانشراح لعقوبه المجرم إذا اقتضاها الضروره.

٦-ملازمه الحلم و الاجتناب عن بادره الغضب.

٧ - لا تفسد قلبك بحديث الرياسه و السلطه.

٨-و إذا أحدث السلطان فيه أبهه و طغيانا فليُنظر إلى عظم ملك الله حتّى يخضع قلبه و يدرك عجز نفسه و يكف عن جريه فى سبيل الأماره، و يجد عقله الزائل فى سكر الرياسه.

٩-حذّره عن اغتراره باحتفاف الناس حوله و انقيادهم له فتطغى نفسه كفرعون و يبارز الله فى عظمته و جبروته، فانه يذلّه الله و يهينه كفرعون و يأخذه بنكال الاخره و الالى و يصير عبره لمن يخشى.

١٠-أمره برعايه الانصاف مع الله و خلقه، سواء بالنسبه إلى نفسه أو أهله أو من يهواه من رعيّته، فلا- يهضم حقّ الله و حقّ أحد من عباده لرعايه هؤلاء فانه ظلم و الله خصم للظالم، و من خاصمه الله أدحض حجّته و كان لله حربا حتّى يتوب و الظلم يوجب تغيير النعم و سلب الأماره و الحكم.

١١-أمره برعايه ما هو الأفضل فى أداء الحقّ و ما هو أعمّ لجميع الرعيّته فى اجراء العدل و ما هو أجمع لرضا الرعيه فى تمشيه الامور و إن كان يوجب سخط الخاصّه من أرباب النفوذ و أصحاب المقامات الساميه، و علّل ذلك بأنّ غضب عامه الرعيّته و عدم رضاهم عن وضعهم يوجب الثوره و البلوى و لا يقدر الخاصّه مهما كانوا مخلصين للحكومه و جادين فى نصرته المقاومه تجاه سيول الثائرين و أهل البلوى كما حدث فى زمان عثمان حيث إنّ سوء سياسته و عدم تأديته الحقوق العموميّه صار

ص: ١٨٥

سببا لنقمه عامه الجيش الإسلامى، فانهازوا من مصر و كوفه و اجتمعوا فى المدينه و حصروا عثمان و لم يقدر خاصته كمروان بن حكم و سائر رجال بنى اميه مع كمال نفوذهم و دهائهم أن يصدّوا سيل الثائرين و المهاجمين حتّى قتل عثمان فى داره و القى بجسده إلى البقيع و تبعه ما تبعه من الحوادث الهامه، و لكن إذا كان العموم راضيا و موافقا مع الوالى فسخط بعض الخواص لا يؤثر شيئا، لأنّ الفرد و الأفراد القليلين لا يقدرّون على مقاومه الوالى إذا لا تساعدهم العموم.

ثم وصف الخاصه الملاصقه بالوالى مع كمال أدبهم و تواضعهم بما يلى:

الف - هم أثقل الناس على الوالى من جهه المئونه و ما يتوقّعون من معاش اشرافى يصاحب الخدم و الحشم و الغلمان و المماليك، كما كان فى حال الرّخاء و العافيه.

ب - هم أقلّ الناس معونه عند حلول البلاء و ضيق الحال.

ج - هم أكره الناس للعدل و الانصاف لأنّ وضعهم يقتضى التجاوز و التعدّى بحقوق غيرهم.

د - هم أصرّ الناس على السؤال و تقديم التقاضا لحوائجهم حقّا كانت أم باطله.

ه - هم أقلّ الناس شكرا للعطايا و أبطأ لقبول الاعتذار عند المنع.

و - هم أضعف صبورا فى النوائب و تجاه الحوادث فيفرون عن صفّ الجهاد عند شدّه البأس، ثم وصف العامه من الناس بما يلى:

هم عماد الدّين و حفاظه، و يتشكّل منهم جامعه المسلمين و السّواد الأعظم و هم العدّه فى الدّفاع عن الأعداء.

١٢- ثم وصف أهل النمامه و طلاب عيوب الناس و أمره بابعاده و شتائه و نبّه أنّ من مصلحه الوالى الستر على عيوب الناس و عدم التفتيش عنها حقّ لا يوجب نفورهم عنه و خوفهم منه.

١٣- أمره بقطع كلّ ما يوجب حقد الناس و تمكّن البغضاء فى صدورهم.

ص: ١٨٦

١٤ - التجاهل عن امور لا يصحّ للوالى الدخول فيها من أحوال الناس الخصوصيّة ممّا لا يصح و يظهر له.

١٥ - التوقّف فى تصديق من يسعى لديه عن غيره حتّى يتفحص و يتحقّق و وصف الساعى بأنّه غاش فى صورته ناصح.

١٦-النهى عن المشوره مع البخيل.

١٧ - النهى عن المشوره مع الجبان.

١٨ - النهى عن المشوره مع الحريص.

و قد أشار إلى أنّ المشوره مع هؤلاء لا تهتدى إلى رأى صالح مصيب باعتبار ما ركز فى طبع هؤلاء من مساوى الأخلاق التى تؤثر فى رأيهم و تكدره، فالبخيل يمنع عن الإيثار و البذل لكلّ أحد كما أنّ الجبان لا يرى الحرب و الجهاد مع الأعداء مصلحه فى حال من الأحوال، لأنّ جنبه يدعوه إلى حفظ النفس و الإخفاء عن العدو كما أنّ الحريص الجامع للدنيا يدعوه إلى الشره.

ثمّ تبه إلى أنّ هذه الذمائم ترجع إلى مبدء واحد و هو سوء الظنّ باللّه تعالى و قلّه معرفته.

و اعلم أنّ الوزير هو المعاون و الظهير كما قال اللّه تعالى حكاية عن موسى ابن عمران «رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَ يَسِّرْ لِي أَمْرِي وَ اخْلَعْ عَقْمَدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَ اجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي أُشَدُّ بِهِ » ٢٥-٢٨ سوره طه» و قد خصّص هذا العنوان بمن يعاون الرؤساء و الملوك حتّى يتبادر من لفظ وزير فلان أنّه سلطان، و والى مصر باعتبار سعه ميدان نفوذه يساوى ملكا من الملوك و قد كان لكلّ فرعون من فراعنه مصر و كلّ ملك من ملوكه و كلّ وال من ولاته الاسلاميين وزراء و معاونون و هم أهيأ الناس للالتصاق بالوالى الجديد و كسب الجاه عنده و إشغال مقام الوزارة لديه و تقديم الهدايا و تحسين الثناء و بذل العون له بما لهم من التجربه و الاطلاع على مجارى الامور، و قلّما يقدر وال جديد أو ملك جديد من التخلّص عن أمثال هؤلاء، و لكنّه صلوات اللّه عليه بيّن حال تلك العصابه

ص: ١٨٧

المتمرّنه على الظلم فقال: إذا كان الوزير وزيرا للوالى الشرير فقد شركه فى الاثام و المظالم و لا يجوز الاعتماد عليه و اتّخاذه بطانه فى امور الحكومه فانّهم أعوان الأثمه و إخوان الظلمه.

ثمّ هداه إلى رجال آخرين يفضّلون على أمثال هؤلاء من وجوه:

١ - لهم مثل آرائهم و نفاذهم فى الامور مبرّؤون من الاصرار و الأوزار لعدم المعاونه على الظلم و الاثم فيكون آرائهم أصقل و نفاذهم أكثر.

٢- أولئك أخفّ مثونه لأنهم أهل صلاح و سداد و لم يعتادوا الاسراف فى المعيشه و ادّخار الأموال.

٣ - معونتهم للوالى أكثر من الوزراء السابقين لعدم اعتيادهم بالمسامحه فى الامور.

٤ - لم يغيّر صفاء قلوبهم المطامع و المكائد فكان حبّهم للوالى خالصا و عطفهم عليه عن صميم القلب.

٥ - لم يألّفوا مع اناس آخرين هم أتباع و أعوان الأشرار الماضين فالفثهم مع غير الوالى قليل.

ثمّ أمره بالانتخاب من أولئك الوزراء الصالحين فقال عليه السّلام:

(ثمّ ليكن آثرهم عندك أقولهم بمرّ الحقّ لك) على خلاف عادته الولاه الظلمه الطالبين لمن يؤيّدهم على أهوائهم الباطله، و قد ذكر الشارح المعتزلى هنا قصّه لطيفه كما يلى:

اتى الوليد بن عبد الملك برجل من الخوارج، فقال له: ما تقول فى الحجاج؟ قال: و ما عسيت أن أقول فيه، هل هو إلّا خطيئه من خطاياك، و شرر من نارك، فلعنك الله و لعن الحجاج معك و أقبل يشتمهما، فالتفت الوليد إلى عمر بن عبد العزيز فقال: ما تقول فى هذا؟ قال: ما أقول فيه هذا رجل يشتمكم، فإنّما أن تشتموه كما شتمكم، و إمّا أن تعفوا عنه، فغضب الوليد و قال لعمر: ما أظنّك إلّا خارجيا، فقال عمر: و ما أظنّك إلّا مجنونا، و قام فخرج مغضبا، و لحقه خالد

ص: ١٨٨

ابن الزّيان صاحب شرطه الوليد، فقال له: ما دعاك إلى ما كلّمت به أمير المؤمنين؟ لقد ضربت يدي إلى قائم سيفي أنتظر متى يأمرني بضرب عنقك، قال:

أو كنت فاعلا- لو أمرك؟ قال: نعم، فلما استخلف عمر جاء خالد بن الزّيان فوقف على رأسه متقلّدا سيفه، فنظر إليه و قال: يا خالد ضع سيفك، فإنّك مطيعنا في كلّ أمر نأمرك به، و كان بين يديه كاتب كان للوليد، فقال له: ضع أنت قلمك فإنّك كنت تضرّ به و تنفع، اللهمّ إنّني قد وضعتهما فلا ترفعهما، قال: فوالله ما زالا وضيعين مهينين حتّى ماتا.

أقول: عمر بن عبد العزيز لما تصدّى للخلافه يعلم أنّ مظالم بنى أمّيه شاعت في الأقطار الاسلاميّة و تلاطمت فكاد عرش الخلافه يسقط فدبّر أحسن تدبير لتعليق تلك المظالم و قطع أيادي المولعين بها بكلّ وجه ممكن، و من أهمّ ما نفّذه إسقاط سبّ أهل البيت من الخطب و ردّ فدك إلى بنى فاطمه كما ذكرناه في مقامه و لم يأل جهدا في إصلاح الاجتماع و لكن لم يتركوه على سرير الخلافه إلّا ممّا يقرب ثلاث سنين.

ثمّ أمره عليه السّلام بالتقرّب بأهل الورع و الصّدق و تركهم على حالهم حرّا لئلاّ ينحرفوا عن طريق الورع و الصدق فيطروه بالثناء و يمدحوه بما لا يستحقّ فإنّ الإطراء يفسدهم و يؤثّر في الوالى فيكسبه زهوا و غرورا فيفسد هو أيضا.

ثمّ أمره برعايه العدالة و الحقّ بينهم و ليس معناه أن ينظر إلى جميعهم بنظره واحده و يكون المحسن و المسىء سواء فإنّه يوجب تزهيد أهل الاحسان في الاحسان و تدريب أهل الإساءه بالإساءه.

ثمّ تّبّه على أنّ ألزم ما يكون يتوجّه إليه الوالى جلب حسن ظنّ الرعيّه و جلب عطفه و أدعى شيء إلى ذلك أمران:

١ - الاحسان بالرعايا ببذل ما يحتاجون من المئونه و الحوائج.

٢ - تخفيف ما يطلب منهم من الخراج و المئونات و ترك استكراهم على ما ليس في عهدتهم لجلب حسن ظنّهم و اعتمادهم على الوالى فحسن الظنّ بالوالى إذا عمّ الرعايا يسهّل الأمر عليه في إرادتهم و لا يحتاج إلى بثّ العيون و المحافظين

ص: ١٨٩

عليهم، و حسن الظن لا بدّ و أن يكون أثر التجربه و الامتحان.

ثمّ و صيّا به برعايه السنن الصالحه الّتي عمل بها صدور الامة الاسلاميه و شاعت بين المسلمين و ألفوا بها فلا يصحّ نقض هذه السنن و تبديلها بالبدع أو تركها رأساً و المقصود منها السنن الحسنه الّتي عمل بها المسلمون اقتداء بالنبيّ صلى الله عليه و آله أو عملوها في مشهد من النبيّ فأقرّهم عليها فصارت من السنن الاسلاميه الثابته.

الترجمه

۱ - دلت را نسبت برعيت پر از مهر و محبت و لطف کن، نسبت به آنها چون درنده آزار کننده ای مباش که خوردن آنان را غنیمت شماری، زیرا از دو کس بیرون نیستند یا برادر دینی تو هستند یا هم نوع تو محسوبند و در معرض لغزش و خطا قرار دارند و از روی عمد و یا خطا گاهی تجاوز می کنند، باندازه ای در باره آنها گذشت و عفو منظوردار که خود از خداوند توقع گذشت و عفو گناه خود را داری، تو بالادست آنهائی و والی تو بالا دست تو است و خداوند بالا دست کسی است که تو را والی کرده و کار آنها را بتو وانهاد و بوسیله آنها تو را در معرض امتحان قرار داده است.

۲ - هرگز بجنگ و ستیز با خدا بر مخیز زیرا تاب انتقام او را نداری و از عفو و رحمتش بی نیاز نیستی.

۳ - هرگز از عفو خلافتکار پشیمان مباش.

۴ - هرگز بر شکنجه و عقوبت مبال.

۵ - تا راه گریز داری بتندی و تحکم مشتتاب، مگو من فرماندهم و فرمانم اجراء می شود، زیرا این خود فساد در دل و سستی در دین پدید می کند و دگرگونی و آشوب ببار می آورد.

۶ - چون از ملاحظه حکومت و مقاومت تکبر و سرافرازی بتو دست داد.

نگاهی بملک بزرگ خدا کن که بالا- دست تو است و توجه کن که خداوند بر تو قدرت دارد و تو در برابر او بر خود هم قدرت نداری زیرا این توجه سرکشی ترا

ص: ۱۹۰

فروشانند و تندی ترا باز دارد و عقلی که بر اثر خود بینی از سرت بدر رفته به تو باز گردد.

۷ - مبدا با خداوند در بزرگی و جبروت سر همسری و همانندی داشته باشی زیرا خداوند هر جباری را خوار و هر بالنده ای را زبون می کند.

۸ - نسبت بخداوند و مردم از طرف خودت و خاندانت و دوستانت انصاف و عدالت را مراعات کن، اگر نکنی ستم ورزیده ای (و هر کس ببندگان خدا ستم کند خدا از طرف بندگانش خصم اوست و چون خدا با کسی خصومت کند دلش را باطل نماید و با او بجنگد تا برگردد و توبه کند)، هیچ چیز از ادامه ستمکاری مؤثرتر در زوال نعمت خداوند و تعجیل انتقام او نیست، زیرا خدا نفرین ستمکشان را خوب می شنود و در کمین ستمکاران است.

۹ - کارهایی را بیشتر دوست دار که با حقیقت تر و عادلانه تر و رضایت عمومی رعایا را بهتر جلب می کند، زیرا خشم ملت رضایت مخصوصان دولت را پایمال می کند ولی خشم مخصوصان دولت با وجود رضایت عمومی ملت جبران و در گذشت می شود، مخصوصان و اطرافیان والی در هنگام صلح و آسایش هزینه بسیار سنگینی بر او تحمیل می کنند و در هنگام گرفتاری کمتر باو کمک می دهند، از عدالت بیشتر بدشان می آید و پروتر در خواست عطا و مقام می کنند، چون به آنها چیزی داده شود کمتر شکر می کنند و اگر دریغ شود دیرتر عذر می پذیرند، و در پیشامدهای ناگوار روزگار ناشکیبا ترند.

همانا ستون دیانت و جامعه مسلمانان و ذخیره دفن دشمنان توده عمومی ملت باشند، باید گوشت بسخن آنها و دلت با آنها باشد.

۱۰ - هر کس از رعایا نسبت بمردم عیب جوتر است او را از خود دور کن و دشمن تر بدار، زیرا طبعاً در مردم عیبهایی هست که بایست والی بیشتر از دیگران آنها را بپوشد، در مقام مباحث که عیب آنها را بدانی زیرا هر چه را بدانی باید آنرا اصلاح کنی ولی آنچه از تو پنهانست خدا در باره آن حکم می کند تا،

ص: ۱۹۱

می توانی بدیها را بپوش تا خدا عیب ترا از رعیت بپوشد.

۱۱ - با مردم بهیچ وجه کینه توزی مکن و خونی از آنها بر عهده مگیر و از آنچه بر تو روشن نیست تغافل بورز.

۱۲ - در تصدیق را پورتچیان سخن چین شتاب مکن، زیرا آنان در لباس خیر خواه آب بشیر می کنند.

۱۳ - چند طایفه را هم شور خود مکن.

الف - بخیل، زیرا تو را از فضل و احسان منصرف می کند و از تهی دستی بیم می دهد.

ب - ترسو، زیرا تو را در هر کاری بسستی و ضعف می کشاند.

ج - حریص و آزمند، زیرا دست اندازی بر خلاف حق را در نظر تو نمایش می دهد، بحل و ترس و حرص چند خصلت بدند که ریشه همه آنها بد گمانی بخدا است.

۱۴ - بدترین وزیران تو کسانی اند که وزیر والیان بدکار پیش از تو بوده اند و با آنها در گناهان همکاری کرده اند، مبادا اینان طرفداران و مخصوصان تو باشند زیرا که یار گنهکاران و برادر ستمگرانند، تو می توانی بجای آنها بهتر از آنها را بیابی، کسانی که نظریات و نفوذ آنها را دارند ولی وزر و وبال آنها را ندارند و با ستمکاران و گنهکاران همکاری نکرده اند، این مردان پاکدامن هزینه کمتری بر تو تحمیل می کنند و نسبت بتو مهربانترند و با بیگانه ها کم الفت ترند، آنها را مخصوصان جلسه های سرّی و انجمنهای علنی خود قرار ده سپس بر گزیده تر آنها پیش تو کسی باشد که حق را بی پرده برابر تو بگوید و در مخالف خواست حق برای دوستانش ترا کمتر مساعدت کند چه دلخواه تو باشد چه نباشد.

۱۵ - به پاکدامنان و راستگویان بپیوند و آنها را چنان بار آور و پرور که تملق ترا نگویند و بکارهایی که نکرده ای بیهوده ستایش و خوشامد ترا نگویند، زیرا مدح خود پسندی آورد و بغرور کشاند.

۱۶ - مردمان درست و خوشرفتار و نادرست و بدکار را بیک چشم منگر و برابر

ص: ۱۹۲

مدان، زیرا در این صورت مردان درست و خوشرفتار بخدمت کردن و درستی بی رغبت می شوند و مردان بدکار و نادرست بید کرداری تشویق و وادار می گردند، هر یک از این دو را بیاداش کارشان که خود برای خود خواسته اند برسان.

۱۷ - باید رعیت را بخود خوشبین و امیدوار کنی و بهترین راهش اینست که به آنها احسان کنی و بار هزینه و مخارج آنها را تا می توانی سبک کنی و آنها را به چیزی که در عهده آنها نیست بزور وادار نکنی، در این زمینه طبعاً تو هم برعیت خوشبین خواهی شد و خوشبینی تو به آنها رنج و اندوه فراوان و دنباله داری را از دوشت بر می دارد.

۱۸ - نسبت بهر کس پیش تو آزمایش خوب داده باید خوشبین باشی و هر کس آزمایش بد داده باو بدبین باش.

۱۹ - روش نیکی که پیشروان و رهبران نخست این امت بکار زده اند و با آن توده را بهم پیوسته اند و کار رعیت را اصلاح کرده اند نقض مکن و روش تازه و بدی که باین دستورات نیک گذشته لطمه می زند پدید میاور تا آنانکه روشهای نیک را گذاشته اجر برند و تو و بال نقض آنرا بگردن بگیری.

۲۰ - در باره دستورات اصلاحی کشور و اداره کارهای مردم که پیش از تو بوده است با دانشمندان مطلع بسیار گفتگو کن و با فرزندگان خیر خواه بسیار انجمن نما.

الفصل الثالث من عهده علیه السلام

اشاره

و اعلم أنّ الرّعيه طبقات لا يصلح بعضها إلّا ببعض، و لا غنى ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله، و منها كتاب العامه و الخاصه و منها قضاه العدل، و منها عمال الإنصاف و الرّفق، و منها أهل الجزیه و الخراج من أهل الذّمّه و مسلمة النّاس، و منها التّجار و أهل

ص: ۱۹۳

الصِّناعَات، و منها الطَّبَقَة السِّفْلَى من ذَوِي الْحَاجَةِ وَ الْمَسْكِينِ، وَ كُلٌّ قَدْ سَمَّى اللَّهَ لَهُ سَهْمَهُ، وَ وَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَتَهُ فِي كِتَابِهِ أَوْ سَنَةِ نَبِيِّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ - عَهْدًا مِنْهُ عِنْدَنَا مُحْفُوظًا. فَالْجُنُودُ بِإِذْنِ اللَّهِ حَصُونُ الرَّعِيَّةِ، وَ زِينُ الْوِلَاةِ، وَ عِزُّ الدِّينِ وَ سَبِيلُ الْأَمْنِ، وَ لَيْسَ تَقْوَمُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ، ثُمَّ لَا قَوَامَ لِلْجُنُودِ إِلَّا - بِمَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْخَرَاجِ الَّذِي يَقْوُونَ بِهِ عَلَى جِهَادِ عَدُوِّهِمْ، وَ يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يَصْلَحُهُمْ وَ يَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ، ثُمَّ لَا قَوَامَ لِهَٰذِهِنَّ الصِّنَفَيْنِ إِلَّا بِالصِّنْفِ الثَّالِثِ مِنَ الْقِضَاءِ وَ الْعَمَالِ وَ الْكُتَّابِ لَمَّا يَحْكُمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ، وَ يَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ، وَ يُؤْتَمِنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَ عَوَامِّهَا، وَ لَا قَوَامَ لَهُمْ جَمِيعًا إِلَّا بِالتَّجَارِ وَ ذَوِي الصِّنَاعَاتِ فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مِرَاقِقِهِمْ، وَ يَقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ، وَ يَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفِّقِ بِأَيْدِيهِمْ مِمَّا لَا يَبْلُغُهُ رَفَقَ غَيْرِهِمْ، ثُمَّ الطَّبَقَةُ السِّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَ الْمَسْكِينِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَ مَعُونَتُهُمْ، وَ فِي اللَّهِ لِكُلِّ سَعَةٍ، وَ لِكُلِّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدَرِ مَا يَصْلَحُهُ. وَ لَيْسَ يُخْرِجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالْإِهْتِمَامِ وَ الْإِسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ، وَ تَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ الْحَقِّ وَ الصَّبْرِ

ص: ١٩٤

عليه فيما خَفَّ عليه أو ثقل.

اللغة

(الرَّعيه): الماشيه الراعيه، الماشيه المرعيه، (الطبقه): المرتبه و من ذلك قولهم: طبقه الاجتماعيه و طبقه العمّال و نحوها، (الجند): جمع أجناد و جنود و الواحد جندي: العسكر، (الكاتب) ج: كتاب: العالم و من عمله الكتابه - المنجد.

(الجزيه): الخراج المعروف المجعول على رأس الذّمي يأخذه الامام فى كلّ عام، قال تعالى: «حتّى يعطوا الجزيه عن يد و هم صاغرون» قيل: سمّيت بذلك لأنها قضايه منهم لما عليهم، و قيل: لأنها يجتري بها و يكتفى بها منهم (الحصن):

واحد الحصون: و هو المكان المرتفع لا- يقدر عليه لارتفاعه و منه: الفقهاء حصون الاسلام كحصن سور المدينه - مجمع البحرين.

(المعاهد) جمع معقد: و هو العقد و القرار فى المعاملات و يطلق على الأوراق المتضمّنه للمعاهدات.

الاعراب

لا يصلح بعضها إلّا ببعض، جمله فعليه صفه لقوله طبقات، لا غنى ببعضها لاء المشبهه بليس و غنى اسمها، منها جنود الله جمله اسميه قدّم خبرها لكونه ظرفا، و هكذا ما عطف عليها من سائر الجمل، أو سنّه نبيّه عطف على قوله فريضه عهدا منه منصوب على التميز الرافع للابهام عن النسبه من قوله: قد سمّى الله سهمه و يحتمل أن يكون حالا- لا قوام للجنود: لاء نافية للجنس و الخبر محذوف أى لا قوام متحقّق للجنود، ما لا يبلغه: لفظه ما اسميه: أى شيئا لا يبلغه، و فى الله لكلّ سعه: سعه مبتدأ مؤخر، و فى الله ظرف مستقرّ خبر له و لكلّ جار و مجرور متعلّق بقوله سعه.

المعنى

قد تعرّض عليه السلام فى هذا الفصل من عهده المبارك لبيان طبقات الناس

ص: ١٩٥

و الرّعيه و أثبت للرّعيه طبقات سبعة و ليس المقصود من ذلك إثبات نظام الطبقات و تأييده فان نظام الطبقات مخالف للعدل و الديمقراطيةه الحاكمه بتساوى الرّعيه فى الحقوق.

فالبشر فى تحوّله الاجتماعى شرع من النظام القبليه و الاسره المبني على أنّ الحكم المطلق ثابت لرئيس القبيله و أبى الاسره يحكم على الأفراد بما شاء يعزّ من شاء و يذلّ من شاء، فلا حياه للفرد إلّا فى ضمن القبيله و يشترك معها فى الخيرات و الشرور على ما يراه صاحب الاسره و رئيس القبيله، و هذا أدنى نظام اجتماعى وصل إليه البشر فى تكامله الاجتماعى و انتقاله من الغاب إلى الصّحراء، و قد ظلّ البشر فى هذا النظام آلاف من السنين يسكن فى ظلّ بيوت من الشعر أو الجلد و ينتقل من كور إلى كور، و قد أشار الله تعالى إلى هذا الدور فى قوله:

«وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَ جَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَ يَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَ مِنْ أَصْوَافِهَا وَ أَوْبَارِهَا وَ أَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَ مَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ» - النحل الايه ٨٠.

و قد تحولت امم من هذا النظام إلى نظام مدنى أرقى قبل آلاف من السنين فقد ذكر بعضهم اكتشاف آثار المدينه فى مصر من قبل خمسه عشر ألف عام و فى الصّين إلى ما قبل ذلك بالاف من القرون، ثم ازدهرت المدينه فى بين التّهرين و ضواحي ايران و فارس و ظلّ قبائل اروبيا و إفريقيا برابره يعيشون تحت الخيام إلى هذه العصور الأخيره إلّا ما ظهرت من المدينه فى يونان و بعض ضواحي البحر الأبيض و جزرها.

فنظام الطبقات يحصل للامم بعد التحوّل من النظام القبلى و مرجعه إلى اعتبار الامتيازات بين الأفراد و الأصناف و يبتنى على التبعيض فى الحقوق العامه، كما شاع الان فى افريقيا الجنوبيه حيث إنّ الجنس الأبيض و هم الاسره الحاكمه فى البلاد يمتازون عن السودان و هم أكثر سكان البلاد الأصليين بحقوق واسعه، فنظام الطبقات

ص: ١٩٦

يخالف التساوى و التاخى بين الأفراد و التساوى فى الحقوق كما نادى به الإسلام فى القرآن الشريف حيث يقول: «يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» - ١٣ - الحجرات» و قد تعلق العرب على النظام الطبقاتى و اعتبار الامتياز من وجوه شتى: منها عدم تزويج بناتهم مع غير العرب و عدم تزويج القبائل بعضها مع بعض باعتبار علو شأنه، و قد اهتم النبى صلى الله عليه و آله بمحو النظام الطبقاتى و إلقاء هذه الامتيازات المتوهمه بكل جهده.

و مقصوده عليه السلام من قوله (و اعلم أن للرعيه طبقات) ليس اثبات الطبقات بهذا المعنى بل بيان اختلاف الرعيه فى ما تتصدىيه من شئون الحياه البشريه حيث إن الانسان مدنى بالطبع يحتاج إلى حوائج كثيره فى معاشه من المأكل و الملبس و المسكن و لا يقدر فرد واحد بل أفراد على إداره كل هذه الامور فلا بد و أن ينقسم الرعيه بحسب مشاغله إلى طبقات و يتصدى كل طبقه شأنًا من الشئون و شغلا من المشاغل، ثم يتبادل حاصل أعماله بعضهم مع بعض حتى يتم أمر معيشتهم و يكمل حوائج حياتهم و جعل الرعيه سبع طبقات:

١ - الجنود المحافظون للحدود و الثغور و المدافعون عن هجوم الأعداء.

٢ - كتاب العامه المتصدون لكتابه العقود و المعاهدات و الحقوق و غيرها من المراسلات.

٣ - قضاه العدل و رؤساء المحاكم المتصدون للترافع بين الناس و النظر فى الدعاوى و اثبات الحق عن غيره بحسب الموازين القضائيه المقرره.

٤ - عمال الامور الحسيه المحافظون على الانصاف و الرفق بين الناس و هم الذين يجرون الأحكام القضائيه و ينفذونها و يتعلق هذه الوظيفه فى هذه العصور باداره الشرطه العامه و ما يتبعها من المخافر.

٥- أهل الجزيه و الخراج من أهل الذمه و مسلمه الناس، قال ابن ميثم و قوله من أهل الذمه و مسلمه الناس تفصيل للأهل الأول، فأهل الذمه تفسير لأهل الجزيه و مسلمه الناس تفسير لأهل الخراج، و يجوز أن يكون

ص: ١٩٧

تفسيرا لأهل الجزية و الخراج لأنّ للامام أن يقبل أرض الخراج من سائر المسلمين و أهل الذّمّه.

أقول: لا إشكال في اختصاص أهل الجزية بالذّمين، و أمّا أهل الخراج أيضا كان أكثرهم في صدر الإسلام ذمّيا لأنّ المسلمين مشغولون بأمور الدّين و تجهيز الجيوش و لا فرصه لهم في الاشتغال بزرع الأرض و حرسها فكلّ أرض يملكها المسلمون يكون في أيدي أهل الذّمّه يعملون فيها و يؤدّون خراجها، و لكن ظهر في أهل الخراج من المسلمين و زادوا تدريجا بوجهين:

الف - أنّ كثيرا من أهل الذّمّه التابعين للإسلام أسلموا فيما بعد لما ظهر لهم من دلائل صدق الاسلام و حسن سلوكه.

ب - أنه بعد ما شاع الاسلام في كثير من المعموره و انتشر في البلدان النائية العامره كمصر و الشام فقد تصدّى جمع من المسلمين لأمر الزراعة و الحرث و صاروا من أهل الخراج.

٦ - التجار و أهل الصناعات و الحرف الكثيره التي عليها مدار حياه البشر و اداره شتّى شئونها من التجاره و البنايه و العماره و غيرها.

٧ - الطبقة السّفلى من ذوى الحاجه و المسكنه، و التعبير عن هذه الطبقة بالسفلى باعتبار أنها لا تقدّم عملا نافعا في الاجتماع تتبادل به مع أعمال الطبقات الاخر فلا بدّ و أن تعيش من عمل الطبقات الاخر.

و قد بيّن عليه السّلام في نظم طبقات الرّعيه أنه لا محلّ للعاطل و من لا يعمل عملا يفيد الاجتماع في المجتمع الحيّ البشرى، فما ترى بين الامه من جماعات لا يتصدّون لهذه المشاغل و يعيشون ربما أرغد عيش بين الرّعيه فهم كاللصوص و المغيرين.

فمنهم أرباب رءوس المال الذين يتحصّلون الأرباح من رأس مالهم و يعاملون بالرّبا، و قد قال الله تعالى «وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرّبا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ. فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ» - ٢٧٨ - البقره.

و قد شاع هذه الطبقة في هذه العصور يسكنون القصور و يعيشون بالهناء

ص: ١٩٨

و السرور من دون أن يعملوا عملا للاجتماع.

و منهم أرباب الحيل و المخاديع مَن يدعى السحر و النيرنجات و الزمل و أمثال ذلك فيتوجّه إليهم البسطاء من الناس و يبذلون فى سبيل دعاويهم الباطله الغالى و الرخيص من أموالهم.

و منهم أصحاب التعاويذ و الدراويش و من هذا حذوهم مَن يحصلون أموال البسطاء و الغافلين بأنواع المكائد و الحيل.

و منهم من يسأل بكفّه و يدور فى الأسواق و الدّور و يستغيث بالنّاس لتحصيل المعاش و الرزق بالتكدّى.

و لو عدّ فى مثل هذه العصور طبقات النّاس فى بلد إسلامى يوجد فيها طبقات كثيره لا تدخل فى هذه السبعه.

ثمّ يبيّن عليه السّلام الموقع الاجتماعى لكلّ من هذه الطبقات و احتياج بعضها إلى بعض فى إداره شؤون الحياه و إدامتها فوصف الجنود بأنهم:

١ - حصون الرّعيه و وسيله الأمن و الرّاحه لهم بحيث لا- حفاظ و لا- دفاع تجاه الأعداء المهاجمين أو اللصوص السالبين إلّا بوجودهم.

٢ - زينّه و ابهه للولاه تجاه العدو الخارجى و المخالف الدّاخلى فلو لا وجود الجند لا يمكن للوالى تمشيّه الامور و تدرّيها.

٣- الجنود الاسلاميه الذين يقومون فى ميادين الجهاد بنصره الحقّ عزّ للدين تجاه الأعداء الكافرين.

٤ - الجنود سبل للأمن من وجوه شتى فلا يجترىء اللّص أن يسلب أموال النّاس خوفا من الجنود و لا يجترىء العدو أن يهاجم على المسلمين و يسلبهم أموالهم خوفا من الجنود.

و لا بدّ لمعاش الجندى و سدّ حوائجه من وجوه كافيه يصل إليه دوما و هو الخراج الّذى يتحصّل من الأراضى الخراجيه و قد يكون أجناسا صالحه للمعيشه كحصّه من حنطه الأرض الخراجيه، و قد يكون درهما و دينارا يصرف فى رفع

ص: ١٩٩

الحوائج، فوجود الجند إنما يقوم على الخراج المقرّر له فإنّه لو لا هذا الخراج يحتاج إلى التخلّي عن شغله و السعى وراء طلب المعيشه فلا يبقى جندياً فإنّ الجنود لا بدّ و أن يكونوا معدّين للجهاد و مقاومه العدوّ في كلّ حين و تحصيل الخراج و ايصاله إلى الجند يحتاج إلى الصنف الثالث من القضاء و العمّال و الكتّاب، فإنّ الخراج إنّما يؤخذ على طبق معاهده بين عمّال الأرض و الوالى فلا بدّ من تنظيم أسناد ثمّ لا بدّ من عمّال يحصّون الخراج من عمال الأرض طبق المعاقده المرضيه و ربما ينشأ هناك خلافات بين عمّال الوالى و عمّال الأراضى أو بعضهم مع بعض فلا بدّ من الرجوع إلى القاضى فى حلّ هذه الخلافات، و هذه الجامعه المركبه من القوّه الدفاعيه و المائيه و القضائيه و الكتّاب لا يقدرّون على المعيشه إلّا مع ما يقضى حوائج المعيشه من اللباس و الغذاء و أنواع الأثاث و الرياش التى يحتاج وجودها إلى من يصنعها و يهيئها و إلى من ينقلها من بلد إلى بلد، و هم التّجار و ذوى الصناعات فأهل الصنعه بفنونها و شعوبها منتشرة فى شرق الأرض و غربها و يتخصّص أهل كلّ بلد بصنعه خاصه بهم و الواسطه فى حمل هذه المصنوعات من بلد إلى بلد هم التّجار الذين يتعرّفون وجود كلّ صنعه فى أىّ بلد و يتحمّلون المشاقّ فى نقلها إلى أسواق اخرى حيث يضعونها فى منال أيدي الطالبين، فالتّجار و ذووا الصنعه ركن فى الاجتماع المدني لما يجتمعون عليه من مرافقهم و يقيمونه من أسواقهم و يكفونه من الترفّق بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم.

ثمّ بعد ذلك لا يخلو الاجتماع مهما كان صحيحا و منظّما و عادلا من وجود ذوى العاهات و العجزه و الأشياخ الذين لا يقدرّون على العمل، فهذه الطبقة كالقشر من الشجره فكما أنّه لا يمكن وجود شجره سالمه مثمره من دون قشر، لا يمكن وجود اجتماع خال من هذه الطبقة السفلى، فمنهم من أدّى خدمته أيام شبابه و دوران صحّته ثمّ عرضه الهرم أو اعترضه السقم فتعذّر له العمل، فلا بدّ من رعايته بتحمّل مئونه، و منهم من حرم من القوّه لعاهه عرضته فلا بدّ من حفظ حرمة و رعايه كرامته، و هم الذين يحقّ رفدهم و معونتهم و تهيه وسائل معيشتهم و يسع

رحمه الله كلّ هذه الطبقات السبعة و لكلّ منهم على الوالى حقّ الرعايه و المحافظه بقدر ما يصلحه.

الترجمه

ای مالک، بدانکه ملت از طبقه های چندی تشکیل می شود که باید هر کدام را با دیگری اصلاح کرد و همه با هم پیوسته و مرتبط و بهم نیازمندند.

الف - جنود الله، آرتشی که در راه خدا و برای خدا می جنگد.

ب - نویسندگان عامّه و خاصّه، دفترداران عمومی و منشیان مخصوص که برای رجال و بزرگان نامه های خصوصی والی و کارگزاران عالیرتبه او را تنظیم می نمایند.

ج - قاضیان و دادگران عادل، دادستان ها و قاضیان محاکم.

د - کارمندان انصاف و رفق: تشکیلات کلّ شهربانی و شهرداری، اداره امر بمعروف و نهی از منکر.

ه - اهل جزیه و خراج از کفار ذمی و مسلمانان، بدهکاران مالیات سری و مالیات زمینهای که خالصه دولت اسلامی است و متصرفین آن باید سهم در آمد زمین را بدولت پردازند.

و - بازرگانان و پیشه وران و صنعتگران.

ز - بیچارگان و زبوان که نیازمندند و دست طلب دراز دارند: مردمان بیچاره که سرمایه ای و کار و شغلی ندارند و یا نمی توانند کار کنند و باز نشسته اند و برای قوت خود محتاجند.

خداوند در کتاب خود قرآن مجید و سنت پیغمبرش برای هر کدام از این طبقات بخشی از ثروت که در کشور است نام برده و در خور استحقاقش قرار معینی نهاده، این دستور بودجه و پخش آن بما سپرده است و نزد ما مصون و محفوظ است.

لشکریان باذن خدا پناه رعیت و زینت والیان و عزّت دین و وسیله اُمتیت راهها می باشند، رعیت بی وجود آنها بر سرپا نمی ماند و آنها بر سرپا نمی مانند مگر

ص: ۲۰۱

بوسیله دریافت حقوق خود که خدا از خراج و مالیات برای آنها معین کرده و پیشترگرمی آن در جنگ با دشمنان نیرومند می شوند و زندگی خود را اصلاح می نمایند و رفع نیاز می کنند.

این دو دسته لشکریان و خراج گزاران را دسته سومی باید اداره کند که عبارتند از قاضیان (دستگاه دادگستری) و کارمندان دولت (استانداران و فرمانداران و بخشداران) و نویسندگان (متصدیان امور دفتری) برای آنکه معاملات و معاهدات را منعقد می کنند و عوائد را جمع آوری می کنند و کارهای کلی و جزئی به آنها سپرده است.

زندگی همه اینها اداره نمی شود مگر بوسیله بازرگانان و صنعتگران که وسائل زندگی را جمع آوری می کنند و بازار داد و ستد بوجود می آورند و با دست خود ابزارهای زندگانی را جمع آوری می کنند و می سازند که دیگران نمی توانند بسازند، سپس آن دسته پائین و بیچاره اند که نیازمند و مسکینند، کسانی که باید به آنها بخشش کرد و برای خدا بدانها کمک نمود، هر کدام آنها را نزد والی جائی است و بر او لازم است باندازه ای که زندگی آنها اصلاح شود به آنها کمک دهد.

والی از عهده این خدمتی که خدا بر او لازم کرده بر نیاید مگر بکوشش و استعانت از خداوند و وادار کردن خود بر درستکاری و صبر بر آن سبک باشد بر او یا سنگین.

الفصل الرابع من عهده علیه السلام

اشاره

فَوَلِّ مَنْ جُنُودَكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِإِمَامِكَ، وَأَنْقَاهُمْ جِيًّا، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْمًا، مِمَّنْ يَبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ، وَ يَسْتَرِيحُ إِلَى الْعَذْرِ، وَ يَرَأْفُ بِالضَّعْفَاءِ، وَ يَنْبُو عَلَى الْأَقْوِيَاءِ، وَ مِمَّنْ لَا يَثِيرُهُ الْعَنْفُ، وَ لَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ.

ص: ۲۰۲

ثمّ الصق بذوى الأحساب، و أهل البيوتات الصّالحة و السّوابق الحسنه، ثمّ أهل النجده و الشّجاعه و السّخاء و السّيامحه، فإنّهم جماع من الكرم، و شعب من العرف، ثمّ تفقّد من أمورهم ما يتفقّد الوالدان من ولدهما، و لا يتفاقمّن فى نفسك شىء قوّيتهم به، و لا- تحقرن لطفًا تعاهدتهم به و إن قلّ، فإنّّه داعيه لهم إلى بذل النصيحة لك و حسن الظنّ بك، و لا تدع تفقّد لطيف أمورهم اتكالا- على جسيمها، فإنّ للسير من لطفك موضعا ينتفعون به، و للجسيم موقعا لا يستغنون عنه. و ليكن أثر رءوس جندك عندك من واساهم فى معونته، و أفضل عليهم من جدته، بما يسعهم و يسع من ورائهم من خلوف أهليهم، حتّى يكون همّهم همّا واحدا فى جهاد العدو، فإنّ عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك.

اللغة

(جنود) جمع جند و الواحد جندى: العسكر، (أنقاهم جيا): أظهرهم فى القلب و النفس و ألزمهم للتقوى، (بطؤ) يبطئ: ضدّ أسرع، (رؤف) رأفه:

رحمه أشدّ رحمه فهو رؤوف، (نبا) ينبو: تجافى و تباعد، (أثاره) هيّجه، (العنف):

الشّدّه و القساوه، (قعد به): أعجزه، (النجده): الرفعه، (السماحه): البذل، (جماع الشىء): جمعه، يقال: الخمر جماع الاثم أى جامع لكلّ أصنافه، (فقم)

ص: ٢٠٣

فكما الأمر: عظم، تفاقم الأمر: عظم و لم يجر على استواء - المنجد، (الخلوف):

المتخلفون جمع خلف بالفتح.

الاعراب

أنصحهم فى نفسك: فى نفسك متعلق بقوله أنصحهم، جيبا: تميز لقوله أنقاهم رافع للابهام عن النسبه و كذلك حلما منصوب على التميز، من قوله أفضلهم عن الغضب: متعلق بقوله يبطىء و يفيد المجاوزة أى يبطىء متجاوزا عن الغضب، على الأقوياء: يفيد الاستعلاء، لا يقعد به الضعف: الباء للتعديه، ثم الصق:

يفيد التراخى أى ولّ من جنودك فى الدرجه الثانيه من ذوى الأحساب، ثم أهل النجده: تراخ ثان، جماع: خبر إن أى مجمع الكرامه و شعب من الأعمال الحسنه، لا يتفاقم: نهى مؤكّد، اتكالا: مفعول له لقوله لا تدع، للسير من لطفك: ظرف مستقرّ خبر إن قدّم على اسمها و هو مرفوع موضعا، ينتفعون به:

جمله فعلية صفه لقوله موضعا، أثر: أفعال التفضيل من الاثره يعنى أحبهم و أخصهم إليك، جدته: اسم مصدر من الوجدان مثل عده من الوعد: أى ممّا تمكّن منه.

ورائهم: ظرف مستقرّ صله لقوله من، من خلوف: بيان لقوله من ورائهم.

المعنى

اشاره

قد تعرّض عليه السيّلام فى هذا الفصل لبيان ما يلزم أن يتّصف به الجنديّ من الأوصاف حتّى يستحقّ لمقام الولايه على السائرين و هذا هو من أهمّ امور النظام العسكرى و قد انشأ فى هذه العصور معاهد و مدارس لتعليم النظام و تربيته الضباط و الامراء فى الجيوش و تتضمّن هذه التعليمات تمرينات و تدريبات عسكريّه شاقّه فى دورات متعدّده ينتهى كل منها إلى امتحانات صعبه ربما قلّ الناجحون منها.

و لكنّ الاسلام يتوجّه إلى روجيه الجنديّ أكثر ممّا يتوجّه إلى تدريبه العملى، فإنّ الجنديّ إنّما يواجه العدوّ و يدافع عنه بروحه و ايمانه و قوّه عقيدته أكثر ممّا يعتمد على قوّه جسمه و أعماله، فقد كان رسول الله صلّى الله عليه و آله يجمع المسلمين فى صفوف صلاه الجماعه يعلمهم آى القرآن و يبين لهم طريق عباده الرحمن و يؤيّد

ص: ٢٠٤

اعتقادهم بالله ورسوله بالتمرين والتدريب على الاصول التعليميه للاسلام و يتخرج من بينهم رجال كأكبر قواد الجيوش فى العالم يبارزون الأبطال المدربين فى كليات العسكريه الرومانيه و الفارسيه فيقهرونهم و يغلبون عليهم حتى اشتهروا فى هذه العصور بالبطوله و الشجاعه يقع الخوف فى قلوب الأعداء من ذكر أسمائهم، و قد افتخر النبى صلى الله عليه و آله بقوله: «و نصرت بالرعب مسيرة شهر».

و هذه البطوله الفائقه تعتمد على قوه الروح و الايمان فى القواد الاسلاميين أكثر مما تعتمد على قوه الجسم و التدريبات العمليه، و قد وصف عليه السلام من يستحق مقام الولايه على الجند و ينبغى أن يكون أميرا بسبعه أوصاف:

١ - أن يكون أنصح و أطوع لله و رسوله و للامام المفترض الطاعه من سائر الافراد، فلا يألوا جهدا فى تحصيل رضا الله و رسوله و رضا إمامه مهما كلفه من الجهد و المشقه، و قد قدم هذا الاخلاص و النصح لرسول الله صلى الله عليه و آله سعد بن معاذ رئيس الأوس فى قضيه بدر حين عرض صلى الله عليه و آله على الأنصار الزحف لمقاتله قريش فى بدر فجمع أصحابه و عرض عليهم ما أراه، قال ابن هشام فى سيرته «ص ٣٧٤ ج ١ ط مصر»:

ثم نزل و أتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا غيرهم فاستشار الناس فأخبرهم عن قريش - إلى أن قال: ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك و الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى «فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ» و لكن اذهب انت و ربك فقاتلا إِنَّا معكما مقاتلون، فو الذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد - موضع بعيد مخوف - لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول الله: خيرا و دعا له به.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه و آله: أشيروا على أيها الناس و إنما يريد الأنصار و ذلك أنهم عدد الناس و أنهم حين بايعوه بالعقبه قالوا: يا رسول الله إِنَّا براء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا فإذا وصلت إلينا فأنت فى ذمتنا نمنعك مما نمنع أبنائنا و نسائنا، فكان رسول الله صلى الله عليه و آله يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصره

ص: ٢٠٥

إِلَّا مَمَّنْ دَهِمَهُ بِالْمَدِينَةِ مِنْ عَدُوِّهِ وَأَنْ لَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسِيرَ بِهِمْ إِلَى عَدُوٍّ مِنْ بِلَادِهِمْ.

فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، قَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ: وَاللَّهِ لَكَائِكَ تَرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَجَلَ قَالَ: فَقَدْ آمَنَّا بِكَ، وَصَدَقْنَاكَ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عَهْدَنَا وَموَاقِفَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فَاْمَضْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا أَرَدْتَ فَنَحْنُ مَعَكَ فَوَ الْغَدَى بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخَضْتَهُ لَخَضْنَاهُ مَعَكَ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ وَ مَا نَكْرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوَّنَا غَدًا إِنَّا لَصَبْرٌ فِي الْحَرْبِ صَدَقَ فِي الْإِقَاءِ لَعَلَّ اللَّهَ يَرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرَّبَ بِهِ عَيْنُكَ فَسِرْنَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ.

٢ - أَنْ يَكُونَ أَطْهَرُ أَفْرَادِ الْجَيْشِ قَلْبًا وَ سَرِيرَةً وَ تَجَنُّبًا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَ الْمُنْكَرَاتِ.

٣ - أَنْ يَكُونَ أَثْبَتُهُمْ حِلْمًا وَ تَسَلُّطًا عَلَى نَفْسِهِ تَجَاهَ مَا يَشِيرُ الْغَضَبُ حَتَّى لَا يَسُوقَهُ جَبْرُوتُ أَمَارَتِهِ عَلَى ارْتِكَابِ الشَّدَّةِ بِالنَّسْبَةِ إِلَى مَنْ وَقَعُوا تَحْتَ أَمْرِهِ بَارْتِكَابِ مَا يَخَالِفُ هَوَاهُ كَمَا هُوَ مُقْتَضَى طَبْعِ الْأَمْرَاءِ وَ أَصْحَابِ الْقُوَّةِ وَ بَسْطِ الْيَدِ وَ النُّفُوذِ.

٤ - كَانَ مَمَّنْ يَقْبَلُ الْإِعْتِذَارَ عَمَّنْ ارْتَكَبَ خِلَافًا وَ يَتَّصِفُ بِالْعَفْوِ وَ الصَّفْحِ عَنِ الْمَذْنِبِ.

٥ - حِينَ مَا يَكُونُ جَنْدِيًّا مَوْصُوفًا بِشَدَّةِ الشَّكِيمَةِ تَجَاهَ الْأَعْدَاءِ مَهِيْبًا عِنْدَ السَّائِرِينَ لِإِنْفَازِ أَوَامِرِهِ، يَكُونُ رَقِيقَ الْقَلْبِ يَرَأْفُ بِالضَّعْفَاءِ، كَمَا وَصَفَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ عَزَّ مِنْ قَائِلِ «أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ» ٢٩ - الْفَتْحِ.

٦ - كَانَ مُقَاوِمًا لِلْأَقْوِيَاءِ الْمُعْتَادِينَ لِأَعْمَالِ النُّفُوذِ فِي الدَّوْلَةِ لِإِحْرَازِ مَنَافِعِهِمْ وَ مَقَاصِدِهِمْ وَ تَحْمِيلِ مَظَالِمِهِمْ عَلَى الضَّعْفَاءِ.

٧ - كَانَ حَلِيمًا وَ صَبُورًا تَجَاهَ الشَّدَائِدِ وَ مَفْكَرًا فِي حَلِّ مَا يَنْبُوهُ مِنَ الْعَقْدِ وَ الْعَقَائِدِ فَلَا يُؤَثَّرُ فِيهِ الْعَنْفُ وَ شَدَّةُ النَّائِبَةِ وَ صَعُوبَةُ الْحَادِثَةِ فَيُثِيرُهُ وَ يَجْذِبُهُ إِلَى ارْتِكَابِ مَا لَا يَلِيْقُ بِهِ أَوْ يَجِدُ فِي نَفْسِهِ ضَعْفًا فَيَتَكَاسَلُ وَ يَقْعَدُ عَنِ الْعَمَلِ وَ تَدْبِيرِ الْأَمْرِ

ص: ٢٠٦

و الخطب الذى به حل.

هذا، و إحراز هذه الصفات الكريمة فى الأفراد يحتاج إلى درس كامل عن أحوالهم و إلى تجارب و امتحانات متتاليه و متطاولة ربما لا يتيسر بالنسبه إلى ما يحتاج إليه من الأفراد فقرّر عليه السلام

ضابطتين تكونان كالأماره و الدليل على وجود

هذه الصفات العاليه النفسانيه.

الاول ضابطه الاسره و البيت

و هى فصيله من القبيله تبقى دورا طويلا بعد التحول من النظام القبلى إلى النظام الدولى فكانت العرب تظلّ فى النظام القبلى منذ قرون كثيره حتّى جاء نظام الاسلام فحوّل العرب إلى نظام حكومى أعلى ليس الحاكم فيه إرادته رئيس القبيله و مقرراتها بل الحاكم فيه قانون الاسلام و الدستورات النبويه، و لكنّ المله بقيت تحت تربيته الاسره و البيت فهى التى تكفل تربيته الفرد و تعليمه بلا واسطه أو بوسيله المكاتب أو المعلمين المخصوصين، فذوى الأحساب و أهل البيوتات الصالحه و السوابق الحسنه هم المؤدّبون و المربّون تربيته صحيحه.

فاذا تمّ النظام الحكومى فى الشعب و أكمل فيه وسائل التربيته و الثقيف بانشاء دور التعليمات الابتدائيه و المتوسّطه و العاليه و تشمل جميع الأفراد كما فى الدول الراقيه و الشعوب المتريقيه فينفصل الفرد عن البيت و الاسره و ينتقل إلى تربيته النظام الحكومى فيطالب بالشهادات المدرسيه فى كلّ دور و يعتمد فى تعهده لأئى شغل و مقام إلى ما فى يده من الشهادات المدرسيه و الكليات و المعاهد العلميه و لا ينظر إلى بيته و اسرته و إلى أبيه و أمّه لأنّ جهوده الذى بذله فى سبيل التحصيل المنعكس فى شهاداته المدرسيه و أوراق دور علمه يثبت جوهر شخصيته و ما يستحقّه من الرتب و الدرجات فى النظام و سائر الشئون.

و لكنّ الحكومه الاسلاميه الفنيه فى عصره عليه السلام لم تبلغ إلى حدّ يتكفل تربيته الأفراد، و كان الاعتماد فى صلاحيه الأفراد إلى البيت و الأسره، فالانتساب إلى بيت صالح و اسره معروفه يقوم مقام الشهاده الصادره من كليّته علميه أو معهد رسمى كما كانت حكومه الفرس فى أدوارها الطويله قائمه على نظام الأسره

ص: ٢٠٧

و البيوتات في تربيته الأفراد و تأديبهم و إن بلغت من السعه و النفوذ إلى ما يوجب العجب و التحسين، و قد بين تلك الحكمة الاجتماعية الفيلسوف اليوناني الشهير أرسطوطاليس في ما أجاب به الإسكندر الفاتح الشهير نقله من الشرح المعتزلي بعينه، قال:

رسالة الاسكندر الى أرسطو و ردّ أرسطو عليه

و ينبغي أن نذكر في هذا الموضع رساله أرسطو إلى الإسكندر في معنى المحافظه على أهل البيوتات و ذوى الأحساب، و أن يخصّهم بالرياسة و الامر، و لا يعدل عنهم إلى العامّة و السّفله، فإنّ في ذلك تشييدا لكلام أمير المؤمنين عليه السّلام و وصيّته.

لما ملك الاسكندر ايران شهر و هو العراق مملكه الأكاسره و قتل دارا بن دارا كتب إلى أرسطو و هو ببلاد يونان:

عليك أيّها الحكيم منّا السلام، أمّا بعد، فإنّ الأفلاك الدائره، و العلل السّمائيّه و إن كانت أسعدتنا بالامور التي أصبح الناس بها دائبين، فإنّا جدّ واجدين لمسّ الاضطرار إلى حكمتك، غير جاحدين لفضلك و الاقرار بمنزلتك و الاستنابه (١) إلى مشورتك و الاقتداء برأيك، و الاعتماد لأمرك و نهيك لما بلونا من جدا ذلك علينا، و ذقنا من جنا منفعتك، حتّى صار ذلك بنجوعه فينا و ترسيّخه في أذهاننا و عقولنا كالغذاء لنا، فما ننفكّ نعول عليه و نستمدّ منه استمداد الجداول من البحور، و تعويل الفروع على الاصول، و قوّه الأشكال بالأشكال، و قد كان ممّا سبق إلينا من النصر و الفلاح، و اتيح لنا من الظفر، و بلغنا في العدو من النكايه و البطش ما يعجز العقول عن وصفه، و يقصر شكر المنعم عن موقع الانعام به، و كان من ذلك أنّا جاوزنا أرض سورّيّه و الجزيره، إلى بابل و أرض فارس، فلمّا حللنا بعقوه أهلها - العقوه ما حول الدار - و ساحه بلادهم، لم يكن إلّا ريثما

ص: ٢٠٨

١- (١) كذا، و استناب إلى الامر: سكن اليه.

تلقنا برأس ملكهم هديّه إلينا، و طلبا للحظوه عندنا، فأمرنا بصلب من جاء به، و شهرته لسوء بلائه، و قلّه ارعوائه و وفائه ثمّ أمرنا بجمع من كان هناك من أولاد ملوكهم و أحرارهم و ذوى الشرف منهم، فرأينا رجالا- عظيمه أجسامهم و أحلامهم، حاضره ألبابهم و أذهانهم، رائعه مناظرهم و مناطقهم، دليلا- على أنّ ما يظهر من روائهم و منطقهم أنّ وراء من قوّه أيديهم، و شدّه نجدتهم و بأسهم ما لم يكن ليكون لنا سبيل إلى غلبتهم، و إعطائهم بأيديهم، لو لا- أنّ القضاء أدالنا منهم، و أظفرنا بهم، و أظهرنا عليهم، و لم نر بعيدا من الرأى فى أمرهم أن نستأصل شافتهم، و نجتث أصلهم، و نلحقهم بمن مضى من أسلافهم، لتكون القلوب بذلك إلى الأمن من جرائمهم و بوائقهم، فرأينا أن لا- نعجل باسعاف بادىء الرأى فى قتلهم دون الاستظهار عليهم بمشورتك فيهم، فارفع إلينا رأيك، فيما استشرناك فيه بعد صحتّه عندك، و تقلييك إياه بجلىّ نظرك، و سلام على أهل السّلام فليكن علينا و عليك.

فكتب اليه أرسطو لملك الملوك و عظيم العظماء، الإسكندر المؤيد بالنصر على الأعداء، المهدى له الظفر بالملوك، من أصغر عبيده و أقلّ خوله، ارسطوطاليس البخوع بالسجود، و التذلل فى السّلام، و الإذعان فى الطاعة.

أمّا بعد، فإنّه لا قوّه بالمنطق و إن احتشد الناطق فيه، و اجتهد فى تثقيف معانيه و تأليف حروفه و مبانيه على الاحاطه بأقلّ ما تناله القدره من بسط علو الملك و سمو ارتفاعه عن كلّ قول، و إبرازه على كلّ وصف، و اغترافه بكل إطناب، و قد كان تقرّر عندى من مقدّمات إعلام فضل الملك فى صهله سبقه، و بروز شأوه، و يمن نقيبته مذأدت إلى حاسه بصرى صورته شخصه، و اضطرب فى حسّ سمعى صوت لفظه، و وقع و همى على تعقيب نجاح رأيه، أيّام كنت أودى إليه من تكلف تعليمى إيّاه ما أصبحت قاضيا على نفسى بالحاجه إلى تعلّمه منه، و مهما يكن منى إليه فى ذلك، فإنّما هو عقل مردود إلى عقله، مستنبطه أو اليه و تواليه من علمه

ص: ٢٠٩

و حكمته، و قد جلا إلى كتاب الملك و مخاطبته إياي و مسألته لى عما لا يتخالجنى الشك فى لقاح ذلك و إنتاجه من عنده، فعنه صدر و عليه ورد، و أنا فيما اشير إليه على الملك - و إن اجتهدت فيه و احتشدت له، و تجاوزت حدّ الوسع و الطاقه منى فى استنطاقه و استقصائه - كالعدم مع الوجود، بل كما لا يتجزأ فى جنب معظم الأشياء و لكنى غير ممتنع من اجابه الملك إلى ما سأل، مع علمى و يقينى بعظم غناه عنى و شدّه فاقتى إليه، و أنا رادّ إلى الملك ما اكتسبته منه، و مشير عليه بما أخذته عنه، فقايل له:

إنّ لكلّ تربّه لا محاله قسما من الفضائل، و إنّ لفارس قسمها من النّجده و القوّه و إنّك إن تقتل أشرافهم تخلفّ الوضعاء على أعقابهم، و تورث سفلتهم على منازل عليّتهم، و تغلب أدنيائهم على مراتب ذوى أخطارهم، و لم يبتل الملوكة قطّ ببلاء هو أعظم عليهم و أشدّ توهينا لسلطانهم من غلبه السفله، و ذلّ الوجوه فاحذر الحذر كلّ من أن تمكّن تلك الطبقة من الغلبه و الحرکه، فإنّه إن نجم بعد اليوم على جندك و أهل بلادك ناجم دهمهم منه مالا رويّه فيه و لا بقيّه معه، فانصرف عن هذا الرّأى إلى غيره و اعمد إلى من قبلك من اولئك العظماء و الأحرار، فوزّع بينهم مملكتهم، و ألزم اسم الملك كلّ من وليّته منهم ناحيته و اعقد التاج على رأسه، و إن صغر ملكه، فإن المتسمّى بالملك لازم لاسمه، و المعقود التاج على رأسه لا يخضع لغيره، فليس ينشب ذلك أن يوقع كلّ ملك منهم بينه و بين صاحبه تدابرا و تقاطعا و تغالبا على الملك، و تفاخرا بالمال و الجند حتّى ينسوا بذلك أضغانهم عليك و أوتارهم فيك، و يعود حربهم لك حربا بينهم، و حنقهم عليك حنقا منهم على أنفسهم، ثمّ لا يزدادون ذلك بصيره إلّا- أحدثوا لك بها استقامه، و إن دنوت منهم دانوا لك، و إن نأيت عنهم تعزّزوا بك، حتّى يشب من ملك منهم على جاره باسمك، و يسترهبه بجندك، و فى ذلك شاغل لهم عنك و أمان لاحداثهم بعدك، و إن كان لا أمان للدهر، و لا ثقّه بالأيام.

قد أدّيت إلى الملك ما رأيته لى حظّا، و علىّ حقّا من إجابتي إياه إلى

ما سألتني عنه، و محضته النصيحة فيه، و الملك أعلى عينا، و أنفذ رويته، و أفضل رأيا و أبعد همّة فيما استعان بي عليه، و كلّفني بتبيينه و المشوره عليه فيه، لا- زال الملك متعرّفا من عوائد النعم، و عواقب الصنيع، و توطيد الملك، و تنفيس الأجل، و درك الأمل، ما تأتي فيه قدرته على غايه قصوى ما تناله قدره البشر، و السلام الذي لا انقضاء له، و لا انتهاء، و لا فناء، فليكن على الملك.

قالوا: فعمل الملك برأيه، و استخلف على إيران شهر أبناء الملوك و العظماء من أهل فارس فهم ملوك الطوائف المدين بقوا بعده و المملكة موزّعه بينهم إلى أن جاء أردشير بن بابك فانتزع الملك منهم.

و ينبغي أن يلفت النظر إلى مكاتبه إسكندر و أرسطو هذه من وجوه:

١ - ما يستفاد من كتاب إسكندر من إعجابه بالاسره المالكه في إيران أيام داريوش حيث اعجب بهم و هابهم و خاف منهم بعد الغلبه عليهم حتّى همّ بقتلهم و استيصال شافتهم ليأمن بوائقهم على ملكه فيما بعد، ها بهم و هم أذلاء و اسراء تحت يديه، هابهم من قوّه منطقهم و وفور تعقلهم و بسالتهم و شجاعتهم و اعترف بأنّ الغلبه عليهم كان قضاء مقدرا لا أمرا بشريّا ميسّرا، و يستفاد من ذلك أنّه كان في الاسره المالكه تربيه و تثقيف لا يوجد مثلها حتّى في يونان مركز الفلسفه في هذه العصور.

٢ - إنّ هذه التربيه و الثقافه كانت مقصوره على الاسره المالكه لا- تتعدّاهم، و كانت عامّه الناس في هذه المملكة الواسعه الأطراف فاقدين لكلّ شيء لا- يمسون من شئون الحياه إلّا- العمل تحت إرادته الحكّام و نيل أدنى المعيشه مما يناله البهائم و الأنعام، فهم في الحقيقه كالغنم يرعاهم الاسره المالكه تأكل منهم ما يشاء و تبقى ما يشاء، و هذا هو السرّ في إمكان الحكومه على هذه الشعوب الكثيره في بلاد شاسعه الأطراف، و من هذه الجبهه لا تهتمّ عامّه الشعوب في الدفاع عن الوطن و لا تدخل لهم في هذا الأمر السياسى إلّا ما يؤمرون به من جهه الامراء، فاذا ضعف الحكومه في ناحيه أو شعب يهاجم عليها العدو و يتسلّط عليها بلا منازع و مدافع و بقى هذا التلاشى بين الحكومه و الشعب في إيران إلى أيام الفتح العربى، فهاجم ما يقلّ

ص: ٢١١

عن أربعين ألف جندى بدوى و غلب على الامبراطوريه الممدوده من نواحى سوريه و الشام إلى ثغور الهند و الصين.

٣ - يستحق العجب من تدبير الحكيم أرسطو لردّ إسكندر الفاتح المغرور عن عزمه بقتل الاسره المالكه فى إيران، فقد أظهر فى جوابه عن كتاب إسكندر كلّ خضوع و انقياد تجاه هذا الجبار العنيد ليستميله إلى إصغاء ما يملى عليه من سوء عاقبه هذا العزم الخبيث و دلل عليه بأنّ قتل الاسره المالكه المدبره فى إيران الذين يحكمون و يديرون شئون امم شتى يزدادون على ملائين من البشر الذين لا يمسون من شئون الحياه إلا كالأنعام و الأغنام - يوجب تلاشى الامه البشريه و فنائهم و يولّد منه الهرج و المرج المبنى لجماعات من البشر، فإنّ البشر الغير المثقف الوحشى إذا كسب قوّه و منعه يعيث فى الأرض فسادا و خرابا و دمارا كما ارتكبه آتيلالامر على القبائل الوحشيه فى اوروبا، و چنگيز الامر على قبائل وحشيه فى صين.

و نعود فنقول: إنّ عليه السلام أشار فى كلامه هذا إلى أنّ الاعتماد على الفرد يكتسب من ملاحظه أسرته و بيته الذى تولّد و نشأ فيه.

الضابطه الثانيه ما يستفاد من حال الفرد نفسه

، فإنّه دخل فى جماعه المسلمين فى هذه الأيام خلق كثير من سائر الشعوب لا يعرف لهم اسره و بيت و يعتبرون عنهم بالموالى فكان الاعتماد عليهم يرجع إلى ما يستفاد من أخلاقهم فيبين لذلك أربعة أوصاف:

١ - النجده، و هى صفه تنبىء عن علوّ الهّمّه و تمنع الرّجوليه.

٢ - الشجاعه، و هى صفه تنبىء عن الغيره و سرعه الاقدام فى الدفاع عما يجب حفظه.

٣ - السخاء، و هى صفه تنبىء عن بسط اليد و عدم حبّ المال و الادّخار و حبّ الإيثار على الأغيار.

٤ - السّماحه، و هى صفه تنبىء عن الاقتدار على جمع الناس و تأليفهم حوله

ص: ٢١٢

و التسلط عليهم بحسن الخلق و بسط الجود.

فهذه صفات شخصيه إذا اجتمعت في فرد تؤهلها للامره و توجب الاعتماد عليه في إعطاء الولاية على الجند.

ثم أشار في آخر هذا الفصل إلى أنّ أفضل رؤساء الجند و امراء الجيوش من يواسيهم في المعونه و يوفّر عليهم فيما يجده من المئونه و لا- يقتصر على خصوص رواتبهم المقرره المحدوده بحيث يغنيهم لما يحتاجون إليه من مئونه أنفسهم و مئونه أهلهم المتخلفين ورائهم ينتظرون عونهم في كلّ حين فيكون حينئذ همّهم همّا واحدا في جهاد العدو و الدّفاع عن حوزة الإسلام.

الترجمه

آن کس را از لشکریان خود بر قشون فرمانده کن که دارای خصائل زیر باشد:

۱ - در پیش خود از همه نسبت بخدا و رسول خدا صلی الله علیه و آله و نسبت به امام و رهبر تو با اخلاص تر و خیرخواه تر باشد.

۲ - از همه پاکدامن تر و پارسا تر باشد.

۳ - از همه در حلم و بردباری بیشتر باشد و از کسانی باشد که خشم او را فرا نگیرد و بزودی از جای خود بدر نرود.

۴ - عذر پذیر باشد.

۵ - نسبت به بینوایان و ضعفاء رؤوف و مهربان باشد.

۶ - نسبت به افراد نیرومند و با نفوذ تأثیر ناپذیر و خوددار باشد.

۷ - از کسانی باشد که سختی و دشواری کارها او را از جای بدر نبرد و از خود بیخود و بیچاره نسازد و ناتوانی و سستی او را زمین گیر نگرداند.

سپس خود را بمردمان خانواده دار و آبرومند و منسوبان بخانواده های خوش سابقه و خوب نزدیک کن و فرماندهان خود را از میان آنها انتخاب کن.

ص: ۲۱۳

و از آن پس مردمان راد مرد و دلیر را که با سخاوت و مردم دارند در نظر بگیر زیرا آنان جامع اوصاف کرامتند و همه خوبیها در وجود آنها هست.

سپس از همه کارهاشان واریسی کن و آنها را تحت نظر بگیر چنانچه پدر و مادر از فرزند خود دلجوئی میکنند و هیچ تقویت و نیرو بخشی بدانها در نظر تو مشکل و گره دار جلوه نکند و هیچ لطف و دلجوئی نسبت بدانها در چشم خرد و کوچک نیاید و گر چه اندک و ناچیز باشد، زیرا این خود برای آنها باعث خیر خواهی و اخلاصمندی و خوشبینی بتو می گردد، از واریسی و تفقد کارهای ریز و چشم نارس آنها صرف نظر نکن باعث این که کارهای عمده و چشم گیر آنها را بازرسی کردی، زیرا لطف و دلجوئی تو در کارهای خرد و کوچک موقعیتی دارد که از آن بهره مند شوند و در کارهای مهم هم در جای خود از بازرسی تو مستغنی نباشند.

باید بر گزیده ترین فرماندهان قشونت در نزد تو کسانی باشند که با افراد دیگر قشون همدردی دارند و بدانها کمک می نمایند و از آنچه در دسترس دارند بدانها بذل میکنند تا آنجا که وسیلهٔ وسعت زندگی خود آنها و افراد خانوادهٔ آنها باشد که در پشت سر خود بجا نهاده اند و چشم انتظار مخارج از آنها هستند تا این که یکدل و یک جهت در جهاد با دشمن بکوشند و پریشان خاطر نباشند راستی که مهربانی و مهریزی تو با آنها مایه این می شود که از دل با تو مهر ورزند و مخلص تو باشند.

و یجدر بنا هنا أن نترجم مکاتبه اسکندر مع أرسطو فی هذا المقام طلبا لمزید النفع للقراء الکرام.

نامهٔ اسکندر بارسطو و پاسخ أرسطو بنامهٔ او

چون اسکندر ایران شهر که کشور عراق و مملکت خسروان پارس بود بچنگ آورد و دارا بن دارا را کشت بارسطو که در یونان بود این نامه را نوشت:

ای حکیم از طرف ما بر تو درود باد اما بعد، براستی که چرخهای گردان و علل

ص: ۲۱۴

آسمان گر چه ما را باموری سعادتمند کرده که زبانزد همه مردم است ولی باز ما با کمال جد و کوشش به حکمت و فرزاندگی تو خود را نیازمند می دانیم، فضیلت تو را انکار نتوانیم و بمقام والای تو اقرار داریم و بمشورت تو دلگرم هستیم و پیروی از رأی تو را لازم شمرده و بامر و نهی تو اعتماد داریم، چون سود آن را آزموده و نفع آن را چشیدیم تا آنجا که در ما ریشه کرده و در اذهان ما رسوخ نموده و غذای خرد ما گردیده و همیشه بنظر تو اعتماد توانیم و چون نهری از آن دریای دانش بهره مند می شویم و چون شاخه ای هستیم از تنه تنومند و بنظرهای تو نیرومند می شویم، چنان پیروزی و پیشتازی بما سبقت جست و ظفرمندی ما را نصیب آمد و در سرکوبی و غلبه بر دشمن بدانجا رسیدیم که وصفش بگفت در نیاید و شکر این نعمت از دست ما برنیاید و از این جمله است که ما از سرزمین سوریه و جزیره در گذشتیم تا به بابل و سرزمین فارس تاختیم و چون در بن خانه و عرصه بلاد آنها جای گزین شدیم دیری نگذشت که چند تن از خود آنان سر پادشاهشان را بدست خودشان برای ما پیشکش آوردند تا در نزد ما بهره مند گردند و بمقامی رسند، فرمان دادیم آنانکه سر را آوردند بدار آویخته شدند زیرا سزای بد رفتاری و بیوفائی آنها همین بود، سپس فرمان دادیم تا همه شاهزادگان و رادمردانی که در آن کشور بود گرد آوردند، مردمی دیدیم تنومند و پهلوان و سر بزرگ و خردمند و آزموده، خوش منظر و خوش گفتار، و این خود دلیل است که عقل و منطق نیرومندی در خود دارند و پهلوان و رادمرد و جنگجو هستند تا آنجا که ما را راهی برای غلبه و پیروزی بر آنها وجود نداشته جز این که قضا و قدر بسود ما چرخیده و ما را بر آنها پیروز کرده و بر آنها مسلط نموده.

و بنظر خود این را دور نمی دانیم که همه را از بن برکنیم و از ریشه براندازیم و بگذشته هایشان ملحق سازیم تا از دست درازی و انتقامجویی آنان آسوده خاطر و دل نهاده باشیم، و در نظر آوردیم که در کشتار آنان شتاب نکنیم تا رأی شما را در این باره ندانیم و با شما مشورت نکنیم، شما رأی خود را در این باره برای ما

روشن سازید، وزیر و روی این مطلب را بسنجید، و همه درود درود گویان بر ما و شما باد.

ارسطو در پاسخ او چنین نوشت

بسوی شاه شاهان و بزرگ بزرگان، اسکندر که در پیروزی بر دشمنان تأیید یافته و ظفر بر پادشاهان هدیه پیشگاه او شده، از طرف خردترین بنده ها و کمترین وابسته های او ارسطوطالیس که در پیشگاهش پیشانی ساید، و درود و تذلل و فرمانبری و انقیاد وی را گردن نهاده.

أما بعد، گفت را هر چه گویا در آن مهارت بخرج دهد و در سنجش معانی و تألیف حروف و مبانیش بکوشد، احاطه بکمترین درجه قدرت و بسط علو سلطنت و فرازمندی رفعت تو نتواند، زیرا از هر گفتاری و توصیفی و تفصیلی برتر است.

از مقدمات اعلامیه فضیلت آن پادشاه در میدان مسابقت و بروز مرتبه و یمن مقدم بر من مقرر گردیده است چنان درجه ای که حس دیده ام پیکر او را ورنانداز کرده و گوشم آوازه او را شنیده و کامبخشی رای او در وهم صورت بسته، از همان دورانی که من بظاهر مکلف بآموزش او بودم خود را نیازمند آموختن حکمت او می دانستم، و هر آنچه از من بوی القاء می شد همانی بود که از پرتو عقل او در من منعکس می گردید، و استنباطی بود که بهم نظری با او از علم و حکمتش رد و بدل می کردم، از نامه پادشاه و خطاب وی با من و پرسش از من روشن است که شکی ندارم نظر خود را در فکر من بیدار کرده و از رأی روشن خود در من نتیجه خواسته هم از او بمن نظری صادر شود و هم از او دریافت گردد و باو بر گردد آنچه من بحضرت پادشاه اشاره کنم با همه کوشش و تلاشی که در آن نمایم و از حد وسع و طاقت در آن بگذرم و در بازرسی و نکته سنجی آن بکوشم باز هم در برابر رأی منیرش چون عدم است نسبت بوجود و چون جزء لا یتجزی در برابر معظم اشیاء، ولی در هر حال من از اجابت پادشاه سر بر نتابم و پرسش وی را بی پاسخ نگذارم، با این که می دانم که حضرتش از رأی من بی نیاز است و من بدو بسیار نیازمند و محتاج، من

ص: ۲۱۶

خود همان را که از آن پادشاه بدست آورده و استفاده کردم بوی باز گردانم، و همان را که از حکمتش دریافت نمودم بوی اشارت کنم و بحضرتش گویم.

بناچار هر خاکی و هر سرزمینی را بهره ایست از فضائل، و راستی که سرزمین پارس را بهره ایست از بزرگواری و نیرومندی، و براستی که اگر تو مردم شرافتمند آن سرزمین را بکشی مردمی پست را جایگزین آنها می سازی و خانمان و کشور بزرگانشان را بدست اوباش می سپاری، و زبونان را بر آبرومندانشان چیره میکنی و پادشاهان هرگز گرفتار بلائی نشوند که بزرگتر و دردناکتر و بیشتر مایه توهین سلطنت آنان باشد از غلبه اوباش و بی آبرویان، باید بسختی بر حذر باشی از این که طائفه او باش را صاحب قدرت و حرکت در امر کشور سازی، زیرا چنانچه از این اوباش شورشی بر علیه لشکر تو و اهل کشور تو رخ دهد بلائی بدانها رسد که نتوان پیش بینی کرد و کسی را باقی نخواهند گذاشت، از این نظر بر گرد و نظر بهتری پیش گیر، و هر آن کس از این بزرگان و شاهزادگان که در دسترس توآند بخواه و بنواز و کشورشان را میان آنها تقسیم کن، و هر کدام را فرمانروای سرزمین کردی نام پادشاه بر او بنه و تاجی بر سر او بگذار و اگر چه قلمرو فرمان او کوچک باشد، زیرا هر کس را پادشاه خواندند بدین نام بچسبد و بر سر هر که تاج نهند زیر بار فرمان دیگری نرود، و این تدبیر سبب گردد که میان آنها ستیزه و تفرقه و نزاع بر سر ملک و سلطنت در گیرد و با یکدیگر از نظر مال و قشون مفاخرت آغازند تا آنکه کینه های تو را فراموش کنند، و خونها که از آنها ریختی بدست فراموشی سپارند، و جنگی که باید با تو بنمایند بمیان خودشان بر گردد، و کینه بر تو که بایست در سینه ها پرورند بکینه میانه خودشان مبدل گردد، و سپس هر چه در این زمینه بینا تر گردند و بمقام خود دل بسته تر شوند نسبت بتو خوش بین تر و راست کردار تر گردند، اگر بدانها نزدیک شوی و از هر یک آنها دلجوئی کنی نسبت بتواظهار اطاعت و انقیاد کنند، و اگر از آنها دوری گزینی از تو عزت و آبرو خواستار شوند تا آنکه هر کدام بنام و باعتبار پشتیبانی تو بر همسایه خود بشورد

و بوسیله لشکر تو او را بترساند و در این کشمکش و ستیز از تو صرفنظر کنند و با تو در مقام ستیزه درنیایند و تو از گزند آنها در آسایش باشی، گرچه در این روزگار آسایشی وجود ندارد و اعتمادی بگذشت زمانه نیست.

من آنچه را بهره دانش و فکرت خود می دانستم پیشگاه پادشاه عرضه داشتم این حقی بود بر عهده من که مخلصانه در پاسخ آن حضرت نگاشتم و اندرز بی شائبه خود را بعرض رسانیدم، و در عین حال آن پادشاه از من بیناتر است و اندیشه نافذتر و رأیی بهتر و همتی والاتر نسبت بدانچه در باره آن از من کمک خواسته و مرا بتوضیح و شور در آن واداشته دارد.

همیشه پادشاه از نعمتهای واصله و احسانهای بی دریغ بر خوردار باد و ملکش پاینده و عمرش دراز و آرزویش رسا باد تا آنجا که نیرویش بنهایت آنچه قدرت بشر رسا است بر آید، درودی بی انتها و پیوسته و بی نهایت و فنا ناپذیر بر پادشاه باد.

مورخان گفته اند: پادشاه برأی ارسطو عمل کرد و نظر او را بکار بست و شاهزادگان و آزادگان پارس را بر سراسر کشور ایران جایگزین و فرمانروا ساخت، و آنان همان پادشاهان ملوک الطوائف بودند که پس از او بجای ماندند و کشور ایران میان آنان تقسیم بود تا اردشیر بن بابک آمد و کشور را از آنها گرفت و مملکت را متحد ساخت.

الفصل الخامس من عهده علیه السلام

اشاره

و إِنَّ أَفْضَلَ قَرَّةِ عَيْنٍ الْوَلَاةَ اسْتِقَامَةَ الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ، وَ ظُهُورَ مَوَدَّةِ الرِّعْيَةِ، وَ أَنَّهُ لَا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا بِسَلَامَةِ صَدُورِهِمْ، وَ لَا تَصَحَّ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحَيْطَتِهِمْ عَلَى وَلَائِهِ [الأمور] أُمُورِهِمْ، وَ قَلَّةَ اسْتِثْقَالِ دَوْلِهِمْ وَ تَرْكَ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مَدَّتِهِمْ، فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ، وَ واصل فی

ص: ۲۱۸

حسن الثناء عليهم و تعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم، فإن كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهز الشجاع، و تحرض الناكل، إن شاء الله تعالى. ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلى، و لا- تضيفن بلاء امرئ إلى غيره، و لا تقصيرن به دون غايه بلائه، و لا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيرا، و لا ضعه امرئ إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيما. و اردد إلى الله و رسوله ما يضلحك من الخطوب و يشتبه عليك من الامور، فقد قال الله سبحانه لقوم أحب إرشادهم:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ » ٥٩ - النساء
فالرّد إلى الله: الأخذ بمحكم كتابه، و الرّد إلى الرسول:

الأخذ بسنته الجامعه غير المفترقه.

اللغة

(قرّه عين) لى و لك: أى فرح و سرور لى و لك، (الحيطه) على وزن الشيمه مصدر حاطه يحوطه حوطا و حياطه و حيطه: أى كلاه و رعاه، (استثقال) استفعال من الثقل: تحمّل الشّدّه و الاستنكار بالقلب، (بطؤ) بالضم ككرم بطاء ككتاب و أبطأ ضدّ أسرع و منه الخبر: من بطأ به عمله لم ينفعه نسبه، أى من أخره عمله السيىء و تفريطه فى العمل الصالح لم ينفعه فى الاخره شرف النسب، (فسحت) له

ص: ٢١٩

فى المجلس فسحا من باب نفع: فرجت له عن مكان يسعه و فسح المكان بالضم، و أفسح لغه.

(تهزّ الشجاع): يقال هزّه و هزّ به إذا حرّكه، (و تحرّض الناكل): قوله تعالى: و حرّض المؤمنين على القتال، أى حثّهم و التحريض الحثّ و الاحماء عليه، (أبلى): أى أظهر الاخلاص فى الجهاد، (لا تضيفن): صيغه نهى مؤكّده بالثقله من أضاف يضيف: لا تنسبن، (ضعه): اسم مصدر من وضع يضع أى حسّه مقامه و حسبه، (ما يضلّعك): يقال ضلّع بالفتح يضلّع ضلعا بالتسكين أى مال عن الحقّ و حمل مضلّع أى مثقل، (الخطوب): و هذا خطب جليل أى أمر عظيم.

الاعراب

استقامه العدل: خبر قوله أفضل، إلّا بسلامه صدورهم: مستثنى مفرّغ، ذووا: جمع ذا بمعنى صاحب: أى أصحاب الاخلاص فى الجهاد، ما أبلى: يحتمل أن يكون لفظه ما مصدرية أى ابتلائه و يحتمل أن يكون موصوله بحذف العائد أى ما أبلا فيه، دون: ظرف مضاف إلى قوله: غايه بلائه، و لا ضعه: عطف على قوله:

شرف امرىء أى لا يدعوتك ضعه امرىء، من الخطوب: لفظه من بيانيه، غير المفرقه: صفه ثانيه لقوله بسنته.

المعنى

إشارة

قد تعرّض عليه السّلام فى ضمن هذا الفصل المتعلّق بالجند و امرائه للعدالة فقال:

(و إنّ أفضل قرّه عين الولاة استقامه العدل فى البلاد) و ذلك لارتباط إجراء العدل فى البلاد بالجند من وجوه شتى نذكرها بعد التنبيه على نكته مهمّة فى المقام، و هى أنّ الجند بمعناه العامّ هو المالك و القائم بالسيف فى الرعيّه بحيث يكون القوّه و القدره على إجراء الامور بيده، و قد تفرّع من الجند فى النظمات العصريه ما يلى:

١ - إداره الشرطه العامّه التى تنظر إلى إجراء الأمن فى البلاد بحراسه الأسواق و الطرق و طرد اللصوص و أخذهم و معاقبتهم و طرد كلّ من يريد الاستفاده من الناس

ص: ٢٢٠

من غير طريقها القانوني و المحافظ على الأمن من جهة المنع عن النزاع و المضاربه و المقاتله و ارتكاب الجنایات بأنواعها.

٢ - إداره حفظ الانتظامات العامه السائده على إداره الشرطه.

٣ - إداره الجيش الحافظ للأمن فى البلاد تجاه هجوم الأعداء من الخارج.

و يرتبط العدل بالجند و فروعه من نواح شتى:

الف - من حيث أنّ كلّ سرقة أو جنايه أو جنحه وقعت بين الناس فتعرض على إداره الشرطه و هى التى تتصدى لدفعها و تتعرض لرفعها بعد وقوعها و تنظم أوراق الاعترافات و تشريح القضايا للعرض على المحاكمات فيكون مفتاح العدل بيد إداره الشرطه من حيث انضباطها و حراستها للشعب حتى لا توجد فرصه للصّوص فيسرقون متاع الناس و فرصه للنزاع و القتال فيحدث الجنایات بأنواعها، فهذا مبدأ إجراء العدل فى البلاد و من حيث رعايه الحقّ و الحقيقه فى تنظيم أوراق الاعترافات و الشهادات و تشريح القضايا و ضبطها على حقيقتها للعرض على المحاكم و إحقاق حقّ المظلوم عن الظالم، فلو كان الجند غير معتن بحراسه الناس و نظاره الطرق و الأسواق و الدّور ليلا و نهارا لكثرت السرقة و الجنايه و اختلّ العدل و النظام، و لو كان الجندى غير دينّ و غير أمين فيأخذ الرشوه و يقع تحت نفوذ ذوى القدره فلا- يضبط الاعترافات و أوراق الشهادات على ما تحكى عن الواقع و يدسّسها و يلطّخها بالرشوه و أو غير ذلك فيختلّ الأمن و العدل و يكثر المظالم بين الشعب.

ب - من حيث أنّ الظلم و ثلم سياج العدل ينشأ غالبا من القدره فالمقتدر هو الذى يطمع فى أموال الضعفاء و أعراضهم و يتعرض للعدوان و التجاوز، فلما كان السيف و القدره فى يد الجندى فهو الذى يتعرض للظلم على أفراد الشعب. و قد ملئ كتب التواريخ من ارتكاب الامراء و الجنود الظلم على الناس من وجوه شتى و أكثر من يقع منهم الظلم و يختلّ بهم العدل فى كلّ عصر هم الذين بيدهم السيف و السوط فيطمعون فى أموال الناس و أعراضهم و يتجاوزون على حقوق غيرهم سيّما إذا كان الوالى نفسه ظالما و متجاوزا فقد قال شاعر فارسى ما معناه:

ص: ٢٢١

لو أنّ الملك أكل تفّاحه من الرعيّة ظلما و عدوانا يستأصل عبيده ألفا من شجرات التفّاح ظلما و عدوانا.

و لو أخذ الملك من الرعيّة خمس بيضات ظلما يشوى جنده و عبيده ألف دجاجة من أموال الرعيّة ظلما و عدوانا.

ج - من حيث أنّ امراء الجنود كثيرا ما يطمحون إلى تحصيل مراتب أعلى و مناصب أغلى فيثيرون الفتن و يثورون على الولاة فتقع هناك حروب و ثورات تجرّ إلى القتل و النهب و الأسر و يشتعل نار الفتنة فتعمّ الأبرياء و الضعفاء من النساء و الولدان و المرضى و من لا حرج عليهم، و أكثر الفتن في التاريخ نشأت من مطامح و مطامع امراء الجيوش حتّى في صدر الاسلام و في حكمه النبي عليه السّلام، فهذا خالد بن الوليد أمّره النبي صلّى الله عليه و آله بعد فتح مكّة فعدا على بنى جذيمه و قتل منهم رجالا- أبرياء فوصل الخبر إلى النبي صلّى الله عليه و آله فنادى: اللهمّ إنّى أبرأ إليك ممّا فعل خالد، و بعث مولانا علىّ بن أبى طالب لتلافى خطأ خالد.

قال فى سيره ابن هشام «ص ٢٨٣ ج ٢ ط مصر»: بعث رسول الله صلّى الله عليه و آله خالد بن الوليد حين افتتح مكّة داعيا و لم يبعثه مقاتلا و معه قبائل من العرب:

سليم بن منصور و مدلج بن مرّه فوطئوا بنى جذيمه بن عامر بن كنانه، فلما رآه القوم أخذوا سلاحهم، فقال خالد: ضعوا السلاح فإنّ الناس قد أسلموا، قال ابن إسحاق: فحدّثنى بعض أصحابنا من أهل العلم من بنى جذيمه - إلى أن قال - فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك فكثفوا ثمّ عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله رفع يديه إلى السماء ثمّ قال:

اللهمّ إنّى أبرأ إليك ممّا صنع خالد بن الوليد.

قال ابن هشام: حدّثنى بعض أهل العلم أنّه حدّث عن إبراهيم بن جعفر المحمودى قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: رأيت أنّى لقيت لقمه من حيس (١) فالتذذت

ص: ٢٢٢

١- (١) فى الحديث ان رسول الله صلّى الله عليه و آله حين تزويج ميمونه اطعم الناس الحيس و هو بفتح المهمله و التحتانيه تمر تنزع نواه و يدق مع القط و يعجنان بالسمن ثم يدلك باليد حتى يبقى كالثريد و ربما جعل معه سويق - مجمع البحرين.

طعمها فاعترض في حلقى منها شيء حين ابتلعها فأدخل عليّ يده فنزعه، فقال أبو بكر الصديق «رض»: يا رسول الله، هذه سرّيه من سراياك تبعثها فيأتيك بها بعض ما تحبّ و يكون في بعضها اعتراض فتبعث عليا فيسهله.

قال ابن هشام: و حدّثنى أنه انفلت رجل من القوم فأتى رسول الله صلّى الله عليه وآله فأخبره الخبر، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: هل أنكر عليه أحد؟ قال: نعم أنكر عليه رجل أبيض ربه فنهّمه خالد فسكت عنه، و أنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب فراجعته فاشتدّت مراجعتهما، فقال عمر بن الخطاب: أما الأوّل يا رسول الله، فابنى عبد الله و أمّا الآخر فسالم مولى أبى حذيفه - إلى أن قال - ثمّ دعا رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم عليّ بن أبى طالب رضوان الله عليه فقال: يا على اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم و أمر الجاهليّة تحت قدميك، فخرج عليّ حتّى جاءهم و معه مال قد بعث به رسول الله فودى لهم الدماء و ما أصيب لهم من الأموال حتّى أنّه ليدى لهم ميلغه الكلب حتّى إذا لم يبق شيء من دم و لا مال إلّا و داه، بقيت معه بقيّة من المال فقال لهم عليّ حين فرغ منهم: هل بقى لكم بقيّة من دم أو مال لم يوديكم؟ قالوا: لا، قال: فأتى اعطيكم هذه البقيّة من هذا المال احتياطا لرسول الله صلّى الله عليه وآله ممّا لا يعلم و لا تعلمون...

و قد ارتكب خالد هذا في صدر حكمه أبى بكر قتل مالك بن نويرة و أسر أهله و قبيله على وجه وضيع و فضيح ممّا فتّ في عضد العدل الاسلامى بما لم يتدارك بعد، و إذا تصفّحت تاريخ أىّ شعب من الشعوب و تأملت في أحوالهم وجدت أكثر الفتن و المظالم و الجنايات ناشئة من قبل الامراء و رءوس الجيوش، و تمدّ إلى هذا العصر المضىء بالقوانين و النظمات الدوليه العامه الحائزه للامم المتّحده المحافظه على السلم و السلام فى جميع الشعوب الملجا لدفع المظالم عن الأبرياء و الضعفاء و مع ذلك لا تمضى سنه بل و أشهر حتّى تسمع ثوره عسكريه ناشئه من امراء الجيش هنا و هناك تتضمّن مقاتل و مظالم لا تحصى.

و قد نادى عليه السّلام فى هذا الفصل الذى عقده فى عهده التاريخى الذى لا مثيل له

بحفظ العدالة ونبه على أن العدالة قره عين الولاة مشيرا إلى أن استقامه العدل في البلاد مرتبطه بالجند من نواح كثيره كما بيناه.

ثم توجه عليه السلام في هذا المقام إلى أهم ما يجب في نظام الدوله العادله، و هو أن يكون الحكومه حكومه الشعب و أن يرى الشعب الحكومه ناشئه منه و حافظه لمصالحه فيودها و يحبها عن ظهر قلبه، فشرح رابطه الأئمه و الشعب في حكومه كهذه في خمسه امور جذريه:

١ - ظهور مودّه الرعيه و إظهارهم الحب لها.

٢ - سلامه صدورهم بالنسبه إلى الحكومه و عدم الحقد و الخصومه بالنسبه إليها.

٣ - إحاطتهم على ولاء الامور إحاطه الولدان بالوالد مع إظهار الإخلاص و النصيحه لها ٤ - عدم استئثار إدامه الحكم و الدوله نفورا عن مظالمها.

٥ - ترك تمنى انقطاع مده غلبه الحكومه بزوالها رجاء للخلاص عن ظلمها و عدوانها.

و هذه هي امارات حكومه شعبيّه قائمه على درك الشعب و نيله لحقوقه السياسيه المعبر عنه بحكومه الشعب على الشعب المبني على الديموقراطيّه الأصيله الصحيحه و إماره حكومه كهذه هو حسن رابطه الجند مع الشعب و الرعيه بحيث يدرك الشعب أن الجند منه و له يحرس منافعه و يدفع عنه هجوم عدوه و يحفظ على العدل و المساواه بين أفرادها.

و ممّا لا شك أن أكثر الحكومات قامت على القهر و الاضطهاد بالنسبه على الأئمه و الرعيه خصوصا في مبادئ تأسيسها في العصور القديمه و بقي في التاريخ أعلام حكومات نمروديه و فرعويه كسمات لرجال جبار ظلام لا يتوقع منهم إلا الارهاب و النهب و ربما يرتعد الفرائض من سماع أسمائهم بعد دفنهم في عمق التاريخ من زمن بعيد، و إنما يظهر قهر الحكومات الجباره و اضطهادها للرعيه على أيدي

ص: ٢٢٤

الجند المأمورين لقهر الناس و قتلهم و أسرهم، فكان الناس من زمن بعيد و فى أكثر الشعوب و الامم يواجهون الجندى كعدو ظالم لا ينتظر منه إلا الايلام و الارهاب فوصى عليه السلام فى ضمن عهده هذا إلى السعى لقلب هذه الرابطة بين الشعب و الجند و تحويلها إلى رابطة وديّة أخويّة أسس الاسلام حكومته عليها، فأنه جعل وظائف الجند من الامور العامّة، و كلف بها جميع الامة ففى عصر النبی صلی الله عليه و آله كلّ المسلمين جنود و جنود الاسلام كلّ مسلم بالغ عاقل، فالجند الاسلامى ناش عن صميم الامة فلم يكن هناك جند و شعب متميزون حتى يرهب الشعب من الجند و يتجاوز الجند على الشعب، و لما توسّع الامة الاسلاميّة بالفتوحات المتواصله المتواليه و دخل فى ظلّ الاسلام شعوب شتى لم يتسم كلّها بسمة الجند الاسلامى وصى عليه السلام فى عهده هذا بحفظ الرابطة الودّيّة بين الجند و سائر أفراد الشعب بحيث لا يدرك الشعب أنّ الجند صنف ممتاز عنه قاهر عليه و حاكم على أمره.

وصيته عليه السلام باحياء الفضيله و حفظ الحقوق

ثمّ أمر عليه السلام بعدم التضيق على امراء الجنود و حصرهم فى درجه واحده، بل التوسيع عليهم فى الارتقاء إلى درجات أعلى بحسب ما لهم من الاستعداد و اللياقه لها فقال عليه السلام (فافسح فى آمالهم).

و هذا كما جرى فى التاريخ من أمر طارق بن زياد فى ما بعد فأنه أحد الامراء و القوادر الأمجاد الأفذاذ فى تاريخ الفتوحات الاسلاميّة بلغته همته إلى فتح الاندلس بعد استيلاء الجنود الاسلاميه على سواحل البحر الأبيض من سوريّه و مصر إلى المغرب الأقصى إلى المراكش، و يوجب ذلك عبر مضيق جبل الطارق و الزحف على بلاد العدو وراء البحر و لا يرخص موسى بن نصير القائد العامّ للجنود الاسلاميّة فى ذلك العصر لقصور همته أو غبطته على فتح كهذا من أحد قوادره، و لكنّ طارق عزم على ذلك و عبر مضيق البحر فى سبعة آلاف جندى و فتح مملكه اندلس، و أتى بابه كبيره من الرجوليّه و علوّ الهمة فى تاريخ الفتوحات العسكريه فصار اندلس مملكه إسلاميّة غنيّه بالتمدّن و العلم منذ ثمانيه قرون بقيت آثارها

إلى عصرنا هذا، و أمر عليه السّلام بحسن الثناء على رجال كهذا و ضبط ما لهم من الماثر في الجهاد إحياء للفضيله و ترغيبا لسائر الأفراد القاصري الهمّ و الهمة.

وصيته عليه السلام بالمساواه و ترك التبعض

المساواه و التاخى أصل إسلامي مال إليه كلّ الشعوب في هذه العصور الأخيره المنيره بالتفكير و الاختراع، و ادرج في برنامج الحقوق العامّه البشريّه، و لكن المقصود منه ليس تساوى الأفراد في النيل من شئون الحياه: الصالح منهم و الطالح و الجادّ منهم و الكسلان على نهج سواء، بل المقصود منه نيل كلّ ذى حقّ حقّه من حظّ الحياه على حسب رتبته العلميه و جدّه في العمل، فهذا الأصل يبتنى على تعيين الحقوق، و قد شرّح عليه السلام في هذا الفصل من كلامه هذا الأصل فقال (اعرف لكلّ امرئ منهم ما أبلى) فأمر بإيصال حقّ الجهد و الاخلاص إلى صاحبه و عرفان هذا الحقّ بما يوجبه من الرتبه و الامتياز و فسّر التبعض البغض في امور:

١ - إضافه جهد رجل إلى غيره و احتسابه لغير صاحبه.

٢ - عدم استيفاء حقّ المجاهد الجادّ و التقصير في رعايه حقّه على ما يستحقّه.

٣ - احتساب العمل الصغير من رجل شريف كبيرا رعايه لشرفه.

٤ - استصغار عمل كبير من رجل وضيع بحساب ضعته.

فهذه هي التبعضات الممنوعه التي توجب سلب الحقوق عن ذوى الحقوق.

توصيته عليه السلام برعايه القانون و تبين معناه

و الثبت عند التردد و الاشتباه

فالقانون في الحكومه الاسلاميه هو نصّ القرآن الصريح و سنّه الرسول الثابت الصحيح، فكثيرا ما يعرض امور على الوالى يشكل عليه حكمها و يشتبّه عليه أمرها من جهة العرض على القانون فيختلف في حكمها الاراء و يتولّد النزاع و قد بين الله حكمه بعد الأمر باطاعه القانون من وجوب إطاعه الله و إطاعه رسوله و إطاعه اولى الأمر الحافظ للقانون بعد الرسول صلّى الله عليه و آله فقال «و إن تنازعتم في

ص: ٢٢٤

شيء فردّوه إلى الله و الرسول».

و ينبغي البحث في مفاد هذه الايه من وجهين:

الأول أنّ هذا التنازع الّذى يوجب فى رفعه الرجوع إلى الله و رسوله هو ما يقع بين أفراد الامّة الاسلاميّة غير اولى الأمر الّذى أوجب طاعتهم فى رديف طاعة الله و طاعه رسوله، فيكون النزاع المردود إلى الله و رسوله تاره بين فردين من الامّة، و اخرى بين فرد أو جمع من الامّة مع اولى الأمر، أو مخصوص بالنزاع بين الامّة غير اولى الأمر، و لا بدّ من القول بأنّ هذا النزاع لا يشمل اولى الأمر، لأنّ اولى الأمر عدّوا واجب الطاعه كالله و الرسول و لا معنى لوجوب طاعه اولى الأمر و تصوير النزاع معهم بحيث يردّ فى رفعه إلى الله و الرسول، فاولوا الأمر مندرج فى الرسول و لا بدّ من كونهم معصومين و مصونين عن الخطاء و الاشتباه و لا يجتمع وجوب طاعه اولى الأمر على الاطلاق مع كونهم طرفا فى النزاع.

الثانى أنّ هذا التنازع المبحوث عنه فى الايه لا بدّ و أن يكون فى الشبهه الحكميّة و فى العلم بكبرى كليّته للحكم الشرعى الّتى هو نصّ القانون المرجوع إليه، كاختلاف الصحابه فى وجوب الغسل من الدّخول بلا إنزال، فأنكره جمع قائلين بأنّ الماء من الماء حتّى رجعوا إلى عموم قوله تعالى «أَوْ لَمْ يَسْتُمْ النِّسَاءَ» الشامل للدّخول بلا- إنزال، و كالتزاع فى حكم المجوس من حيث إنّهم أهل الكتاب فيشملهم حكم الجزية أم ملحقون بالكافر الحربى حتّى رجعوا بدلاله مولانا امير - المؤمنين عليه السّلام إلى أنّهم أهل كتاب لقوله تعالى «وَأَصْحَابُ الرَّسِّ»، و كالتزاع فى أمر حلى الكعبه فى زمان حكمه عمر، فقال قوم بجواز بيعها و صرفها فى تجهيز الجنود الاسلاميّة لتقويه عساكر الاسلام حتّى أرجعهم مولانا أمير المؤمنين إلى ما نزل فى القرآن من أحكام الأموال و ما عمل به النّبىّ صلّى الله عليه و آله فى حلى الكعبه من عدم التعرّض لها.

و أمّا فى الشبهات الموضوعيّة فقد ينازع الامّة مع النّبىّ صلّى الله عليه و آله نفسه كما وقع فى موارد:

ص: ٢٢٧

منها في الخروج من الحصون للحرب مع المشركين في احد، فرأى النبي أولاً التحصن فردّ رأيه أكثر الصحابه فرجع إلى قولهم و أفضى إلى هزيمة المسلمين و قتل ما يزيد على سبعين من كبار الصحابه منهم حمزه بن عبد المطلب، و قد شرّع الشورى بين النبي و المسلمين بهذا الاعتبار فقال الله تعالى «و شاورهُمْ فِي الْأَمْرِ» - ١٥٩ آل عمران».

و قد أمر عليه السلام لرفع النزاع بالرجوع إلى محكم الكتاب فقال «فالردّ إلى الله: الأخذ بمحكم الكتاب» و الظاهر منه أنّ المرجع عند النزاع أولاً- هو الرجوع إلى الايات المحكمه من القرآن التي وصفها الله تعالى بأنها أم الكتاب، فقال تعالى: «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ» ٧ - آل عمران».

فما هي الايه المحكمه؟

الايه المحكمه هي التي لها دلالة واضحة على المعنى يتوافق عرف اللسان الذي نزل عليه القرآن على فهمه منها، و المحكم بحسب الاصطلاح هو الجامع بين النصّ و الظاهر الذي يتوافق عرف اللسان على فهمه من الكلام، قال الشيخ البهائي في زبدته في مبحث الدلالات: اللفظ إن لم يحتمل غير ما يفهم منه لغة فنصّ، و إلا فالراجح ظاهر و المرجوح مأول و الجامع بين الأولين محكم و بين الأخيرين متشابه.

فالمحكم هو الظاهر الدلالة على المعنى المقصود مضافا إلى كون معناه أمرا مفهوما للعموم لتضمّنها حكما عملياً أو أصلا اعتقادياً كآيات الأحكام و ما يدلّ على التوحيد و صفات الله الجلاله و الجماليه.

فان لم تكن الايه ظاهره الدلالة على المقصود كالحروف المقطّعه الواقعه في أوائل غير واحد من السور، أو تدلّ على معنى مبهم غامض يحتاج إلى البيان و التوضيح كقوله تعالى «و يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ» - ١٧ - الحاقه» فليست من الايات المحكمه التي يرجع إليها عند الاختلاف.

فان لم تكن هناك آية محكمة ترفع النزاع فترجع إلى السنّة الجامعة الغير المفارقة و هى قول أو تقرير صادر عن النبيّ صلى الله عليه وآله مجمع عليها بين أصحابه و ثابت عند الأئمّه، و لم تكن النصوص و القضايا الصادرة عنه صلى الله عليه وآله المجمع عليها بين الأصحاب بقليل فى ذلك العصر الذى صدر هذا العهد الشريف.

و نختم هذا الفصل بنقل تفسير هذه الايه الشريفه عن «مجمع البيان»:

«يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله» أى الزموا طاعه الله فى ما أمركم به و نهاكم عنه «و أطيعوا الرسول» أى و ألزموا طاعه رسوله أيضا، و إنّما أفرد الأمر بطاعه الرسول و إن كانت طاعته مقترنه بطاعه الله، مبالغه فى البيان و قطعا لتوهم من توهم أنّه لا يجب لزوم ما ليس فى القرآن من الأوامر - إلى أن قال - «و اولى الأمر منكم» للمفسّرين فيه قولان: أحدهما أنّه الامراء عن أبى هريره و ابن عباس فى إحدى الروايتين و ميمون بن مهران و السدى و اختاره الجبائى و البلخى و الطبرى، و الآخر أنّهم العلماء عن جابر بن عبد الله و ابن عباس فى الروايه الاخرى و مجاهد و الحسن و عطا و جماعه، و قال بعضهم: لأنّهم الذين يرجع إليهم فى الأحكام و يجب الرجوع إليهم عند التنازع دون الولاه.

و أمّا أصحابنا فإنّهم رَوَوْا عن الباقر و الصادق عليهما السّلام أنّ اولى الأمر الأئمّه من آل محمّد صلى الله عليه وآله أوجب الله طاعتهم بالاطلاق كما أوجب طاعته و طاعه رسوله و لا يجوز أن يوجب الله طاعه أحد على الاطلاق إلّا من ثبت عصمته و علم أنّ باطنه كظاهره و أمن منه الغلط، و إلّا يلزم الأمر بالقبيح و ليس ذلك بحاصل فى الامراء و لا العلماء سواهم، جلّ الله أن يأمر بطاعه من يعصيه أو بالانقياد للمختلفين فى القول و الفعل، لأنّه محال أن يطاع المختلفون كما أنّه محال أن يجتمع ما اختلفوا فيه، و ممّا يدلّ على ذلك أيضا أنّ الله قرن طاعه اولى الأمر بطاعه رسوله كما قرن طاعه رسوله بطاعته و أولو الأمر فوق الخلق جميعا كما أنّ الرسول فوق اولى الأمر و فوق سائر الخلق، و هذه صفه أئمّه الهدى من آل محمّد الذين ثبت إمامتهم و عصمتهم و اتّفقت الأئمّه على علوّ رتبتهم و عدالتهم، انتهى ما نقلناه عن التفسير.

و براستی بهترین چیزی که باعث شادمانی و رضایت والیان است پابرجا شدن عدل و داد است در بلاد و ظهور دوستداری رعیت است نسبت بانان، و براستی که این گنجینه دوستی و مهرورزی را از گنجدان دل آنان نتوان بر آورد مگر باین که ۱ - سینه هاشان از کینه پاک باشد.

۲ - خیر خواهی و اخلاص آنان نسبت بوالیان محقق نشود مگر باین که دوستانه و با اطمینان خاطر گرد والیان بر آیند و آن را بسود خود بدانند و سلطنت و تسلط والی را بر خود سنگین و ناروا شمارند و برای زوال دولت و حکومت او روز شماره نکنند و بقاء حکومت او را بر خود ستم ندانند.

باید میدان آرزوی فرماندهان قشون را توسعه بخشی و راه ترقی را در برابر آنها باز گزاری و از آنها ستایش کنی و خدمات ارزنده ای که انجام داده اند همیشه برشماری و در نظر آری زیرا هر چه بیشتر خدمات خوب آنها را یاد آور شوی دلیران را بهتر برانگیزد و کناره گیران را تشویق بکار و خدمت باشد.

باید برای هر کدام حق خدمت او را منظور داری و خدمت یکی را پپای دیگری بحساب نیاوری و کمتر از آنچه هست نشماری، شرافت و مقام هیچکس باعث نشود که خدمت اندک او را بزرگ بحساب آوری و زبونی و بینوائی هیچکس سبب نشود که خدمت بزرگ او را بکم گیری.

اگر تو را در احکام خدا و قانون شرع هدی مشکلی پیش آید و شبهه ای در حکمی بدلت شود خداوند خودش مردم را در این باره ارشاد کرده و فرموده:

«أيا کسانی که گرویدید فرمان خدا را ببرید و فرمان رسول خدا را ببرید و از اولی الأمر را و اگر در باره حکمی میان شما اختلاف و نزاعی رخ داد آن را از خدا و رسولش جویا شوید» ردّ حکم بخدا عبارت از عمل بایات روشن قرآن است، و ردّ حکم و جویا شدنش از رسول خدا بمعنی رجوع بسنت و روش مقرر و ثابت و مورد اتفاق آن حضرت است که مورد اختلاف نباشد.

إشارة

ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيّتك في نفسك ممّن لا تضيق به الأمور، و لا تمحكه الخصوم، و لا يتمادى في الزّله، و لا يحصر من الفىء إلى الحقّ إذا عرفه، و لا تشرف نفسه على طمع و لا يكتفى بأدنى فهم دون أقصاه، و أوقفهم في الشّبهات، و آخذهم بالحجج، و أقلّهم تبرّما بمراجعته الخصم، و أصبرهم على تكشّف الأمور، و أصرمهم عند اتّضاح الحكم ممّن لا يزدهيه إطراء و لا يستميله إغراء، و أولئك قليل، ثم أكثر تعاهد قضائه، و افسح له في البذل ما يزيل علّته، و تقلّ معه حاجته إلى الناس، و أعطه من المنزله لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصّتك، ليأمن بذلك اغتيال الرّجال له عندك، فانظر في ذلك نظرا بليغا، فإنّ هذا الدّين قد كان أسيرا في أيدي الأشرار، يعمل فيه بالهوى، و تطلب به الدّنيا.

اللغة

(الحكم) مصدر حكم يحكم و جاء منه حكم تحكيما و تحكّم تحكّما و حاكم و تحاكم و هو إنشاء نفسانى يتعلّق بالنسبه بين الموضوع و المحمول ايجابا أو سلبا فيسمّى تصديقا و خبرا إذا حكى عمّا ورائه، و يحتمل الصدق، و الكذب و إنشاء

ص: ٢٣١

إذا لم يحك بأقسامه من الأمر والنهي والقسم والدعاء وغير ذلك، وينسب إلى الشرع فيقال: الحكم الشرعي، وهو طلب الشارع الفعل أو تركه مع استحقاق الذم بمخالفته أو بدونه أو تسويته و يتوَلَّد منه الحكم الوضعي بأقسامه أو هو إنشاء مستقل في بعض صورته، والحكم الشرعي عند الأشاعره خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين، وهذا التفسير أعم وأتم، والحكم القضائي إنشاء إثبات حق لأحد المترافعين كما إذا اقيم البينه أو اعترف المدعى عليه أو نفيه كما إذا أنكر وحلف، (محك) الرجل: لَجَّ و ماحك زيد عمرا: لا يجّه، (الزلّه): موضع الخطر والمزلّه، المزلق، (الصرم): القطع، (لا يزدهيه): افتعال من الزهو وهو الكبر، (الاطراء): كثر المدح، (الاغتيال): الأخذ على غره.

الاعراب

في نفسك: ظرف متعلق بقوله أفضل، ممن: لفظه من للتبويض والظرف مستقرّ و حال من فاعل أفضل، وأوقفهم: عطف على قوله أفضل، قليل: خبر أولئك يستعمل في المفرد والجمع، ما يزيل علته: لفظه ما اسميه موصوفه بما بعدها أى شيئا أو بذلا يزيل علته، له عندك: ظرفان متعلقان بقوله اغتيال الرجال.

المعنى

يحتاج إداره شؤون الاجتماع إلى قانون كلى يتضمّن تعيين الحقوق والحدود بين الأفراد على الوجه الكلى، وإلى قانون يتضمّن رفع الاختلاف بينهم عند النزاع والخصومه فى الحقوق التى يتضمّنها القوانين العامه، وإلى قوه لإجراء هذه القوانين، و من هنا يقسمون قوى المجتمع الحاكمه على الشعب والأمة إلى القوه المقننه والقوه القضائيه والقوه المجريه، وهذه القوى الثلاثه هى أركان إداره شعب و امه متمدنه مترقيه و لا بدّ من استقلال كلّ. هذه القوى فى شؤونها و عدم مداخله أى منها فى الشؤون المتعلقه بالقوه الاخرى حتى يستقيم الامور و تتحقّق العدالة فى المجتمع و يصل كلّ ذى حقّ إلى حقه.

ص: ٢٣٢

وقد تعرّض عليه السّلام في هذا الفصل من عهده للأشتر عليه الرحمه حين ولّاه مصر إلى القوّه القضائيه و ما يلزم في القاضى من الأوصاف و الألقاب ليكون أهلا لتصدّى منصب القضاء و الحكم بين الناس فقال (ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك) فقد أدرج عليه السّلام في هذه الجملة استقلال القوّه القضائيه حيث إنّ المتصدّى للقضاء لا بدّ و أن يكون من أفضل أفراد الامّه، و إذا كان من أفضل أفراد الامّه فيكون مستقلاً في أمره و لا يتسلّط عليه غيره لأنّ المفضول لا يحكم على الفاضل و الأفضل، مضافاً إلى ما أكّد ذلك الاستقلال بما ذكره عليه السّلام في آخر الفصل من قوله (و أعطه من المنزله لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصّتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك).

ثم فسّر عليه السّلام الأفضل بمن يحوز ألقاباً ستّه:

١ - لا تضيق به الامور لقلّه الاحاطه بوجوه تدبيرها و عدم قوّه التحليل و التجزيه للقضايا الوارده عليه فيحار فيها و يعرضه الشكّ و التردد في حلّها و فصلها.

٢ - لا تمحكه الخصوم، قال في الشرح المعتزلى: جعله ما حكا أى لجوجاً، و قال ابن ميثم: أى يغلبه على الحقّ باللّجاج، و قيل: ذلك كناية عن كونه ممّن يرتضيه الخصوم فلا تلاجّه و يقبل بأوّل قوله.

أقول: يمكن أن يكون كناية عن كونه بشدّه صلابته في أمره و هيبه ايمانه و تمسّكه بالحقّ بحيث لا يطمع الخصوم في جعله محكاً يمتحنونه هل يقبل الرشوه أم لا و هل يؤثّر فيه التطميع و التهديد أم لا؟ ٣ - و لا يتمادى في الزلّه، حيث إنّ القاضى في معرض الاشتباه دائماً من جهة تحيّل المترافعين و تشبّث كلّ واحد منهما في جلب نظر القاضى إلى الاعتماد بكون الحقّ له فاذا عرض له رأى ثمّ كشف له أنّه خلاف الحقّ لا يتمادى في الزلّه و لا يصعب عليه الرجوع إلى الحقّ.

٤ - لا يحصر من الرجوع إلى الحقّ إذا عرفه، قال الشارح المعتزلى:

ص: ٢٣٣

هو المعنى الأول بعينه، إلا- أن ها هنا زياده، و هو أنه لا يحصر أى لا يعيا فى المنطق، لأن من الناس من إذا زلّ حصر عن أن يرجع و أصابه كالفهاهه و العى و أضاف ابن ميثم أنه لا يأبى للرجوع إلى الحقّ حفظا لجاهه و خوفا من الشناءه كما يفعله قضاه السوء.

٥ - أن لا يحدث نفسه بالطمع فى الاستفاده من المترافعين فيتوجّه إلى الأوفر منهم ثروه أو جاها ليستفيد من ماله أو جاهه، ثم يجزّه ذلك إلى أخذ الرشوه و الميل عن الحقّ و الحكم بخلاف الحقّ.

٦ - أن يكون دقيقا فى كشف القضيه المعروضه عليه محققا لفهم الحقيقه و لا يكتفى بالنظر السطحى فى فهم صدق المتداعيين و كذبهم، بل يكتنه القضيه عن طرق كشف الجرم و عن طرق كشف الحقيقه و هى كثيره غير محصوره جدّا، و قد ظهر منه عليه السلام فى قضايا الكثيره ما يقضى منه العجب.

فمما ذكر من ذلك أنه سافر عبد مع مولا له شابّ فادّعى العبد أثناء السفر أنه هو المالك لسيّده و أنه عبده و عامل معه معامله المسترقّ فدخل كوفه و ترافعا عند على عليه السلام و لم يكن هناك بينه لأحدهما و لم يعترف العبد المتجاوز للحقيقه بوجه من الوجوه، فأحضرهما يوما و أمر بحفر ثقتين فى جدار متعاكسا و أمرهما باخراج رأسهما من تلك الثقتين، ثم نادى بصوت عال يا قنبر اضرب عنق العبد، فلما سمع العبد ذلك هابه و أخرج رأسه من الثقبه فورا فصار ذلك اعترافا له بالحقيقه، و قد قرّر فى محاكم هذه العصور طرائق هائله فى كشف الحقيقه و كشف الجرائم.

فهذه هى الصفات التى توجب فضيله الفرد و تشكّل له شخصيه رهيبه تؤهّله لتصدّى منصب القضاوه، و لم يكتف عليه السلام بهذه الصفات حتّى أكملها بسّته اخرى فقال:

١ - أوقف الرعيه عند عروض الشبهه، فلا يأخذ بأحد طرفى الشبهه حتّى يفحص و يبيّن له الحقّ بدليل علمى يوجب الاطمينان.

ص: ٢٣٤

٢ - آخذهم بالحجج، فلا يقصّر في جمع الدلائل و الأمارات على فهم الحقيقة من أى طريق كان.

٣ - و أقلّ الناس تضجّرا و قلقا من مراجعته الخصوم، فلا ينهرهم و لا يصيح فى وجوههم ليسع لهم بيان الحال و المال فينكشف له الحقّ و لا يضيع حقّ الخصوم قال الشارح المعتزلى: و هذه الخصلة من محاسن ما شرطه عليه السيّد لام، فإنّ القلق و الضجر و التبرّم قبيح و أقبح ما يكون من القاضى.

٤ - أن يكون أصبر الناس على كشف حقيقة الامور بالبحث و جمع الدلائل.

٥ - أن يحكم عند وضوح الحقّ صريحا و قاطعا و لا يؤخّر صدور الحكم.

٦ - أن لا- يؤثّر فيه المدح و الثناء من المتداعيين أو غيرهما فيصير متكبرا و لا- يؤثّر فيه تحريض الغير فيجلب نظره إلى أحد الخصمين.

و قد أعلن عليه السلام بعد بيان هذه الأوصاف بأنّ الواجدين لها قليل.

و اعلم أنّ القضاؤه من شئون النبوه كما قال الله تعالى «فَلا وَ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِى أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً» ٦٥ - النساء فهى من شئون الرياسه العامه على الدين و الدنيا الثابته للنبيّ بالرساله و للوصيّ بحكم الوصايه، و قد ورد فى الحديث أنّ مسند القضاؤه مجلس لا يجلسه إلاّ نبيّ أو وصيّ أو شقيّ، فلا بدّ من كسب هذا المنصب من النبيّ و الوصيّ، فلا يجوز تصدّى القضاؤه لأحد من عند نفسه و إن كان مجتهدا و واجدا لأوصاف القاضى.

قال فى «الرياض» بعد ذكر شرائط القاضى: و اعلم أنّه لا بدّ مع اجتماع هذه الشرائط من إذن الامام بالقضاء لمستجمعها خصوصا أو عموما، و لا يكفى مجرّد اجتماعها فيه إجماعا لما مضى من اتّفاق النصّ و الفتوى على اختصاصه عليه السلام بمنصب القضاء، فلا يجوز لأحد التصرّف فيه إلاّ باذنه قطعا و منه ينقدح الوجه فى ما اتّفقوا عليه من أنّه لا ينعقد القضاء بنصب العوامّ له، أى المستجمع للشرائط

ص: ٢٣٥

أو غيره بالطريق الأولى بينهم قاضيا، انتهى.

ثم استثنى بعد ذلك بقوله: نعم لو تراضى اثنان بواحد من الرعيه فحكم بينهما لزم حكمه في حقهما في المشهور بين أصحابنا بل لم ينقلوا فيه خلافا أصلا مستندين إلى وقوع ذلك في زمن الصحابه و لم ينكر أحد منهم ذلك، انتهى.

أقول: لو تم الدليل على ذلك كان من موارد صدور الاذن على وجه العموم فكان قاضى التراضى قاضيا منصوبا بالأدله العامه.

إلى أن قال: و مع عدم الامام ينفذ قضاء الفقيه من فقهاء أهل البيت عليهم السلام الجامع للصفات المشترطه فى الفتوى لقول أبى عبد الله عليه السلام: فاجعلوه قاضيا فقد جعلته قاضيا فتحاكموا إليه.

و قد نقل عن الشهيد الثانى فى المسالك ما لفظه: ما تقدّم من اشتراط نصب القاضى و إن كان فقيها و مجتهدا و عدم نفوذ حكمه إلاّ مع التراضى به مختصّ بحال حضور الإمام و تمكّنه من نصب القضاء، و أمّا مع عدم ذلك إمّا لغيبته أو لعدم بسط يده فيسقط هذا الشرط من جملة الشروط و هو نصب الامام، انتهى.

ثم قال: و ينفذ عندنا قضاء الفقيه العدل الامامى الجامع لباقي الشروط و إن لم يتراض الخصمان بقوله لقول أبى عبد الله عليه السلام لأبى خديجه: إياكم أن يحاكم بعضكم بعضا إلى أهل الجور و لكن انظروا إلى رجل منكم يعلم شيئا من قضايانا فاجعلوه بينكم قاضيا فإننى قد جعلته قاضيا فتحاكموا إليه - إلى أن قال: و قريب منها روايه عمر بن حنظله، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا يكون بينهما منازعه فى دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاء أ يحلّ ذلك؟ فقال عليه السلام من تحاكم إلى الطاغوت فحكم له فإنما يأخذه سحقا و إن كان حقّه ثابتا لأنّه أخذ بحكم الطاغوت و قد أمر الله تعالى أن يكفر به، قلت: كيف يصنعان؟ قال: انظروا إلى من كان منكم روى حديثنا و نظر فى حلالنا و حرامنا و عرف أحكامنا فارضوا به حكما فإننى قد جعلته عليكم حاكما - إلخ.

أقول: يستفاد من الحديثين أنّ الامام نصب الفقيه الجامع للشرائط قاضيا

على وجه العموم فليس هناك استثناء عن اشتراط القضاء باذن الامام، و ظاهر الفقهاء أنَّ القاضى يلزم أن يكون مجتهدا مطلقا فلا يجوز للمتجزى تصدى القضاء و إن كان استفاده ذلك من الحديثين مشكلا.

و اعلم أنَّه قد ذكر الفقهاء للقاضى شرائط كما يلى:

قال فى الرياض: و اعلم أنَّ الصفات المشترطه فيه ستّ: التكليف بالبلوغ و كمال العقل، و الايمان بالمعنى الأخصّ أى الاعتقاد بالاصول الخمسه، و العداله و طهاره المولد عن الزنا، و العلم و لو بالمعنى الشامل للظنّ الاجتهادى بالحكم الشرعى القائم مقامه بالدليل القطعى فإنّه فى الحقيقه علم و لو بوسيله الظنّ فإنّه فى طريق الحكم لا نفسه، و الذكوره، بلا خلاف فى شىء من ذلك أجده بيننا بل عليه الاجماع فى عبائر جماعه كالمسالك و غيره فى الجميع - إلى أن قال: و لا بدّ أن يكون ضابطا فلو غلبه النسيان لم ينعقد له القضاء، و هل يشترط علمه بالكتابه؟ الأشبه نعم - إلى أن قال: و لا ينعقد القضاء للمرأه و فى انعقاده للأعمى تردّد إلى أن قال: و الأقرب الأشهر أنَّه لا ينعقد له القضاء - انتهى.

أقول: لا ينطبق ما ذكره الفقهاء من شرائط القاضى على ما ذكره عليه السّلام فى هذا الفصل من الصفات الاثنتى عشر للقاضى فإنّ كلامه عليه السّلام يخلو من كثير من هذه الشرائط كشرط الايمان بالمعنى الأخصّ، كيف و قد نصب شريحا قاضيا فى أيام حكومته و لم يكن مؤمنا بالمعنى الأخصّ كما أنّ. كلامه خال عن اشتراط الذكوره و طهاره المولد، إلّا أن يقال إنّ هذه الشرائط يستفاد من فحوى كلامه فإنّها دون ما ذكره عليه السّلام من الشرائط للقاضى بكثير مع التوجّه إلى قوله عليه السّلام (و اولئك قليل).

و هل يشترط هذه الشرائط التى عدّها عليه السّلام فى القاضى على وجه الوجوب فلا يجوز نصب القاضى الفاقد لأحد هذه الشروط مطلقا أو عند وجود واحد هذه الشرائط؟ ظاهر كلام الفقهاء عدم وجوب رعايه وجود كلّ هذه الشرائط فى القاضى و قد ذكروا بعضها من صفات مستحبّه له.

ص: ٢٣٧

قال فى الرىاض: النظر الثانى فى الاداب وهى قسمان: مستحبّه و مكروهه و لم ىرد بكثير منها نصّ و لا- روايه و لكن ذكرها الأصحاب فلا- بأس بمتابعتهم مسامحه فى أدلّه السنن و الكراهه، فالمستحبّ إشعار رعيّته و أخبارهم بوصوله إن إن لم يشتهر خبره، و الجلوس فى قضائه فى موضع بارز مثل رجه أو فضاء يسهل الوصول إليه، و يكون مستقبل القبلة فى جلوسه لتحصيل الفضيله على قول و الأكثر على استحبابه، مستدبر القبلة ليكون وجوه الناس إليها نظرا إلى عموم المصلحه و أن يأخذ مبتدأ ما فى يد الحاكم المعزول من حجج الناس و ودائعهم - إلى أن قال: و السؤال بعد ذلك عن أهل السجون و إثبات أسمائهم و البحث عن موجب اعتقالهم و حبسهم ليطلق من يجب إطلاقه، و يستحبّ تفريق الشهود عند الإقامه، فإنّه أوثق خصوصا فى موضع الريبه عدا ذوى البصائر و الشأن من العلماء و الصلحاء الأعيان فلا يستحبّ تفريقهم بل يكره و ربّما يحرم لما يتضمّن تفريقهم من الغضاظه و المهانه بهم بل ربما يحصل فى ذلك كسر قلوبهم، و أن يستحضر من أهل العلم و الاجتهاد من يعاونه فى المسائل المشتبّهه.

و المكروهات: الاحتجاب أى اتّخاذ الحاجب وقت القضاء، للنّبوى: من ولى شيئا من امور الناس فاحتجب دون حاجتهم و فاقتهم احتجب الله تعالى دون حاجته و فاقتّه و فقره - إلى أن قال: و أن يقضى مع ما يشغل النفس كالغضب لغير الله تعالى و الجوع و العطش و المرض و غلبه النعاس و مدافعه الأخبثين و نحو ذلك من المشغلات كما يستفاد من الأخبار فى النّبوى: لا يقضى و هو غضبان، و فى آخر:

لا يقضى إلّا و هو شبعان - إلى أن قال: و أن ىرتّب و يعيّن قوما للشهاده دون غيرهم لما يترتّب عليه من التضيق على الناس و الغضاظه من العدل الغير المرتّب، و نقل قول بتحريمه نظرا إلى أنّ ذلك موجب لإبطال شهاده مقبولى الشهاده فإنّه ربما يتحمّل الشهاده غيرهم فاذا لم تقبل شهادتهم ضاع الحقّ عن أهله و قد قال سبحانه «وَ أَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ» فأطلق، انتهى.

و قال فى مبحث وظائف الحكم و آدابه: وهى أربع: الاولى يجب على القاضى

التسوية بين الخصوم في السلام عليهما و ردّه إذا سلّما عليه، و الكلام معهما و المكان لهما فيجلسهما بين يديه معا، و النظر إليهما و الإنصات و الاستماع لكلامهما، و العدل في الحكم بينهما و غير ذلك من أنواع الإكرام كالإذن في الدخول و طلاقه الوجه للنصوص المستفيضة - إلى أن قال: من جملة قول علي عليه السّلام لشريح: ثمّ واس بين المسلمين بوجهك و منطقك و مجلسك حتّى لا يطمع قريبك في حيفك، و لا يئأس عدوّك من عدلك، انتهى.

و قد ذكر الشارح المعتزلي في هذا الشأن حديثا كما يلي:

و استعدى رجل على عليّ بن أبي طالب عليه السّلام عمر بن الخطاب و عليّ جالس، فالتفت عمر إليه، فقال: قم يا أبا الحسن فاجلس مع خصمك، فقام فجلس معه و تناظرا ثمّ انصرف الرجل و رجع عليّ عليه السّلام إلى محلّه، فتبيّن عمر التغيّر في وجهه، فقال:

يا أبا الحسن، ما لي أراك متغيّرا، أكرهت ما كان؟ قال: نعم، قال: و ما ذاك؟ قال: كنيّتي بحضرة خصمي، هلاّ قلت: قم يا عليّ فاجلس مع خصمك، فاعتنق عمر عليّا، و جعل يقبل وجهه، و قال: بأبي أنتم بكم هداانا الله و بكم أخرجنا من الظلمة إلى النور.

و نذكر في آخر هذا الفصل ما ذكره الشارح المعتزلي في آداب القاضي نقلا عن الفقهاء:

قال: و قد ذكر الفقهاء في آداب القاضي امورا، قالوا:

لا- يجوز أن يقبل هديّه في أيّام القضاء، و لا- يجوز قبولها في أيّام القضاء ممّن له حكومه و خصومه و إن كان ممّن له عادة قديمه، و كذلك إن كانت الهدية أنفس و أرفع ممّا كانت قبل أيّام القضاء لا يجوز قبولها، و يجوز أن يحضر القاضي الولائم و لا يحضر عند قوم دون قوم لأنّ التخصيص يشعر بالميل، و يجوز أن يعود المرضى، و يشهد الجنائز، و يأتي مقدم الغائب، و يكره له مباشرة البيع و الشراء، و لا- يجوز أن يقضى و هو غضبان، و لا- جائع و لا عطشان، و لا في حال الحزن الشديد، و لا الفرح الشديد، و لا يقضى و الناس يعانيه، و المرض يقلقه،

ص: ٢٣٩

ولا هو يدافع الأخبين، ولا في حرّ مزعج، ولا في برد مزعج، وينبغي أن يجلس للحكم في موضع بارز يصل إليه كلّ أحد، و لا- يحتجب إلّا لعذر، ويستحبّ أن يكون مجلسه فسيحاً لا يتأذى بذلك هو أيضاً، ويكره الجلوس في المساجد للقضاء، فإن احتاج إلى و كلاء جاز أن يتخذهم و يوصيهم بالرفق بالخصوم و يستحبّ أن يكون له حبس، و أن يتخذ كاتباً إن احتاج إليه و من شرط كاتبه أن يكون عارفاً بما يكتب به عن القضاء، و اختلف في جواز كونه ذمّياً، و الأظهر أنّه لا يجوز، و لا يجوز أن يكون كاتبه فاسقاً، و لا يجوز أن يكون الشهود عنده قوماً معيّنين بل الشهادة عامّة في من استكمل شروطها.

و اعلم أنّه من المقرّر في القوانين القضائيّة في هذا العصر أنّ الحكم الصادر في قضيه واحده يقبل النقض مرّتين، فقسّموا الدائرته القضائيّة إلى ثلاث مراتب:

المحكمه الابتدائيّة التي يعرض عليها القضيه أوّل مرّه فاذا صدر حكم من قاضي هذه المحكمه يكون لمن صدر الحكم عليه أن يعرضه على محكمه الاستئناف و يطلب تجديد النظر فيه، و يجوز لقاضي محكمه الاستئناف نقض الحكم إن رأى فيه خلافاً من حيث القوانين القضائيّة، فإن أبرمه فلمن هو عليه أن يعرضه مرّه ثالثه إلى محكمه أعلى و هي محكمه التمييز، فلها أن ينقضه إن رأت فيه خلافاً فإن أبرمته يصير قطعياً باتاً لا يقبل النقض، و قد أشار عليه السّلام إلى هذه المراتب الثلاثه في ضمن هذا الفصل، فقله عليه السّلام (و لا يحصر من الفئه إلى الحقّ إذا عرفه) إشاره إلى الحكم الاستئنافي، فإنّ الرجوع إلى الحقّ إنّما يكون بعد صدور حكم ابتدائي في القضيه المعروضه على محكمه القضاء، ثمّ أشار إلى الدرجه الثالثه بقوله (و أكثر تعاهد قضائه) فإنّ تعاهد القضاء، ثمّ أشار إلى الدرجه الثالثه بقوله (و أكثر تعاهد قضائه) فإنّ تعاهد القضاء و الفحص عنها من قبل الوالي يشمل الأحكام الصادره في القضايا المعروضه، و فائده الفحص و التعاهد عنها إنّما يكون في نقضها إذا رأى الوالي فيها خلافاً.

ثمّ أوصى للقضاء بوفور البذل لهم بحيث يكفي لمؤونتهم و سدّ حاجاتهم،

فلا يؤذيهـم ضيق المعيشه إلى أخذ الرشوه و الميل عن الحق.

ثم أوصى بحفظ جانبهم و إعطاء المنزله العاليه لهم عند الوالى بحيث لا يجترىء أحد على انتقادهم لدى الوالى و حط رتبتهـم ليكون ذلك مظنه لتهديدهـم من قبل ذوى النفوذ بالسعى فى عزلهم إذا لم يوافقوا لما أرادوا منهم من الميل عن الحق بنفعهم و المقصود من هذه الجمله حفظ استقلال القوه القضائيه عن القوه المقننه و القوه المجريه و عدم تدخّل أحد فيها حتّى يطمئنّ القاضى بنفسه و يعتقد أنّه لا يحول بينه و بين تشخيص الحقّ فى القضيه المعروضه عليه أحد، فيفحص عن الحقّ و يميّزه و يحكم به من دون خوف و لا وجل.

الترجمه

سپس برگزین برای قضاوت میان مردم در اختلافات آنها بهترین رعایای خود را در نظر خودت از کسانی که دارای این صفات باشند:

۱ - کارها بر آنها مشکل نگردند و در حلّ و فصل آنها در نمانند.

۲ - اهل دعوی آنها را به لجبازی نکشند و در معرض امتحان نیاورند.

۳ - اگر بلغزش و خطائی دچار شدند دنبال آن نروند و بمحض این که فهمیدند بحق برگردند.

۴ - رجوع و برگشت بحق پس از فهمیدن آن بر آنها دشوار و ناهموار نباشد.

۵ - خود را در پرتگاه طمع نکشند و پیرامون آن نگردند.

۶ - بفهم سطحی و ابتدائی در قضایا اکتفاء نکنند و دنبال فهم نهائی و تحقیق کافی باشند.

با این حال، از همه مردم در مورد شبهه و ابهام حق محتاطتر باشند، و از همه بیشتر دنبال دلیل و حجت برای روشن شدن حق بگردند، و از مراجعت اهل دعوی دلگیر و تنگ خلق نشوند، و از همه کس برای کشف حقیقت بردبارتر باشند و چون حق را روشن و گویا فهمیدند در صدور حکم قاطع باشند.

ص: ۲۴۱

از کسانی باشند که ستایش آنها را فریفته و خود بین نسازد و تشویق و ترغیب در آنها مؤثر نگردد و دل آنها را نبرد، اینان کمیابند.

سپس بسیار از قضاوت آنها بازرسی کن و بجریان کار آنها مطلع باش و برای قاضی بخشش فراوان کن و حقوق مکفی مقرر دار باندازه ای که رفع نیاز او را بکند و حاجت وی را بمردم دیگر بحدّ اقل برساند.

برای او در نزد خود مقامی بس منیع مقرر دار که هیچکدام از خواص کار - گزاران تو بدان مقام طمع نورزند تا بدینوسیله از دستبرد مردان دیگر در پیشگاه تو نسبت بخود مصون باشند، در این باره نظری رسا داشته باش زیرا این دین بدست مردمی بد اسیر بوده است، و بهوی و هوس در آن عمل می شده و آنرا وسیله بر آوردن آرزوهای شیطانی کردند و بوسیله آن دنیا طلبی نمودند.

الفصل السابع من عهده عليه السلام

اشاره

ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختبارا، و لا- تولّهم محاباه و أثره، فانّهم [فإنّهما] جماع من شعب الجور و الخيانه، و توخّ منهم أهل التجربه و الحياء من أهل البيوتات الصالحه، و القدم في الإسلام المتقدّمه، فانّهم أكرم أخلاقا، و أصحّ أعراضا و أقلّ في المطاعم إشرافا، و أبلغ في عواقب الامور نظرا، ثم أسبغ عليهم الأرزاق، فإنّ ذلك قوّه لهم على استصلاح أنفسهم، و غنّى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، و حجّه عليهم إن خالفوا أمرك، أو ثلموا أمانتك، ثم تفقّد أعمالهم، و ابعث العيون

ص: ۲۴۲

من أهل الصِّدق والوفاء عليهم، فإنَّ تعاهدك في السِّير لأموارهم حدوه لهم على استعمال الأمانه، والرِّفق بالرَّعيه، و تحفّظ من الأعوان، فإنَّ أحد منهم بسط يده إلى خيانه اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهدا، فبسطت عليه العقوبه في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثمَّ نصبته بمقام المذلّه، ووسمته بالخيانة، وقلّدتها عار التَّهمه. و تفقّد أمر الخراج بما يصلح أهله، فإنَّ في صلاحه و صلاحهم صلاحا لمن سواهم، و لا صلاح لمن سواهم إلّا بهم، لأنَّ النَّاس كلهم عيال على الخراج و أهله، و ليكن نظرك في عماره الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأنَّ ذلك لا يدرك إلّا بالعماره، و من طلب الخراج بغير عماره أخرج البلاد، و أهلك العباد، و لم يستقم أمره إلّا قليلا، فإنَّ شكوا ثقلا أو علّه أو انقطاع شرب أو بالّه أو إحاله أرض اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش خفّفت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم، و لا يثقلنّ عليك شيء خفّفت به المئونه عنهم، فإنّه

ص: ٢٤٣

ذخر يعودون به عليك في عماره بلادك، و تزيين ولايتك، مع استجلابك حسن ثنائهم، و تبجحك باستفاضه العدل فيهم، معتمدا فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم، و الثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم و رفقك بهم، فربما حدث من الأمور ما إذا عوّلت فيه عليهم، من بعد احتملوه طيبه أنفسهم به، فإن العمران محتمل ما حملته، و إنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها، و إنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاه على الجمع، و سوء ظنهم بالبقاء، و قلّه انتفاعهم بالعبر.

اللغة

(المحاباه): المعاطاه و العطاء بلا عوض، (الاثره): الاستبداد و الانعام للحبّ و المودّه، (الجماع): الجمع، (التوخي): التقصّد، ثلثت الاناء من باب ضرب: كسرتة من حافته، الثلمه كبرمه: الخلل الواقع في الحائط و غيره، (الحدوه): الحثّ، (وسمه) و سما و سمه: أثر فيه بسمه و كى، و الميسم بكسر الميم اسم الاله التى يكوى بها، يقال (ثقل) الشىء بالضمّ ثقلا- و زان عنب و يسكن للتخفيف فهو ثقیل، (الشرب): النصيب من الماء، (البالّه): القليل من الماء يبّل به الأرض، و الظاهر أنّه فى الأراضى التى يسقيه الأمطار فحسب، فاذا قلّت الأمطار يقال: اصيب بالبالّه، (أحالت) الأرض: تغيرت عمّا عليه من الاستواء فلم ينجب زرعها و لا أثمر نخلها، و ذلك يكون على أثر السيول و الأمطار الغزيره (البجح): الفرح، يقال: بجح بالشىء بالكسر و بالفتح لغه ضعيفه و بجحته فتبجح:

أى فرحته ففرح و فى حديث: أهل الجنّه فى خيراتها يتبجحون، (معتمدا):

قاصدا، (الاجمام): الاراحه، (الاعواز): الفقر.

ص: ٢٤٤

اختباراً: مفعول له لقوله فاستعملهم، محاباه: مفعول له لقوله لا- تولّهم، تَوَخَّ: أمر من تَوَخَّى يتَوَخَّى، و أهل التجربة مفعوله، المتقدّمه: صفه لقوله البيوتات، أخلاقاً: منصوب على التميز من النسبه فى قوله أكرم، ما تحت أيديهم:

ما موصوله و تحت أيديهم ظرف مستقرّ صله و العائد محذوف أو مستتر فى الظرف باعتبار متعلّقه المقدّر و يحتمل أن تكون موصوفه و ما بعدها صفتها أى شيئاً تحت أيديهم، فان أحد منهم: أحد فاعل فعل مضمر يفسره قوله: بسط يده إلى خيانه اكتفيت بذلك شاهداً: جملة فعلية حاله و قوله فبسطت عليه العقوبه جزاء الشرط، بما يصلح أهله: ما موصوله و ما بعدها صلتها، سواهم: ظرف مستقرّ صله لقوله من فى لمن، إلّا- بهم: استثناء مفرّغ، خففت عنهم: جزاء شرط لقوله فان شكوا، معتمداً: حال عن المخاطب، من بعد: بضمّ بعد مبيّناً لكون المضاف إليه المحذوف منوياً أى بعد ذلك الارفاق، طيّبه: حال، من إعواز: من هنا للتعليل.

المعنى

إشارة

قد انبسط النظم السياسى للبلاد فى هذه العصور فيتشكّل الحكومه من رئيس أو ملك يعيّن وزراء عديده لكلّ شأن من شئون البلد، فوزير للحرب، و وزير للماليه، و وزير للامور الداخليه، و وزير للامور الخارجيه، و وزير للعلوم، و وزير للاشغال العامه، و هكذا، و ربما يزيد الوزراء على عشرين وزيرا و يتشكّل كلّ وزاره من مديريّات و إدارات كثيره يشتغل فى امورها خلق كثير، و لكنّ النظم السياسى فى صدر حكومه الاسلام كان بسيطا جدّا، و هذا هو العلّه الرئيسيه لتقدّم الاسلام و نفوذه فى الامم و الشعوب، فكان ينبعث من قبل الخليفه لكلّ ناحيه عامل، و الشغل الرئيسى لهذا العامل مهما كان مدار عمله وسيعا أمران:

١ - إقامه الصلاه للناس بامامته فكان حضور الجماعه و الصلاه خلف العامل واجبا على كلّ المكلفين فيحضرّون المسجد كلّ يوم فى مواقيت الصلوات الخمسه و يصطفّون وراء العامل فيصلّى بهم و يعلمهم الكتاب و الحكمه فى صلاته و يلقّنهم

العقائد الاسلاميه و يدرّ بهم للاصطفاف تجاه العدو في ميادين الجهاد، فكانت جامعه الصلاه مدرسه للمعارف و تعليم النظمات العسكريه لكل مسلم، و لا يشغل منه إلا مقدار ساعتين في كل يوم و ليله، و يكون له الفرصه الكافيه أن يذهب وراء مشاغله و حرفه المعتاده.

٢ - جمع الخراج من الدهاقين و الزارعين و يدخل في ضمنه الجزيه المفروضه على أهل الكتاب الداخلين في ذمه الاسلام من اليهود و النصارى و المجوس، و هم الأ-كثرون عددا في هذا العصر المشتغلون بأمر الزراعة و العمران في شتى نواحي البلاد الاسلاميه الممتده من إفريقيا إلى حدود الصين، فكان شخصيه الوالى هى النقطه الرئيسيه فى استقامه نظم البلاد الاسلاميه و صحه مسير الاسلام نحو التقدم و الازدهار و نحو هدفه الاساسى الذى هو هدايه الناس كافه كما قال الله تعالى:

«وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا»، ٢٨ - السبأ و لا يوصل إلى هذا الهدف الرئيسى إلا برعايه القوانين الاسلاميه و بث العدل الاسلامى و رعايه نوع البشر و إرائه طريق سعادته بالسيره و العمل، فكان وظيفه العامل ثقيه و دقيقه، و من هذه الجبهه أوصى لانتخاب العمال بقوله (فاستعملهم اختبارا).

قال فى الشرح المعتزلى «ج ١٧ ص ٢٩ ط مصر»: و هم عمال السواد و الصدقات و الوقوف و المصالح و غيرها، فأمره أن يستعملهم بعد اختبارهم و تجربتهم و أن لا يولّهم محاباه لهم و لمن يشفع فيهم و لا إثره و لا إنعاما عليهم.

أقول: لا-وجه لاختصاص كلامه بصنف من العمال، بل المقصود منه مطلق العمال و من يلى أمر ناحيه من البلاد، و الاثره هو إظهار المحبه لأحد أو التعطف له لتودده أو حاجته أو غير ذلك من الدواعى الخصوصيه، و فى نسخه ابن ميثم:

«فأنهم جماع من الجور و الخيانه».

فالمقصود أن العمال الشاغلين للأعمال فى زمان عثمان و من تقدّمه كانوا جمعا من شعب الجور و الخيانه، فإنّ الخلفاء الذين تقمّصوا الخلافه بغير حقّ و يخافون على مقامهم من ثوره طلاب الحقّ و يستعملون فى أعمالهم من يوافقهم

ص: ٢٤٤

فى نفاقهم و يعينهم على جورهم و شقاقهم مَن ينحرف عن الحق و يميل إلى الباطل لضعف عقيدته و رقه ديانتته و ايمانه.

فانظر إلى أبى بكر المتحفّظ على الظاهر و المتظاهر بحفظ السيره النبويّه قد اختار خالد بن وليد المنحرف عن أهل بيت النبوّه و الحاسد الحاقد على مركز الولاية على بن أبى طالب أمير الامراء فى حكومته و فوّض إليه قوّه السيف الاسلامى و لقبه سيف الله و سيف شهره رسول الله مع وجود مات من الأبطال فى الأصحاب مَن لهم القدمه فى الاسلام و الاخلاص و النصيحه، فارتكب خالد جنایات و فضائح فى العالم الاسلامى يقشعرّ الأبدان من سماعها.

و هذا عمر استعمل على الكوفه و هى أحد الثغور الاسلاميه الرئيسيه بما لها من الوسعه الشامله من حدود نجد إلى تخوم خراسان مغيره بن شعبه أحد أعداء أمير المؤمنين الألداء، و هو رجل الجنايه و الخيانه من عصره الجاهلى قد التجأ بالاسلام على أثر جنايه و خيانه فضيحه ارتكبها كما فى سيره ابن هشام «ص ٢١٣ ج ٢ ط مصر» قال الزهرى فى حديثه: ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه و آله عروه بن مسعود الثقفى - إلى أن قال: ثم جعل يتناول لحيه رسول الله صلى الله عليه و آله و هو يكلمه قال: و المغيره بن شعبه واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه و آله فى الحديد قال: فجعل يقرع يده إذا تناول لحيه رسول الله صلى الله عليه و آله و يقول: اكفف يدك عن وجه رسول - الله صلى الله عليه و آله قبل أن لا- تصل إليك «أى المقرعه» قال: و يقول عروه: ويحك ما أفظّك و أغظّك؟! قال: فتبسّم رسول الله صلى الله عليه و آله فقال له عروه: من هذا يا محمّد؟ قال: هذا ابن أخيك المغيره بن شعبه، قال: أى غدر، و هل غسلت سوائتك إلّا بالأمس، قال ابن هشام: أراد عروه بقوله هذا أنّ المغيره بن شعبه قبل إسلامه قتل ثلاثه عشر رجلا من بنى مالك من ثقيف فتهايج الحيان من ثقيف بنو مالك رهط المقتولين و الأحلاف رهط المغيره فودى عروه المقتولين ثلاث عشره ديه و أصلح ذلك الأمر، انتهى.

أقول: و كان قتلهم غدرا لأخذ هداياهم التى أعطاهم ملك اليمن فأخذها

ص: ٢٤٧

و فرّ بها إلى رسول الله صَلَّى الله عليه و آله فأسلم و عرضها على رسول الله صَلَّى الله عليه و آله فلم يقبلها، فارتكب في أيام عمله في الكوفة فضيحة الزنا و هو محصن مع أم جميل امرأة ذات بعل على ضوء النهار فاطّلع على زناه أربعة من الصحابة و التابعين العاملين في دار - الحكومه منهم زياد بن أبيه فعرضوا أمره إلى عمر فطلبه و الشهود إلى المدينة و حاكمه بنفسه و أدى ثلاثه من الشهود شهادته تأمّه على ارتكابه الزنا، و لكن لما ورد زياد لأداء الشهادة قال له عمر: أرى وجه رجل لا يفتضح به أحد كبار أصحاب رسول الله، فلّقنه بهذا الكلام ما أراد أن يلّقنه، فقال زياد: رأيت مغيره نائما مع أم جميل على فراش واحد و هو راكب على بطن أم جميل و سكت عن رؤيته دخوله فيها كالميل في المكحلة و نقص شهادته و لم ير عمر شهادته كافيّه فأمر بضرب سائر الشهود حدّ القذف و برأ مغيره، و أيّ فضيحة في الاسلام أفصح من هذه؟.

و أمّا عمّال عثمان فلا يحتاج جورهم و خيانتهم إلى توضيح فأنّه كالعيان المغنى عن البيان، فقال عليه السّلام: إنّ العمّال السابقين كانوا جماعا من شعب الجور و الخيانه.

و لكن في نسخه المعتزلى «فأنهما جماع من شعب الجور و الخيانه» و قال في شرحه: فأنهما - يعنى استعمال المحاباه و الاثره - جماع من شعب الجور و الخيانه و قد تقدّم شرح مثل هذه اللفظه، و المعنى أنّ ذلك يجمع ضروبا من الجور و الخيانه أمّا الجور فأنّه يكون قد عدل عن المستحقّ إلى غير المستحقّ ففى ذلك جور على المستحقّ، و أمّا الخيانه فلأنّ الأمانه تقتضى تقليد الأكفاء، فمن لم يعتمد ذلك فقد خان من ولّاه.

و اغترّ ابن ميثم بهذا التفسير فقال: فلا يولّيهام محاباه و إثره، كأن يعطونه شيئا على الولايه فيولّيهام و يستأثر بذلك دون مشاوره فيه، فأنهما أى المحاباه و الاثره - كما هو مصرّح به فى بعض النسخ عوض الضمير - جماع من شعب الجور و الخيانه، أمّا الجور فللخروج بهما عن واجب العدل المأمور به شرعا، و أمّا الخيانه فلأنّ التحزّى فى اختيارهم من الدين و هو أمانه فى يد الناصب لهم،

فكان نصبهم من دون ذلك بمجرّد المحاباه و الاثره خروجاً عن الأمانه و نوعاً من الخيانه.

أقول: لا- يخفى ما فى ما ذكره الشارحان من تطبيق جمله: جماع من شعب الجور و الخيانه على الانتخاب بالمحاباه و الاثره من التكلّف و التعسّف، نعم لا- إشكال فى أنّ هذا الانتخاب جور و خيانه و لكن لا ينطبق عليه أنّه جماع من شعب الجور و الخيانه إلّا بالتكلّف، فالأظهر أنّ هذه الجملة راجعه إلى العمّال الشاغلين للأعمال قبل حكومته عليه السّلام.

ثمّ أمر عليه السّلام بانتخاب العمّال من أهل البيوتات الصالحه و المتقدّمه فى الاسلام لما ذكرنا سابقاً من أنّ كفيل تربيّه الأفراد فى ذلك العصر هى الاسره و البيت، و لم تكن هناك شهادته على صلاحية الفرد غير النظر فى البيت و الاسره التى ربّى فيها و نشأ فى ظلّها، فقد وصف هؤلاء المرتّين فى البيوت الصالحه بأنّهم موصوفون بما يلزم للعامل من كرم الأخلاق و مصونيه العرض و قلّه الطمع و النظر فى عواقب الامور.

ثمّ أوصى بوفور الأرزاق و الرواتب عليهم، لئلا يضطّروا إلى الاختلاس ممّا فى أيديهم من أموال الخراج و يتمّ الحجّه عليهم إن خانوا.

ثمّ أوصى بتفقد أعمالهم و بئّ العيون عليهم لحثّهم على حفظ الأمانه و الرفق بالرعيّه.

ثمّ شرّع عقوبه الخائن الذى ثبت خيانتته باتّفاق أخبار العيون و المتفقّدين فى البدن بعرضهم على السياط و عزلهم عن العمل و إعلام خيانتهم للعموم و تقليدهم بعار التهمه و أثر ذلك انفصالهم عن شغلهم أبداً.

ثمّ توجّه إلى أمر الخراج و هو المصدر الوحيد فى هذا العصر لخزانه الحكومه و ما يلزمها من المصارف فى شتى حوائجها من أرزاق الجند و رواتب العمّال و الخدم، و تبّه على أنّ المبدأ الوحيد للخراج هو عمران البلاد بالزراع و الغرس و ما يتحصّل منه عوائد جديده و يّين أنّ التوليدات المثمره إنّما هى

من الزراعة و تربيته المواشى، و كليهما يتفقان على عمران البلاد و قدره الزّراع و الدهاقين الماليّه على العمل فى الانتاج و التوليد و أنّ طلب الخراج مع قطع النظر عن العمران موجب للخراب و الاستيصال.

و من واجب العمران التوجّه إلى الافات الطارئه فى المحاصيل الزراعيّه و الحيوانيّه، فقال عليه السّلام «فان شكوا ثقلا - أى جورا - فى ضرب مقدار الخراج المضروب عليهم أو جور العمّال فى أخذه أو علّه نحو أن يصيب الغلّه آفه كالجراد و البرق و البرد و غيرها.

أو انقطاع شرب - بأن ينقص الماء فى النهر أو طمّ القنوات فى أثر السيول أو الزلازل و نحوها.

أو باله - يعنى قلّه الأمطار فى ما يسقى بماء المطر أو كثره الأمطار الموجه للسيول الجارفه للزرع و الشجر.

أو إحاله أرض اغتمرها غرق - يعنى أنّ الأرض قد تحوّلت فى أثر السيول أو تكرار الزرع فلم يحصل منها زرع لأنّ الغرق غمرها و أفسد زرعها.

أو أجحف بها عطش فأتلفها.

فلا بدّ من سماع الشكوى و التحقيق عنها و التخفيف على الزراع و الدهاقين و بذل المساعده لهم بحيث يصلح أمرهم و يتمكّنوا من الاشتغال بالعمران و تبّه على أنّ هذا التخفيف و المساعده لم يذهب هدرا، لأنّه:

١ - ذخر يعودون به عليك فى عماره بلادك.

٢ - زينه و افتخار لولايتك فإنّ زينه الوالى عمران البلاد و راحه العباد.

٣ - تكتسب حسن ثنائهم عليك و تسرّ باستفاضه العدل فيهم مع اعتمادك على فضل قوّتهم بما ذخرت عندهم من توجّهك عليهم و توجّههم عليك بالوثوق بك و الاعتماد بعدلك و رفقك.

٤ - فربما حدث عليك حادث و تحتاج إلى الاقتراض منهم أو طلب المعونه منهم أو مساعدتهم لك بنفوسهم فيجيئونك و يساعدونك بطيب أنفسهم.

ص: ٢٥٠

ثم انتج من ذلك ضابطتين عامتين هامتين:

١ - العمران محتمل ما حملته.

٢ - يؤتى خراب الأرض من فقر أهلها و إعوازههم مصارف عمرانها.

ثم تبه على أن إعواز أهل الأرض ناش عن الولاة السوء الذى لا- هم لهم إلا- جمع المال و الأخذ من الرعايا بكل حال، لسوء ظنهم ببقائهم على العمل و خوفهم من العزل و عدم انتفاعهم بالعبر و اعتقادهم بالعقوبة من الله فى الآخره.

و قد نقل الشارح المعتزلى هنا ما يؤيد كلام مولانا لا بأس بنقله قال:

عهد سابور بن أردشير لابنه

و قد وجدت فى عهد سابور بن أردشير إلى ابنه كلاما يشابه كلام أمير المؤمنين عليه السلام فى هذا العهد و هو قوله:

و اعلم أن قوام أمرك بدرور الخراج، و درور الخراج بعماره البلاد، و بلوغ الغايه فى ذلك استصلاح أهله بالعدل عليهم، و المعونه لهم، فإن بعض الامور لبعض سبب، و عوام الناس لخواصهم عدّه، و بكل صنف منهم إلى الآخر حاجه، فاختر لذلك أفضل من تقدر عليه من كتابك، و ليكونوا من أهل البصر و العفاف و الكفايه، و استرسل إلى كل أحد منهم شخصا يضطلع به، و يمكنه تعجيل الفراغ منه، فان اطلعت على أن أحدا منهم خان أو تعدى، فنكل به، و بالغ فى عقوبته، و احذر أن تستعمل على الأرض الكثير خراجها إلا البعيد الصوت، العظيم شرف المنزل و لا تولين أحدا من قواد جندك الذين هم عدّه للحرب، و جنّه من الأعداء شيئا من أمر الخراج، فلعلك تهجم من بعضهم على خيانه فى المال، أو تضییع للعمل فان سوّغته المال، و أغضيت له على التضييع كان ذلك هلاكا و إضرارا بك و برعيّتك و داعيه إلى فساد غيره، و إن أنت كافأته فقد استفسدته، و أضقت صدره، و هذا أمر توقّيه حزم، و الإقدام عليه حزن، و التقصير فيه عجز.

و اعلم أن من أهل الخراج من يلجىء بعض أرضه و ضياعه إلى خاصه الملك

ص: ٢٥١

و بطانته لأحد أمرين، أنت حرّى بكراهمما، إمّا لامتناع من جور العمّال و ظلم الولاة، و تلك منزله يظهر بها سوء أثر العمّال و ضعف الملك و إخلاله بما تحت يده، و إمّا للدفع عمّا يلزم من الحقّ و التيسّر له، و هذه خلّه تفسد بها آداب الرّعيه، و تنقص بها أموال الملك، فاحذر ذلك، و عاقب الملتجئين و الملجأ إليهم.

الترجمه

سپس در کارهای کارمندان و عمّال خود بنگر و از روی امتحان و آزمایش آنان را بکار بگمار و بمحض دلخوشی و احسان به آنها یا خویش و اظهار خصوصیت با آنها کارگزارشان مکن، زیرا آنها مجموعه ای از تیره های جور و ستم و خیانتند.

از میان آنان اهل تجربه و مردم آبرومند را انتخاب کن، کسانی که از خانواده های خوب و پیشقدم در اسلام هستند و پیشرو بودند، زیرا که آنان:

۱ - اخلاقی گرامی تر و اصیل تر دارند.

۲ - آبروی آنها نیالوده و محفوظ و بابروی خود علاقه دارند.

۳ - کمتر پیرامون طمع و جلب منافع می گردند.

۴ - در عواقب امور و دنباله کارها نظری رساتر و عمیق تر دارند و ملاحظه عاقبت کار خود را بهتر می کنند.

سپس حقوق و ارزاق مکفی بدانها بده زیرا وفور معیشت مایه اصلاح نفوس آنها است و سبب بی نیازی آنان از تصرّف در اموالی که زیر دست آنها است می شود و وسیله اتمام حجت بر آنها می گردد در صورتی که از دستور تو سرپیچند و در امانت خیانت ورزند.

سپس کارهای آنان را زیر نظر بگیر و دیده بان های درست و وفادار بر آنها بگمار، زیرا بازرسی پنهانی تو از کارهای آنان موجب تشویق آنها است بر امانتداری و خوشرفتاری با رعیت، معاونان خود را خوب بپا و اگر از آنها کسی دست بخیان گشود و مورد اتفاق نظر خبر گزاران و دیده بانان گردید و گواهی آنانرا در باره

ص: ۲۵۲

اثبات جرمش کافی دانستی او را زیر تازیانه مجازات بکش و مسئول کار خودش بشناس و در معرض خواری در آور و داغ خیانت بر پیشانی او بنه و جامه ننگین تهمت را در بر او کن.

از وضع خراج و در آمد املاک بازرسی کن بوجهی که مایه بهبود خراج گزاران باشد، زیرا در بهبود امر خراج و بهبود حال خراج گزاران بهبود حال دیگران نهفته است و دیگران را جز بدانها بهبودی حال میسر نیست، زیرا همه مردم نانخوران خراجند و خراج گزاران، و باید توجه تو بآبادی زمین بیشتر باشد از توجه بجلب خراج، زیرا خراج جز از زمین آباد بدست نیاید و هر کس آباد نکرده خراج خواهد شهرستانها را ویران و بندگان خدا را نابود سازد و جز اندک زمانی کارش درست نیاید.

اگر زارعان و دهقانان شکایت کردند از فزونی و گرانی مقدار خراج یا از آفت در زراعت یا قطع آب یا کمی باران یا دگرگونی و فساد زمین زراعت و درخت بواسطه آنکه سیل آنرا غرق کرده یا تشنگی بدان زیان رسانیده خراج آنها را تا حدی که مایه بهبود حالشان باشد تخفیف بده و این تخفیف که مایه کمک بدانها است بر تو گران نیاید زیرا:

۱ - این ذخیره و پس انداز است در ملک که بوسیله آباد کردن بلاد تو بتو برمیگردد.

۲ - سبب زیور و آرایش حکمرانی تو است.

۳ - مایه جلب ستایش آنان و شادمانی تو بابتشار عدالت در باره آنها است در حالی که بفزونی نیروی آنها اعتماد داری بدانچه برای آنها ذخیره کردی و فراهم آوردی و جلب اعتماد آنها را بخود نمودی بوسیله آنکه آنها را بعدالت گستری خود معتاد ساختی و با نرمش با آنها معامله کردی.

بعلاوه بسا باشد که برای تو پیشامدی رخ دهد و گرفتاری پیش آید و چون تو با آنها احسان کردی و خوشرفتاری نمودی و اعتماد آنها را جلب کردی در دنبال آن هر تقاضا را با طیب خاطر پذیرا شوند و بتو هر گونه کمک و مساعدت را از روی

ص: ۲۵۳

رضا و رغبت تقدیم دارند.

بابادانی هر چه بار نهی بار می کشد و همانا ویرانی سرزمینها زائیده نداری و بی وسیله ای اهل آن سرزمین است آیا نداری و بیچارگی مردم از کجا ناشی می شود؟ از توجه کارگزاران بجمع مال دنیا و ربودن دسترنج مردمان برای بدبینی آن کارگزاران نسبت به بقاء آنان بر سر کار خود و بواسطه کم عبرت گرفتن آنها از آنچه برای مردم با ایمان و با بصیرت مایه عبرتست.

الفصل الثامن من عهده علیه السلام

اشاره

ثم انظر في حال كتابك فولّ على أمورك خيرهم، و اخصّ رسائلك التي تدخل فيها مكائده و أسرارك بأجمعهم لوجه صالح الأخلاق ممّن لا تبطره الكرامه فيجترئ بها عليك في خلاف لك بحضره ملا، و لا تقصر به الغفله عن إيراد مكاتبات عمالك عليك، و إصدار جواباتها على الصواب عنك فيما يأخذ لك و يعطى منك، و لا يضعف عقدا اعتقده لك، و لا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك، و لا يجهل مبلغ قدر نفسه في الامور، فإنّ الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل، ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك و استنامتك و حسن الظنّ منك، فإنّ الرجال يتعرّفون لفراسات الولاة بتصنّعهم و حسن خدمتهم [حديثهم] و ليس وراء ذلك من النصيحة

ص: ٢٥٤

و الأمانه شىء، و لكن اختبرهم بما ولوا للصّ الحين قبلك، فاعمد لأحسنهم كان فى العامّه أثرا، و أعرفهم بالأمانه وجهها، فإنّ ذلك دليل على نصيحتك لله و لمن وليت أمره، و اجعل لرأس كلّ أمر من أمورك رأسا منهم لا يقهره كبيرها، و لا يتشتت عليه كثيرها، و مهما كان فى كتابك من عيب فتغايبت عنه ألزمته.

اللغة

(كتّاب) جمع كاتب: من يتولّى ديوان المكاتبات، (مكائد): جمع مكيدة: تدبير سرّى تجاه العدو، (لا تبطره): و قد تكرر فى الحديث ذكر البطر و هو كما قيل: سوء احتمال الغنى و الطغيان عند النّعمه و يقال: هو التجبر و شدّه النشاط، و قد بطر بالكسر يبطر بالفتح - مجمع البحرين -.

(الملا): قيل: الملا جماعة من النّاس يملئون العين و القلب هيبه، و قيل:

هم أشرف النّاس و رؤساؤهم الّذين يرجع إلى قولهم، (العقد): المعاهده فى أمر بين اثنين، (الفراسه) بالكسر الاسم من قولك تفرّست فيه خيرا، و هى نوعان أحدهما ما يوقعه الله فى قلوب أوليائه فيعلمون بعض أحوال النّاس بنوع من الكرامات و إصابه الحدس و الظن و هو ما دلّ عليه ظاهر الحديث: اتّقوا فراسه المؤمن فإنّه ينظر بنور الله، و ثانيهما نوع يعلم بالدلائل و التجارب، (استنام) إلى كذا: سكن إليه، (تغايبت) عنه: تغافلت عنه.

الاعراب

ممن لا تبطره: من للتبويض، بحضره ملا: متعلّق بقوله فيجترئ، فيما يأخذ: لفظه ما موصوله و ما بعدها صلتها و العائد محذوف، وراء ذلك، ظرف

ص: ٢٥٥

مستقرّ خبر ليس قدّم على اسمها و هو شيء، بما ولّوا: يجوز أن تكون ما مصدرية:

أى بالولاية التي ولّوها و العائد محذوف على أى تقدير، كان فى العامّة: اسم كان مقدر فيه و فى العامّة ظرف مستقرّ خبر له، و أثرا تميز من قوله عليه السّلام لأحسنهم ألزمته: جزاء قوله عليه السّلام: مهما كان.

المعنى

إشارة

من أهمّ النظمات الرّئيسية فى الدّول الرّاقية و المتمدّنه نظام الديوان و الكتاب، فقد اهتمّ به الملوك و الرّؤساء من عهد قديم و تمثّل فى النظام الاسلامى فى عهد النّبي صلّى الله عليه و آله فى كتابه آى القرآن، و قد دار حول النّبي فى هذا العصر مع ندره الكاتب فى الامّة العربيّة الّاثنين اثنى عشر كاتباً يوصفون بكتاب الوحي يرأسهم مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه، و قد اهتمّ النّبي صلّى الله عليه و آله بتوفير الكتاب فى الجامعة الإسلاميه حتّى جعل فداء أسرى الحروب الكاتبين تعليم الكتابه لعشر نفر من المسلمين، و كان علىّ عليه السّلام هو الكاتب المخصوص للنّبي صلّى الله عليه و آله يتولّى كتابه العهود و الموائيق بينه و بين النّاس فى مواقف كثيره على الأكثر:

منها كتابه عهد الصّلىح بين المسلمين و قبائل اليهود الساكنين حول المدينه فى صدر الهجره، كما فى سيره ابن هشام «ص ٣٠١ ج ١ ط مصر».

قال ابن إسحاق: و كتب رسول الله صلّى الله عليه و آله كتاباً بين المهاجرين و الأنصار و وادع فيه يهود و عاهدهم و أقرهم على دينهم و أموالهم و شرط عليهم و اشترط لهم.

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمّد النّبي صلّى الله عليه و آله بين المؤمنين و المسلمين من قريش و يثرب و من تبعهم «و» فلحق بهم و جاهد معهم إنّهم امّه واحده من دون النّاس، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم و هم يقدون عانيهم بالمعروف و القسط بين المؤمنين و بنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى و كلّ طائفه تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين و بنو ساعده على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى و كلّ طائفه منهم تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين

ص: ٢٥٦

المؤمنين و بنو النخِار على ربتهم - إلى أن قال: و أنه من تبعنا من يهود فإن له النصير و الأسوه غير مظلومين و لا- متناصرين عليهم - إلخ.

و هو عهد تاريخي غزير اللفظ و المعنى، و لم يصرح في السيره باسم الكاتب و لكن الظاهر أنه علي بن أبي طالب عليه السلام - فتدبر.

و منها العهد التاريخي المنعقد بينه صلى الله عليه و آله مع قريش في واقعه الحديبيه حيث منع قبائل قريش مكه عن دخول المسلمين مكه المكرمه لأداء العمرة و صدوهم في وادي حديبه و عرضوهم للحرب، فامتنع النبي صلى الله عليه و آله عن إثارة حرب في هذه الواقعة و تردد بينه و بين قريش عدّه من الرجال حتّى تمكّن سهيل بن عمرو من عقد صلح بين النبي صلى الله عليه و آله مع قريش في ضمن شروط هامه ثقيله على المسلمين و تولّى علي عليه السلام كتابه هذا العهد، كما في سيره ابن هشام «ص ٢١٦ ج ٢ ط مصر»:

قال: ثم دعا رسول الله صلى الله عليه و آله علي بن أبي طالب رضوان الله عليه فقال: اكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: لا أعرف هذا و لكن اكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: اكتب باسمك اللهم، فكتبها، ثم قال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو قال: فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك و لكن اكتب اسمك و اسم أبيك، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه و آله اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو و اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهنّ الناس و يكفّ بعضهم عن بعض على أنّه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه ردّه عليهم و من جاء قريشا ممّن مع محمد لم يردّوه عليه و أنّ بيننا عيبه مكفوفه و أنّه لا إرسال و لا إغلال و أنّه من أحب أن يدخل في عقد محمد و عهده دخل فيه و من أحب أن يدخل في عقد قريش و عهدهم دخل فيه فتواثبت خزاعه فقالوا نحن في عقد محمد و عهده و تواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش و عهدهم و أنك ترجع عنّا عامك هذا فلا تدخل علينا مكّه و أنّه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً معك سلاح الرّاكب السيوف في القرب لا تدخلها غيرها - إلى أن قال: في بيان شهود الكتاب:

ص: ٢٥٧

و عليّ بن أبي طالب و كتب و كان هو كاتب الصّحيفه.

و قد بين عليه السّلام فى هذا الفصل نظام الديوان و ألقاب الكتّاب اللاتقين الأنجاب و نظم أمر الديوان و الكتّاب فى مباحث قيمه.

١ - فى شخصيّة الكاتب من الوجهه الأخلاقية و رعايه الأمانه و الصداقه و لم يتعرض عليه السّلام لما يلزم فى الكاتب من الوجهه الفتيه و ما يجب عليه من تعلم الخطّ و تحصيل درجات علميّة ليتمكّن من الاشتغال بكتابه الديوان العالى لأنّه معلوم بالضروره لمن يعرّض نفسه لهذا المنصب العالى فشغل الكتابه فى ديوان رسمى يحتاج فى عصرنا هذا إلى شهاده إتمام تحصيلات دوره المتوسّطه مضافا إلى ما يلزم له من التعلّم الخصوصى لفنّ الكتابه و الفوز بجوده الخطّ.

و قد لخص الوصف العام للكاتب بقوله عليه السّلام (فولّ على امورك خيرهم) قال ابن ميثم: و تفسير الخير هنا هو من كان تقيا قيما بما يراى منه من مصالح العمل.

أقول: كأنه غفل عن معنى التفضيل المصرّح به فى قوله عليه السّلام: خيرهم.

قال فى الشرح المعتزلى:

فصل فى الكتّاب و ما يلزمهم من الاداب

و اعلم أنّ الكاتب الذى يشير أمير المؤمنين عليه السّلام إليه هو الذى يسمّى الان فى الاصطلاح العرفى وزيرا، لأنّه صاحب تدبير حضره الأمير، و النّائب عنه فى اموره و إليه تصل مكتوبات العمّال و عنه تصدر الأجوبه، و إليه العرض على الأمير، و هو المستدرك على العمّال، و المهيمن عليهم، و هو على الحقيقه كاتب الكتّاب، و لهذا يسمّونه الكاتب المطلق.

أقول: الوزاره منصب ممتاز عن الكتابه فى عصرنا هذا و أظنّ أنّه كان ممتازا فى العصور السابقه، و إن كان الوزير يشتغل بالكتابه و إنشاء ما يهّم من الكتب فى بعض الأزمان، و فى بعض الأحيان إلّا أنّه لا يدلّ على كون الكاتب هو الوزير، فقد كان فى عهد هارون و مأمون يصدر التوقيعات الهامّه فى الامور

ص: ٢٥٨

العامه المرتبطه بدار الخلافه بقلم يحيى بن خالد البرمكى و ابنه جعفر و فضل و لهم مقام وزاره فى ديوان الخلافه إلا أنه لم يعهد توصيفهم بالكاتب فى كتب السير و التاريخ.

قال: و كان يقال للكاتب على الملك ثلث: رفع الحجاب عنه، و اتهام الوشاه عليه، و إفشاء السرّ لديه.

٢ - فى تقسيم الكتاب إلى درجات و طبقات:

فمنهم كاتب السرّ، فأوصى فيه بأن يكون أجمع الكتاب للأخلاق الصّالحه و لا يكون خفيف المزاج فيسوء فيه أثر خلواته مع الوالى و توديعه أسرار له فيه فيعتريه البطر و الطغيان على الوالى فيجتري عليه بإظهار الخلاف و الأنانيه فى المحضر الحافل بالأشراف و الرؤساء و الامراء فيهون الوالى بجرأته عليه و يضعف قدره عند الملأ.

و منهم كاتب الديوان العام الذى يرد عليه مكاتبات العمّال و يتكلّف جوابها فيوصى عليه السلام فيه أن يكون حافظا يقظا لا يسمح فى اصدار جواب هذه الكتب على وجه الصواب سواء فيما يتعلّق بأخذ الخراج و العوائد أو ما يتعلّق باعطاء الرواتب و المصارف، فيضبط ذلك كلّه ليتمكّن الوالى من النظر فى الواردات و الصّادات.

و أن يكون فطنا ليقا فى تنظيم موادّ العهود و العقود بين الوالى و غيره من أصناف الرّعايا أو الأجانب، و هذا أمر يحتاج إلى بصيره فائقه و فطنه وقّاده يقتدر صاحبها إلى تنظيم موادّ المعاهده محكمه غير مبهمه بحيث لا يمكن لطرف المعاهده أن يجعل بعض جملها مبهمه و يفسّرها على ما يريد كما أنّه يحتاج التخلّص عن المسئوليه تجاه مقررات العهود إلى بصيره و حسن تعبير عبّر عليه السلام بقوله (و لا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك).

و اشترط فى الكاتب أن يعرف قدره و يقف عند حدّه فى أعمال النفوذ لدى الوالى و لا يغترّ بصحبته مع الوالى و مجالسته معه لأداء ما يجب عليه من شغله فى إنهاء الرّسائل إليه و أخذ الإمضاء منه فى جوابها فلا يحسب هذا الحضور و المجالسه

ص: ٢٥٩

الَّتِي يَتَضَيِّعُهَا شَغْلُهُ دَلَالًا عَلَى الْوَالِي فَيُطِيرُ فَوْقَ قَدْرِهِ.

ثُمَّ نَبَّهَ عَلَى أَنَّ اخْتِابَ الْكِتَابِ وَانْتِصَابَهُمْ فِي هَذَا الشَّغْلِ الْهَامِّ لَا بَدَّ وَأَنْ يَكُونَ مُعْتَمِدًا عَلَى اخْتِبَارِ كَامِلٍ فِي صِلَاحِيَّتِهِمْ وَلَا يَكْتَفِي فِي إِثْبَاتِ لِيَاقَتِهِمْ بِمَجَرَّدِ الْحَدْسِ وَالْفَرَاسَةِ وَحَسَنِ الظَّنِّ النَّاشِي عَنْ التَّظَاهَرِ بِالْإِخْلَاصِ وَتَقْدِيمِ الْخِدْمَةِ لِأَنَّ الرِّجَالَ أَهْلَ تَصْنَعٍ وَتَظَاهَرٍ رَبَّمَا يَغْتَرُّ الْوَالِي بِهِمَا وَهُمْ خَلَوْا مِنَ الْإِخْلَاصِ فِي الْبَاطِنِ.

وَيُبَيِّنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ الدَّلِيلَ عَلَى صِلَاحِيَّتِهِمْ سَابِقَتِهِمْ فِي تَوَلَّى الْكِتَابَةِ لِلصَّالِحِينَ قَبْلَ ذَلِكَ مَعَ حَسَنِ أَثَرِهِمْ فِي نَظَرِ الْعَامَّةِ وَاعْرِفَانِ أَمَانَتِهِمْ عِنْدَ النَّاسِ.

ثُمَّ أَشَارَ إِلَى تَفَنُّنِ أَمْرِ الْكِتَابَةِ وَوُجُوهِهَا الْمُخْتَلِفَةِ فَأَمَرَ بِأَنْ يُجْعَلَ لِكُلِّ مِنَ الْأُمُورِ رَئِيسًا لَا يُثَقَّ مِنَ الْكِتَابِ الْمَاهِرِينَ فِي هَذَا الْفَنِّ بِحِثِّ لَا يَقْهَرُهُ مَشْكَلٌ وَرَدَّ عَلَيْهِ وَلَا يَعْجِزُ عَنْ إِدَارِهِ إِذَا تَكَثَّرَتِ الْوَارِدَاتُ عَلَيْهِ، وَنَبَّهَ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْوَاجِبِ الْفَحْصُ عَنْ صِحَّةِ عَمَلِ الْكِتَابِ وَعَدَمِ الْغَفْلَةِ عَنْهُمْ فَلَوْ غَفَلَ عَنْهُمْ وَتَضَرَّرَ النَّاسُ مِنْهُمْ كَانَ تَبِعْتَهُ عَلَى الْوَالِي وَهُوَ مُسْتَوَلٌّ عَنْهُ.

وَنَذَرَ هُنَا وَصِيَّةَ صَدَرَتْ مِنْ أَبُرُويز إِلَى كَاتِبِهِ نَقْلًا عَنِ الشَّرْحِ الْمَعْتَرَلِيِّ «ص ٨١ ج ١٧ ط مصر».

وَقَالَ أَبُرُويز لِكَاتِبِهِ: اكْتُمِ السِّرَّ، وَاصْدُقِ الْحَدِيثَ، وَاجْتَهِدْ فِي النَّصِيحَةِ وَاعْلَمْ أَنَّ لَكَ عَلَيَّ أَنْ لَا أَعْجَلَ عَلَيْكَ حَتَّى أَسْتَأْنِيَ لَكَ، وَلَا أَقْبَلَ فِيكَ قَوْلًا حَتَّى أَسْتَيْقِنَ، وَلَا أَطْمَعَ فِيكَ أَحَدًا فَتَغْتَالِ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ بِمَنْجَاهِ رَفْعِهِ فَلَا تَحْطُّهَا وَفِي ظِلِّ مَمْلَكَةٍ فَلَا تَسْتَرِيلَنَّهُ، قَارِبِ النَّاسَ مَجَامِلَهُ مِنْ نَفْسِكَ، وَبَاعِدْهُمْ مَسَامِحَهُ عَنْ عَدْوِكَ، وَاقْصِدْ إِلَى الْجَمِيلِ اازْدِرَاعًا لَغَدِّكَ وَتَنْزَهُ بِالْعِفَافِ صَوْنًا لِمَرْوِءِكَ، وَتَحَسَّنْ عِنْدِي بِمَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ، احْذَرِ لَا تَسْرِعَنَّ الْأَلْسَنَةَ عَلَيْكَ، وَلَا تَقْبَحَنَّ الْأَحْدُوْثَةَ عَنْكَ، وَصَنْ نَفْسَكَ صَوْنَ الدَّرَةِ الصَّافِيَةِ، وَأَخْلَصْهَا خِلَاصَ الْفَضَّةِ الْبَيضاءَ وَعَاتِبْهَا مَعَاتِبَةَ الْحَذَرِ الْمَشْفُوقِ، وَحَصِّنْهَا تَحْصِينَ الْمَدِينَةِ الْمُنِيعَةِ، لَا تَدْعَنَّ أَنْ تَرْفَعَ إِلَى الصَّغِيرِ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الْكَبِيرِ، وَلَا تَكْتُمَنَّ عَنِّي الْكَبِيرَ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِشَاغِلٍ

ص: ٢٦٠

عن الصغير، هذب امورك، ثم القنى بها، و احكم امرك، ثم راجعنى فيه، و لا تجترئن على فامتعض، و لا تنقبضن منى فأتهم، و لا- تمرضن ما تلقانى به و لا- تخذجنه، و إذا أفكرت فلا- تعجل، و إذا كتبت فلا تعذر، و لا تستعن بالفضول فإنها علاوه على الكفايه، و لا- تقصرن عن التحقيق فإنها هجنه بالمقاله، و لا تلبس كلاما بكلام، و لا تبعدن معنى عن معنى، و اكرم لى كتابك عن ثلاث:

خضوع يستخفه، و انتشار يهجنه، و معان تعقد به، و اجمع الكثير مما تريد فى القليل مما تقول، و ليكن بسطه كلامك على كلام السؤقه كبسطه الملك الذى تحدّثه على الملوک، فاجعله عاليا كعلوه، و فائقا كتفوقه، فانما جماع الكلام كله خصال أربع: سؤالك الشىء، و سؤالك عن الشىء، و أمرک بالشىء، و خبرک عن الشىء، فهذه الخصال دعائم المقالات، إن التمس إليها خامس لم يوجد، و إن نقص منها واحد لم يتم، فاذا أمرت فأحكم، و إذا سألت فأوضح، و إذا طلبت فأسمح و إذا أخبرت فحقّق، فإنك إذا فعلت ذلك أخذت بجرائم القول كله، فلم يشته عليك وارده، و لم تعجزك صادرة، أثبت فى دواوينك ما أخذت، احص فيها ما أخرجت، و تيقّظ لما تعطى، و تجرّد لما تأخذ، و لا- يغلبنك النسيان عن الاحصاء و لا الاناه عن التقدّم، و لا تخرجن وزن قيراط فى غير حقّ، و لا تعظمن إخراج الالوف الكثيره فى الحقّ، و ليكن ذلك كله عن مؤامرتى.

الترجمه

سپس در حال کاتبان آستانت نظر کن و کارهایت را به بهترین آنان بسپار و نامه های محرمانه و حاوی تدبیرات خود را مخصوص کسی کن که:

۱ - بیشتر از همه واجد اخلاق شایسته و نیک باشد.

۲ - احترام و مقام مخصوص نزد تو او را مست و بیخود نسازد تا در حضور بزرگان و سروران با تو اظهار مخالفت کند و نسبت بتو گستاخی و دلیری کند.

۳ - غفلت و مسامحه کاری مایه کوتاه آمدن او از عرض نامه های عمال تو

ص: ۲۶۱

بر تو و صدور پاسخهای درست آنها نگردد چه در باره آنچه برای تو دریافت می شود و چه در باره آنچه از طرف تو پرداخت می گردد.

۴ - عهد نامه ای که برای تو تنظیم میکند سست و شکننده نباشد، و از آزاد کردن تو از قید مقررات عهدنامه ها بوسیله تفسیرهای پذیرفته عاجز نماند.

۵ - باندازه خود و حدود مداخله او در کارها نادان و نفهمیده نباشد زیرا کسی که اندازه خود را نداند باندازه و قدر و مرتبه دیگران نادانتر باشد.

سپس باید انتخاب و انتصاب آنان در مقام منیع کاتبان متکی بخوشبینی و دلباختگی و خوش گمانی تو نباشد زیرا مردان زرنگ راه جلب فراست و خوشبینی والیان را بوسیله ظاهر سازی و تظاهر بخوش خدمتی خوب می شناسند، در صورتی که در پس این ظاهر سازی هیچ اخلاص و حقیقتی وجود ندارد و لیکن باید آنها را بوسیله تصدی کارهای مربوطه برای نیکان پیش از خود بیازمائی، و هر کدام نزد عموم مردم خوش سابقه تر و بآمانت داری معروفترند بر گزینی که این خود دلیل است بر این که نسبت به پروردگار خود بکسی که از جانب او متصدی ولایت و فرمانگزاری شدی خیر اندیشی کردی.

و باید برای هر نوعی از کارهای خود رئیسی برای دفتر مربوطه انتخاب کنی که کارهای مهم او را مقهور و درمانده نسازند و کارهای بسیار او را پریشان نکنند، و باید بدانی هر عیبی در کاتبان تو باشد و مایه زیان گردد تو خود مسئول آنی.

الفصل التاسع من عهده علیه السلام

اشاره

ثم استوص بالتجار وذوى الصناعات و أوص بهم خيرا، المقيم منهم و المضطرب بماله، و المترفق ببذنه [بیدیه]، فإنهم

ص: ۲۶۲

موادّ المنافع، و أسباب المرافق، و جلابها من المباعد و المطارح في برك و بحر، و سهلك و جبلك، [و] حيث لا يلتئم الناس لمواضعها، و لا يجترءون عليها، فإنهم سلم لا تخاف بائقته، و صلح لا تخشى غائلته، و تفقد أمورهم بحضرتك و في حواشي بلادك و اعلم - مع ذلك - أنّ في كثير منهم ضيقا فاحشا، و شحّا قبيحا، و احتكارا للمنافع، و تحكّما في البياعات، و ذلك باب مضرّه للعامة، و عيب على الولاة، فامنع من الاحتكار، فإنّ رسول الله - صَلَّى الله عليه و آله - منع منه، و ليكن البيع بيعا سمحا: بموازين عدل، و أسعار لا تجحف بالفريقين من البائع و المبتاع، فمن قارف حكره بعد نهيك إياه فنكل به، و عاقبه في غير إسراف.

اللغة

(المضطرب بماله): التاجر الذي يدور بماله من بلد إلى بلد للكسب، (جلاب) جمع جالب، (المطارح) جمع مطرح: الأرض البعيدة، (البائقة):

الداهية، (الغائلة): الشرّ، (حواشي البلاد)، أطرافها، (الشحّ)، البخل مع حرص فهو أشدّ من البخل لأنّ البخل في المال و هو في مال و معروف تقول: شحّ يشحّ من باب قتل و في لغة من باب ضرب و تعب فهو شحيح - مجمع البحرين.

(الاحتكار): حبس المنافع عن الناس عند الحاجة إليها، (التحكم في

ص: ٢٦٣

البياعات): التطفيف في الوزن و الزيادة في السِّعر، (السِّمح) بفتح فسكون أى السهلة التى لا ضيق فيها و لا حرج و سُمح به يسمح بفتحيتين سموحا و سماحا و سماحه أى جاد، (قارف): قارف الذَّنْب و غيره إذا داناه و لا صقه و إن شئت إذا أتاه و فعله - مجمع البحرين.

الاعراب

استوص بالتَّجار: مفعوله محذوف: أى أوص نفسك بذلك، أوص بهم خيرا حذف مفعوله: أى أوص عمَّا لك، المقيم: بدل أو عطف بيان للضمير فى بهم و المضطرب عطف عليه، المترفق ببدنه، بيان لقوله ذو الصِّناعات، فأنهم سلم: أى اولو سلم فحذف المضاف و اقيم المضاف إليه مقامه للمبالغة و الضمير فى بائقته يرجع إلى السلم باعتبار اولى السِّلم، و هكذا الكلام فى قوله صلح - إلخ.

فى كثير منهم ظرف مستقر خبر إن، البياعات جمع بيع مصدر بايع أى المبيعات، عيب على الولاه عطف على قوله باب مضره، بيعا مفعول مطلق نوعى بموازين عدل: جار و مجرور متعلق بقوله بيعا، و أسعار عطف على قوله موازين، من البائع من بيائيه.

المعنى

انتقل عليه السِّلام بعد تنظيم الحكومه إلى الاجتماع و ما يصلح به أمر الامه و ركنه التجاره و الصِّناعه، و التجاره شغل شريف حتّ عليها فى الشرع الاسلامى لكونها وسيله لتبادل الحاصلات الأوْلِيّه و التوليدات الصِّناعيه، و هذا التبادل ركن الحياه الاجتماعيه و نظام الحيويه المدنيه، و قد ورد أخبار كثيره فى مدح التجاره و الترغيب إليها ففى الخبر أنّه تسعه أعشار الرزق فى التجاره و واحده فى سائر المكاسب.

قال فى الوسائل فى مقدمات كتاب التجاره: و بإسناده عن روح عن أبى عبد الله عليه السّلام

ص: ٢٦٤

قال: تسعه اعشار الرزق فى التجاره.

و روى بسنده عن عبد المؤمن الأنصارى عن أبى جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: البركه عشره أجزاء: تسعه أعشارها فى التجاره و العشر الباقي فى الجلود. قال الصدوق: يعنى بالجلود الغنم.

و بإسناده عن على عليه السلام فى حديث الأربعمائه قال: تعرّضوا للتجارات فإنّ لكم فيها غنى عمّا فى أيدي الناس، و إنّ الله عزّ و جلّ يحبّ المحترف الأمين المغبون غير محمود و لا مأجور.

و بإسناده عن محمّد بن يعقوب، عن على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبى عمير، عن محمّد الزعفرانى، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: من طلب التجاره استغنى عن الناس، قلت: و إن كان معيلاً؟ قال: و إن كان معيلاً إنّ تسعه أعشار الرزق فى التجاره.

و بسنده عن أبى عبد الله عليه السلام قال: التجاره تزيد فى العقل.

و بالإسناد عن على بن الحكم، عن أسباط بن سالم، قال: دخلت على أبى عبد الله عليه السلام فسألنا عن عمر بن مسلم ما فعل؟ فقلت: صالح و لكنّه قد ترك التجاره، فقال أبو عبد الله عليه السلام: عمل الشيطان - ثلاثاً - أما علم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آله اشترى عيراً أتت من الشام فاستفضل فيها ما قضى دينه و قسّم فى مراتبه، يقول الله عزّ و جلّ «رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَ لَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ» - إلى آخر الايه ٣٧ - النور» يقول القصّاص: إنّ القوم لم يكونوا يتجرون، كذبوا و لكنّهم لم يكونوا يدعون الصلاه فى ميقاتها و هم أفضل ممّن حضر الصلاه و لم يتجر.

و الأخبار فى هذا الموضوع كثيره مستفيضه، و كفى فى فضل التجاره أنها كانت شغل النبى صلى الله عليه وآله عليه و آله قبل أن يبعث نبياً، و قد سافر إلى الشام فى التجاره مع عمّه أبى طالب و هو غلام لم يبلغ الحلم، ثم صار عاملاً لخديجه بنت خويلد و سافر إلى الشام للتجاره مرّه اخرى، و قد أعجبت خديجه أمانته و كفايته فطلبت منه أن يزوّجها.

ص: ٢٤٥

و الظاهر من حديث أسباط بن سالم الانف الذكر أنه لم يدع الاشتغال بها بعد البعثه و تحمّل أعباء النبوه، كما يستفاد ذلك من تعبير قريش له بقولهم:

«ما لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ» - كما فى الايه ٧ من سوره الفرقان».

و قد وصف عليه السلام التجار بما لا مزيد عليه من خدمتهم فى الاجتماع الانسانى و حمايتهم المدينه البشرى فقال:

١ - (و المضطرب بماله) أى من يجعل ماله متاعا يدور به فى البلاد البعيده يقطع المفاوز و يعرض نفسه للأخطار ليصل حوائج كل بلد إليه.

٢ - فانهم موادّ المنافع و أسباب المرافق.

قد اهتمّ الدّول الراقيه و الشعوب المتقدّمه فى هذه العصور بأمر التجاره و أدركوا حقيقه ما أفاده عليه السلام فى هذه الجمله القصيره قبل قرون طويله من أنّ التجاره موادّ المنافع، و قد أبلغ عليه السلام فى إفاده ما للتجاره من الأهميه فى أمر الاقتصاد حيث جاء بكلمه الموادّ جمعا مضافا مفيدا للعموم، و بكلمه المنافع جمعا معرّفا باللام مفيدا للاستغراق، فأفاد أنّ كلّ ماده لكلّ منفعه مندرج فى أمر التجاره، فالتجاره تحتاج إلى ما يتّجر به من الأمتعه و إلى سوق تباع تلك الأمتعه، ثم يؤخذ بدلها متاعا آخر و يبدّل بمتاع آخر فيستفاد من هذه المبادلات كلّها أرباحا.

و قد بلغ أهميه التجاره فى هذه القرون المعاصره إلى حيث صارت محورا للسياسه العامه للدّول العظمى فكانوا يبحثون عن الاراضى التى يحصل منها موادّ نافعه كالمعادن الغزيره من النفط و الذهب و الفضة و المحاصيل الزراعيه التى تصرف فى صناعه النسيج و غيرها، ثم ينقلونها إلى بلادهم و يصنعون منها أنواع الأمتعه التى يحتاج إليها كلّ شعب من الشعوب، و يبحثون عن الأسواق التى يصرف منها هذه المصنوعات، فصارت هذه المنافع التجاريه أساسا لسياسه الدّول و ماثرا للحروب الهائله و مدارا للمعامله مع الشعوب، تحيّلت الدّول العظمى فى الحيلولة

ص: ٢٤٤

بين الشعوب المتأخره ذات المواد الصالحه للصنعه كالنفط و أنواع المعادن و المحاصيل الزراعيه المتحوّله إلى المنسوجات، و بين الرّقى و التّقدّم فى أمر الصّنع و العلم باداره المكائن الصناعيه.

و قد ابتلت امّه ايران و شعبها بهذه العرقله السّياسيه و المكيده الحّياله منذ قرون و سلّطت على معادنها و منافعها و أسواقها دول حّياله عظمى دبّرت تأخرها فى أمر الصّناعه منذ قرون، و قد غفلت امّه ايران و شعبها بل الامم الاسلاميه كلّهم من هذه الجمله من كلام مولانا أمير المؤمنين فى أمر التّجار (فإنّهم موادّ المنافع و أسباب المرافق).

و قد كان التّجاره العالميه فى القرون المزدهره الاسلاميه أيام الخلفاء العباسيين الاول فى يد المسلمين، فكانوا يجوبون البحار و البرارى شرقا و غربا فى جميع القارّات بوسيله السّيفن الأرياحيه الخطيره و يحملون أنواع الأمتعه إلى تلك البلاد البعيده و الجزر النائية و يبدّلونها بما فى هذه البلاد و الجزر البحريه من أنواع المحاصيل و الثّقود و يزرعون العقائد الإسلاميه فى قلوب أهاليها، فنحن نعلم الان فى رسوخ الإسلام إلى بلاد نائية و قارّات متناثيه كإفريقيا و جزائر أندونيسيا و أبعد منها، و كان المبلّغون الأوّلون للإسلام فى هذه البلاد البعيده حتّى الصين و اليابان هم تّجار المسلمين الأبطال فى القرون الزاهيه الاسلاميه، فكانوا يدخلون تلك البلاد و يخالطون أهلها تّجارا سالمين و يحبّون إليهم الإسلام بأعمالهم الإسلاميه السّيره الجاذبه، فيعمل الإسلام فيهم كجهاز حىّ نشيط يتوسّع و ينمو حتّى بلغ أهل الإسلام فى جميع الأصقاع ما ملأين، و هذا أهمّ المنافع التّجاريه الّتى نالها المسلمون فى عصور نشاطهم و تقدّمهم، و هذا أحد الأسرار المخزونه فى قوله عليه السّلام:

فإنّهم موادّ المنافع و أسباب المرافق.

و قد تّبه عليه السّلام إلى أنّ الروابط التّجاريه تفيد الشّعوب و عامّه البشرى من جهه أنها سبب استقرار السّلم و الصّلاح بين أفراد الامّه و بين الشّعوب فقال عليه السّلام (فانهم سلم لا تخاف بائقته و صلح لا تخشى غائلته) فيا لها من جملته ذهبيّه حيه

ص: ٢٤٧

فى هذه القرون المعاصره، و فى القرن العشرين العطشان لاستقرار الصّلىح العالمى و السّلم العامّ بين الشعوب.

فالرّابطة التجارىه المبنيه على تبادل المنافع و الحوائج تكون وديّه و أخويّه دائما و هذا هو أساس الوداد العقلانى الصّادق الثابت فإنّ المتبادلين للحوائج و المنافع يحبّ كلّ منهما الآخر لأنّ حبّ أحدهما للآخر يرجع إلى حبّ الذات الذى هو الحبّ الثابت للانسان، فإنّ الانسان يحبّ ذاته قبل كلّ شىء فحبّه لذاته ذاتى و يحبّ كلّ شىء لحبّه بذاته حبّا عرضيّاً بواسطه فى الثبوت أو العروض، فالرّابطة التجاريّه سواء كانت بين فردين أو شعبيين أو شعوب شتى رابطة وديّه سلميّه نافره للحرب و التّنازع، فالشعوب المحبّه للسّلام ساعون لبسط التجاره الحرّه الدّاعيه إلى الودّ و التّفاهم المتبادل، فإنّ كلّ أحد يحبّ من يقضى حاجته و ينفعه، و الحبّ الزّواجى الذى هو أساس تزويج ثابت لا بدّ و أن يرجع إلى هذا المعنى و يدرك كلّ من الزّوجين أنّ الآخر يتبادل معه قضاء الحوائج و تبادل المنافع.

و أمّا الحبّ الغريزى القائم بين الأمّ و ولدها فلا يصحّ أن يكون مبدءا للمعاهدات و العقود، و هو الذى يعبر عنه بالعشق فى لسان الأدب و الشّعور، و هو حبّ كاذب خارج عن تحت الاراده و الاداره و أحسن ما عبّر عنه ما نقل عن الشيخ الرّئيس أبو على بن سينا فى تعريف العشق من أنّه: مرض سوداوى يزول بالجماع و السّفر و يزيد بالفكر و التّظنّ.

و الشعوب المحبّه للسّلام فى عالم البشريّه يسعون وراء عقد روابط تجاريّه حرّه مع الشعوب الاخرى مبتيه على تبادل المنافع و الحوائج و يسعون وراء التّجاره بالتّهاثر أى تبادل الحاجيّات بنوع آخر منها و لا تقيّدون بيوعهم بأخذ التّقود، فالتجاره الحرّه تكون أساسا للسّلم بين الشعوب كما أشار إليه عليه السّلام بقوله (فإنّهم سلم لا تخاف بائقته و صلح لا تخشى غائلته) و قد فسّر البائقه بالدّاهيه فيفيد أنّ التجاره الحرّه ليس فيها دهاء و مكر و قصد سوء من قبيل الاستعمار و التسلّط و صلح ليس ورائه مضرّه و هلاك.

و أمر عليه السّلام بتفقّد أحوال التجار و النظاره عليهم تكميلا لتوصيته لهم بالخير

ص: ٢٤٨

و الحماية لرؤوس أموالهم عن التلف و السرقة بأيدي اللصوص، و هذه توصيه بإقرار الأمن في البلاد و في طرق التجاره بحرا و برّا، و قد التفت الاسمم الرّاقيه إلى ذلك فاهتمّوا باستقرار الأمن في البلاد و الطّرق، و في حفظ رءوس الأموال التجاريّه عن المكائد و الدسائس المذهبه لها، فقال عليه السّلام: (تفقّد امورهم بحضرتك) أى في البلد، (و في حواشى بلادك) أى في الطّرق و الأماكن البعيده.

ثمّ تبّه عليه السّلام إلى خطر في أمر التجاره يتوجّه إلى عامّه النّاس المحتاجين في معاشهم إلى شراء الأمتعه من الأسواق، و هو خلق الشح و طلب الادّخار و الاستكثار من المال الكامن في طبع الكثير من التجار، فأنّه يؤول إلى الاستعمار و التسلّط على اجور الزراع و العمّال إلى حيث يؤخذون عبيدا و أسرى لأصحاب رءوس الأموال فوصفهم بقوله عليه السّلام: (أن في كثير منهم):

١ - (ضيقا فاحشا) أى حتّى بالغّا في جلب المنافع و ازدياد رقم الأموال المختصّه به ربما يبلغ إلى الجنون و لا يقف بالملايين و المليارات.

٢ - (و شحا قبيحا) يمنع من السّماح على سائر الأفراد بما يزيد على حاجته بل بما لا يقدر على حفظه و حصره.

٣ - (و احتكارا للمنافع) بلا - حدّ و لا - حساب حتّى ينقلب إلى جهنّم كلما قيل لها: هل امتلئت؟ يجيب: هل من مزيد؟ ٤ - (و تحكّما في البياعات) أى يؤول ذلك الحرص الجهنّمي إلى تشكيل الشركات و الانحصارات الجباره فيجمعون حوائج النّاس بمكائدهم و قوّه رءوس أموالهم و يبيعونها بأى سعر أرادوا و بأى شروط خبيثه تحفظ مزيد منافعهم و تقهر النّاس و تشدّد سلاسل مطامعهم و مظالمهم على أكتافهم و استنتج عليه السّلام من ذلك مفسدتين مهلكتين:

الف - (باب مضرّه للعامّه) و أى مضرّه أعظم من الأسر الاقتصادي في أيدي ثعابين رءوس الأموال.

ص: ٢٦٩

ب - (و عيب على الولاه) و أى عيب أشأ من تسليم الامّه إلى هذا الأسر المهلك.

فشرع عليه السلام لسد هذه المفسد، المنع من الاحتكار للمنافع، فنلفت نظر القراء الكرام إلى أنّ الاحتكار على وجهين.

١ - احتكار الأجناس و هو موضوع بحث الفقهاء فى باب البيع حيث حكموا بحرمه الاحتكار أو كراهته على خلاف بين الفقهاء، فقد عدّه المحقق فى المختصر النافع فى المكروهات فقال بعد عدّ جملة منها: و الاحتكار، و قال صاحب الرياض فى شرحه: و هو حبس الطّعام، كما عن الجوهرى أو مطلق الأقوات يتربّص به الغلاء للنّهى عنه فى المستفيضه.

منها الصّحيح، إياك أن تحتكر، المعتبر بوجود فضاله المجمع على تصحيح رواياته فى سنده فلا يضرّ اشتراك راويه بين الثقه و الضّعيف، و على تقدير تعيّنه فقد ادّعى الطّوسى الإجماع على قبول روايته، و لذا عدّ موثقاً و ربّما قيل بوثاقته، و فيه: لا يحتكر الطّعام إلّا خاطئ، و لذا قيل: يحرم، كما عن المقنع و المرتضى و الحلّى و أحد قولى الحلبيّ و المنتهى و به قال فى المسالك و الرّوضه، و لا يخلو عن قوّه - إلى أن قال: و إنّما يكون الاحتكار الممنوع منه فى خمسة:

الحنطة، و الشعير، و التّم، و الزبيب، و السّمن، على الأشهر - إلى أن قال:

و قيل: كما عن المبسوط و ابن حمزه أنّه يكون فى الملح أيضاً، و قوّاه فى القواعد و المسالك و أفتى به صريحاً فى الرّوضه تبعاً للمعتة، و لعلّه لفحوى الأخبار المتقدّمه لأنّ احتياج النّاس إليه أشدّ مع توقف أغلب الماكل عليه - إلى أن قال: و إنّما يتحقّق الكراهه إذا اشتراه و استبقاه لزياده الثمن مع فقدّه فى البلد و احتياج النّاس إليه و لا يوجد بايع و لا باذل مطلقاً غيره، فلو لم يشتره بل كان غلّته لم يكره كما عن النّهايه للصّحيح: الحكره أن يشتري طعاماً ليس فى المصر غيره، و نحوه الخبر المتقدّم عن المجالس لكنّه ضعيف السند، و مع ذلك الشرط فيه كالأوّل يحتمل ورودّه مورد الغالب فالتعميم أجود، وفاقاً للمسالك عملاً بالاطلاق و التفاتا

ص: ٢٧٠

إلى مفهوم التعليل فى الصّحيح المتقدّم: يكره أن يحتكر و النّاس ليس لهم طعام - إلى أن قال: و يشترط زياده على ما مرّ أن يستبقيه فى زمان الرّخص أربعين يوما و فى الغلاء ثلاثه أيّام، فلا حكره قبل الزمانين فى الموضوعين لروايه ضعيفه عن المقاومه لما مرّ و تقييده قاصره، و يجبر الحاكم المحتكر على البيع مع الحاجه إجماعا، كما فى ب و قيح و كلام جماعه و هو الحجّه مضافا إلى الخبرين فى أحدهما أنّه مرّ بالمحتكرين فأمر بحكرتهم إلى أن يخرج فى بطون الأسواق و حيث ينطلق الناس إليها.

و هل يسعّر الحاكم السّعير عليه حينئذ الأصحّ الأشهر لا، مطلقا وفاقا للطّوسى و الرّضى و الحلى و الشّهيد الثانى للأصل و عموم السلطنة فى المال، و خصوص الخبر:

لو قوّمت عليهم، فغضب صلّى الله عليه و آله حتّى عرف الغضب من وجهه فقال: أنا أقوم عليهم إنّما السّعير إلى الله تعالى يرفعه إذا شاء و يضعه إذا شاء.

خلافًا للمفيد و الدّيلمى فيسّعّر عليه بما يراه الحاكم من المصلحه لانتفاء فائده الإيجاب لا معه لجواز الاجحاف فى القيمه، و فيه منع انحصار الفائده فيما ذكره مع اندفاع الاجحاف بما يأتى.

و لا- بن حمزه و الفاضل و اللّمعه فالتفصيل بين اجحاف المالك فالثانى، و عدمه فالأوّل، تحصيلًا لفائده الإيجاب و دفعًا لضرر الاجحاف، و فيهما نظر فقد يحصلان بالأمر بالنزول عن المجحف و هو و إن كان فى معنى التّسعير إلّا أنّه لا ينحصر على قدر خاصّ.

هذا خلاصه ما ذكره الفقهاء فى باب الاحتكار نقلناه عن الرّياض مزدوجا شرحه مع متن المختصر النافع للمحقق رحمه الله.

٢ - احتكار المنافع، كما عبّر فى كلامه عليه السّلام و الظاهر أنّ احتكار المنافع التى عنوانه عليه السّلام غير الاحتكار المعنون فى الفقه، و المقصود منه الحرص على أخذ الأرباح و المنافع من التجارات زائدا عن المقدار المشروع على الوجه المشروع بحيث يؤدّى هذا الحرص و الولع إلى تشكيل الشّركات و ضرب الانحصارات التى شاع فى هذه العصور

و مال إليه أرباب رءوس الأموال الهامة في الشركات النفطية و الانحصارات المعدنية و يدل على ذلك امور:

١ - أنه عليه السلام جعل ثمره الضيق الفاحش و الشح القبيح احتكار المنافع، و الاحتكار المعنون في الفقه هو احتكار الأجناس و الحبوب المعينة، و الفرق بينهما ظاهر.

٢ - أنه عليه السلام عطف على قوله «احتكارا للمنافع» قوله «و تحكما في البياعات» و البياعات جمع معرّف بالألف و اللام يفيد العموم، و الاحتكار الفقهي لا ينتج هذا المعنى بل التحكم في البياعات و التسلّط على الأسواق معنى آخر ناش عن الانحصارات التجارية التي توجد لها أرباب رءوس الأموال.

٣ - ما رواه في الوسائل بسنده عن محمد بن يعقوب، عن أبي عليّ الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن أحمد بن النضر، عن أبي جعفر الفزاري قال: دعا أبو عبد الله عليه السلام مولى يقال له مصادف فأعطاه ألف دينار و قال له: تجهّز حتّى تخرج إلى مصر فإنّ عيالي قد كثروا، قال: فتجهّز بمتاع و خرج مع التجار إلى مصر، فلما دنوا من مصر استقبلتهم قافلة خارجة من مصر فسألوهم عن المتاع الذي معهم ما حاله في المدينة و كان متاع العامة فأخبروهم أنّه ليس بمصر منه شيء فتحالفوا و تعاقدوا على أن لا ينقصوا متاعهم من ربح الدينار ديناراً، فلما قبضوا أموالهم انصرفوا إلى المدينة فدخل مصادف على أبي عبد الله عليه السلام و معه كيسان كلّ واحد ألف دينار فقال: جعلت فداك هذا رأس المال و هذا الآخر ربح، فقال: إنّ هذا الربح كثير و لكن ما صنعت في المتاع؟ فحدّثه كيف صنعوا و تحالفوا، فقال: سبحان الله تحلفون على قوم مسلمين أن لا تبيعوهم إلاّ بربح الدينار ديناراً، ثم أخذ أحد الكيسين و قال: هذا رأس مالي و لا حاجه لنا في هذا الربح، ثم قال: يا مصادف مجالده السّيوف أهون من طلب الحلال. و قد رواه بسندين آخرين مع اختلاف يسير.

أقول: يستفاد من هذا الحديث أنّ التجار أو جدوا في معاملتهم مع أهل مصر انحصاراً و هم محتاجون على المتاع فأخذوا منهم مائه في المائة من الربح

ص: ٢٧٢

فلمّا اطلع الإمام على عملهم لم يتصرّف في هذا الرّبح لأنّه مأخوذ من أرباب الحاجه إلى المتاع بالتّحالف و إيجاد الانحصار الموضعي، و هذا هو عين ما يستعمله أصحاب الشركات و الانحصارات في هذا العصر و هو ما عبّر عنه عليّ عليه السّلام «باحتكار المنافع و التحكّم في البياعات» فيستفاد من ذلك كلّ أنّ كبرى احتكار المنافع كبرى مستقلّه، و مغايره مع كبرى الاحتكار المعنون في الفقه، و أنّه تشريع علويّ كما أنّ المنع عن الاحتكار في الطّعام تشريع نبويّ.

فاحتكار المنافع في مورد تحالف الشركات و الانحصارات على أسعار معينه في الأمتعه فيخرج وضع السّوق عن طبعه المبنيّ على مجرّد العرضه و التقاضا من دون مداخله أمر آخر في ذلك، و حينئذ لا بدّ أن يداخل الحكومه و ينظر في أمر الأسعار و يعين للأجناس سعرا عادلا- يوافق مقدره الناس المحتاجين إلى هذه الأمتعه و يمنع التّجّار الانحصاريّين عن الاجحاف بالناس في أسعارهم الناشئه عن أهوائهم و ولعهم بجمع الأموال و الإغاره على العمّال و الزّراع في مصّ دمائهم و أخذ اجورهم.

و أمّا الاحتكار الفقهي المبني على مجرّد الامتناع عن بيع الأطعمه المدّخره انتظارا لارتفاع سعره فهو في مورد لا مداخله لأرباب رءوس الأموال في السّوق و كان السّوق على طبعه العاديّ و السعر حينئذ ينطبق على مقتضى تقاضا المبتاعين و مقدار عرضه البايعين و هو السّعر الذي يلهمه الله في قلوب أهل السّوق فيتوافقون عليه كما في حديث الوسائل في أبواب الاحتكار بسنده عن عليّ بن أبي طالب عليه السّلام أنه قال: رفع الحديث إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله، أنّه مرّ بالمحتكرين فأمر بحكرتهم أن تخرج إلى بطون الأسواق و حيث تنظر الأبصار إليها فليل لرسول الله صلّى الله عليه و آله:

لو قوّمت عليهم، فغضب رسول الله صلّى الله عليه و آله حتّى عرف الغضب في وجهه فقال: أنا أقوم عليهم؟ إنّما السّعر إلى الله يرفعه إذا شاء و يخفضه إذا شاء.

فقوله عليه السّلام «فامنع من الاحتكار» يرجع إلى المنع عن احتكار المنافع و إيجاد الشركات الانحصاريّه و تعليله بأنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله منع الاحتكار يحتمل وجهين:

۱ - أنه أخذ عن رسول الله صَلَّى الله عليه و آله المنع عن الاحتكار المطلق بحيث يشمل احتكار المنافع و احتكار الأُطعمه، فنقله عنه دليلاً على ما أمر به من المنع عن احتكار المنافع.

۲ - أنه ذكر منع رسول الله صَلَّى الله عليه و آله عن احتكار الأُطعمه تنظيراً و بياناً لحكمه الشرع مع أنه لا يحكم و لا يقول إلا ما علمه رسول الله صَلَّى الله عليه و آله.

و قد تبين مما ذكرنا أنّ الحقّ في مسئلة حق تسعير الحاكم و عدمه، هو التفصيل بين ما إذا كان وضع السوق طبيعياً عادياً منزهاً عن مداخله أرباب رءوس الأموال و أطماعهم فلا يجوز للحاكم تسعير الطعام أو المتاع الذي اجبر مالكه على عرضه للبيع و يرجع في السعر إلى طبع السوق الملهم من طبع العرضه و التقاضا.

و أمّا إذا كان السوق تحت نفوذ أرباب رءوس المال و مطاعمهم و حملوا عليه الانحصارات الرأسماليه أو ما بحكمها فلا بدّ للحاكم من تعيين السعر العادل، كما قال عليه السّلام «و ليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل و أسعار لا تجحف بالفريقين من البائع و المبتاع».

الترجمه

سپس در باره بازرگانان و صنعتگران سفارش خواه باش، و در باره آنان بخوبی و رعایت حال سفارش، کن، چه بازرگانان صاحب بنگاه و اقامتگاه در شهر و روستا و چه بازرگانان دوره گرد که سرمایه خود را به همراه خود بهر شهر و دیار می گردانند و آن صنعتگرانی که با دسترنج خود وسیله آسایش دیگران را فراهم می سازند، زیرا آنان مایه های سودهای کلان و وسائل آسایش هم نوعانند و هر کالا را از سرزمینهای دور دست و پرتگاه ها بدست می آورند، از بیابان تو و از دریای تو و از سرزمینهای هموار تو و از کوهستانهای تو و از آن جایی که عموم مردم با آنها سرو کاری ندارند و رفت و آمدی نمی کنند و جرئت رفتن بدان سرزمینها را ندارند.

ص: ۲۷۴

زیرا که بازرگانان و صنعتگران مردمی سالمند و از نیرنگ و آهنگ شورش و جنگ آنان بیمی در میان نیست، مردمی صلح دوست و آرامش طلبند و از زیان آنان هراسی در میان نیست.

و باید از حال و وضع آنها بازرسی کنی چه آنکه در کنار تو و در شهر و دیار تو باشند و یا در کناره های دور دست کشور و محور حکمرانی تو.

و بدانکه با این حال بسیاری از آنها بسیار تنگ نظرند و گرفتار بخل و دریغی زشت و زننده و در پی انباشتن سودهای کلانند و تسلط بر انجام همه گونه معاملات و این خود مایه زیان عموم رعایا و ننگ و نکوهش بر حکمرانانست، از احتکار غدقن کن، زیرا رسول خدا صلی الله علیه و آله از آن غدقن کرده، و باید فروش هر متاع فروشی آزاد و روا و بوسیله ترازوهای درست و نرخهای عادلانه ای باشد که بهیچکدام از طرفین معامله از فروشنده و خریدار ستمی نشود و هر کس پس از غدقن تو دستش باحتکار و انباشتن سود آلوده شد او را شکنجه کن و عقوبت نما و از حد مگذران

الفصل العاشر من عهده علیه السلام

اشاره

ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ فِي الطَّبَقَةِ السَّيْفِي مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَ أَهْلِ الْبُؤْسَى وَالزَّمْنَى، فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانَعًا وَمُعْتَرًا، وَ أَحْفَظَ لِلَّهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ، وَ اجْعَلْ لَهُمْ قِسْمًا مِنْ بَيْتِ مَالِكَ، وَ قِسْمًا مِنْ غَلَّاتِ صَوَافِي الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ، فَإِنَّ لِلْأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الْإِدْنِ لِلْأَدْنَى، وَ كُلٌّ قَدْ اسْتَرَعَيْتَ حَقَّهُ، فَلَا [وَلَا] يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطْرٌ، فَإِنَّكَ لَا تَعْذِرُ بِتَضْيِيعِكَ [بتضييع]

ص: ۲۷۵

التَّيَافِه لِأَحْكَامِك الْكَثِير الْمَهْم، فَلَا- تَشْخَص هَمَّكَ عَنْهُمْ، وَ لَا تَصْغُر خَدَّكَ لَهُمْ، وَ تَفْقِدْ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مَمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعَيُونُ، وَ تَحْقِرُهُ الرِّجَالُ، فَفَرِّغْ لِأَوْلَئِكَ ثِقَّتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَ التَّوَاضِعِ، فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ، ثُمَّ اْعْمَلْ فِيهِمْ بِالْإِعْذَارِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ بَيْنِ الرِّعْيَةِ أَحْوَجُ إِلَى الْإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَ كُلُّ فَاْعِذَرٍ إِلَى اللَّهِ فِي تَأْذِيهِ حَقُّهُ إِلَيْهِ وَ تَعَهْدُ أَهْلِ الْيَتَمِ وَ ذَوِي الرِّقَّةِ فِي السَّنِّ مَمَّنْ لَا- حِيلَ لَهُ، وَ لَا- يَنْصَبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ، وَ ذَلِكَ عَلَى الْوَلَاةِ ثَقِيلٌ «وَ الْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ» وَ قَدْ يَخْفِفُهُ اللَّهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَ وَثَقُوا بِصَدَقِ مَوْعُودِ اللَّهِ لَهُمْ.

اللغة

(البؤسى): هِيَ الْبُؤْسَى كَالْتَعَمَّى لِلنَّعِيمِ بِمَعْنَى الشَّدَّةِ، (وَ الزَّمْنَى): أَوَّلُو الزَّمَانَةِ وَ الْفُلْجِ، (الْقَانَعُ): الَّذِي يَسْئَلُ لِحَاجَتِهِ (الْمَعْتَرُ): الَّذِي يَتَعَرَّضُ لِلْعَطَاءِ مِنْ غَيْرِ سْؤَالٍ، (الصَّوَافِي) جَمْعُ صَافِيَةٍ: أَرْضُ الْغَنِيمَةِ، (التَّافَهُ): الْحَقِيرُ، (أَشْخَصَ هَمَّهُ): رَفَعَهُ، (تَصْغِيرُ الْخَدِّ): إِمَالَتُهُ كِبَرًا، (تَقْتَحِمُهُ): تَزْدْرِِيهِ، (أَعْذَرَ فِي الْأَمْرِ): صَارَ ذَا عِذْرِ فِيهِ.

الاعراب

اللَّهُ مَكْرَرًا: مَنْصُوبٌ عَلَى التَّحْذِيرِ، مِنَ الَّذِينَ: مِنْ بَيَاتِيهِ، لِلَّهِ: اللَّامُ

ص: ٢٧٦

للاختصاص و تفيد الاخلاص، و كل: المضاف إليه محذوف أى كلهم.

المعنى

قد عبر عليه السلام من الطبقة السابعة بالطبقة السفلى نظرا إلى ظاهر حالهم عند الناس حيث إنهم عاجزون عن الحيله و الاكتساب و هم مساكين و محتاجون و المبتلون بالبؤس و الزمانه و لكن سواهم مع سائر الناس فى الحقوق و أظهر بهم أشد العناية و الاهتمام و قسمهم إلى ثلاثة أقسام.

١ - القانع، و قد فسر بمن يسأل لرفع حاجته و يعرض حاجته على مظان قضاائه.

٢ - المعتز، و هو الشئء الحال الذى لا يسأل الحاجه بلسانه و لكن يعرض نفسه فى مظان الترحم و التوجه إليه فكان يسأل بلسان الحال.

٣ - من اعتزل فى زاويه بيته لا- يسأل بلسانه و لا- يعرض نفسه على مظان قضاء حوائجه، إمّا لرسوخ العفاف و عزه النفس فيه، و إمّا لعدم قدرته على ذلك كالزمنى و هم الذين بين حالهم فى قوله عليه السلام (و تفقد امور من لا يصل إليك منهم، ممن تقتحمه العيون و تحقره الرجال) و قد وصى فيهم بامور:

١ - حفظ حقوقهم و العناية بهم طلبا لمرضاه الله و حذرا من نقمته لأنهم لا يقدرّون على الانتقام ممن يهضم حقوقهم.

٢ - جعل لهم قسما من بيت المال العام الذى يجمع فيه الصّدقات الواجبه و المستحبّه و أموال الخراج الحاصل من الأراضى المفتوحه عنوه.

٣ - جعل لهم قسما من صوافى الاسلام فى كل بلد، قال فى الشرح المعتزلى:

و هى الأرضون التى لم يوجف عليها بخیل و لا ركاب و كانت صافیه رسول الله صلى الله عليه و آله، فلما قبض صارت لفقراء المسلمين، و لما يراه الامام من مصالح الاسلام.

٤ - أن لا- يصير الزهو بمقام الولا-يه موجبا لصرف النظر عنهم و عدم التوجه إليهم مغترّا باشتغاله بامور هامّة عامّة، فقال عليه السلام: أحكام الامور الهامّة الكثيره لا يصير

ص: ٢٧٧

كفّاره لصرف النظر عن الامور الواجبه القصيره.

۵ - الاهتمام بهم و عدم العبوس في وجوههم عند المحاضره و المصاحبه لاطهار الحاجه.

ثم أوصى بالتفقد عن القسم الثالث المعتزل بوسيله رجال موثق من أهل الخشيه و التواضع و خصص طائفتين من العجزه بمزيد التّوصيه و الاهتمام.

الف - الأيتام الذين فقدوا آبائهم و حرموا من محبّه والدهم الذين يلمسونهم بالعطف و الحنان دائما.

ب - المعمّرون إلى أرذل العمر الذين أنهكتهم الشّيبه و اسقطت قواهم فلا يقدرّون على انجاز حوائجهم بأنفسهم، و أشار إلى أنّ رعايه هذه الطبقة على الولاه ثقيل بل الحقّ كلّ ثقيل.

الترجمه

سپس خدا را باش خدا را باش در باره آن طبقه زیر دستی که بیچاره و مستمندند چون گدایان و نیازمندان و گرفتاران سختی در زندگی و مردم زمین گیر و از کار افتاده، زیرا در این طبقه حاجت خواهان و ترحم جویانند آنچه را از تو در باره حفظ حق آنان خواسته در نظر دار، و بهره ای از بیت المال برای آنها مقرر دار، و بهره ای هم از در آمد خالصجات اسلامی در هر شهرستانی باشند، حق بیگانه ها و دوردستهای این طبقه همانند حق نزدیکان آنها است، سر مستی مقام و جاه تو را از آنها باز ندارد، زیرا انجام کارهای مهم و فراوان برای تقصیر تو در این کارهای کوچک و لازم عذر پذیرفته نیست، دل از آنان بر مدار و چهره بر آنها گره مساز، از آن دسته این مستمندان که بحضور تو نمی رسند، و مردم بدیده تحقیر بدانها نگاه میکنند بازرسی و تفقد کن، و برای سرپرستی آنان کسان موثق و مورد اعتمادی که خدا ترس و فروتن باشند بگمار تا وضع آنانرا بتو گزارش دهند.

ص: ۲۷۸

با اینها چنان رفتار کن که در پیشگاه خداوند سبحان هنگام ملاقاتش رو سفید و معذور باشی، زیرا اینان در میان رعیت از دیگران بیشتر نیازمند انصاف و عدلند و در باره هر کدام به درگاه خدا از نظر پرداخت حقش عذرخواه باش، یتیمان و پیران پشت خمیده را که بیچاره اند و نیروی سؤال و درخواست ندارند بازرسی کن این کاریست که برای حکمرانان سنگین است ولی چه باید کرد؟ هر حقی سنگین است، و خداوند آنرا بر مردمی سبک نماید که عاقبت خوش بخواهند و خود را بسیار شکایا دارند، و براستی وعده های خداوند بر ایشان اطمینان و عقیده دارند.

الفصل الحادی عشر من عهده علیه السلام

اشاره

و اجعل لذنوی الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك، و تجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه لله المذی خلقك، و تقعد عنهم جندك و أعوانك من أحراسك و شرطك حتى يكلّمك متكلّمهم غير متتبع، فإني سمعت رسول الله - صلى الله عليه و آله - يقول في غير موطن: (لن تقدّس أمّهُ لا- يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوى غير متتبع) ثم احتمل الخرق منهم و العي، و نحّ عنهم الضيق و الأنف، يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته، و يوجب لك ثواب طاعته، و أعط ما أعطيت هنيئا و امنع في إجمال و إعذار. ثم أمور من أمورك لا بدّ لك من مباشرتها: منها إجابة

ص: ٢٧٩

عَمَّا لَكَ بِمَا يَعْبَأُ عَنْهُ كِتَابُكَ، وَ مِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ عِنْدَ [يَوْمٍ] وَرُودِهَا عَلَيْكَ بِمَا تَحْرَجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ، وَ أَمَضُ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلُهُ، فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ، وَ اجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيهَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ اللَّهِ أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ، وَ أَجْزَلَ تِلْكَ الْأَقْسَامِ وَ إِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلَّهِ إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النَّيَّةُ، وَ سَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ. وَ لِيَكُنْ فِي خَاصِّهِ مَا تَخْلُصُ بِهِ لِلَّهِ دِينُكَ إِقَامُهُ فَرَائِضُهُ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةٌ، فَأَعْطِ اللَّهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَ نَهَارِكَ، وَ وَفَّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ كَامِلًا غَيْرَ مَثْلُومٍ وَ لَا مَنْقُوصٍ بِالْغَا مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ، وَ إِذَا قَمْتَ فِي صَلَاتِكَ لِلنَّاسِ فَلَا تَكُونَنَّ مَنْفَرًا وَ لَا مُضِيعًا، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعَلَّةُ وَ لَهُ الْحَاجَةُ، وَ قَدْ سَأَلْتَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ - حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى الْيَمَنِ كَيْفَ أَصَلِّيَ بِهِمْ؟ فَقَالَ: «: صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَوْعَفِهِمْ، وَ كُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا».

اللغة

(الحرس): حرس السلطان و هم الحراس الواحد حرسى و الحرس اسم مفرد بمعنى الحراس كالخدّام و الخدم، (الشرط): قوم من أعوان الحكومه يعلمون أنفسهم بعلامات الخدمه يعرفون بها، (التعتعه) فى الكلام: التردد فيه

ص: ٢٨٠

من حصر أو عَيَّ (الخرق): ضدَّ الرِّفق، (عَيَّ): يقال: عَيَّى من باب تعب عجز عنه و لم يهتد لوجه مراده، العَيَّ بكسر العين و تشديد الياء: التحَيَّر في الكلام، (الأنف): الأنفه و هى خصله تلازم الكبير، (الأكناف): الجوانب، (إجمال):

فى الرِّفق، (يعيا): يعجز (مثلوم): ما فيه خلل.

الاعراب

مجلسا: مصدر ميمى فيكون مفعولا مطلقا أو اسم مكان فيكون مفعولا فيه، من أحراسك: لفظه من بيانيته، غير متنتع حال، يبسط الله: مجزوم فى جواب الأمر، ما اعطيت، لفظه ما مصدرية زمانيته أو موصوله و العائد محذوف، هنيئا: تميز رافع للابهام عن النسبه، فى إجمال: لفظه فى للظرفية المجازية، امور من امورك مبتدأ لخبر مقدّم محذوف أى هنا امور من امورك، و لذا صحّ الابتداء بالنكره ما فيه: فيه ظرف مستقر صفه أو صله لما، إقامه فرائضه: اسم و ليكن اخر عن الخبر، و هو جمله ظرفيه.

المعنى

بعد ما فرغ عليه السلام من تشريح النّظام العام و تقرير القوانين لتشكيلات الدّوله و تنظيم أمر طبقات الامّه، توجّه إلى بيان ما يرتبط بالوالى نفسه و بينه فى شعب ثلاث:

الاولى: ما يلزم على الوالى بالنسبه إلى عموم من يرجع إليه فى حاجه و يشكو إليه فى مظلّمه و وصّياه بأن يعين وقتا من أوقاته لإجابه المراجعين إليه و شرط عليه:

١ - أن يجلس لهم فى مكان بلا مانع يصلون إليه و يأذن للعموم من ذوى الحاجات فى الدخول عليه.

٢ - أن يتلقّاهم بتواضع و حسن خلق مستبشرا برجوعهم إليه فى حوائجهم.

ص: ٢٨١

٣ - أن يمنع جنده و أعوانه من التعرّض لهم و ينحى الحرس و الشرط الذين يرعب الناس منهم عن هذه الجلسة ليقدّر ذوو الحاجة من بيان مقاصدهم و شرح ماريهم و مظالمهم بلا رعب و خوف و حصر في الكلام.

٤ - أن يتحمّل من السّوقه و البدويين خشونه آدابهم و كلامهم العارى عن كلّ ملاحه و أدب.

٥ - أن لا يضيق عليهم في مجلسه و لا يفرض عليهم آدابا يصعب مراعاتها و لا يلقاهم بالكبر و أبهه الولايه و الرّياسه.

٦ - أنه إن كان حاجاتهم معقوله و مستجابه فاعطاهم ما طلبوا لم يقرن عطائه باليمنّ و الأذى و الخشونه و التأمر حتّى يكون هنيئا و إن لم يقدر على إجابته ما طلبوا يردهم ردّا رفيقا جميلا و يعتذر عنهم في عدم إمكان إجابته طلبتهم.

الثاني: ما يلزم عليه فيما بينه و بين أعوانه و عمّاله المخصوصين به من الكتاب و الخدمه كما يلي:

١ - يجيب عمّاله و كتابه في حلّ ما عجزوا عنه من المشاكل الهامه.

٢ - يتولّى بنفسه اصدار الحوائج الّتي عرضت على أعوانه و يصعب عليهم انفاذها لما يعرض عليهم من التّرديد في تطبيق القوانين أو الخوف ممّا يترتب على انفاذها من نواح شتى.

٣ - أن لا يتأخّر أىّ عمل عن يومه المقرّر و يتسامح في إمضاء الامور في أوقاتها المقرّره.

الثالث: ما يلزم عليه فيما بينه و بين الله فوصاه بأنّ الولايه بما فيها من المشاغل و المشاكل لا تحول بينه و بين ربّه و أداء ما يجب عليه من العباده و التوجّه إلى الله فقال عليه السّلام:

اجعل أفضل أوقاتك و أجزل أقسام عمرك بينك و بين الله في التوجّه إليه و التضرّع و الدعاء لديه و إن كان كلّ عمل من أعمالك عباده لله مع التّيه الصالحه و إصلاح حال الرّعيه.

ص: ٢٨٢

و أمره بأقامه الفرائض المخصوصه، و إن كانت شاقه و متعبه لبدنه كالصّوم فى الأيام الحارّه و الصّلاه بمالها من المقدمات فى شدّه البرد و فى الفيافى و الأسفار الطائله بحيث لا يقع خلل فيما يؤدّيه من الأعمال و لا منقصه فيه من التّسامح و الإهمال.

قال فى الشّرح المعتزلى فى بيان قوله: (كاملا غير مثلوم) أى لا يحملنك شغل السّلطان على أن تختصر الصّلاه اختصارا، بل صلّها بفرائضها و سننها و شعائرها فى نهارك و ليلك و إن أتعبك ذلك و نال من بدنك و قوّتك.

أقول: الظاهر أنّ المقصود من قوله (غير مثلوم) هو التّهى عن الاخلال بواجب فى العباده من شرط أو جزء بحيث يوجب البطلان و المقصود من قوله (غير منقوص) النهى عن النقصان الغير المبطل كالاختصار و التّعجيل فى الأداء أو التأخير من وقت الفضيله.

قال ابن ميثم: الثامن أن يعطى الله من بدنه فى ليله و نهاره: أى طاعه و عباده فحذف المفعول الثانى للعلم به و القرينه كون اللّيل و النّهار محلّين للأفعال و القرينه ذكر البدن.

أقول: لا يخلو كلامه من تكلف و الظاهر أنّ قوله عليه السّلام (من بدنك) ظرف مستقر مفعول ثان لقوله (فأعط) كما تقول أعط زيدا من البرّ، و الجملة كناية عن رياضه بدنيّه فى العباده بحيث يصرف فيها جزء من البدن و قواه.

ثمّ استدرّك من ذلك صلاته بالنّاس فى الجماعه فأمره برعايه حال المأمومين و أدائها على وجه لا يشقّ على المعلولين و لا يضرّ بحوائج العّمّال و المحترفين فتصير الصّلاه فى الجماعه منفوره عندهم و لكن لا يؤدّيهما على وجه يخلّ بواجباتها و آدابها المرعيّه بحيث يكون مضيّعا لأعمالها أو وقتها.

و نختم شرح هذا الفصل بذكر قصّتين مناسبتين للمقام:

الاولى: حكى أنه استأذن بعض أعوان فتح على شاه من المحقّق القمّى المعاصر له و هو مرجع و مفت للشيعه فى أيامه و معتمد لديه فى إفطار الشّاه صومه لطول

ص: ٢٨٣

النهار و شدّه الحرّ معللاً- بأنّ الصّوم يؤثر في حاله و يورث فيه الغضب الشّدید و خصوصا في أوان العصر فرّیما يحکم علی المتهمین بالعقوبه قبل التحقيق عن إثباته جرمه، أو علی المجرمین بتشديد العقوبه إلى أن یصل بالقتل و الفتک بما یرج عن حدّ العداله، فأجاب رحمه الله تعالى: بأنّ الشّاه یصوم و لا یغضب حتّی یرتکب الخلاف و الظلم.

الثانيه: ما ذكره الشارح المعتزلی فی شرحه «ص ۸۷ ج ۱۷ ط مصر» قال: كان بعض الأكاسره یجلس للمظالم بنفسه، و لا یثق إلى غیره، و یقعد بحیث یسمع الصّوت، فإذا سمعه أدخل المتظلم، فاصیب بصمم فی سمعه، فنادی منادیه: أنّ الملك یقول: أيّها الرّعیّه إني إن أصبت بصمم فی سمعی فلم أصب فی بصری، کلّ ذی ظلامه فلیلبس ثوبا أحمر، و جلس لهم فی مستشرف له.

الترجمه

برای مراجعان شخص خودت که بتو نیازی دارند وقتی مقرر دار که شخص خودت بدانها رسیدگی کنی و در مجلس عمومی همه را بار دهی، و در آن متواضع باشی برای خدائی که تو را آفریده بشراط زیر:

لشکریان و یاوران خود را از قبیل گارد مخصوص پاسبانی و پاسبانان شهربانی خود را از مراجعان بر کنار سازی تا هر کس بی لکنت زبان با تو سخن خود را در میان گذارد، زیرا من از رسول خدا صلی الله علیه و آله شنیدم که در چند جا فرمود: «مقدّس و پاک نباشند امتی که در میان آنها حق ناتوان از توانا بی لکنت زبان گرفته نشود».

سپس بد برخوردی و کند زبانی آنانرا بر خود هموار کن و فشار و تکبر فرمانروائی خود را از آنان دور دار تا خداوند بدین وسیله رحمت همه جانبه خود را بروی تو بگشاید و پاداش طاعتش را بتو ارزانی دارد هر چه بهر کس می دهی بی منت باشد تا بر او گوارا بود و اگر از انجام درخواست کسی دریغ کردی با زبان خوش و معذرت او را روانه ساز.

ص: ۲۸۴

سپس تو را کارهائست که بناچار خوبست باید انجام دهی:

از آن جمله پذیرفتن مراجعه کارمندان تو است در آنچه دفتر داران تو از انجام آن درمانند.

از آن جمله پاسخ گوئی به نیازمندیهای مردم است که بتو مراجعه می شود در صورتی که یاوران تو از پاسخ بدانها دچار نگرانی شوند.

کار هر روزی را در همان روز انجام بده و به فردا میفکن، زیرا برای هر روزی است کارهای مربوط بدان روز.

برای خود میان خود و خدای تعالی بهترین اوقات و شایان ترین قسمت عمر خود را مقرر دار و گر چه همه اوقات تو برای خدا مصرف می شود و عبادت محسوبست در صورتی که نیت پاک باشد و کار رعیت درست شود، و باید در خصوص آنچه با خلاصمندی در کار دین خود برای خدا انجام می دهی، انجام واجباتی که بر تو است و مخصوص خدا است منظور داری، از تن خود بخدا بده، در شب خویش و در روز خویش آنچه برای تقرب بخدای سبحان میکنی (از نماز و روزه و غیره) کامل انجام بده بطوری که خللی در آن نباشد و کاستی نداشته باشد، بگزار هر چه بیشتر به تنت رنج عبادت رسد.

ولی هر گاه برای مردم نماز میخوانی و جماعت در پشت سر داری نباید باندازه ای طول بدهی که مایه نفرت مردم از نماز جماعت شود و نه چنان کوتاه آئی که مایه تضییع نماز گردد، مردمی که پشت سر تو نماز می خوانند برخی دچار بیماری و گرفتاری و حاجت هستند.

من خود از رسول خدا صلی الله علیه و آله هنگامی که برای سرپرستی مسلمانان بسوی یمنم گسیل داشت پرسیدم که: چگونه برای مردم نماز جماعت بخوانم؟ در پاسخ فرمود: مانند نماز ناتوان ترین آنها و نسبت بمؤمنان مهربان باش.

ص: ۲۸۵

إشاره

[و] أمّا بعد [هذا] فلا تطوّلن احتجاجك عن رعيتك، فإنّ احتجاج الولاه عن الرعيه شعبه من الضيق، وقله علم بالامور، و الاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير، و يعظم الصغير، و يقبح الحسن، و يحسن القبيح، و يشاب الحقّ بالباطل، و إنّما الوالى بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور، و ليست على الحقّ سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب، و إنّما أنت أحد رجلين: إمّا امرؤ سخت نفسك بالبذل فى الحقّ ففيم احتجاجك من واجب حقّ تعطيه؟ أو فعل كريم تسديه؟ أو مبتلى بالمنع؟ فما أسرع كفّ الناس عن مسألتك إذا أيسوا من بذلك، مع أنّ أكثر حاجات الناس إليك ممّا لا مثونه فيه عليك، من شكاه مظلّمه أو طلب إنصاف فى معاملته.

اللغه

(الشوب) بالفتح: الخلط يقال: شابه شوبا من باب قال خلطه، (الورى):

ما توارى عنك و استتر، (سمات): جمع سمه كعده و أصلها و سم و هى العلامات، (ضروب): أنواع، (سخت) من سخا يسخو: جادت، (الأسداء): الاعطاء.

ص: ٢٨٦

قد يتخذ الوالى حاجبا على بابه يمنع عن ورود الناس إليه إلا مع الاذن، وقد يحتجب عن الناس أى يكف نفسه عن الاختلاط بهم فيقطع عنه أخبارهم و أحوالهم، وقد سعى الاسلام فى رفع الحجاب بين الوالى و الرعية إلى النهايه، فكان النبى صلى الله عليه و آله يختلط مع الناس كأحدهم فيجتمعون حوله للصلاه فى كل يوم خمس مرات و لاستماع آى القرآن و الوعظ و عرض الحوائج فى أى وقت حتى يهجمون على أبواب دور نساءه و يدخلونها من دون استئذان.

فنزلت الايه «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ» ٥٣ - الأحزاب.

و قد كانوا يصيحون عليه من وراء الباب و يستحضرونه حتى نزلت الايه ٤ و ٥ الحجرات «إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

و لكن ورد الحجاب فى الحكومه الاسلاميه فى أيام عمر، قال الشارح المعتزلى «ص ٩١ ج ١٧ ط مصر» حضر باب عمر جماعه من الأشراف منهم سهيل بن عمرو و عيينه بن حصن و الأقرع بن حابس فحجبوا، ثم خرج الاذن فنادى، أين عمّار أين سلمان، أين صهيب و أدخلهم فتمعرت وجوه القوم - تغيرت غيظا و حنقا - فقال سهيل ابن عمرو: لم تتمّع وجوهكم، دعوا و دعينا، فأسرعوا و أبطأنا و لئن حسدتموهم على باب عمر اليوم لأنتم غدا لهم أحسد.

و اشتدّ الحجاب فى أيام بنى اميه فكان المراجعون يحجبون وراء الباب شهورا و سنه، قال الشارح المعتزلى «ص ٩٣ ج ١٧ ط مصر» أقام عبد العزيز بن زراره الكلابى على باب معاويه سنه فى شمله من صوف لا يؤذن له.

و الظاهر أنّ موضوع كلامه عليه السّلام هذا ليس الحجاب بهذا المعنى، بل المقصود النّهى عن غيبه الوالى من بين النّاس و عدم الاختلاط معهم بحيث يعرف أحوالهم و أخبارهم فانتهاز خواصّه هذه الفرصه فيمّوهون عليه الحقائق، كما يريدون و يعرضون عليه الامور بخلاف ما هى عليه فيستصغر عنده الكبير و بالعكس و يقبح باضلالهم عنده الحسن و بالعكس و لا يتميّز عنده الحقّ من الباطل قال عليه السّلام «إنّما الوالى بشر» لا يعلم الغيب و ما يخفيه عنه ذو و الأغراض و ليست للحقّ علائم محسوسه ليعلم الصّدق من الكذب.

ثمّ ردّ عليه السّلام عذر الوالى فى الاحتجاب من هجوم النّاس عليه و طلب الجوائز منه فقال: إن كان الوالى جوادا يبذل فى الحق فلا وجه لاحتجابه، و إن كان أهل المنع من العطاء فاذا لم يبذل للطّالين أيسوا منه فلا يطلبون.

و نختم شرح هذا الفصل بنقل ما حكاه الشارح المعتزلى من وصايا أبرويز لحاجبه قال:

و قال أبرويز لحاجبه: لا تضعنّ شريفا بصعوبه حجاب، و لا ترفعنّ وضيعا بسهولته ضع الرّجال مواضع أخطارهم فمن كان قديما شرفه ثمّ ازدرعه «اثبتته» و لم يهدمه بعد آبائه فقدّمه على شرفه الأوّل، و حسن رأيه الآخر، و من كان له شرف متقدّم و لم يصن ذلك حياطه له، و لم يزد رده تثير المغارسه، فألحق بابائه من رفعه حاله ما يقتضيه سابق شرفهم، و ألحق به فى خاصّته ما ألحق بنفسه، و لا- تأذن له إلاّ دبريّا و إلاّ سرارا، و لا تلحقه بطبقه الأوّلين، و إذا ورد كتاب عامل من عمّالى فلا تحبسه عنّى طرفه عين إلاّ أن أكون على حال لا تستطيع الوصول إلىّ فيها، و إذا أتاك من يدعى النّصيحه لنا فاكتبها سراً، ثمّ أدخلها بعد أن تستأذن له، حتّى إذا كان منّى بحيث أراه فادفع إلىّ كتابه فان أحمّدت قبلت و إن كرهت رفضت، و إن أتاك عالم مشتهر بالعلم و الفضل يستأذن، فأذن له، فإنّ العلم شريف و شريف صاحبه، و لا تحجبنّ عنّى أحدا من أفناء النّاس إذا أخذت مجلسى مجلس العامّه، فإنّ الملك لا يحجب إلاّ عن ثلاث: عى يكره

أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ مِنْهُ، أَوْ بَخْلَ يَكْرِهُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ مِنْ يَسْأَلُهُ، أَوْ رِيْبَهُ هُوَ مَصْرٌ عَلَيْهَا فَيَشْفُقُ مِنْ إِبْدَائِهَا وَوَقُوفِ النَّاسِ عَلَيْهَا، وَ لَا يَدَّ أَنْ يَحِيطُوا بِهَا عِلْمًا، وَ إِنْ اجْتَهَدَ فِي سِتْرِهَا.

الترجمه

پس از همه اینها خود را مدتی طولانی از نظر رعیت محجوب بدار، زیرا پرده گیری کار گزاران از رعایا یک نوع فشار بر آنها است و کم اطلاعی از کارها پرده گیری از رعیت مانع از دانستن حقایق است و بزرگ را در نظر کار گزار خرد جلوه می دهد و خرد را بزرگ، و زیبا را زشت جلوه می دهد، و زشت را زیبا، و حق و باطل را بهم می آمیزد، همانا کار گزار و حکمران یک آدمی است و آنچه را مردم از او نهان دارند نخواهد دانست، حق را نشانه های آشکار و دیدنی نیست تا درست و نادرست بوسیله آنها شناخته شوند، همانا تو که حکمرانی یکی از دو کس خواهی بود:

یا مردی دست باز و با سخاوتی در راه حق، چرا پشت پرده می روی برای پرداخت حقی که باید بدهی یا کار خوبی که باید بکنی.

یا مردی هستی گرفتار بخل و تنگ نظر در این صورت هم مردم چه زود از حاجت خواستن از تو صرف نظر کنند وقتی تو را بیازمایند از تو نومید گردند، با این که بیشتر حوائج مراجعان بتو خرجی ندارد، از قبیل شکایت از مظلومه ای یا در خواست انصاف و عدالت در معامله و داد ستدی.

الفصل الثالث عشر من عهده علیه السلام

اشاره

ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَ بَطَانَةً فِيهِمْ اسْتِثْنَاءٌ وَ تَطَاوُلٌ، وَ قَلَّةٌ إِنْصَافٌ فِي مُعَامَلَةٍ، فَاحْصِمْ مَادَّةَ أَوْلَئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تَلَكَّ الْأَحْوَالِ

ص: ۲۸۹

و لا تقطعن لأحد من حاشيتك و حامتك قطيعه، و لا يطمعن منك فى اعتقاد عقده تضر بمن يليها من الناس فى شرب أو عمل مشترك، يحملون مئونه على غيرهم، فيكون مهناً ذلك لهم دونك، و عيبه عليك فى الدنيا و الآخرة.

و ألزم الحق من لزمه من القريب و البعيد، و كن فى ذلك صابراً محتسباً، واقعا ذلك من قرابتك و خاصيتك حيث وقع، و ابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه، فإن مغبه ذلك محموده.

و إن ظنت الرعيه بك حيفاً فأصحر لهم بعذرک، و اعدل عنك ظنونهم بإصهارك، فإن فى ذلك رياضه منك لنفسك، و رفقا برعيتك، و إعدارا تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق.

اللغة

(بطانه) الرجل: دخلاؤه و أهل سرّه ممن يسكن إليهم و يثق بمودّتهم، (الاستئثار): طلب المنافع لنفسه خاصّه، (التطاول): و أطال الرجل على الشىء مثل أشرف و زنا و معنى و تطاول علا و ارتفع، (الحسم): قطع الدّم بالكى و حسمه حسما من باب ضرب: قطعه، (الحامه): القرايه، (القطيعه): محال ببغداد أقطعها المنصور أناسا من أعيان دولته ليعمروها و يسكنوها، و منه حدثنى شيخ من أهل قطيعه الرّبيع، و أقطعتة قطيعه أى طائفه من أرض الخراج و الأقطاع إعطاء الإمام قطعه من الأرض و غيرها و يكون تمليكا و غير تمليك - مجمع البحرين -.

(العقده): الضّيعه، و العقده أيضا: المكان الكثير الشجر و النّخل اعتقد،

ص: ٢٩٠

الضيعة: اقتناها، (المهنا): مصدر هنأته كذا (المغبه): العاقبه، (الحيث):

الظلم و الجور، (و أصحرت) بكذا أى كشفت، مأخوذ من الاصحار، و هو الخروج إلى الصحراء.

الاعراب

استثثار: مبتدأ لقوله فيهم و هو ظرف مستقر قدّم على المبتدأ لكونه نكرة، بقطع: الباء للسببيه، لا يطمعن: فاعله مستتر فيه راجع إلى قوله أحد، يحملون مثنوته: جمله حالیه، واقعا حال من قوله ذلك، بما: الباء بمعنى مع، بك حيفا الجار و المجرور ظرف مستقر مفعول ثان لقوله: ظنت قدم على حيفا و هو المفعول الأوّل لكونه ظرفا، فأصحر: ضمن معنى صرح فعدي بالباء، من تقويمهم لفظه من للتعليل.

المعنى

من أصعب نواحي العدالة للولاه و الحكّام و السّلاطين و الرّعاء العدالة فى خصوص الأولياء، و الأحباء و الأقرباء و الأرحام من حيث منعهم عن الظلم بالرّعيّة اعتمادا على تقربهم بالحاكم و من بيده الأمر و النّهى، و قد اهتمّ النّبىّ صلّى الله عليه و آله فى ذلك فحرّم الصّدقات على ذوى قرباه لئلا يشترکوا مع النّاس فى بيت المال فيأخذون أكثر من حقّهم، و منع بنى عبد المطلب من تصدّى العمل فى جمع الصّدقات لئلا يختلسوا منها شيئا بتزلفهم إلى النّبىّ صلّى الله عليه و آله.

ففى الوسائل بسنده عن محمّد بن يعقوب، عن أحمد بن إدريس، عن محمّد بن عبد الجبار، و عن محمّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان جميعا عن صفوان بن يحيى، عن عيص بن القاسم، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: إنّ اناسا من بنى هاشم أتوا رسول الله صلّى الله عليه و آله فسألوه أن يستعملهم على صدقات المواشى و قالوا يكون لنا هذا السّهم الذى جعل الله عزّ و جلّ للعاملين عليها فنحن أولى به، فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله: يا بنى عبد المطلب [يا بنى هاشم - خ ب] إنّ الصّدقه لا تحلّ لى و لا لكم

ص: ٢٩١

و لكنني قد وعدت الشفاعة - إلى أن قال: أتروني مؤثرا عليكم غيركم؟ و قد حفظ على هذه السيره النبويه المقدسه في صدر الاسلام شيئا ما حتى وصلت النوبه إلى عثمان فحكم ذوى قرابته من بنى اميه على رقاب المسلمين و سلطهم على أموالهم فكان يعطى العطايا الجزيله لهم من بيت مال المسلمين و يقطع الأقطاع لهم من أراضى المسلمين و هتك حجاب العدل فأقطع مروان بن الحكم من فدك التي أخذها أبو بكر من فاطمه عليها السلام بحجه مختلفه من أنه فيء لجميع المسلمين و صدقه مرجوعه إليهم، ثم شاع أمر الأقطاع في حكام الجور إلى أن المنصور العباسى أعطى جمعا من بطانته قطاع من أراضى بغداد أكثرهم حظا من ذلك الربيع الحاجب المتهالك في خدمته و الفاتك بأعدائه و أهل ربيته كائنا من كان حتى بالنسبه إلى الأئمه المعصومين عليهم السلام.

و قد أكثر حكام بنى اميه أيام إمارتهم من أقطاع القطائع و غصب أراضى المسلمين إلى حيث ملأوا صدور المسلمين غيظا و كرها على حكومتهم فخاف عمر ابن عبد العزيز من ثوره تدك عرشهم فعزم بحزمه الفائق على سد هذا الخلل و تصدى لرد المظالم بكل صرامه و صراحه.

قال الشارح المعتزلى «ص ٩٨ ج ١٧ ط مصر»: رد عمر بن عبد العزيز المظالم التي احتجبها بنو مروان فابغضوه و ذمّوه، و قيل: إنهم سمّوه فمات و فى «ص ٩٩»:

روى جويزيه بن أسماء، عن إسماعيل بن أبى حكيم، قال: كنّا عند عمر بن عبد العزيز، فلما تفرّقنا نادى مناديه، الصّلاه جامعه، فجنّت إلى المسجد، فإذا عمر على المنبر، فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال: أمّا بعد، فإنّ هؤلاء - يعنى خلفاء بنى اميه قبله - قد كانوا أعطوا عطايا ما كان ينبغى لنا أن نأخذها منهم، و ما كان ينبغى لهم أن يعطوناها، و إننى قد رأيت الان أنّه ليس علىّ فى ذلك دون الله حسيب، و قد بدأت بنفسى و الأقربين من أهل بيتى، إقرء يا مزاحم.

فجعل مزاحم يقرأ كتابا فيه الأقطاعات بالضّياع و النّواحي، ثم يأخذه عمر فيقصّه بالعلم «المقصّ» لم يزل كذلك حتى نودى بالظهر.

و روى الأوزاعي، أيضا، قال: قال عمر بن عبد العزيز يوما، و قد بلغه عن بنى امية كلام أغضبه: إنّ لله فى بنى امية يوما - أو قال: ذبحا - و أيم الله لئن كان ذلك الذبح - أو قال: ذلك اليوم - على يدى لأعذرّن الله فيهم، قال: فلما بلغهم ذلك كفّوا، و كانوا يعلمون صرامته، و أنّه إذا وقع فى أمر مضى فيه.

أقول: و من هذه الزوايه يعلم عمق سياسه عمر بن عبد العزيز و حزمه و أنه تفرّس أنّ مظالم بنى امية تؤدى إلى ثوره عامّه عليهم تستأصلهم، فصار بصدد العلاج من نواح كثيره:

منها - يردّ الظّلامات و الأقطاع ما أمكنه.

منها - التّجّيب إلى أهل بيت النّبي صلّى الله عليه و آله حتّى ردّ فذكّ إليهم خلافا لسنّه أبى بكر الغاصبه و إلغاء سبّ و لعن علىّ عليه السّلام من خطبه صلاه الجمعة الّذى سنّها و أمر بها معاويه.

و روى عمر بن علىّ بن مقدّم، قال: قال ابن صغير لسليمان بن عبد الملك لمزاحم: إنّ لى حاجه إلى أمير المؤمنين عمر، قال: فاستأذنت له، فأدخله، فقال: يا أمير المؤمنين لم أخذت قطيعتى؟ قال: معاذ الله أن آخذ قطيعه ثبتت فى الإسلام، قال: فهذا كتابى بها - و أخرج كتابا من كمّه - فقرأه عمر و قال: لمن كانت هذه الأرض؟ قال: كانت للمسلمين، قال: فالمسلمون أولى بها، قال:

فاردد إلىّ كتابى، قال: إنّك لو لم تأتني به لم أسألكه، فاذا جئتني به فلست أدعك تطلب به ما ليس لك بحقّ، فبكى ابن سليمان، فقال مزاحم: يا أمير المؤمنين، ابن سليمان تصنع به هذا؟! قال: و ذلك لأنّ سليمان عهد إلى عمر، و قدّمه على إخوته فقال عمر: ويحك يا مزاحم، إنّى لأجد له من اللّوط - فى اللسان و قد لاط حبه بقلبي أى لصق - ما أجد لولدى، و لكنّها نفسى اجادل عنها - انتهى.

أقول: هذا فى أقطاع الأراضى، و أمّا أقطاع المناصب، فقد ابتدع من عصر أبى بكر حيث اتّخذ خالد بن الوليد بطانه و أعطاه لقب سيف الله و فوّض إليه إماره جيوش الاسلام لما علم منه عداوه علىّ عليه السّلام و فوّض إماره الجيش الّذى بعثه إلى

الشام إلى يزيد بن أبي سفيان فاتخذ بنى أمية بطانه لما عرف فيهم من المعاداة مع بنى هاشم و أهل بيت النبي صلى الله عليه و آله مع وجود من هو أشجع و أرسخ قدما في الاسلام من كبار الصحابة العظام كأمثال مقداد و الزبير و عمار بن ياسر.

و قد عرف عليه السلام ما لحق من الاضرار بالاسلام من استئثار خاصه الوالى و بطانته و أنّ فيهم تطاول و قلّه انصاف، فأمر الوالى بقطع مادّه الفساد و نهاء مؤكّدا عن أقطاع الأراضى لحاشيته و قرابته، و أضاف إليه أن لا يسلّطه على ما يمسّ بالرعيّه بواسطه عقد إجاره أو تقبل زراعه الأراضى و نحوهما لئلا يظلمهم فى الشرب و يحملهم مئونه لانتفاعه عنهم بلا عوض و أشار إلى أنّ ذلك صعب فأمره بالصبر و انتظار العاقبه المحموده لإجراء هذه العداله الشاقه عليه.

ثمّ توجه عليه السلام إلى أنّه قد ينقم الرعيّه على الوالى فى امور يرونها ظلما عليهم فيتهمونه بالمظالم و الجور فيتنفّر عنه قلوبهم و يفكّرون فى الخلاص منه، و ربّما كان ذلك من جهلهم بالحقيقه، فلا بدّ للوالى من التماس معهم و كشف الحقيقه لهم و إقناعهم و تنسيهم على جهلهم و حلّ العقده الّتى تمكّنت فى قلوبهم، و قد اتّفق ذلك لرسول الله صلى الله عليه و آله فى مواقف:

منها - ما اتّفق فى موقف تقسيم غنائم حنين حيث أسهم لرؤساء قريش كأبى سفيان مائه بعير، و أسهم لرؤساء العشائر كعبينه بن حصن و أمثاله مائه بعير، و أسهم للأنصار المجاهدين المخلصين مع سابقتهم و تفانيهم فى نصره الاسلام أربعه، فدخل فى صدورهم من الغيظ ما لا يخفى فنقموا على رسول الله صلى الله عليه و آله و اتهموه بالحيف فى تقسيم الغنيمه فلمّا عرض ذلك عليه صلى الله عليه و آله جمع الأنصار و أصحر لهم بعذره و أزال غيظهم و أقنعهم قال ابن هشام فى سيرته «ص ٣٢٠ ج ٢ ط مصر»:

قال ابن إسحاق، و أعطى رسول الله صلى الله عليه و آله المؤلفه قلوبهم و كانوا أشرافا من أشراف الناس يتألّفهم و يتألّف بهم قومهم، فاعطى أبى سفيان بن حرب مائه بعير، و أعطى ابنه معاويه مائه بعير، و أعطى حكيم بن حزام مائه بعير، و أعطى الحارث ابن كلده أخا بنى عبد الدار مائه بعير - إلى أن قال: و أعطى العلاء بن جاريه الثقفى

ص: ٢٩٤

مائه بعير، و أعطى عينه بن حصن بن حذيفه بن بدر مائه بعير، و أعطى الأقرع بن حابس التميمي مائه بعير، و أعطى مالك بن عوف بن النصري مائه بعير، و أعطى صفوان ابن اميّه مائه بعير - إلى أن قال: جاء رجل من تميم يقال له: ذو الخويصره فوقف عليه و هو يعطى الناس، فقال: يا محمّد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم، فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله: أجل فكيف رأيت؟ قال: لم أرك عدلت - إلى أن قال: عن أبي سعيد الخدري قال: لما أعطى رسول الله صلّى الله عليه و آله ما أعطى من تلك العطايا في قريش و في قبائل العرب و لم يكن للأنصار منها شيء، وجد هذا الحيّ من الأنصار في أنفسهم حتى كثرت منهم القاله حتى قال قائلهم لقي و الله رسول الله صلّى الله عليه و آله قومه فدخل عليه سعد بن عباد، فقال يا رسول الله إنّ هذا الحيّ من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفياء الذي أصبت قسمت في قومك و أعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب و لم يك في هذا الحيّ من الأنصار منها شيء قال: فأين أنت من ذلك يا سعد؟ قال: يا رسول الله ما أنا إلا من قومي، قال: فاجمع لي قومك في هذه الحظيره، قال: فخرج سعد فجمع الأنصار، في تلك الحظيره - إلى أن قال: فلما اجتمعوا له أتاه سعد فقال: قد اجتمع هذا الحيّ من الأنصار فأتاهم رسول الله صلّى الله عليه و آله فحمد الله و أثني عليه بما هو أهله، ثمّ أصرح لهم عن عذره في ضمن خطبه بليغه قاطعه فبكى القوم حتى اخضلّوا لحاهم و قالوا رضيينا برسول الله قسما و حظّا، ثمّ انصرف رسول الله و تفرّقوا فمن أراد الاطلاع فليرجع إلى محلّه.

و من أهمّها ما وقع في صلح الحديبيّه مع مشركي مكّه حيث قبل رسول الله صلّى الله عليه و آله منهم الرّجوع من حديبيّه و نقص العمره التي أحرم بها مع أصحابه و شرط لقريش شروطا يثقل قبولها على أصحابه.

قال ابن هشام في سيرته «ص ٢١٥ ج ٢ ط مصر» قال الزهريّ: ثمّ بعث قريش سهيل بن عمرو أخا بني عامر بن لؤي إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله و قالوا له: ائت محمّدا فصالحه و لا يكن في صلحه إلّا أن يرجع عنه عامه هذا فوالله لا تحدّث العرب عنّا أنّه دخلها علينا عنوه أبدا، فأتاه سهيل بن عمرو، فلمّا رآه رسول الله صلّى الله عليه و آله

مقبلاً قال: قد أراد القوم الصّـلح حين بعثوا هذا الرّجل، فلمّا انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله تكلم فأطال الكلام و تراجعاً، ثمّ جرى بينهما الصّـلح فلمّا التأم الأمر و لم يبق إلّا الكتاب وثب عمر بن الخطّاب فأتى أبا بكر، فقال:

يا أبا بكر أليس برسول الله؟ قال: بلى، قال: أو لسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلى م نعطي الدين في ديننا؟ قال أبو بكر: يا عمر الزم غرضه - الغرض: العود المغروز بالأرض: أى الزم رأيته - فإننى أشهد أنه رسول الله، قال عمر: و أنا أشهد أنه رسول الله، ثمّ أتى رسول الله، فقال: يا رسول الله أ لست برسول الله؟ قال: بلى، قال: أو لسنا بالمسلمين؟ قال:

بلى، قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلى م نعطي الدين في ديننا؟ قال: أنا عبد الله و رسوله لن أخالف أمره و لن يضيعنى - انتهى.

و هذا الذى بيّنه عمر ما كان يختلج في صدور أكثر المسلمين لما أحسّوا من ثقل شروط الصّـلح و اضطهادها المسلمين حتّى دخل الشكّ في قلوب النّاس، و روى عن عمر أنّه قال: ما شككت في الإسلام قطّ كشكى يوم حديبيّه.

فأصحّر رسول الله صلّى الله عليه وآله عن عذره بأنّه عبد الله و رسوله، و قد أمره الله تعالى بعقد هذا الصّـلح و لا يستطيع مخالفه أمر الله.

و يظهر شكّهم ممّا روى عن ابن عباس قال: حلّق رجال يوم حديبيّه و قصّـر آخرون، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: يرحم الله المحلّقين، قالوا: و المقصّرين يا رسول الله، قال: يرحم الله المحلّقين، قالوا: و المقصّرين - إلى أن قال: فقالوا:

يا رسول الله فلم ظاهرت التّرحيم للمحلّقين؟ قال: لم يشكّوا.

و منها - ما رواه في الوسائل عن عنبسه بن مصعب، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال:

سمعتة يقول: أتى النّبىّ صلّى الله عليه وآله بشيء يقسمه فلم يسع أهل الصّفه جميعاً فخصّ به اناساً منهم فخاف رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يكون قد دخل قلوب الآخرين شيء، فخرج إليهم، فقال: معذره إلى الله عزّ و جلّ و إليكم يا أهل الصّفه إنّنا أوطينا بشيء فأردنا أن نقسمه بينكم فلم يسعكم فخصصت به اناساً منكم خشينا جزعهم و هلعهم - ذكره

فی کتاب الزکاه فی باب عدم وجوب استیعاب المستحقین بالإعطاء -.

و لعمری أنّ هذه المرحله من أصعب ما یبتلى به الولاه و الامراء و رؤساء الشعوب و الملل الغير الرّاقیه و الملل المتأخّره، حیث إنّ أعدل القوانين مما لا یرضی به کثیر منهم لاستثثارهم بالمنافع و عدم التّوجه إلى غیرهم من الأفراد فقلّما وقع فی تاریخ الدّول و الملل أن یكون الشّعب راضیا من الحکومه غیر ناظم علیه فی کثیر من قوانینها و إجراء آتها.

الترجمه

سپس راستی که برای والی مخصوصان و یاران نزدیکی است که خود خواه و دست درازند و در معامله با دیگران کمتر رعایت انصاف را می نمایند، ریشه تجاوز و ستم آنانرا با قطع وسائل ستم از بن بر کن، و بهیچکدام از دوروریهها و خویشان خود تیولی از اراضی مسلمانان وامگذار و هرگز در تو طمع نبندند که قراردادی بنفع آنها منعقد کنی که مایه زیان مردم دیگر باشد در حقابه آب یاری یا در عمل مشترکی که مخارج آنرا بر دیگران تحمیل کنند، تا سود آنرا ببرند و گوارا بخورند و عیب و نکوهش در دنیا و آخرت بگردن تو بماند.

حق را در باره خویش و بیگانه بطور لزوم مراعات کن، و در این باره شکییائی و خدا خواهی را منظور دار با هر چه فشار بر خویشان و یارانت وارد شود، گرانی این کار را در سرانجام خوب آن تحمّل کن، زیرا سرانجامش پسندیده و دلنشین است.

و اگر رعیت تو را متهم به ستم و جوری کردند، عذر خود را در باره کاری که منشأ اتهام و بدبینی آنها شده فاش کن و با کمال صراحت مطلب را به آنها بفهمان و بدبینی آنها را بوسیله صراحت در بیان مطلب از خود بگردان، زیرا این خود برای نفس تو ریاضت و پرورشی است و نسبت برعیت ارفاق و ملاطفتی است، و در نتیجه عذر خواهی مؤثریست که گره کار تو را می گشاید و رعیت را براه حق استوار می دارد.

ص: ۲۹۷

إشاره

و لا- تدفعنّ صلحا دعاك إليه عدوك و لله فيه رضا، فإنّ في الصّيلح دعه لجنودك، و راحه من همومك، و أمنا لبلادك، و لكن الحذر كلّ الحذر من عدوك بعد صلحه، فإنّ العدو ربّما قارب ليتغفّل، فخذ بالحزم، و اتّهم في ذلك حسن الظّنّ، و إن عقدت بينك و بين عدوك عقده أو ألْبسته منك ذمّه فحط عهدك بالوفاء، و ارع ذمّتك بالأمانه، و اجعل نفسك جنّه دون ما أعطيت، فإنّه ليس من فرائض الله شيء الناس أشدّ عليه اجتماعا مع تفرّق أهوائهم و تشتّت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود، و قد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استولوا من عواقب الغدر، فلا تغدرنّ بذمّتك، و لا تخيسنّ بعهدك، و لا تختلنّ عدوك، فإنّه لا- يجترىء على الله إلّا- جاهل شقيّ، و قد جعل الله عهده و ذمّته أمنا أفضاه بين العباد برحمته، و حرّما يسكنون إلى منعه، و يستفيضون إلى جواره، فلا إدغال و لا مدالسه و لا خداع فيه، و لا تعقد عقدا تجوّز فيه العلل، و لا تعولنّ على لحن قول بعد التّأكيد و التّوثقه، و لا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير

ص: ٢٩٨

الحق، فإنَّ صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجة و فضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته، و أن تحيط بك من الله فيه طلبه فلا تستقبل فيها دنياك و لا آخرتك.

اللغة

(دعه): مصدر ودع: الرَّاحه، (استوبلوا) استفعال من الوبال: أى ينتظرون و بال عاقبه الغدر و الوبال: الوحم، يقال: استوبلت البلد: استوخمت فلم توافق ساكنها، (خاس) بالعهد: نقضه، (الختل): الخداع و المكر (أفضاه): بسطه، استفاض الماء: سال، (الدغل): الفساد، (المدالسه): مفاعله من التبدليس فى البيع و غيره كالمخادعه و هى إرائه الشىء و تعريفه بخلاف ما هو عليه، (لحن القول):

كالتوريه و التعريض و هى أداء المقصود بلفظ يحتمل غيره من المعنى، (التوثقه):

مصدر من وثق.

الاعراب

لله فيه رضا: رضا مبتدأ مؤخر مرفوع تقديره و لله جار و مجرور متعلق برضا و فيه ظرف مستقر خبر له، و الجملة حال عن قوله عليه السلام صلحا، الحذر: منصوب على التحذير بفعل مقدر و كلّ الحذر تأكيد، عقده مفعول عقدت و بينك ظرف متعلق بها، ما اعطيت، ما موصوله أو مصدرية و العائد محذوف.

فأنه ليس من فرائض الله - إلى قوله: أشدّ عليه اجتماعا - إلخ، قال الشارح المعتزلى فى «ص ١٠٧ طبع مصر»، قال الزاوندى: الناس مبتدأ و أشدّ مبتدأ ثان و من تعظيم الوفاء خبره، و هذا المبتدأ الثانى مع خبره خبر المبتدأ الأول و محلّ الجملة نصب لأنها خبر ليس و محلّ ليس مع اسمه و خبره رفع لأنه خبر فأنه، و شىء اسم ليس و من فرائض الله حال و لو تأخر لكان صفه لشىء و الصواب أن شىء اسم ليس و جاز ذلك و إن كان نكره لاعتماده على النفى و لأنّ الجار

ص: ٢٩٩

و المجرور قبله فى موضع الحال كالصِّفه، فتخصّص بذلك و قرب من المعرفه، و النَّاس مبتدأ و أشدّ خبره، و هذه الجملة المركّبه من مبتدأ و خبر فى موضع رفع لأنّها صفة شيء و أمّا خبر المبتدأ الذى هو «شئ» فمحذوف و تقديره «فى الوجود» كما حذف الخبر فى قولنا «لا إله إلاّ الله» أى فى الوجود.

و ليس يصحّ ما قال الراوندى من أنّ «أشدّ» مبتدأ ثان و «من تعظيم الوفاء» خبره لأنّ حرف الجرّ إذا كان خبرا لمبتدأ تعلّق بمحذوف، و ها هنا هو متعلّق بأشدّ نفسه، فكيف يكون خبرا عنه، و أيضا فإنّه لا يجوز أن يكون أشدّ من تعظيم الوفاء خبرا عن النَّاس، كما زعم الراوندى، لأنّ ذلك كلام غير مفيد ألا ترى أنّك إذا أردت أن تخبر بهذا الكلام عن المبتدأ الذى هو «النَّاس» لم يقدّم من ذلك صوره محصّله تفيدك شيئا، بل يكون كلاما مضطربا.

و يمكن أن يكون «من فرائض الله» فى موضع رفع لأنّه خبر المبتدأ و قد قدم عليه، و يكون موضع «النَّاس» و ما بعده رفع لأنّه خبرا لمبتدأ الذى هو شئ، كما قلناه أولا، و ليس يمتنع أيضا أن يكون «من فرائض الله» منصوب الموضع لأنّه حال و يكون موضع «النَّاس أشدّ» رفعا لا خبرا لمبتدأ الذى هو «شئ».

أقول: الوجه الصحيح فى إعراب هذه الجملة أنّ: من فرائض الله ظرف مستقرّ خبر ليس و «شئ» اسمه و كون الخبر ظرفا و مقدما من مصحّحات الابتداء بالنكره، و «النَّاس» مبتدأ و «أشدّ عليه اجتماعا» خبره و «من تعظيم الوفاء» مكملّ قوله «أشدّ» فإنّ أفعّل التفضيل يكملّ بالاضافه أو لفظه من، و الجملة فى محلّ حال أو صفة لقوله «شئ» و ما ذكره الراوندى و الشارح المعترلى من الوجوه تكلفات مستغنى عنها.

دون المسلمين: ظرف مستقرّ فى موضع الحال عن المشركين، لا- تختلنّ، نهى مؤكّد من ختله يختله إذا خدعه و راوغه، فلا ادغال، لنفى الجنس و الاسم مبنى على الفتحو نفى جنس الادغال و ما بعده كناية عن النهى المؤكّد، و فضل عاقبته:

عطف على قوله: انفراجه، و أن تحيط: فعل مضارع منصوب بأن المصدريه معطوف

على قوله عليه السّلام غدر أى و من إحاطه لله بك فيه طلبه، فلا تستقبل: الفاء فصيحته تفيد التفريع و هى الفاء الفصيحة.

المعنى

قد تعرّض عليه السّلام فى هذا الفصل فى الرّوابط الحكوميه الاسلاميه الخارجيه و حثّ على رعايه الصّلاح و قبول الدّعوه إليه، و هذا الدّستور ناش من جوهر الاسلام الذى كان شريعته الصّالح و السّلام و الأمن، فأنّه نهض بشعارين ذهبيين و هو الإسلام و الإيمان، و الإسلام مأخوذ من السّلم، و الإيمان مأخوذ من الأمن و هذان الشعاران اللذان نهض الإسلام بهما اعلام بأنّ هذا الدّين داع إلى استقرار الصّلاح و الأمن بين كافّه البشر، و قد نزلت فى القرآن الشريف آيات محكمات تدعو إلى الصّالح و استتباب السّلام.

١ - «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ» ٩٤ - النساء.

قال فى مجمع البيان: و قرء فى بعض الرّوايات عن عاصم السّلم بكسر السين و سكون اللّام و قرء الباقر السّلام بالألف، و روى عن أبى جعفر القارئ عن بعض الطّرق «لست مؤمنا» بفتح الميم الثانيه، و حكى أبو القاسم البلخى أنّه قرأه محمّد بن على الباقر عليه السّلام - انتهى.

فجمع هذين القرائتين يصير «و لا- تقولوا لمن ألقى إليكم السّلم لست مؤمنا» فيكون صريحا فى المطلوب و موافقا لقوله عليه السّلام (و لا تدفعنّ صلحا دعاك إليه عدوك).

٢ - «لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقِهِ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا» ١١٤ - النساء.

٣ - «و الصّلح خَيْرٌ وَ أَحْضَرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَ إِنْ تَحْسَبُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا» ١٢٨ - النساء.

ص: ٣٠١

فقله تعالى «وَالصُّلْحُ خَيْرٌ» جملة صارمه ذهبه مال إليها كل الشعوب في هذه العصور و آمنوا بها من حيث يشعرون و من حيث لا يشعرون، فقد صار حفظ الصلح و السلام دينا للبشر كافة أسسوا لحفظه و الدعوه إليه مؤسسه الامم المتحده.

٤ - «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ» ٢٠٩ - البقره.

و السبب في ترغيب الإسلام في الصلح و السلم أن الاسلام، دين برهان و تفكير و شريعه تبيان و دليل و الاستفاده منها يحتاج إلى محيط سالم و طمأنينه و الحرب المثيره للأحقاد و التعصبات منافيه للتوجه إلى البرهان و التعقل في أى بيان، و قد نبه عليه السلام إلى ما في الصلح من الفوائد القيمه فقال:(فان في الصلح:

١ - دعه لجنودك) فالهرب متعبه للأبدان منهكه للقوى، فيحتاج الجند إلى دعه و استراحه لتجديد القوى و الاقتدار على مقاومه العدى.

٢ - (و راحه من همومك) فالهرب تحتاج إلى ترسيم خطه صحيحه تؤدى إلى الظفر فاذا حمى الوطيس و احمر الموقف من دم الأبطال و ارتج الفضاء من العويل و الويل لا يقدر القائد من التفكير و ترسيم خطط ناجحه و الصّيلح يريحه من الهموم و يفتح أمامه فرصه الفكر و ترسيم خطط للظفر بالعدو.

٣ - (و أمانا لبلادك) فالهرب تثير الضغائن و تحرض العدو على الاغاره فى البلاد و سلب الأمن و الراحة عن العباد.

ثم نهى عليه السلام و حذر عن الغفله بعد الصّيلح و وصّى أن يكون المسلمون دائما على اهبة فطنا يقظا من كيد الأعداء، لأنّ العدو إذا رأى التفوق لعدوه فى الحرب و أيس من الغلبه عليه يلتجأ باقتراح الصّيلح، ثم لم يلبث أن يفكر فى الخديعه و طلب الظفر بالمكر و الدّهاء من شتى النواحي و يقارب ليتمكن من درس نقاط الضعف و ينتهز الفرصه للهجوم على عدوه فى موقع مقتض.

فالهرب خطه محيطه بالأخطار من شتى النواحي، فلا بدّ من ملاحظه أى احتمال يؤدى إلى ظفر العدو و إن كان ضعيفا و الفكر فى معالجته و سدّه، كما أنه

ص:٣٠٢

لما اصطفَ المسلمون مع قريش في احد ففكر النبي صلى الله عليه وآله في إمكان هجوم خياله قريش من وراء عسكر الإسلام و محاصرتهم حتى بعد انهزامهم، فوكل عبد الله بن جبير في ستين نفرا من رماة الإسلام على جبل الرّماه و وصّاهم بالمقام هناك و حفظ خلف صفوف المسلمين و أكد لهم مزيد التأكيد و وعدهم بمزيد من سهم الغنيمه.

و لما انهزم المشركون في الهجوم الأول لجيش الإسلام و شرعوا بالفرار غرّ أصحاب عبد الله و لم يطيعوه و أخلّوا مقامهم، فانتهاز خالد بن وليد قائد خياله قريش هذه الفرصه و دار بالخياله وراء صفوف المسلمين و حاصرهم فوقع الانهزام في صفوف المسلمين و قتل أكثر من سبعين من أبطال الإسلام و اصيب النبي صلى الله عليه وآله بجراحات عظيمه كاد أن يقضى عليه لو لا نصر الله و تأييده.

و الصّٰلِح دوره ينضب شعله الحرب تحت الرّماد فلا بدّ من الحذر و اليقظه التامّه من مكائد العدوّ الكاشر باسنانه الحاقد بقلبه.

و قد تقدّم الاسلام في أيام بنى عثمان تقدّما ظاهرا في اربوا حتى حاصر جيش الأسلام بلده وبنه و لكن لما وقع عقد الصلح بين زعماء أروبا و بنى عثمان كادوا و دبّروا حتى استولوا على متصرفاته و ارجعوا سلطه الإسلام الرّهيبه قهقرى و شرحوا في ترسيم خطط لإغفال المسلمين و تنويعهم بشتّى الوسائل حتى غلبوا في القرن الثامن عشر و بعده على كافّه نواحي الإسلام و فتحوا بلاد الإسلام فتحا اقتصاديا لا نظير له من قبل و حازوا كلّ منابع ثروه المسلمين من المعادن، و حوّلوا بلادهم إلى أسواق تجاريه لهم و كبلوهم برءوس الأموال الهائله و سخّروهم من حيث يشعرون و من حيث لا يشعرون و دام سلطتهم على أغلب المسلمين و أغلب بلادهم إلى عصرنا هذا، فيا لها من مصيبه سبّبت إغواء شباب الإسلام و انحرافهم عن الإسلام.

زعم العواذل أنّى في غمره صدقوا و لكن غمرتى لا تنجلى

فلا بدّ من الأخذ بالحزم و طرد حسن الظنّ تجاه العدوّ سواء في حاله الحرب أو الصّٰلِح، و الصّٰلِح مع العدوّ غالبا ينتهى إلى عقد قرار بشروط معيّنه فتوجه عليه السّلام إلى ذلك و وصّى فيه بأمرين:

ص: ٣٠٣

١ - أمر بالوفاء بالعهد و الذمه وفاء كاملا يحوط به من كل ناحيه و رعايه الذمه إلى حيث يضحي بنفسه في سبيل الوفاء و رعايه الذمه مع أنها تنعقد مع غير المسلم، و أشار إلى أن الوفاء بالعهد فريضه إلهيه يجب رعايتها و الالتزام بها و وديعه بشريه اتفقت الشعوب و الملل راقبها و متأخرها على الالتزام بها حتى المشركين المنكرين للدين، حيث أنهم يخافون من عاقبه الغدر، فيقول عليه السلام: (فلا تغدرن بدمتك و لا تخيسن بعهدك، و لا تختلن عدوك) لأن الغدر و نقض العهد و المخادعه بعد التعهد ظلم و لو كان الطرف كافرا و لا يرتكبه إلا جاهل شقي.

و تبه على أن اتفاق بنى الإنسان على رعايه العهود و الذمم نظم إلهي و إلهام فطري أوحى إليهم من حيث لا يشعرون لحفظ الأمن و النظام و اللازم لبقاء البشر فهو رحمه الله التي فاضت في كافه العباد كالرزق المقدر لهم ليسكنو إلى منعه حريمها و ينتشروا في جوارها وراء ماربهم و مكاسبهم.

٢-أمره بالتبعية في صراحه ألفاظ المعاهده و وضوح النصوص المندرجه فيها بحيث لا تكون ألفاظها و جملها مبهمه و مجمله، قابله للتريد و التأويل، و نهى عن التمسك بخلاف ظاهر ألفاظ المعاهده بعد التأكيد و التوثيق لنقضها إذا طرأ الصيغوبه على إجرائها، و قال عليه السلام (و لا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق) و علله عليه السلام بأن الصبر على الصعوبه الناشئه من الوفاء بالعهد متعقب بالفرج و حسن العاقبه و هو خير من الغدر الذي يخاف تبعته بانتقام من نقض عهده في الدنيا و بعقوبه الله على نقض العهد المنهي عنه في غير آيه من القرآن في الاخره.

و مما ينبغي تذكره هنا ما وقع لرسول الله صلى الله عليه و آله في معاهده حديبيه مع قريش، قال ابن هشام في سيرته «ص ٢١٦ ج ٢ ط مصر».

فبينما رسول الله صلى الله عليه و آله يكتب الكتاب هو و سهيل بن عمرو إذا جاء أبو جندل ابن سهيل بن عمرو يوسف في الحديد، قد انفلت إلى رسول الله صلى الله عليه و آله، و قد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله حين خرجوا و هم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله

ص: ٣٠٤

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَأَوْا مَا رَأَوْا مِنَ الصَّلَاحِ وَالرَّجْوَعِ وَمَا تَحَمَّلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي نَفْسِهِ دَخَلَ عَلَى النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ أَمْرٌ عَظِيمٌ حَتَّى كَادُوا يَهْلِكُونَ، فَلَمَّا رَأَى سَهِيلُ أَبُو جَنْدَلٍ قَامَ إِلَيْهِ فَضْرَبَ وَجْهَهُ وَأَخَذَ بِتَلْبِيئِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ قَدْ لَجَّتِ الْقَضِيَّةُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكَ هَذَا، قَالَ: صَدَقْتَ فَجَعَلَ يَنْتَرُهُ بِتَلْبِيئِهِ وَيَجْزُّهُ لِيَرُدَّهُ إِلَى قَرِيْشٍ، وَجَعَلَ أَبُو جَنْدَلٍ يَصْرُخُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أَرَدْتُ إِلَى الْمُشْرِكِينَ يَفْتَنُونَنِي فِي دِينِي فَرَادَ النَّاسُ إِلَيَّ مَا بِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَا أَبُو جَنْدَلٍ أَصْبِرْ وَاحْتَسِبْ فَإِنَّ اللَّهَ عَاجِلُ لَكَ وَلَمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا إِنَّا قَدْ عَقَدْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ صَلَاحًا وَأَعْطَيْنَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَأَعْطَوْنَا عَهْدَ اللَّهِ وَإِنَّا لَا نَغْدُرُ بِهِمْ، قَالَ: فَوُثِّبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، انْتَهَى.

وَأَنْتَ تَرَى مَا وَقَعَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنَ الْحَرْجِ وَالْمَشَقَّةِ فِي الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ الَّذِي عَقَدَهُ مَعَ قَرِيْشٍ وَلَكِنْ دَامَ عَلَيْهِ حَتَّى فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ أَحْسَنَ فَرَجٍ.

الترجمه

محققاً صلحی که از دشمن بدان دعوت شدی رد مکن در صورتی که خدا پسند باشد زیرا در صلح با دشمن آرامش خاطر لشکریان تو است و مایهٔ آسایش تو از هم و هول است و وسیلهٔ آسایش شهرستانها است، ولی باید پس از صلح بسیار از دشمن در حذر باشی، زیرا بسا که دشمن نزدیک و دمخور می شود تا دشمن را غافلگیر کند، دور اندیشی را پیشه کن و خوش بینی را کنار بگذار.

و اگر میان خود و دشمن قرار دادی بستی یا او را در پناه خود گرفتی تعهد خود را از همه جهت وفا کن، و ذمیهٔ پناه بخشی خود را رعایت نما و جان خود را سپر آن عهدی ساز که سپردی، زیرا در میان واجبات خداوند چیزی نیست که همهٔ مردم با تفرقه در اهواء و تشتت در آراء سخت تر در آن اتفاق داشته باشند از تعظیم و بزرگ داشت وفا بتعهدات.

تا آنجا که مشرکان و بت پرستان هم که مسلمانی ندارند آنرا بر خود لازم می شمارند، برای آنکه عواقب نقض تعهد را نکبت بار می دانند، بتعهد پناه بخشی

ص: ۳۰۵

خود غدر مکن و عهد خود را مشکن و دشمن خود را گول مزن، زیرا دلیری و گستاخی بر خدا را مرتکب نشود مگر نادان بدبخت.

خداوند تعهد و ذمه پناه بخشی را مایه آسایش ساخته که میان بندگان خود از هر کیش و ملت پراکنده و آنرا بست و دژ محکمی مقرر کرده که در سایه آن بیارامند و در پناه آن بدنبال انجام کارهای خود بگرایند، دغلی و تدلیس و فریب و خدعه را در آن راهی نیست.

قرار دادی منعقد نکن که عبارات آن مبهم باشد و خلل در آن راه یابد و بکنایه و اشاره در عقد قرارداد مؤکد و مورد وثوق اعتماد مکن، و اگر برای اجرای برخی مواد قرارداد در فشار افتادی امر خدا تو را با اجرای آن ملزم ساخته در مقام برنیا که بنا حق را فسخ آنرا جستجو کنی، زیرا شکیبائی تو بر تحمل فشار اجرای تعهد با امید باین که دنبالش گشایش است و سرانجامش خوبست بهتر است از عهد شکنی که بیم از عواقب ناهنجارش داری و از این که از جانب خداوند در باره آن مورد مسئولیت قرار بگیری، و خدا از تو نگذرد نه در دنیا و نه در آخرت.

الفصل الخامس عشر من عهده علیه السلام

اشاره

إِيَّاكَ وَالدِّمَاءَ وَسَفْكَهَا بغير حلّها، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِنَقْمِهِ، وَلَا أَعْظَمَ لَتَبْعِهِ، وَلَا أَحْرَى بِزَوَالِ نِعْمِهِ، وَانْقِطَاعِ مَدَّةِ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بغير حقّها، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ مَبْتَدِئُ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا تَقْوِينَ سُلْطَانَكُمْ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ بِلِيزِيلِهِ وَيَنْقُلُهُ، وَلَا عَذْرَ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمْدِ، لَأَنَّ فِيهِ قُودَ الْبَدَنِ،

ص: ۳۰۶

و إن ابتليت بخطيأ و أفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بالعقوبه فإن في الوكزه فما فوقها مقتله فلا تطمحَنَّ بك نخوه سلطانك عن أن تؤدّي إلى أولياء المقتول حقهم. و إِيَّاكَ و الإعجاب بنفسك، و الثّقه بما يعجبك منها، و حبّ الإطراء، فإنّ ذلك من أوثق فرص الشّيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين. و إِيَّاكَ و المَنّ على رعيتك بإحسانك، أو التّزَيّد فيما كان من فعلك، أو أن تعدّهم فتتبع موعدك بخلفك، فإنّ المَنّ يبطل الإحسان، و التّزَيّد يذهب بنور الحقّ، و الخلف يوجب المقت عند الله و النّاس، قال الله تعالى: «كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ» - ٣ الصف. و إِيَّاكَ و العجله بالأمر قبل أوانها، أو التّسقط [التّساقط] فيها عند إمكانها، أو اللّجاجة فيها إذا تنكّرت، أو الوهن عنها إذا استوضحت، فضع كلّ أمر موضعه، و أوقع كلّ عمل موقعه. و إِيَّاكَ و الاستثثار بما النّاس فيه أسوه، و التّغابی عمّا تعنى به ممّا قد وضح للعيون، فإنّه مأخوذ منك لغيرك، و عمّا قليل

ص: ٣٠٧

تنكشف عنك أغطيه الأمور، و ينتصف منك للمظلوم املك حميه أنفك، و سوره حدك، و سطوه يدك، و غرب لسانك و
احترس من كل ذلك بكف البادره، و تأخير السطوه، حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار، و لن تحكم ذلك من نفسك حتى
تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك. و الواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومه عادله، أو سنه فاضله، أو
أثر عن نبينا - صلى الله عليه و آله - أو فريضه في كتاب الله، فتتقدي بما شاهدت مما عملنا به فيها، و تجتهد لنفسك في اتباع
ما عهدت إليك في عهدى هذا، و استوثقت به من الحجه لنفسى عليك لكيلا تكون لك عله عند تسرع نفسك إلى هواها [فلن
يعصم من السوء و لا يوفق للخير إلا الله تعالى و قد كان فيما عهد إلى رسول الله - صلى الله عليه و آله - فى وصاياه تحضيض
على الصلاه و الزكاه و ما ملكته أيمانكم، فبذلك أختم لك بما عهدت، و لا حول و لا قوه إلا بالله العلي العظيم].

اللغه

(قود) القود بالتحريك: القصاص، يقال: أقدت القاتل بالقتيل: قتلته به

ص: ٣٠٨

و بابه قال (الوكزه): و كزه: ضربه و دفعه، و يقال: و كزه أى ضربه بجمع يده على ذقنه، و أصابه بوكزه أى بطعنه و ضربه، (نخوه): فى الحديث إنّ الله أذهب بالإسلام نخوه الجاهليّه بالفتح فالسكون أى افتخارها و تعظّمها، (الفرصه):

النوبه، و الممكن من الأمر، (يمحق) يقال: محقه محقا من باب نفعه: نقصه و أذهب منه البركه، و قيل: المحق ذهاب الشىء كلّ حتّى لا يرى له أثر، (التريد): تفعل من الزيادة أى احتساب العمل أزيد مما يكون، (المقت):

البغض، (لج) فى الأمر لجاجه إذا لازم الشىء و واطبه من باب ضرب، (الاسوه):

المساواه، (التغابى): التغافل، (سوره) الرّجل: سطوته وحدّه بأسه، (غرب) اللسان: حدّته، (البادره): سرعه السّطوه و العقوبه.

الاعراب

إِيّاك منصوب على التحذير، و الدّماء منصوب على التحذير و التقدير اتّق نفسك و احذر الدّماء و سفكها، ممّا يضعفه: من للتبعيض، لا عذر لنفى الجنس و الخبر محذوف، فى نفسه جار و مجرور متعلق بقوله: أوثق، مقتا: منصوب على التميز، بما الناس، ما موصوله أو موصوفه، و الجملة بعدها صفه أو صله، و فيه متعلّق بقوله أسوه، بكفّ البادره مصدر مضاف إلى المفعول من المبني للمفعول.

المعنى

قد تعرّض عليه السيّلام فى هذا الفصل للتوصيات الأخلاقيه بالنسبه إلى الوالى نفسه ليكون اسوه لعمّاله أوّلا و لكافّه الرعيّه نتيجتا، فتوجّه إلى التّعليم الأخلاقى كطبيب روحانى ما أشدّه فى حذقه و مهارته فأنّه عليه السيّلام وضع إصبعه على أصعب الأمراض الأخلاقيه و الجنائيه التى ابتلت بها الامّه العربيّه فى الجاهليّه العمياء التى ظلّت عليها قرونا وسعت فى معالجتها و التحذير عنها و بيان مضارّها كدواء ناجع ناجح فى معالجتها فشرع فى ذلك الفصل بقوله عليه السّلام.

(إِيّاك و الدّماء و سفكها) كانت العرب فى الجاهليّه غريقه فى الحروب و المشاحنات، و عريقه فى سفك الدّماء البريئات، فكانت تحمل سلاحها و تخرج

ص: ٣٠٩

من كمينها للصيد فيهدف أى دابته تلقاها وحشيته كانت أم أهليته بهيمه كانت أم نسمة، تعيش بالصيد و تشبع منها و تسد جوعتها، و إذا كان صيدها إنسانا يزيده شعفا و سرورا، لأنه ينال بسلبه و متاعه فانقلبت إلى امه سفاكه تلذ من قتل النفوس و يزيدها نشاطا إذا كان المقتول رجلا- شريفا و بطلا- فارسا فتفتخر بسفك دمه و تنظم عليه الأشعار الزائقة المهيجه و ترنمها و تغنى بها فى حفلاتها.

و جاء الإسلام مبشرا بشعار الإيمان و الأمن و لكن ما لبث أن ابتلى بالهجمات الحادّة التى ألجأه إلى تشريع الجهاد، فاشتغل العرب المسلمون بقتل النفوس فى ميادين الجهاد حقّا فى الجهاد المشروع و باطلا فى شتى المناضلات التى أثارها المنافقون فيما بينهم بعض مع بعض أو مع الفئة الحقّه حتّى ظهر فى الإسلام حروب دمويّة هائلة تعدّ القتلى فيها بعشرات الالوف كحرب جمل و صفين.

فزاد المسلمون العرب السّاده فى الجزيره و ما فتحوه من البلاد الواسعه الالفه بمص الدماء و سفكها حتّى سقط حرمه الإنسان فى نظرهم و سهل عليهم أمر سفك الدماء لا يفرّقون بين ذبح شاه و بين ذبح إنسان.

و هذا الداء العضال مهمّه للتعليمات الإسلاميه من الوجهه الأخلاقيه منذ بعثه النبى صلى الله عليه و آله.

فنزلت فى القرآن الشريف آيات محكمه صارمه فى تحريم سفك الدماء فبين الاعتراض عليه من لسان الملائكه العظام حين إعلام خلق آدم فقال عزّ من قائل «وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْمَأْرُضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَ تَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَ يَسْفِكُ الدِّمَاءَ » ٣٠ - البقره و تلاها بنقل قصه ابنى آدم الذى قتل أحدهما الاخر فأبلغ فى تشنيع ارتكاب القتل إلى حدّ الاعجاز، ثم صرح بالمنع فى قوله تعالى «وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً » ٩٢ - النساء.

و فرض فى ارتكاب قتل الخطاء كفّاره عظيمه، فقال تعالى «وَ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَ دِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ » ثم قرّر عقوبه لا تتحمّل فى قتل المؤمن

عمدا فقال تعالى «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا» ٩٤ - النساء.

و أكد النبي في المنع عن قتل الخطأ باشتراك العقاب في هذا الجريمة المعفوه عن العقوبة الاخرى لكونها غير اختيارية من حيث النتيجة فحملهم عليه و أعلن أنّ حرمة المؤمن كحرمة الكعبة باعتبار أنّ حرمة الكعبة راسخه في قلوب العرب و عقيدتهم إلى النهاية.

و قد نبه عليه السلام إلى تبعات سفك الدم بما يلي:

١ - (فإنه ليس شيء أدعى لنقمه) في نظر أولياء المقتول و عامه الناس و عند الله.

٢ - (ولا أعظم لتبعه) في الدنيا بالانتقام من ذوى أرحام المقتول و أحبائه و بالقصاص المقر في الاسلام.

٣ - (ولا أخرى بزوال نعمه) و أهمها زوال الطمأنينة عن وجدان القاتل و ابتلائه بالاضطراب الفكري و عذاب الوجدان.

٤ - (و انقطاع مده) سواء كان مده الشباب فيسرع المشيب إلى القاتل أو الرتبة الاجتماعية و المديته فتسقط عند الناس و عند الامراء، أو العمر فيقصر عمر القاتل.

٥ - أنه أول ما يقضى الله به يوم القيامة، فتحلّ أول عقوبة الاخره بالقاتل.

٦ - انتاجه عكس ما يروم القاتل من ارتكابه، فيضعف سلطنته و يوهنها إن قصد به تقوية سلطانه بل يزيلها و ينقلها.

٧ - إنه لا يقبل الاعتذار و الخلاص من عقوبته إن كان عمدا.

٨ - اذائه إلى القود المفضي للبدن و المزيل للحياه.

ثم بين عليه السلام أنه إن كان خطأ فلا بدّ من الانقياد لأولياء المقتول بأداء الدية من دون مسامحه و اعتزاز بمقام الولاية، و نبه إلى الاحتياط في الضرب

ص: ٣١١

و الايلام و إلى كظم الغيظ عند المكاره فأنه ربما يصير الوكزه باليد سببا للقتل.

قال فى الشرح المعتزلى: فى شرح قتل الخطأ «ص ٢١٢ ج ١٧ ط مصر»: وقد اختلف الفقهاء فى هذه المسأله، فقال أبو حنيفه و أصحابه: القتل على خمسه أوجه:

عمد، و شبه عمد، و خطأ، و ما أجرى مجرى الخطأ، و قتل بسبب:

فالعمد ما يتعمد به ضرب الانسان بسلاح، أو ما يجرى مجرى السلاح كالمحدد من الخشب و ليظه القصب «و هى قشر القصب اللانزق به» و المروه «و هى الحجر الأبيض البراق» المحدده، و النار، و يوجب ذلك المأثم و القود إلا أن يعفو الأولياء، و لا كفاره فيه.

و شبه العمد أن يتعمد الضرب بما ليس بسلاح و أجرى مجرى السلاح كالحجر العظيم و الخشب العظيمه، و يوجب ذلك المأثم و الكفاره، و لا قود فيه، و فيه الديه مغلظه على العاقله.

و الخطأ على وجهين: خطأ فى القصد، و هو أن يرمى شخصا يظنه صيدا، فاذا هو آدمى، و خطأ فى الفعل، و هو أن يرمى غرضا فيصيب آدميا، و يوجب النوعان جميعا الكفاره و الديه على العاقله، و لا مأثم فيه.

و ما أجرى مجرى الخطأ، مثل النائم يتقلب على رجل فيقتله، فحكمه حكم الخطأ.

و أما القتل بسبب، فحافر البئر و واضع الحجر فى غير ملكه، و موجه إذا تلف فيه إنسان الديه على العاقله، و لا كفاره فيه.

فهذا قول أبى حنيفه و من تابعه، و قد خالفه صاحبا أبو يوسف و محمد فى شبه العمد، و قالوا: إذا ضربه بحجر عظيم، أو خشبه غليظه فهو عمد، قال: و شبه العمد أن يتعمد ضربه بما لا يقتل به غالبا، كالعصا الصغيره، و السوط، و بهذا القول قال الشافعى.

و كلام أمير المؤمنين عليه السلام يدل على أن المؤدب من الولاه إذا تلف تحت يده إنسان فى التأديب فعليه الديه، و قال لى قوم من فقهاء الاماميه: إن مذهبنا

ص: ٣١٢

أن لا ديه عليه، و هو خلاف ما يقتضيه كلام أمير المؤمنين عليه السلام.

أقول: ليس فى كلامه عليه السلام أنّ الضرب كان للتأديب كما قئده به فى كلامه بل الظاهر خلافه و أنّه عليه السلام بين حكم العنوان الذاتى الأولى للضرب و لا ينافى ذلك سقوطه بعنوانه الثانوى كما إذا كان للتأديب أو الدفاع.

و قال المحقق - رحمه الله - فى الشرائع: القتل إمّا عمد، و إمّا شبهه العمد و إمّا خطأ محض، فضابطه العمد أن يكون عامدا فى فعله و قصده، و شبه العمد أن يكون عامدا فى فعله مخطئا فى قصده، و الخطأ المحض أن يكون مخطئا فىهما انتهى.

قسّم القتل إلى هذه الأقسام الثلاثة، ثمّ فرع بعد ذلك فروعا كثيرة فى موجبات الضمان الملحق بقتل الخطأ أو شبه العمد، و مع ملاحظه الفروع التى تعرّض فيها لأنواع الضمانات فى هذا الباب لا يظهر منها كثير خلاف مع ما ذكره الشارح المعتزلى من فقهاء العامة، و لا يسع المقام تفصيل ذلك.

ثمّ حذّر عن الاعجاب بالنفس و الاعتماد على ما يصدر منه من محاسن الأعمال فى نظره، و الاعجاب بالنفس موجب للنخوه و الغرور التى كانت من أمراض العرب الجاهلى و أذاه إلى الاعتقاد بالتبعيض العنصرى و التمسك بأنّ عنصره و جرثومته القبلى أشرف العناصر، فالعرب مع ضيق معاشه و حرمانه عن أكثر شئون الحياه السعيده و موجبات الرفاه فى المعيشه و تقلّبه فى رمال الصحراء و حرّ الرمضاء يرى نفسه أشرف البشر و أفضل من سلف و غبر، فيأنف من الارتباط الأخوى مع بنى - نوعه و التبادل الانتفاعى بالزواج، و قد يأنف من أخذ العطاء مع حاجته و فقره المدقع.

و قد تمكّن فى عقيدته هذا الامتياز العنصرى حتّى بالنسبه إلى بنى قبائله العرب فضلا عن غيرها، كما حكى عن الأصمعى أنّه مرّ على شابّ عريان، فى رحلته بين القبائل العربيه لاستقصاء اللغه و الأقاصيص العربيه، فاستنطقه فأجابه بأبيات فصيحاه أعجبه فأعطاه دنانير، فسأل منه الشابّ عن أىّ قبيله هو؟ فقال: من باهله،

ص: ٣١٣

فامتنع من أخذ العطاء لخسّه قبيله باهله عند العرب حتى قيل فى ذلك:

إذا باهلى تحته حنظليّه له ولد منها، فذاك المذرع

أراد الشاعر أنّه إذا كانت الزوجه للزوج الباهلى حنظليّه يصير الولد مذرعا أى شريفه الامّ و وضع الأب.

و لما بعث الله نبيّه محمّدا صلى الله عليه و آله رحمه للعالمين، مهمّه هدفين هامّين فى دعوته الاصلاحية:

١ - بتّ التوحيد و هدايه البشر إلى عباده الله وحده تحت شعار «لا إله إلا الله» و ردّهم عن عباده الأصنام و الأنداد الذين لا ينفعون و لا يضرون.

٢ - إلفات البشر إلى أخويّه إنسانيّه و رفع التبعض العنصرى بأدقّ معانيه و محو الامتيازات الموهومه بوجه جذرى، فبتّ دعوه التوحيد بكلّ جهد و جهود حتى لبى دعوته اناس مخلصون، و أيّده الله بنصره قبائل عرب يثرب فهاجر إلى المدينه و أسّس حكومه الاسلام التّيره، فاتّبعه قبائل العرب واحده بعد اخرى و فتح مكّه المكرّمه و أخضع قبائل قريش الأشداء فى العناد مع الاسلام، و هم ذروه العرب و أشرف القبائل فى عقيدته سائر العرب و فى اعتقادهم، نشاوا بهذه العقيدته منذ قرون حتى رسخ فى دماغهم و رسب فى دمايهم و مصوّها من ضروع امّهااتهم.

و لما فتح مكّه على خطّه نبويّه أشبه بالإعجاز من دون سفك الدماء فى الحرم و إيقاد الحرب المؤلمه و تبّين سياده الاسلام على أنحاء الجزيره العربيه و أجوائها الواسعه قام على كعبه المكرّمه، و نادى بهذين الهدفين الهامّين بكلّ صراحه فى خطبه ذهبيّه هاك نصّها عن سيره ابن هشام:

قال ابن إسحاق: فحدّثنى بعض أهل العلم أنّ رسول الله قام على باب الكعبه فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، نصر عبده، و هزم الأحزاب وحده، ألا! كلّ ماثره أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدان البيت، و سقايه الحاجّ، و قتل الخطأ شبه العمد بالسوط و العصا ففیه الديه مغلّظه:

مائه من الابل أربعون منها أولادها فى بطونها، يا معشر قريش: إنّ الله قد أذهب

عنكم نخوه الجاهليّه و تعظّمها بالاباء، الناس من آدم و آدم من تراب، ثمّ تلاه هذه الايه «يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أَنْثَى وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» - الايه كلّها ١٣ - الحجرات».

ثمّ قال: يا معشر قريش، ما ترون إننى عامل فيكم؟ قالوا: خيرا، أخ كريم و ابن أخ كريم، قال: فاذهبوا فأنتم الطلقاء.

و فى بعض الروايات «وحده» ثلاث مرّات كما أنّه فى بعضها بعد قوله «و آدم من تراب» ورد أنّه صَلَّى الله عليه و آله قال: و ليس لعربى فضل على عجمى إلّا بالتقوى.

و لكنّه لم يدم هذه التربيّه النبويّه فى العرب و لم يعتقد بها المنافقون فسكتوا حتّى توفّى صَلَّى الله عليه و آله و سلّم فرجعوا قهقري و أحيوا تفاخر العرب بالاباء و تفضيل عنصرهم على سائر الناس و جدّ فى ذلك عمر و اشتدّ فى ترويجه بنو اميّه طول حكومتهم الجّباره الّتى دامت ألف شهر و قد توجه صَلَّى الله عليه و آله إلى حرّيه التناكح و نصّ عليها فى خطبه تاريخيه هامه ألّفها فى حجّه الوداع.

و قد كان منشأ النخوه العربيّه الّتى روى فيها أنّها مهلكه للعرب هى العجب بالنفس و بما يأتى من الأعمال، فحذّر عليه السّلام من هذه الخصله المهلكه أشدّ تحذير و بالتحذير من حبّ الاطراء الناشى منه، و بيّن أنّ ذلك من أوثق فرص الشيطان لإغواء الانسان و محقّ ما يفعله من الاحسان.

قال الشارح المعتزلى «ص ١١٤ ج ١٧ ط مصر»: ناظر المأمون محمّد بن القاسم النوشجاني المتكلم، فجعل «المتكلم» يصدّقه و يطريه و يستحسن قوله، «فقال المأمون: يا محمّد، أراك تنقاد إلى ما تظنّ أنّه تسرّنى قبل وجوب الحجّه لى عليك، و تطرينى بما لست احبّ أن أطرى به، و تستخذى لى فى المقام الّذى ينبغى أن تكون فيه مقاوما لى، و محتجا علىّ، و لو شئت أن أفسر الامور بفضل بيان، و طول لسان، و أغتصب الحجّه بقوّه الخلافه، و ابّيه الرياسه لصدّقت و إن كنت كاذبا، و عدّلت و إن كنت جائرا، و صوّبت و إن كنت مخطئا، لكننى لا أرضى إلّا بغلبه الحجّه، و دفع الشبهه، و إنّ أنقص الملوك عقلا، و أسخطهم

ص: ٣١٥

رأيا من رضى بقولهم: صدق الأمير».

ثم تبه عليه السيّلام بالنهى عن ثلاثة امور: المنّ على الرعيّه بالاحسان و التزيّد فى الأعمال و الخلف فى الوعد إلى التجنّب عن الافراط فى حبّ النفس المذى يكون غريزه للانسان بالذات، فأنّه أوّل ما يحسّ و يشعر يحسّ حبّ نفسه و حبّ النفس مبدأ الرضا و الغضب المحرّكين لأى حركه فى الانسان، و الافراط فيه موجب لردائل كثيره أشار عليه السيّلام إلى امهاتها فى هذه الجمل.

فمنها: المنّ على من يحسن إليه لأنّه إشعار بالانانيه و تبجّح بالشخصيّه من فرط الحبّ بالذات، قال الله تعالى «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذَى» ٢٦٤ - البقره، قال الشارح المعتزلى «ص ١١٥ ج ١٧ ط مصر» و كان يقال: المنّ محبّه للنفس، مفسده للصنع.

و منها، التزيّد فى الفعل الناشى عن تعظيم نفسه، فيرى حقير عمله كبيرا و قليله كثيرا فيذهب بنور الحقّ لكونه كذبا و زورا، قال الشارح المعتزلى فى الصفحه الانفه الذكر: مثل أن يسدى ثلاثه أجزاء من الجميل، فيدعى فى المجالس و المحافل أنّه أسدى عشره.

و منها، نهيه عن خلف الوعد مع الرعايا، فهو أيضا ناش عن إكبار نفسه و تحقير الرعايا حيث إنّّه لم يعتن بانتظارهم و لم يحترم تعهدهم و خلاف الوعد و إن كان قبيحا و مذموما على وجه العموم و لكنّه من الامراء و الولاة بالنسبه إلى الرعيّه أقبح و أشنع، لاشتماله على العجب و الكبر و تحقير طرف التعهّد، و قد عدّ الله خلف الوعد من المقت عنده البالغ فى النهى عنه حيث قال تعالى «كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ» ٣ - الصفّ» فأنّه مشتمل على تكبير خلف الوعد من وجوه، قال الشارح المعتزلى «ص ١١٥ ج ١٧ ط مصر»: و أمّا أمير المؤمنين عليه السيّلام قال: «إنّه يوجب المقت» و استشهد عليه بالايه، و المقت: البغض.

ثم حدّره عن العجله فى الامور، فأنّه ناش عن الجهل و خفّه العقل كما ترى فى الصبيان و غير المثقفين من بنى الانسان، و قد روى «أنّ العجله من الشيطان»

ص: ٣١٦

و العجله من الغرائز الكامنه فى البشر من ناحيه طبعه الحيوانى كما قال الله تعالى:

«خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ» ٢٧ - الأنبياء.

كما أنه عليه السلام حذّر عن المسامحه و التساقط فى الامور إذا حان وقتها و تيسّرت و عن الاصرار فى إنجاحها إذا صعبت و تنكّرت و لم يتيسّر، أو الاغماض عنها إذ كشفت حقيقتها و اتّضحت.

قال الشارح المعتزلى «ص ١٦ ج ١٧ ط مصر»: و منها نهيه عن التساقط فى الشىء الممكن عند حضوره، و هذا عبارته عن النهى عن الحرص و الجشع، و فى كلامه ما لا يخفى من النظر.

و من أسوء الأخلاق الحاكمه فى وجود الانسان خلق الاستثثار، و أثره أن يجلب كلّ شىء إلى نفسه و يخصّص كلّ ما يناله بنفسه فيتجاوز على حقوق إخوانه و يمنع الحقوق المتعلّقه بماله، و الاستثثار طبيعى للانسان المحبّ لذاته بلا- نهايه و يؤيّد به الجهل و الحاجه السائدين على العرب طيله قرون الجاهليّه، فنهى عليه السلام عنه فيما يشترك فيه الناس.

و نهاه عن الغفله و التسامح فيما تهّمه و ترتبط به من نظم الامور و بسط العدل حيث يقبح أمثاله فى عيون الناس، فإنّ التسامح فى أخذ حقّ المظلوم عن الظالم مأخوذ من الوالى بنفع غيره و هو الظالم، قال الشارح المعتزلى فى الصفحه الانفه الذكر: و صورته ذلك أنّ الأمير يؤمى إليه أنّ فلانا من خاصّيته يفعل كذا و يفعل كذا من الامور المنكره، و يرتكبها سرّاً فيتغابى عنه و يتغافل، انتهى.

و نهاه عن الاستكبار و البطش اللذين من آثار الإمارة و السلطان، فإنّ السلطان بطبعه سريع الغضب و شديد الانتقام و الحكم على من أساء إليه فوصّاه بقوله عليه السلام (و لن تحكم ذلك من نفسك حتّى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربّك).

قال الشارح المعتزلى فى «ص ١١٧ ج ١٧ ط مصر»: و كان لكسرى أنوشروان صاحب قد رتبّه و نصبه لهذا المعنى، يقف على رأس الملك يوم جلوسه، فاذا غضب

ص: ٣١٧

على إنسان و أمر به قرع سلسله تاجه بقضيب فى يده و قال له: إنّما أنت بشر، فارحم من فى الأرض يرحمك من فى السماء.

ثم يبين له المرجع القانونى الذى يجب عليه العمل به فى حكومته، كما يلى:

١ - السيره العمليه للحاكم العادل الذى كان قبله، فانّها محترمه و مرضيه عند الله و عند الناس.

٢ - السنّه المأثوره الفاضله الصادره عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم بنقل الجماعات أو الثقات.

٣ - الفرائض المقرره فى كتاب الله فى محكم آياته، و شرط عليه فى العمل بها بما شاهد من عمله و تطبيق القوانين على موضوعاتها ليأمن من الاشتباه فى التفسير و فهم المقصود و من الخطأ فى التطبيق، و ها هنا بحثان:

١ - كيف جعل عليه السلام سيره الحكومه العادله أصلا فى مقابل السيره المأثوره عن النبى صلى الله عليه و آله و هو أشبه باصول العامه.

٢ - كيف قدّم سيره الحكومه العادله على السيره المأثوره عن النبى صلى الله عليه و آله و قدّمهما على الفريضه المنصوصه فى كتاب الله و الخوض فيهما يحتاج إلى إطلاله لا يسعها المقام.

الترجمه

از خون و خونريزى ناروا پرهيز، زيرا خون ناحق از همه چيز زودتر مورد انتقام مى شود و گناهش بزرگتر است، و نعمت را زودتر از ميان مى برد، و ريشه عمر را قطع مى کند، خداوند سبحان در روز قيامت محاکمه گنهکاران را در باره خونريزى هاى ميان بندگان آغاز مى کند.

حکومت خود را بوسيله خون ناحق تقويت مکن، زيرا خونريزى ناروا آنرا سست و متزلزل مى سازد و سپس بنيادش را مى کند و بدست ديگران مى دهد، در نزد خدا و در نزد من در قتل عمد راه عذر و اميد عفو ندارى، زيرا کيفر

ص: ٣١٨

مقرر آن قصاص است.

و اگر گرفتار قتل خطا شدی، و تازیانه یا شمشیر و یا دستت بدون قصد قتل زیاده روی کردند و کسی را کشتی «چون ممکن است بیک مشت محکم و بالا-تر قتل واقع شود» مبدا غرور سلطنت ترا باز دارد از این که حق اولیای مقتول را پردازی و رضایت آنها را جلب کنی.

مبدا بخود ببالی، و بسرافرازیهای خود اعتماد کنی.

مبدا تملق و ستایش را دوست بداری، زیرا که آن در نزد شیطان مناسبترین فرصتی است برای پایمال کردن هر نتیجه ای از نیکی نیکوکاران.

مبدا باحسان خود نسبت برعایا بر سر آنها منت بگذاری یا کار خود را بیش از آنچه که هست در حساب آنها آری یا به آنها وعده ای بدهی و تخلف کنی، زیرا منت احسان را نابود می کند، و بیشتر بحساب آوردن خدمتی نور حقیقت را می برد، و خلف وعده نزد خداوند و مردم دشمنی ببار می آورد، خداوند متعال (در سوره صف آیه ۳) می فرماید «دشمنی بزرگست نزد خدا که بگوئید آنچه را عمل نمی کنید».

مبدا در کارهای خود بی وقت شتاب کنی، یا در وقت مناسب سستی و تنبلی کنی، یا اگر متعذر و دشوار شد در باره آن اصرار و لجبازی کنی، و در صورت روشنی زمینه کاری در آن مسامحه روا داری، هر کاری را بجای خود مقرر دار.

مبدا از آنچه همه مردم در آن برابر و شریکند برای خود امتیازی قائل شوی یا از آنچه در برابر چشم همه است صرف نظر کنی و در تخلف وظائف دستگاه خود را به نفهمی بزنی، زیرا مسئولیت بر تو است و سود را دیگران می برند، و بزودی پرده از کارها برداشته می شود و انتقام مظلوم از ظالم گرفته می شود.

باد بینی و شراره تندی و ضرب دست و تیزی زبان خود را مهار کن، و در جلوگیری از زبان خود و پس زدن سطوت و تندی بکوش تا خشم فرو نشیند و اختیار خود را بدست آری و قضاوتی مکن تا بسیار متوجه معاد و قیامت و پروردگار

ص: ۳۱۹

خود نگردی و حق را رهنمون نسازی.

بر تو لازم است که روش حکومت‌های عدالت شعار پیش از خود را در نظر بگیری، و روش نیک و اثری که از پیغمبر صلی الله علیه و آله باقی مانده منظور سازی و فریضه ای که در قرآن خدا مقرر شده پیش چشم گذاری، و چنانچه بچشم خود دیدی ما آنرا مورد عمل و اجراء نموده ایم از آن پیروی کنی.

باید برای خود بکوشی در پیروی این فرمانی که من برای تو صادر کردم و حجت خود را در آن بتو تمام نمودم تا در صورتی که هوای نفس بر تو چیره شد عذری نداشته باشی.

خاتمه عهده علیه السلام

اشاره

و أنا أسأل الله بسعه رحمته، و عظیم قدرته على إعطاء كل رغبة [رغيبه] أن يوفّقني و إياك لما فيه رضاه من الإقامه على العذر الواضح إليه و إلى خلقه، مع حسن الثناء في العباد، و جميل الأثر في البلاد، و تمام النعمه، و تضعيف الكرامه و أن يختم لي و لك بالسّعاده و الشّهاده، إنّنا إليه راجعون [راغبون]، و السّلام على رسول الله، صلي الله عليه و آله الطّيبين الطاهرين [و سلّم تسليمًا كثيرًا].

الاعراب

قال الشارح المعتزلي: فان قلت: فقله «و تمام النعمه» على ما ذا تعطفه؟ قلت: هو معطوف على «ما» في قوله «لما فيه» كأنه قال: أسأل الله توفيقى لذا و لتمام النعمه.

أقول: الأوضح عطفه على «الاقامه» في قوله «من الاقامه» لأنّ تمام

ص: ٣٢٠

النعمة و ما بعده ممّا فيه رضاه، و أن يختم لى: عطف على قوله «أن يوفّقنى».

المعنى

قد تَبَّه عليه السّلام أنّ للوالى مسئوليّه عند الله و مسئوليّه عند الناس، و لا بدّ له من الاجتهاد فى الخروج عن كلتا المسئوليتين حتّى يعذره الله و يعذره خلق الله، و علامته حسن الثناء من العباد و جميل الأثر فى البلاد، من الجانب الخلقى، و تمام النعمة و تضعيف الكرامه من جانب الله، لأنّه أثر شكر نعمه الولايه الذى أذاه الوالى.

ثمّ سأل الله تعالى لنفسه و له نيل السعاده و فوز الشهاده، و قد استجاب الله ذلك لهما.

الترجمه

من از خداوند خواستارم که برحمت واسعه و عظمت قدرتش بر بخشش هر خواست مرا و ترا توفيق عطا فرمايد براى انجام آنچه رضای او است از پایداری بر معذرت خواهی روشن نزد خدا و خلق در بهمراه ستایش خوب در میان بندگان و اثر نیک در آبادی و عمران شهرستانها و تمامی نعمت و دو چندانى کرامت از حضرت یزدان، و از حضرتش خواستارم عمر من و تو را بپایان رساند با سعادت و توفيق جانبازی و شهادت، راستی که ما همه را بدرگاه او گرایش و رغبت است.

درود فراوان بر فرستاده خداوند، و صلوات بر او و خاندان پاک و پاکیزه اش درودی هر چه بیشتر.

و قد أدرج الشارح المعتزلى فى آخر شرح هذا العهد الشريف وصايا من العرب و أردفها بوصيّه من أردشير بن بابك مليئه بحكم مفیده يؤيّد ما ذكره عليه السّلام فى هذا العهد فألتقط منها قصعا، قال فى «ص ۱۲۴ ج ۱۷ ط مصر»:

و من كتاب أردشير بن بابك إلى بنيه و الملوک من بعده:

رشاد الوالى خير للرعيّه من خصب الزمان، الملك و الدين توأمان، لا قوام لأحدهما إلّا بصاحبه، فالدين اسّ الملك و عماده، ثمّ صار الملك حارس الدين

ص: ۳۲۱

فلا بدّ للملك من أسّه، ولا بدّ للدين من حارسه، فأما ما لا حارس له فضائع، و ما لا أسّ له فمهدوم...

و اعلّموا أنّه ليس ينبغي للملك أن يعرف للعباد و النّسّاك بأن يكونوا أولى بالدين منه، و لا أحدب عليه، و لا أغضب له [و لا ينبغي له] أن يخلّى النّسّاك و العباد من الأمر و النهى فى نسكهم و دينهم فإنّ خروج النّسّاك و غيرهم من الأمر و النهى عيب على الملوّك و على المملكه، و ثلمه بيّنه الضرر على الملك و على من بعده.

و اعلّموا أنّه قد مضى قبلنا من أسلافنا ملوك كان الملك منهم يتعهّد الحمايه بالتفتيش و الجماعه بالتفضيل و الفراغ بالاشغال، كتعهّده جسده بقصّ فضول الشعر و الظفر، و غسل الدرن و الغمر و مداواه ما ظهر من الأدواء و ما بطن، و قد كان من اولئك الملوّك من صحّحه ملكه أحبّ إليه من صحّحه جسده، فتتبع تلك الاملاّك بذلك كأنّهم ملك واحد، و كأنّ أرواحهم روح واحد، يمكن أولهم لاخرهم، و يصدّق آخرهم أولهم، يجتمع أبناء أسلافهم، و موارث آرائهم، و عشرات عقولهم عند الباقي بعدهم، و كأنّهم جلوس معه يحدّثونه و يشاورونه.

حتّى كان على رأس دارا بن دارا ما كان من غلبه الاسكندر الرومى على ما غلب عليه من ملكه، و كان إفساده أمرنا، و تفرّقه جماعتنا، و تخريبه عمران مملكتنا أبلغ له فى ما أراد من سفك دمائنا، فلمّا أذن الله عزّ و جلّ فى جمع مملكتنا، و إعادته أمرنا كان من بعثه إيانا ما كان، و بالاعتبار يتّقى العثار، و التجارب الماضيه دستور يرجع إليه من الحوادث الاتيه....

و عند حسن الظنّ بالأيام تحدث الغير، و تزول النعم، و قد كان من أسلافنا و قدماء ملوكنا من يذكره عزّه الذلّ، و أمنه الخوف، و سروره الكابه، و قدرته المعجزه، و ذلك هو الرجل الكامل قد جمع بهجه الملوّك، و فكره السوقه، و لا كمال إلّا فى جمعها...

و اعلّموا أنّ بدء ذهاب الدّوله ينشأ من قبل إهمال الرعيه بغير أشغال

ص: ٣٢٢

معروفه، و لا أعمال معلومه، فاذا تولّد الفراغ تولّد منه النظر فى الامور، و الفكر فى الفروع و الاصول، فاذا نظروا فى ذلك نظروا بطبائع مختلفه، فتختلف بهم المذاهب، فيتولّد من اختلاف مذاهبهم تعاديههم و تضاعفهم، و هم مع اختلافهم هذا متفقون و مجتمعون على بغض الملوك، فكلّ صنف منهم إنّما يجرى إلى فجيعة الملك بملكه، و لكنّهم لا يجدون سلّماً إلى ذلك أوّثق من الدين و الناموس، ثمّ يتولّد من تعاديههم أنّ الملك لا يستطيع جمعهم على هوى واحد، فان انفرد باختصاص بعضهم صار عدوّ بقيّتهم.

و من طبائع العامّة استئثار الولاه و ملائهم و النفاسه عليهم، و الحسد لهم، و فى الرعيّه، المحروم و المضروب و المقام عليه الحدود، و يتولّد من كثرتهم مع عداوتهم أن يجبن الملك من الاقدام عليهم، فانّ فى إقدام الملك على الرعيّه كلّها كافّه تعزيراً بملكه - إلى أن قال - فمن أفضى إليه الملك بعدى فلا يكونّ باصلاح جسده أشدّ اهتماماً منه بهذه الحال، و لا يكونّ بشيء من الأشياء أكره و أنكر لرأس صار ذنباً أو ذنب صار رأساً، و يد مشغول صار فارغه، أو غنى صار فقيراً، أو عامل مصروف، أو أمير معزول....

و اعلّموا أنّكم لن تقدروا على أن تختموا أفواه الناس من الطعن و الاضرار عليكم، و لا قدره لكم على أن تجعلوا القبيح من أفعالكم حسناً، فاجتهدوا فى أن تحسن أفعالكم كلّها، و ألاّ تجعلوا للعامّة إلى الطعن عليكم سيّلاً...

و اعلّموا أنّ لكلّ ملك بطلانه، و لكلّ رجل من بطانته بطلانه، ثمّ إنّ لكلّ امرئ من بطلانه البطلانه بطلانه، حتّى يجتمع من ذلك أهل المملكه، فاذا أقام الملك بطانته على حال الصواب فيهم أقام كلّ امرئ منهم بطانته على مثل ذلك حتّى يجتمع على الصلاح عامّه الرعيّه....

و اعلّموا أنّ ابن الملك و أخاه و ابن عمّه يقول: كدت أن أكون ملكاً، و بالحرى ألاّ أموت حتّى أكون ملكاً، فاذا قال ذلك قال ما لا يسرّ الملك، إن كتمه فالداء فى كلّ مكتوم، و إذا تمّنّى ذلك جعل الفساد سلّماً إلى الصلاح،

ص: ٣٢٣

و لم يكن الفساد سلماً إلى صلاح قط، و قد رسمت لكم فى ذلك مثالا:

اجعلوا الملك لا ينبغي إلا لأبناء الملوك من بنات عمومهم، و لا يصلح من أولاد بنات العم إلا كامل غير سخييف العقل، و لا عازب الرأى، و لا ناقص الجوارح و لا مطعون عليه فى الدين، فإنكم إذا فعلتم ذلك قلّ طلاب الملك، و إذا قلّ طلابه استراح كل امرئ إلى ما يليه، و نزع إلى حد يليه، و عرف حاله، و رضى معيسته، و استطاب زمانه.

المختار الثالث و الخمسون

اشاره

و من كتاب له عليه السلام الى طلحه و الزبير، مع عمران بن الحصين الخزاعى، ذكره أبو جعفر الاسكافى فى كتاب المقامات فى مناقب أمير المؤمنين عليه السلام أما بعد، فقد علمتما و إن كتمتما أنى لم أرد الناس حتى أرادوني، و لم أباعهم حتى بايعوني، و إنكما ممن أرادني و بايعني، و إن العامّة لم تبايعني لسلطان غالب، و لا لعرض حاضر، فإن كنتما بايعتما نى طائعين فارجعا و توبا إلى الله من قريب، و إن كنتما بايعتما نى كارهين فقد جعلتما لى عليكما السبيل بإظهاركما الطّاعة و إسراركما المعصية، و لعمرى ما كنتما بأحقّ المهاجرين بالثّقيه و الكتمان، و إنّ دفعكما هذا الأمر من قبل أن تدخلّا فيه كان أوسع عليكما من خروجكما منه بعد إقراركما به.

ص: ٣٢٤

و قد زعمتما أنّي قتلت عثمان، فبينى و بينكما من تخلف عني و عنكما من أهل المدينة، ثم يلزم كلّ امرئ بقدر ما احتمل، فارجعا أيها الشّيخان عن رأيكما، فإنّ الآن أعظم أمركما العار من قبل أن يجتمع العار و النّار، و السّلام.

الاعراب

إن كتمتما: لفظه إن وصلّيه، أنى لم أرد قائم مقام مفعولى علم، و أنكما ممّن أرادنى: عطف على أنى لم أرد، و كذلك قوله: و أنّ العامّة، طائعين حال من ضمير فى كتمتما، السّبيل مفعول أوّل لقوله جعلتما ولى ظرف مستقرّ و هو مفعوله الثانى و عليكما متعلّق بقوله السّبيل، باظهار مصدر مضاف إلى الفاعل، بالتّقيه متعلّق بقوله: بأحقّ.

المعنى

قال ابن ميثم: خزاعه قبيله من الأزد، و قيل: الاسكاف منسوب إلى اسكاف رستاق كبير بين النهروان و البصره، و كتاب المقامات الذى صنّفه الشّيخ المذكور فى مناقب أمير المؤمنين عليه السّلام.

قال الشارح المعتزلى: عمران بن الحصين بن عبد بن خلف، و سرد نسبه إلى كعب بن عمرو الخزاعى، يكنّى أبا بجيد بابنه بجيد بن عمران، أسلم هو و أبو هريره عام خير، و كان من فضلاء الصّحابه و فقهاءهم... و قال محمّد بن سيرين: أفضل من فى البصره من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله عمران بن الحصين...

و أمّا أبو جعفر الإسكافى - و هو شيخنا محمّد بن عبد الله الإسكافى - عدّه قاضى القضاة فى الطّبقة السّابعة من طبقات المعتزله - إلى أن قال: و قال: كان أبو جعفر فاضلا عالما، و صنّف سبعين كتابا فى علم الكلام و هو الذى نقض كتاب «العثمانيه» على أبى عثمان الجاحظ فى حياته - إلى أن قال: و كان أبو جعفر يقول بالتفضيل

ص: ٣٢٥

على قاعده معتزله بغداد، و يبالغ في ذلك، و كان علوى الرأى، محققا مصنفا قليل العصبيّه.

أقول: خزاعه من القبائل الساكنه حول مكّه المكرّمه المواليه لرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم حتّى قبل نشر الإسلام و قبل أن أسلموا، و قد نصرّوه و أيدّوه في مواقف هامّه و سيّدهم بديل بن ورقاء الخزاعي المشهور و هو أحد الممثّلين لأهل مكّه المشركين في قضيه حديبيّه.

فمن تلك المواقف ورودهم في عهد رسول الله صلّى الله عليه و آله في معاهده صلح الحديبيّه و قبولهم حمايته و اعتمادهم به تجاه قريش.

و منها ردّهم أبا سفيان و جنده من الهجوم ثانيا إلى المدينه بعد الرّحيل من احد و إصابه المسلمين بأكثر من سبعين قتيلًا و جرحى كثيره، فقد روى أنّه لما بلغ إلى الرّوحاء ندم من تركه الزحف بقيّه المسلمين في المدينه و عزم على الرجوع فلحقه غير خزاعه الرّاحله من المدينه فاستخبرهم عن المسلمين فأجابوه بأنّه قد رحلوا ورائكم بجيش كثير سوّد الأرض يسرعون في اللّقاء معكم و استيصالكم فخاف و لم يرجع.

و الظاهر أنّ هذا الكتاب صدر منه عليه السّلام في ضمن المراجعات و الاحتجاجات المتبادله بينه و بين طلحه و الزبير في جبهه الجمل، و كان أحد مجاهيده التي توّسل بها لإخماد هذه الثّوره الحادّه قبل اشتغال الحرب الهائله الهدّامه و نّبه فيه على أن نفوذ الامامه و هي الرّياسه العامّه يحتاج إلى بيعه الامّه عن الرّضا و طيب النّفس فإنّ الإمامه تحتاج إلى صلاحيّه روحيه و معنويّه في نفس الإمام تعتمد على العصمه عند الإماميه و لا- طريق إلى إثباتها إلّا النّص الصادر عن المعصوم نبيا كان أم إماما منصوبا فيعتمد على دلالة من الله إليها، و لكن نفوذها في الامّه بحيث يتصدّى الإمام لإجراء الامور يحتاج إلى بيعتهم عن طيب النّفس.

و هذا معنا التمكن الذي أشار إليه المحقق الطّوسى في تجريده بقوله

ص: ٣٢٦

«وجوده لطف و تصرفه لطف آخر و عدمه منيا» أى عدم تمكّنا و بيعتنا مع الامام فوّت عَنّا تصرف الامام فى الامور و إجرائها كما ينبغي.

و أشار عليه السّلام إلى ما يسقط اعتبار البيعه و هو أمران:

١ - (و إنّ العامّه لم تبايعنى لسلطان غالب) يعنى أنّ البيعه الصادره عن قهر الناس بارعابهم و تخويفهم لا تنعقد، لأنّ الإكراه مبطل للمعاهدات عقدا كانت أم إيقاعا و البيعه من أهمّ العقود بين الرعيّه و الامام فلا تنعقد مع الاكراه.

٢ - (و لا لعرض حاضر) قال الشارح المعتزلى «ص ١٢٣ ج ١٧ ط مصر»:

«أى مال موجود فرّقته بينهم» و هو المعتر عنه بابتياح الرأى، فالبيعه الحاصله بابتياح آراء من بايع إلى حيث يخلّ بالأكثرية اللازمه يسقط البيعه عن الاعتبار، فأثبت عليه السّلام صحّه بيعته بأنّها صادره عن عامّه الناس بالرضا و طيب النفس فيلزم عليهما التسليم و الطاعه و الانقياد.

ثمّ أقام عليهما الحجّه بأنّهما بايعا معه فيلزم عليهما الوفاء بها و الرجوع عن الخلاف و التوبه إلى الله فورا فإنّها واجبه على العاصى فورا، فان زعما أنّهما كارهان لبيعه و لم تصدر عن الرضا و طيب النفس فاعترض عليهما بوجوه:

١ - أنّ الكراهه غير مبطله للعقود، لأنّ مجرّد الكراهه الباطنيه لا تضرّ بصحّه العقد الصادر عن الرضا الانشائى بداعى المنافع المقصوده منه كالمريض يشتري الدواء و هو كاره له بداعى معالجه مرضه، و كالمضطرّ فى شراء الحوائج فأنّه كاره قلبا فالمبطل للعقد هو الاكراه الذى يسلب قدره المكره لا الكراهه الباطنيه.

٢ - أنّ ظاهر بيعتكمما الرضا و طيب النفس، فدعوى الكراهه مردوده لأنّها كالانكار بعد الإقرار، فقال عليه السّلام (فقد جعلتما لى عليكما السلطان بإظهار كما الطاعه).

٣ - أنّكما تعترفان بالنفاق، و إظهار النفاق موجب للعقوبه و إن كان المستتر منه يحال إلى الله تعالى فيعاقب عليه فى الآخره، و أشار إليه بقوله (و إسرار كما المعصيه).

ص: ٣٢٧

ثم تعرّض لجواب ما يمكن أن يحتجوا به في المقام و هو التقيّه فقال عليه السّلام ليس المقام مقام التقيّه لأنّها في معرض الخوف من إظهار العقيدته و أنتما من المهاجرين الذين لا يخافون في المقام مع أنّه عليه السّلام لم يتعرّض لمن تخلف عن بيعته بأدنى تعقيب و أذى كما أشار إليه بعد ذلك في قطع عذرهما و ما تمسّكا به من اتّهامه عليه السّلام بقتل عثمان، فقال.

(وقد زعمتما أنّي قتلت عثمان، فبيني و بينكما من تخلف عني و عنكما من أهل المدينة) أمثال: محمّد بن مسلمه و اسامه بن زيد، و عبد الله بن عمر، - فاتّخذهم شهودا على من شرك في قتل عثمان و دعا إليه.

قال في الشرح المعتزلي: و أهل المدينة يعلمون أنّ طلحه كان هو الجملة و التفصيل في أمره و حصره و قتله، و كان الزبير مساعدا له على ذلك و إن لم يكن مكاشفا مكاشفه طلحه - انتهى.

و قد أشار في قوله (من قبل أن يجتمع العار و النار) إلى قتل طلحه و الزبير في هذه الحرب، و نلفت نظر القراء إلى أنّ طلحه و الزبير من أكابر الصحابه المهاجرين الذين آمنوا في السنين الاولى من البعثة و في عصر غربه الاسلام بدعوه أبي بكر و هم عدّه، كما في سيره ابن هشام «ص ١٥٨ ج ١ ط مصر»: فلما أسلم أبو بكر «رض» أظهر إسلامه و دعا إليه - إلى أن قال - فأسلم بدعائه في ما بلغني عثمان بن عفّان «و سرد نسبه» و الزبير بن العوّام «و سرد نسبه» و عبد الرحمن ابن عوف «و سرد نسبه» و سعد بن أبي وقاص «و سرد نسبه» و طلحه بن عبيد - الله «و سرد نسبه» - انتهى.

و كان أثر نفس أبي بكر نفث النفاق في هؤلاء فخرج كلّهم من أعداء على أمير المؤمنين و من رءوس أهل النفاق و الخلاف مع أهل بيت رسول الله صلّى الله عليه و آله و الدليل عليه إقبالهم على الدنيا و جمع الأموال الطائلة و النزّه إلى الرياسه و الجاه كما يظهر من الأخبار الصحيحه.

ص: ٣٢٨

از یک نامه ای که به طلحه و زبیر نگاشته و با عمران بن حصین گسیل داشته أبو جعفر إسکافی آنرا در کتاب مقامات خود که در مناقب أمير المؤمنين نوشته است یادآور شده.

أما بعد، شما هر دو بخوبی می دانید - گر چه نهان می سازید - که من مردم را نخواستم تا مرا خواستند، و دست بیعت بدانها دراز نکردم تا آنها دست برای بیعت من دراز کردند، و شما هر دو از کسانی هستید که مرا خواستید و با من بیعت کردید، و راستش این است که عموم مردم بزور و قهر با من بیعت نکردند و برای طمع در عرض موجودی که به آنها پرداخت شده باشد بیعت نکردند، بلکه از روی رضا و رغبت دست بیعت بمن دادند.

اگر شما بدلتخواه با من بیعت کردید اکنون از خلاف خود بر گردید و فوراً بدرگاه خدا توبه کنید، و اگر از روی بی میلی و ناخواهی با من بیعت کردید این بیعت بگردن شما ثابت شده و خود دلیل محکومیت خود را به من سپردید که اظهار إطاعت کردید و نافرمانی را در دل نهفتید، بجان خودم قسم شما از سائر مهاجران سزاوارتر به تقیّه و کتمان عقیده نبودید، کناره گیری شما از این کار پیش از ورود در آن براستی برای شما رواتر بود از مخالفت با آن پس از اعتراف و إقرار بدان.

شما را گمان این است که من عثمان را کشتم، همه آنها که در مدینه از من و شما هر دو طرف کناره گیری کردند و از حادثه قتل عثمان بخوبی آگاهند میان من و شما حکم باشند تا هر کس باندازه ای که متحمل انجام این حادثه شده است مسئول باشد، ای دو تن پیر مرد کهنسال و رهبر اسلامی از رأی و نظر خود بر گردید و بسوی حق گرائید، زیرا اکنون بزرگترین نکوهشی که بر شما است همان ننگ کناره گیری از جبهه نبرد است، و پیشگیری کنید از این که این ننگ با شکنجه دوزخ توأم گردد.

إشاره

و من كتاب له عليه السلام الى معاويه

أما بعد، فإنَّ الله سبحانه قد جعل الدُّنيا لما بعدها، و ابتلى فيها أهلها، ليعلم أيُّهم أحسن عملاً، و لسنا للدُّنيا خلقنا، و لا بالسَّعي فيها أمرنا، و إنّما وضعنا فيها لنبتلى بها، و قد ابتلاني الله بك و ابتلاك بى، فجعل أحدنا حجّه على الآخر، فعدوت [فغدوت] على طلب الدُّنيا بتأويل القرآن و طلبتنى بما لم تجن يدى و لا لسانى، و عصبت أنت و أهل الشّام بى و ألّب عالمكم جاهلكم و قائمكم قاعدكم فاتّق الله فى نفسك، و نازع الشَّيطان قيادك و اصرف إلى الآخره وجهك، فهى طريقنا و طريقك، و احذر أن يصيبك الله منه بعاجل قارعه تمسّ الأصل و تقطع الدّار [الدّابر]، فإنّنى أولى لك بالله أليّه غير فاجره، لئن جمعتنى و إياك جوامع الأقدار لا أزال بباحتك [بناحتك] [حتّى يحكم الله بيننا و هو خير الحاكمين].

اللغة

(عصبه به): علّقه به، (التأليب): التحريض، (القياده): حبل تقاد به (القارعه): الدّاهيه، (تمسّ الأصل): تقطعه، (الدّابر): المتأخّر من النسل (الأليّه)، اليمين، (باحه الدار): وسطها، ساحتها.

ص: ٣٣٠

لما بعدها: لما موصوله أو موصوفه و الظرف مستقرّ مفعول ثانٍ لقوله جعل و بعدها: ظرف مستقرّ صله أو صفه، أيهم أحسن عملاً: جملة محكية عن القرآن قائمه مقام مفعولى يعلم، لم تجن: صيغه الجحد من الجناية، أنت: تأكيد للضمير المخاطب فى عصبته لتصحيح العطف عليه، أن يصيبك الله منه: قال الشارح المعتزلى: الضمير فى «منه» راجع إلى الله تعالى و «من» لابتداء الغايه، و قال الراوندى: «منه» أى من البهتان الذى أتته، أى من أجله و «من» للتعليل، و هذا بعيد و خلاف الظاهر، بعاجل قارعه: من إضافه إلى الصفه إلى الموصوف و كذا جوامع الأقدار و أثره التأكيد، لا أزال: نفى من زال، بباحتك: ظرف مستقرّ خبره، غدوت على الدنيا: قال المعتزلى: على ها هنا متعلق بمحذوف دلّ عليه الكلام تقديره:

مثابرا على طلب الدنيا أو مصراً.

المعنى

بعث الله الأنبياء بطبقاتهم لهدايه الناس و ردعهم عن الفساد و اتباع الشهوات و أهمّ وسائلهم التذكير و الإنذار و التبشير و لم يؤمر من الأنبياء بطبقاتهم و هم آلاف مؤلفه بالسيف و الجهاد إلا نذر يسير، و روى إلا أربعة امروا بالسيف لدفع هجوم الأعداء الألداء، منهم خاتمهم رسول الاسلام صلى الله عليه و آله و سلم، و قد نزلت عدّه آيات كريمه فى القرآن الشريف يصرّح بأنّه بشير و نذير و أنّه ليس بجبار و لا وكيل عليهم.

منها: قوله تعالى: «إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ» - سورة هود الايه ١٢.

منها: قوله تعالى: «وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ» ٤٥ - ق» منها: قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً وَ دَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِرَاجاً مُنِيراً» - ٤٥ و ٤٦ الاحزاب.

ص: ٣٣١

و قد قام أمير المؤمنين عليه السلام بعده بالتبشير و الإنذار للعصاة و البغاة، و من رؤوسهم معاوية الذى لم يؤثر فيه إنذار الرسول صلى الله عليه و آله طيله دعوته بمكة قبل الهجره، فدام على كفره و وثنيته حتى فتح رسول الله مكة المكرمة و وقع قريش مكة الألداء فى اسره، فامن هو و أبوه و أهله كرها و أسروا النفاق دهرًا، حتى توفى صلى الله عليه و آله فدبروا و كادوا حتى سادوا فى الاسلام و سلط معاوية على بلاد الشام فقام على إنذاره أداء لحق الوصايه و ذكره باى من القرآن منها قوله تعالى:

«لَيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» - ٧ هود.

و نبهه على أنّ الدنيا دار مجاز و دار امتحان و ابتلاء و الابتلاء على وجوه شتى باعتبار أحوال الناس، فجعل أحدنا حجة على الآخر.

فأولت القرآن فى طلب الدنيا، قال الشارح المعتزلى: «و تأويل القرآن ما كان معاوية يموه به على أهل الشام فيقول لهم: أنا وليّ دم عثمان، و قد قال الله تعالى: «وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا» ٣٣ الاسراء.

و قال ابن ميثم: تأويل القرآن كقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ» ١٧٨ - البقرة و غيرها من الايات الدالة على وجوب القصاص، فتأول بادخال نفسه فيها و طلب القصاص لعثمان و إنّما كان دخوله فى ذلك بالتأويل، لأنّ الخطاب خاصّ بمن قتل و قتل منه و معاوية بمعزل من ذلك إذ لم يكن من أولياء دم عثمان ففسر الايه بالعموم ليدخل فيها.

و برأ عليه السلام نفسه من الاشتراك فى قتل عثمان يدا و لسانا و قد اتهمه معاوية بذلك و جعله وسيلة لتحريض أهل الشام بالحرب معه عليه السلام و أمره بترك هذا البهتان و الدفاع تجاه الشيطان بنزع قياده من الهوى و الشهوات و التوجه إلى الآخرة و حذره من العقوبة فى الدنيا بحيث تصل إلى أصله و تقطع نسله كما وقع بعد ذلك من قطع نسل بنى امية و محوهم عن الجامعه البشريه.

ص: ٣٣٢

أما بعد، براستی که خداوند سبحان دنیا را مقدّمه ما بعدش مقرّر داشته، و أهل دنیا را در آن در بوته آزمایش گذاشته تا معلوم شود کدامیک خوش کردارترند ما برای دنیا آفریده نشدیم و بکوشش در آن فرمان نداریم، همانا ما در دنیا آمدیم تا امتحان شویم، خداوند مرا بتو و ترا بمن در معرض امتحان آورده و هر کدام را حجت بر دیگر ساخته، تو بر روی دنیا افتادی و تأویل قرآن را بر خلاف حق وسیله آن ساختی و مرا بجیزی مسئول کردی که دست و زبانم بدان آلوده نشده.

خودت و أهل شام آنرا دستاویز کرده اید و آنرا بمن چسبانده اید و دانشمندان نادانها را ترغیب بدان می کنند و آنها که بر سر کارند بیکاره ها را بدان تشویق می نمایند.

تو خود پرهیزکار باش و از خدا بترس و با شیطان در مهار کردنت ستیزه کن و خود را برهان و روی باختر که راه من و تو است بگردان، و در حذر باش که خداوندت بیک بلای کوبنده در این دنیا دچار کند که بریشه ات بزند و دنباله ات را ببرد و نسلت را قطع کند.

براستی من برای تو سوگندی یاد کنم که تخلف ندارد بر این که اگر خداوند مرا با تو در میدان نبرد فراهم آورد و پیشامد مقدرات مرا و تو را در پیکار با یکدیگر کشاند همیشه در خانه و کاشانه ات بمانم «تا خداوند میان ما حکم فرماید که او بهترین حکمها است».

المختار الخامس والخمسون

اشاره

و من کلام له علیه السلام وصی بها شریح بن هانی، لما جعله علی مقدّمته الی الشام.

إتّق الله فی کلّ صباح و مساء، و خف علی نفسک الدّنيا الغرور، و لا- تأمنها علی حال، و اعلم أنّک إن لم تردع نفسک عن کثیر ممّا

ص: ۳۳۳

تَحَبَّ مخافه مكروه سمت بك الأهواء إلى كثير من الضّرر، فكن لنفسك مانعا رادعا، و لنزوتك [لنزواتك] عند الحفيظه واقما قامعا.

اللغة

(الغرور): فعول من الغرور بمعنى الفاعل يستوى فيه المذكر و المؤنث (الردع): المنع، (سمت): كدعت من سما يسمو أى رفعت بك، (النزوه):

الوثبة الشهوانيّه و تستعمل لركوب الذكر على الانثى، (الحفيظه): الغضب، (الواقم): الذى يردّ الشىء شديدا من وقمته أى رددته أقبح الردّ و قهرته، (القمع): القلع و الدقّ المهلك من الرأس.

الاعراب

الدنيا الغرور: مفعول خف، يقال: خافه و خاف منه، سمت بك: جزاء الشرط فى قوله عليه السّلام «إن لم تردع»، بك: الباء للتعديه، لنفسك: جار و مجرور متعلّق بقوله عليه السّلام «مانعا رادعا» قدّم عليه، عند الحفيظه: ظرف متعلّق بقوله «لنزوتك».

المعنى

قال الشارح المعتزلى بعد سرد نسب شريح بن هانى إلى الحارث بن كعب المذحجى: كان هانى يكتنى فى الجاهليّه أبا الحكم، لأنّه كان يحكم بينهم، فكناه رسول الله صلّى الله عليه و آله بأبى شريح إذ وفد عليه، و ابنه شريح هذا من جلّه أصحاب علىّ عليه السلام، شهد معه المشاهد كلّها، و عاش حتّى قتل بسجستان فى زمن الحجاج.

و قال ابن ميثم: أنفذه مع زياد بن النضير على مقدّمته بالشام فى اثنى عشر ألفا.

أقول: مبالغته عليه السّلام فى وصيّيه شريح بالتقوى و الحذر من الدنيا الغرور فى كلّ حال و تحذيره من العواقب السوء لمتابعه هوى النفس من الميل للترفع مع

ص: ٣٣٤

أنّه من كبار أصحابه المخلصين إنّما كان لما يعلمه من مكائده معاويه و خداعه لجلب الرجال باعطاء المنصب و المرتبه و المال بتدليس و تليس يعجز عنه الأباليس، فأنّه خدع أمثال أبي الدرداء و أبي هريره و كثير من عبّاد و زهاد أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله و استلحق زيادا بعشيرته بدعوى أنّه أخوه و كوّن من منى أبيه و غمر إلى لحيته فى فضيحه، فخاف عليه السيّلام من كيد معاويه لمقدمته و استلحاقهم به قبل وصوله كما صنع مع مقدمه الجيش الذى بعثها ابنه الحسن المجتبى بعده لإكمال جهاد أبيه بقياده أمثال عبد الله به العيّاس من كبار أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله و أبيه و المتعلّمين فى مكتبه و العالمين بحقيقته.

الترجمه

از سخنانی که در سفارش بشریح بن هانی فرمود چون او را بفرماندهی مقدمه الجیش خود بشام فرستاد:

از خدا بپرهیز در هر بام و شام، و بر خود بترس از دنیای پرفریب و از آن آسوده مباش در هر حال، و بدانکه اگر نفس خود را از بسیاری دوست داشتنیهایت برای نگرانی از سخت حالی باز نداری هواهای نفسانیت ترا بزبانهای فراوانی بکشانند، جلوگیر و مهارکش نفس سرکش خود باش و هنگام خشم از جهشش بسختی بازدار و او را سرکوب و ریشه کن ساز.

المختار السادس و الخمسون

اشاره

و من كتاب له عليه السلام الى أهل الكوفه، عند مسيره من المدينه الى البصره.

أمّا بعد، فإنّی خرجت من حیّ هذا، إمّا ظالما و إمّا مظلوما و إمّا باغيا و إمّا مبغيا علیه، و إنّی أذكر الله من بلغه کتابی هذا لمّا نفر إلى، فإن كنت محسنا أعاننى، و إن كنت مسيئا استعثنى.

ص: ۳۳۵

(الحَيَّ): القبيله و منه مسجد الحَيَّ أعنى القبيله و حَيَّ من الجنّ: قبيله منها (البغى): الفساد و أصل البغى الحسد ثمّ سَمِيَ الظالم بغيا لأنّ الحاسد ظالم، (نفر إلى) و نفروا إلى الشئ: أسرعوا إليه - مجمع البحرين -.

الاعراب

حَيَّ هذا: هذا عطف بيان للحَيَّ و التعبير بلفظه هذا و هم قريش المهاجرون أو هم مع الأنصار بعنايه الوحده الاسلاميه الساكنون فى المدينه بادعاء حضورهم عند المخاطبين ذهنا حتى كأنهم يعاينونهم فإنّ حرج الموقف يلفت نظر أهل الكوفه و فكرتهم إلى المدينه الّتي كانت مركزا للاسلام و لأهل الحلّ و العقد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله.

إمّا: تفيد التريديد و الابهام و إذا كان مدخولها الجمع و ما فى معناه يشعر بالتقسيم كقوله تعالى «إنا هديناه السبيل إمّا شاكرا و إمّا كفورا»، اذّكر:

من باب التفعيل يتعدى إلى مفعولين و هما قوله «الله» و «من بلغه»، كتابى:

فاعل قوله «بلغه»، لمّا: بالتشديد بمعنى إلّا كقوله تعالى «وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ» ٢٢ - يس» و بالتخفيف مرّبه من لام التأكيد و ما الزائده.

المعنى

قال ابن ميثم: و قوله: إمّا ظالما- إلى قوله: عليه، من باب تجاهل العارف لأنّ القضية لم تكن بعد ظهرت لأهل الكوفه و غيرهم ليعرفوا هل هو مظلوم أو غيره.

و قال الشارح المعتزلى: ما أحسن هذا التقسيم و ما أبلغه فى عطف القلوب عليه و استماله النفوس إليه، قال: لا يخلو حالى فى خروجى من أحد أمرين - إلخ.

أقول: جعل الشارح المعتزلى قوله عليه السلام (إمّا ظالما و إمّا مظلوما) حالا عن الضمير المتكلم فى قوله (خرجت) و تبعه ابن ميثم على هذا التفسير و لا يخلو من الاعتراض.

إظهار التردد منه عليه السّلام في هذا الموقف الحرج و تأييد أهل التشكيك في إبهام حاله من كونه ظالماً أو مظلوماً لا يناسب مقامه و لا موقعه و لا يناسب الموقف هضم النفس بهذا التعبير الموهن كما ذكره المعتزلى.

و لا يصحّ ما ذكره ابن ميثم «و لأنّ القضية لم تكن بعد ظهرت لأهل - الكوفة و غيرهم ليعرفوا هل هو مظلوم أو غيره» لأنّ غيره هو عثمان المقتول باهتمام أهل الكوفة و حضور جيش منهم فكيف لا يصحّ حاله عندهم و لا يعرفون برائه على عليه السّلام عن الظلم و البغى حتّى يؤيّد شكّهم بهذا التعبير الموجب للفشل و المستند للمخالف في دعوه الناس إلى التخذيل و الكفّ عن النصرة.

و الأصحّ جعله حالاً- عن الحى المقصود منه قبيله قريش أو مسلمه مدينه من المهاجرين و الأنصار فإنّ قريشا حيّه العنصرى و مسلمه المدينه حيّه الاسلامى و التعبير بالمفرد باعتبار لفظ جمع أو كلّ كما ورد فى الايه «إِذَا شَاكِرًا وَإِذَا كَفُورًا».

و المقصود أنّى خرجت من بين قريش أو مسلمه المدينه حال كون بعضهم ظالماً و بعضهم مظلوماً، و يؤيّد قوله «مبغياً عليه» و إلّا فالأنسب أن يقول «مبغياً على»، و قوله عليه السّلام (فان كنت محسناً) بالنظر إلى أعماله بعد نفرهم إليه لا بالنسبه إلى ما قبله، و لفظ الماضى بعد «إن» تفيد معنى المضارع غالباً، و اندرج فى كلامه عليه السّلام (فانّى خرجت عن حىّ هذا) معنا ذهبياً يشعر بديمو قراطيّه ساميّة هى لبّ التعاليم الاسلاميّة.

و هى أنّه عليه السّلام بعد تصدّيه للزعامة على الامّة الاسلاميّة و بيعه المسلمين معه بالامامه تجرّد عن جميع المعانى العنصريّه و سلّم نفسه للشعب الاسلامى باسره و خرج عن حيّه و قبيلته فهو اليوم ابن الشعب الاسلامى عامّه بخلاف من تقدّمه من الزعماء الثلاثة، فإنّ أبا بكر و عمر كانا ابنا المهاجرين و الأنصار و لم يخرجوا عن التعصّب للعرب فهما ابنا العرب كما يظهر من ديوان العطايا الذى نظمه عمر و من جعله العرب طبقات بعضها فوق بعض و لم يراع لمن أسلم من سائر الناس حقّاً

ص: ٣٣٧

و جعلهم موالی و أسقط حقوقهم الاجتماعیة فی موارد شتی، و أمّا عثمان فقد ظهر ابن حیه بنی أمیه و فوّض إلیهم امور المسلمین و بیت مالهم حتّی نقموا علیه و ثاروا علی حکومته و قتلوه.

و قد أکد علیه السّلام هذه الفلسفه السامیه العمیقہ بقوله «ظالما أو مظلوما...» إی تجرّد عن حیّه علی أیّ حال کان حیّه فانّ هذا التجرّد طبیعه زعامته العامّه علی الایّمه و لا ربط له بوضع حیّه من کونه ظالما أو مظلوما، فانّ کلا العنوانین ربما صارا من دواعی الخروج عن الحی، و کلامه هذا أبلغ تعبیر فی استعطاف أهل الکوفه للقیام بنصرته فکأنّه قال: أنا من الشعب و منکم فهلّموا إلیّ.

الترجمه

از نامه ایست که حضرتش در هنگام رفتن از مدینه ببصره بأهل کوفه نگاشته است:

أمّا بعد، براستی که من از این قبیله بیرون شدم که یا ستمکار بودند و یا ستمکش، یا متجاوز بودند و یا تجاوز کش، و خدا را یاد آور همه خواننده های این نامه می کنم که بمحض اطلاع از مضمون آن بسوی من کوچ کنند، تا اگر نیک رفتارم مرا یاری دهند، و اگر بد رفتارم از من گله کنند و بمن اعتراض نمایند.

المختار السابع والخمسون

اشاره

کتبه الی أهل الامصار، یقص فیہ ما جرى بینہ و بین أهل صفین.

و کان بدء أمرنا أنّا التّقینا [و] القوم من أهل الشّام، و الظّاهر أنّ ربّنا واحد، و نبینا واحد، و دعوتنا فی الإسلام واحده، و لا نستزیدهم فی الإیمان باللّٰه و التّصدیق برسوله و لا یستزیدوننا [و] الأمر واحد إلّا ما اختلفنا فیہ من دم عثمان، و نحن منه براء

ص: ۳۳۸

فقلنا: تعالوا نداو ما لا- يدرك اليوم بإطفاء النَّائِثِ و تسكين العاقه، حتّى يشتدّ الأمر و يستجمع، فنقوى على وضع الحقّ فى مواضعه، فقالوا: بل نداويه بالمكابره، فأبوا حتّى جنحت الحرب و ركدت، و وقدت نيرانها و حمست [حمشت]، فلما ضرّستنا و إياهم، و وضعت مخالبا فينا و فيهم، أجابوا عند ذلك إلى الذى دعوناهم إليه، فأجبناهم إلى ما دعوا، و سارعناهم إلى ما طلبوا حتّى استبان عليهم الحجّه، و انقطعت منهم المعذره، فمن تمّ على ذلك منهم فهو الذى أنقذه الله من الهلكه، و من لَجّ و تمادى فهو الرّاكس الذى ران الله [رين] على قلبه، و صارت دائره السوء على رأسه.

اللغة

(بدء) الأمر: أوّله و بدىء بمعنى مبتدأ، (النائثه): فاعله من النار، أى العداوه، (جنحت): أقبلت، (ركدت): ثبتت، (حمست): اشتدّت، حمشت:

التهبت غضبا، (ضرّست): عضّتنا بأضراسها، يقال: ضرّ سهم الدهر أى اشتدّ عليهم، (المخالب) جمع مخلب و هو من الطير بمنزله الظفر للانسان، (أنقذه):

خلّصه، (التمادى) فى الشىء: الاقامه عليه و طلب الغايه منه، (الركس): ردّ الشىء مقلوبا، (ران) غلب و غطّى.

الاعراب

أنا: بالفتح مع اسمه و خبره تأوّل بالمصدر و خبر لقوله «بدء أمرنا»

ص: ٣٣٩

القوم: بالرفع، قال ابن ميثم: عطف على الضمير فى التقينا، وقال الشارح المعتزلى:

«التقينا و القوم» كما قال: قلت إذ أقبلت و زهر تهادى، و من لم يروها بالواو فقد استراح من التكلف.

أقول: الظاهر أنّ التكلف فى العطف على الضمير المرفوع المتّصل من دون إعاده المنفصل و مع حذف الواو ينصب القوم مفعولا، منه براء: تقول العرب: أنا براء و نحن براء، الذكر و الانثى و المفرد و الجمع فيه واحد، و تأويله ذو براء - مجمع البيان - و هو خبر نحن، نداو: مجزوم فى جواب الأمر، اليوم: ظرف متعلّق بقوله «نداو» كقوله باطفاء النائرة.

المعنى

قد تصدّى عليه السّلام فى كتابه هذا إلى بلاغ رسمى لعموم المسلمين فى الأمصار و البلاد الشاسعه يبيّن فيه ما آل إليه زحفه بالجيوش المسلمين إلى الشام لدفع بغى معاويه و صدّه عن الهجوم بالبلاد و تعرّضه للعيث و الفساد، و أشار بقوله (و الظاهر أنّ ربّنا واحد) إلى موادّ الموافقه بين الفريقين المسلمين و الطائفتين اللتين اقتتلا.

و حصّير مادّه الخلاف فى أمر واحد و هو دم عثمان حيث إنّ مقاتله أهل الشام يتشبّثون بمطالبته من أهل الكوفه و خصوصا من على عليه السّلام، و قد برأ عليه السّلام كلّ المقاتله الكوفيين من دم عثمان مع أنّ فيهم من ينسب إليه بجمع الجموع عليه كالأشتر النخعى - رحمه الله - أو المباشرة بالهجوم عليه فى داره كعمّار بن ياسر فحكمه عليه السّلام بهذه البراءه العامّه لوجهين:

١ - أنّه قتل حقّا لا ظلما، لقيامه فى زعامته على خلاف مصالح الامّه الاسلاميه و انحرافه عن سنن الشريعه، و نقضه للقوانين الثابته فى الكتاب و السنّه، و إحداثه البدعه و الفتنة، و ليس على قاتله ديه و لا قود، فكّلهم براء من قتله، و لا يجوز مطالبتهم به، و قد ورد مطاعن عثمان فى السير المتقنه بما لا مزيد عليها.

٢ - أنّ المباشرة لقتل عثمان غير داخل فى جيشه و غير معلوم عندهم، و القصاص

ص: ٣٤٠

و الديه إنما يتعلّقان بالمباشر و هو مفقود، فهم براء منه.

و قد بين عليه السّلام اقتراحه لأهل الشام و هو ترك العداوه و الشّحناء و الخصومه و اللّجاج فى الوقت الحاضر ليتحقّق الوحده الاسلاميه و يسكن فوره نفوس العوام و ثورتهم الّتى أثارها معاويه بدهائه و خداعه، فاشتدّ الحكومه الاسلاميه فى ظلّ الوحده و الوئام و تتجمّع القوى فى جميع الثغور و من كلّ الأنام لتداوى ما لا يدرك، و ما هو ما لا يدرك؟ قد فسّره الشارح المعتزلى بالتمكّن من قتله عثمان و القصاص منهم، فقال «ص ١٤٢ ج ١٧ ط مصر»:

قلنا لهم: تعالوا فلنطفئ هذه النّائره الان بوضع الحرب إلى أن تتمهّد قاعدتى فى الخلافه و تزول هذه الشوائب الّتى تكدر على الأمر، و يكون للناس جماعه ترجع إليها، و بعد ذلك أتمكّن من قتله عثمان بأعيانهم فأقتصّ منهم.

أقول: و فيه نظر من وجهين:

١ - أنّه عليه السّلام لا- يدعو إلى معالجه قضيه قتل عثمان بتعقيب قتلته، لأنّه غرّر بنفسه حتّى قتل فى غوغاء من المسلمين لا يدري من قتله.

٢ - لا معنى للاقتصاص من جمع فى قتل واحد فأنّه لا يقتل قصاصا للواحد إلّا واحدا إذا ثبت أنّه قاتل وحده و لو اشترك جمع فى قتل واحد لا يقتصّ منهم جميعا.

و قال ابن ميثم: و الباء فى قوله (بإطفاء النّائره) متعلّق بقوله (نداوى ما لا يدرك) أى ما لا يمكن تلافيه بعد وقوع الحرب و لا يستدرك من القتل و هلاك المسلمين.

أقول: و له وجه، و الأوجه أنّ المقصود من «ما لا يدرك» الاتّفاق العامّ و التامّ بين المسلمين فى نشر الاسلام و بثّ دعايته، فأنّه لو لا خلاف معاويه معه لم يلبث الاسلام أعواما قلائل حتّى يستولى على كلّ البلدان و يهتدى فى ظلّ تعليماته العاليه جميع بنى الانسان، فإنّ أكثر الخلق الذين بلغ إليهم تعليمات الاسلام

ص: ٣٤١

و نشرت فى بيئتهم إنما أسلموا طوعا لما أدركوا من أنه يهدى للتي أقوم هى لتريه الاسلام العليا و طريقته الوسطى.

فلولا- تسلط بنى اميه على الحكومه الاسلاميه و تكديرهم قوانينه التيره العادله الكافله لصلاح بنى الانسان مادّه و معنا لساد الاسلام فى كافه البلدان و شملت هدايته جميع أبناء الانسان فينال البشر بالتقدم و الازدهار من القرون الاولى الاسلاميه.

و لكن أجاب أهل الشام باغواء معاويه بما لخصه عليه السلام فى قوله (فقالوا:

بل نداويه بالمكابره) أى طلب الكبر و السلطنه، فيعلم كل أحد أنّ هدف معاويه من القيام بطلب دم عثمان ليس إلا طلب الرياسه و التسلط على الأنام فأثار الحرب الشعواء حتى دارت عليه الدائره فتشبت بمكيده عمرو بن العاص إلى دهاء اخرى و اعترف باقتراح على عليه السلام.

فأجاب إلى ما دعاه إليه من الرجوع إلى حكم القرآن، و قال عليه السلام (و سارعناهم إلى ما طلبوا)، قال المعتزلى فى شرحه «ص ١٤٣ ج ١٧ ط مصر»:

كلمه فصيحته، و هى تعديه الفعل اللازم، كأنها لما كانت فى معنى المسابقه و المسابقه متعديه عدّى المسارعه.

أقول: و هذا ما عبّر عنه ابن هشام فى المغنى بالتضمن و جاء له بشواهد كثيره منها قول الشاعر:

هّن الحرائر لا ربّات أخمره سود المحاجر لا يقرآن بالسور

و قد علّل عليه السلام إجابته إلى ذلك بايجاد محيط سالم يمكن فيه التفاهم و بيان الحجّه على الحقّ فإنّ المحيط الموبوء الحربى مثار التعصّب و الغضب المانعين عن استماع دليل الخصم و التفاهم معه فلا يتمّ الحجّه عليه خصوصا مع ما نشره معاويه فيهم من الأكاذيب و الاتّهامات الفارغه فحتّى فى كلامه عليه السلام للتعليل و ما بعدها فى معنى المضارع و المقصود أنّ هدف الهدنه إتمام الحجّه على من خدعهم معاويه و عمرو بن العاص من أهل الشام، و استنتج منه أنّ من انقاد لحكم القرآن

ص: ٣٤٢

بعد ذلك أنقذه الله من الهلكه والعقاب و من لجّ و تمادى فى غيّه فهو الراكس العدى ران الله على قلبه و لم تنفع الحجّه الواضحه له.

قال الشارح المعتزلى: قال قوم: الراكس هنا بمعنى المركوس، فهو مقلوب فاعل بمعنى مفعول، كقوله تعالى «فَهُوَ فِي عِيشِهِ رَاضِي» «٧ - القارعه» أى مرضيه، و عندى أنّ اللفظه على بابها، يعنى أنّ من لجّ فقد ركس نفسه فهو الراكس و هو المركوس - إلى أن قال: و ران على قلبه أى ران هو على قلبه كما قلنا فى الراكس، و لا- يجوز أن يكون الفاعل و هو الله محذوفاً، لأنّ الفاعل لا يحذف - انتهى.

و ممّا ذكرنا ظهر ضعف ما قاله ابن ميثم فى قوله (فمن تمّ على ذلك) أى على الرضا بالصلح و تحكيم كتاب الله و هم أكثر أهل الشام و أكثر أصحابه عليه السّلام و الذين لجّوا فى التمادى فهم الخوارج الذين لجّوا فى الحرب و اعتزلوه - إلخ.

و فى كلامه وجوه من النظر:

١ - كيف حكم أمير المؤمنين عليه السّلام على أهل الشام بأنّه أنقذهم الله من الهلكه و ظاهر الهلكه العذاب الاخرى لا النجاه من الحرب و النيل بالحياه الدنيويّه.

٢ - أنّ صدور هذا البلاغ كان بعد الهدنه و قبل تحكيم أمر الخوارج و ظهور خلافهم عليه كما هو الظاهر.

٣ - أنّ صريح قوله عليه السّلام «حتّى استبانت عليهم الحجّه - إلخ» راجع إلى أهل الشام و لا ربط له بالخوارج الذين كانوا معه و جاهدوا حقّ الجهاد قبل ارتدادهم عنه.

٤ - أنّ قوله (و من لجّ و تمادى) يدلّ على أنّ المقصود من كلامه المخالفين معه قبل الهدنه و حين الحرب و لا ينطبق على الخوارج، و الحاصل أنّ غرضه عليه السّلام بيان هدف قبول الهدنه و الرجوع إلى حكم الله تعالى لإتمام الحجّه على أهل الشام ببيان الأدلّه على حقّيته و بطلان مكائده معاويه و خواصّه كما هو وظيفه

ص: ٣٤٣

القائم بالارشاد و الهدايه ليهلك من هلك عن بينه و يحيى من حى عن بينه، فكلامه عليه السلام فى حكم قضيه كليه و لا نظر له إلى تحقق المصاديق الخارجيه كما زعمه ابن ميثم عليه الرحمه.

الترجمه

از نامه ايست كه بأهالى شهرها نوشت و آنچه در صفين ميان او و مخالفانش انجام يافت گزارش فرمود:

آغاز كار ما اين بود كه با مردم شام برخورد كرديم، و ظاهر حال اين بود كه پروردگار و معبود ما يكي است و پيغمبر ما يكي است، و در دعوت بمسلماني هم آهنگيم، و ما از آنها در ايمان بخدا و تصديق بفرستاده او فزوني نخواستيم، و آنها هم در اين باره از ما فزوني نخواستند، و وضع ما در همه جهت يكي بود و فقط مورد اختلاف خونخواهي براى عثمان بود، در صورتى كه ما از خون عثمان پاك بوديم و بدان آلوده نبوديم.

ما پيشنهاد كرديم: بياييد تا در باره آنچه بدست نداريم امروز چاره جوئى كنيم بوسيله خاموش كردن آتش شورش و جوشش دشمنى ميان خود و شماها و بكمك آرام كردن افكار پريشان توده مردم مسلمان تا آنكه كار اسلام محكم گردد و جماعت اسلام بى مخالفت پا برجا شود و ما نيرو گيريم تا هر حقى را بجاي خودش برقرار داريم.

آنها در پاسخ گفتند: ما با زور آزمائى وضع موجود را معالجه مى كنيم، و سر از پيشنهاد ما بر گردانيدند و پافشارى كردند تا جنگ سر در آورد و پر در آورد و پاى بر جا شد و آتش سوزانش شعله ور و تيز گرديد.

و چون دنداننش بر كالبد ما و آنها فرو شد و چنگال در تن ما و آنها انداخت بناچار بهمان پيشنهادى كه ما با آنها داشتيم پاسخ مثبت دادند و بحكم قرآن رضا شدند، و ما هم با شتاب آنچه را خواستند پذيرفتيم براى آنكه حجت حق بر آنها آشكار شود و عذر جهالت و شبهه آنها قطع گردد، تا هر كس بر اين مطلب

ص: ۳۴۴

پائید و بدرستی آنرا پذیرفت همان کس باشد که خداوندش از هلاکت و نابودی و عذاب نجات داده، و هر کس لجبازی کرد و بناحق إصرار ورزید و آنرا کش داد همان باشد که خود را نگونسار کرده هم آنکه خدایش بر دل مهر زده و پرده کشیده و بد آمد و شکست معنوی بر سر او چرخیده و گرفتارش کرده است.

المختار الثامن والخمسون

اشاره

و من کتاب له علیه السّلام الى الاسود بن قطيبه صاحب جند حلوان أمّا بعد، فإنّ الوالى إذا اختلف هواه منعه ذلك كثيرا من العدل فليكن أمر الناس عندك فى الحقّ سواء، فإنّه ليس فى الجور عوض من العدل، فأجتنب ما تنكر أمثاله، و ابتذل نفسك فيما افترض الله عليك، راجيا ثوابه، و متخوّفا عقابه. و اعلم أنّ الدّنيا دار بليّته لم يفرغ صاحبها فيها قط ساعه إلا كانت فرغته عليه حصره يوم القيامة، و أنّه لن يغنيك عن الحقّ شيء أبدا، و من الحقّ عليك حفظ نفسك، و الاحتساب على الرّعيّه بجهدك، فإنّ الذى يصل إليك من ذلك أفضل من الذى يصل بك، و السّلام.

اللغة

(اختلف) من موضع إلى موضع: تردّد، و منه الحديث «من اختلف إلى المساجد أصاب إحدى الثمان» و مثله «كنت أختلف إلى ابن أبي ليلى فى مواريث لنا»، (سواء) قال فى المغنى: تكون بمعنى مستو، (الجور): الميل عن الحقّ و هو خلاف العدل، (قطّ): من أسماء الأفعال بمعنى انته و كثيرا ما تصدّر بالفاء مجمع البحرين -.

ص: ٣٤٥

كثيراً: مفعول مطلق لقوله «منعه» بحذف الموصوف أى منعاً كثيراً أو مفعول له لمنعه، و من العدل متعلق به، سواء: خبر فليكن، عندك: ظرف متعلق بسواء، فى الحق: جار و مجرور متعلق بقوله «سواء»، فى الجور: ظرف مستقرّ خبر ليس قدّم على اسمه و هو عوض و «من العدل» جار و مجرور متعلق بقوله «عوض»، فيها: متعلق بقوله «لم يفرغ»، ساعه: مفعول فيه، فرغه: مصدر للمرّه، حفظ نفسك: مبتدأ مؤخر لقوله «و من الحق» و هو ظرف مستقرّ، و عليك متعلق بقوله «الحق»، الباء فى بكّ لالصاق.

المعنى

قال الشارح المعتزلى «ص ١٤٥ ج ١٧ ط مصر»: لم أقف إلى الآن على نسب الأسود بن قطبه، و قرأت فى كثير من النسخ أنّه حارثى من الحارث بن كعب، و لم أتحقّق ذلك، و الّذى يغلب على ظنى أنّه الأسود بن زيد بن قطبه بن غنم الانصارى من بنى عبيد بن عدى، ذكره أبو عمر بن عبد البرّ فى كتاب الاستيعاب، و قال: ان موسى بن عقبه عدّه ممّن شهد بدرًا.

أقول: حلوان بلد ربما يعدّ من البلدان العظيمه المحصّنه لحكومته فارس فى الدوله الساسانيّه بعد مدائن التى كانت عاصمه تلك الدوله الكبرى فى عصرها واقع جنوب مدائن ممّا يقرب من أربعة مراحل، و قد تحصّن فيه يزدجرد الثالث بعد هزيمته من مدائن و سقوطها فى أيدي المسلمين و عسكر هناك لسدّ هجوم جيش الاسلام و وقع بين الفريقين حروب هائله انتهت بسقوط حلوان فى أيدي المسلمين و بخراب هذه البلده العظيمه.

و الظاهر أنّه صار معسكراً لجنود الاسلام إلى أيام زعامه أمير المؤمنين عليه السلام و كان سياسه الزعماء الماضين التى بناها عمر الإهانه و الخشونه مع غير المسلمين العرب و إن كانوا مسلمين و احتقارهم و النظر إليهم كعبيد و إماء، و كان من مهمّه حكومته عليه السلام تغيير هذه السياسه العمريّه و الإرفاق بعموم الناس تشويقاً لهم إلى قبول

الاسلام و إجراء للعدالة بين الأنام.

و قد أقدم على هذه السنّة النبويّة من طرق شتى:

منها: تقريب الموالى و المسلمه من غير العرب و تسويتهم فى العطايا مع العرب حتّى المهاجرين منهم و الأنصار.

و منها: إظهار اعتماده عليهم و تفويض المناصب إليهم بقدر لياقتهم، ففوّض حجابته و هى من أهمّ المناصب حينئذ إلى قنبر و هو المخلص له عليه السّلام و المعتمد عنده.

و روى صاحب منهج المقال بسنده عن جعفر بن محمّد عن أبيه أنّ عليّا عليه السّلام قال:

لَمَّا رَأَيْتَ الأَمْرَ أَمْرًا مَنكَرًا أَوْقَدْتَ نَارِي وَ دَعَوْتَ قَنْبِرًا

و كفى بذلك شرفا لقنبر و دليلا على كمال عنايته عليه السّلام به و اعتماده عليه.

و قد وصّى عليه السّلام صاحب جند حلوان الحاكم فى أرض الامة الفارسيّة بأنّه إذا تردّد على الوالى الأهواء يمنعه من رعايه العدل كثيرا، و أغلب الأهواء المتردّده على ذوى القدره من العرب هو التعصّب العربى و الترفّع العنصرى الّذى نشأوا عليه فى الجاهليّة فأحمد لهيبه الاسلام فى عهد النّبىّ صلّى الله عليه و آله ثمّ أحياء حكومه عرب و أسره بنى اميّة أهل النفوذ فى حكومته فى جميع البلاد الاسلاميّة و خصوصا فى الشام و العراق الّتى تليها، فأمره برعايه التساوى فى الحقوق بالنسبه إلى جميع الناس و نبّه على أنّ الجور على أىّ قبيل لا يقوى به الاسلام و لا يصير عوضا عن العدل كما زعمه العمريّون بل الجور على غير العرب يوجب نفورهم عن الاسلام.

و أمره باجتناب ما تنكره و هو عرب بالنسبه إلى جميع الناس، و فى قوله عليه السّلام (و ابتذل نفسك) إشارة ظاهره على ترك الترفّع العنصرى أى اجعل نفسك كأحد من الناس لأداء ما فرضه الله عليك.

و نبّه على أنّ الدنيا دار امتحان و ابتلاء و اغتنام فرصه ساعه فيها للراحه و السرور يوجب الحسره و الأسف يوم القيامة، و نبّهه على أنّ وظيفه الوالى أن

ص: ٣٤٧

يحفظ نفسه أى يمنعها عن هواها وجاهها عن الأمر عليه حتّى ينساها و يخلص همّه و جهده لخدمه الرعيّه مسلمين كانوا أو ذمّيين و معاهدين معلّلا- بأنّ ما يصل من رعايه الرعيّه من حسن الذكر و رفاه معيشه العامّه فى الدنيا و من المثوبه فى الاخره أفضل من الذى يصل به من الجهد و المثقّه من ذلك.

قال الشارح المعتزلى فى شرح هذه الجملة (فانّ الذى يصل إليك): من ثواب الاحتساب على الرعيّه و حفظ نفسك عن مظالمهم و الحيف عليهم (أفضل من الذى يصل بك) من حراسه دمائهم و أعراضهم و أموالهم، و لا شبهه فى ذلك.

و قال ابن ميثم فى شرح الجملة «ص ١٩١ ج ٥ ط مؤسّسه النصر»: و أراد أنّ الذى يصل إلى نفسك من الكمالات و الثواب اللانزم عنها فى الاخره بسبب لزومك للأمرين المذكورين أفضل ممّا يصل بعدلك و إحسانك إلى الخلق من النفع و دفع الضرر.

أقول: و هو يقرب ممّا ذكره الشارح المعتزلى و لا يخفى ضعف كلا التفسيرين على أهل النظر.

الترجمه

از نامه ای که باسود بن قطبه سرلشکر حلوان نگاشته:

أما بعد، براستی که اگر هوسهای فرمانگذار پیاپی باشد او را بسیار از اجرای عدالت جلوگیر گردد، باید از پیروی هوس در گذری و بهمه مردم در اجرای حق بیک چشم نگری، زیرا که در خلاف حق هیچ عوضی از عدالت وجود ندارد، بر کنار باش از آنچه که مانند آن را نسبت بخود زشت و ناهنجار شماری و خود را در انجام آنچه خدا بر تو فرض کرده و وظیفه تو دانسته خوار دار، بامید پاداش نیک او و از بیم شکنجه اش.

و بدانکه دنیا خانه آزمایش و بلا است، هرگز دنیادار ساعتی در آن بیکار و بر کنار از انجام وظیفه نیارامد جز آنکه در روز رستاخیز بر آن افسوس خورد و راستش این است که هیچ چیزی ترا از رعایت حق و درستی بی نیاز نسازد، و از! جمله حقوقی که بر عهده تو است این است که خوددار باشی و نفس خود را مهار زنی و با همه کوشش خود بکارهای رعایا پردازی، زیرا آنچه از این راه بتو عاید می شود بهتر است از آن رنج و تعب که در اجرای حق و رعایت رعیت بتو می رسد.

المختار التاسع والخمسون

اشاره

و من كتاب له عليه السلام الى العمال الذين يطأ الجيش عملهم [عملهم الجيوش] من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من مرّ به الجيش من جباه الخراج و عمّال البلاد:

أما بعد، فإنّی قد سیّرت جنودا هی ماّره بکم إن شاء الله، و قد أوصیتهم بما يجب لله علیهم من کفّ الأذى و صرف الشّذی، و أنا أبرء إليکم و إلى ذمّتکم من معرّه الجيش إلّا من جوعه المضطرّ لا یجد عنها مذهبا إلى شبعه، فنکّلوا من [بمن] تناول منهم

[شيئا] ظلما عن ظلمهم، و كفوا أيدي سفهائكم عن مضارّتهم و التّعريض لهم فيما استثنياه منهم و أنا بين أظهر الجيش فارفعوا إليّ مظالمكم و ما عراكم ممّا يغلبكم من أمرهم، و لا تطيقون دفعه إلّا باللّٰه و بى [فأنا] أغيّره بمعونه الله إن شاء [الله].

اللغة

(الجباه): جمع جابى: الذين يجمعون الخراج، جبيت الماء فى الحوض،

ص: ٣٤٨

أى جمعته، (الشذى): الضرب و الشرّ، لقد أشذيت و آذيت، (المعرّه): المضّرّه عرّه معرّه أى ساءه، (جوعه): مرّه من جاع، (نكلوا) أى عاقبوا، خوّفوا جَبَنُوا، نكل ينكل بالضمّ: جبن، (عراه) الأمر: غشيه.

الاعراب

من جباه الخراج: لفظه من بيانيته، هى مارّه بكم: جمله اسميّه، صفه للجنود أو حال عنه، عنها: ظرف مستقرّ مفعول ثان لقوله «لا يجد» و مذهبا مفعوله الأوّل آخر عنه و «إلى شعبه» متعلّق بقوله «مذهبا»، ظلما: عطف بيان قوله شيئا.

المعنى

هذا بلاغ رسمى صدر منه عليه السّلام يهدف إلى حفظ الأمن و النظام فى البلاد الواقعه على مسير الجنود الواجفه إلى جبهه الحرب، و الظاهر منه أنّه عليه السّلام يسير مع الجنود و له زحفان معها للجنود:

١ - من المدينه إلى الكوفه إلى البصره فى حرب الجمل.

٢ - من الكوفه إلى الشام فى حرب صفّين.

فمن المقصود بقوله عليه السّلام (من مرّ به الجيش)؟ و هل يمكن أن يكون المخاطب به كلّ أحد من جباه الخراج و العمّال الشامل لأهل الذّمّه ففوّض أمر محاكمه من ظلم من الجيش إلى كلّ فرد و فوّض إليه مجازاته و عقوبته فكيف يستقيم ذلك؟ و هل ينتج إلّا- الهرج و المرج و الشغب؟! فلا- بدّ و أن يكون المخاطب عموم أهل كلّ بلد على نحو الواجب الكفائى و يحتاج إجراء هذا الأمر إلى لجنة مركّبه من أعضاء يتدبّون لإجراء مثل هذه الامور عن قبل كلّ أهل البلد البالغين الواجدين لشرائط الانتخاب و الانتداب و هى المعبّر عنه بلجان الايالات و الولايات المنظوره فى تشكيلات الدول الراقيه لبسط الديموقراطيه الساميه.

فكتابه عليه السّلام هذا ينظر إلى تشريع هذا النظم الهامّ الديموقراطى، و قد صرّح عليه السلام بتفويض الاختيارات فى محاكمه الجندى المتعدّى و مجازاته و هى شعبه

ص: ٣٥٠

هامه من دائره العدليه في التشكيلات المدنيه الراقيه، و لا بد من اقتدار هذه اللجان على إجراء اصول المحاكمات و تنفيذ المجازات بوجدان الرجال الاخصائيين في هذه المسائل الهامه، و يشعر بجواز تصدى أهل الكتاب الذميين لذلك إذا كان عمال بلد منهم خاصه أو مساهمين مع المسلمين لأن خطابه عليه السلام يشملهم لقوله:

(و أنا أبرأ إليكم و إلى ذمتكم).

قال الشارح المعتزلي «ص ١٤٧ ج ١٧»: و إلى ذمتكم، أي اليهود و النصارى الذين بينكم، قال عليه السلام «من آذى ذمياً فكأنما آذاني» و قال: إنما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا، و أموالهم كأموالنا، و يسمى هؤلاء ذمه، أي أهل ذمه بحذف المضاف.

و قد استثنى من معزة الجيش و ضرره بالناس مادّه واحده عن العقوبة و هي مورد الاضطرار لسدّ الجوعه و حفظ النفس عن التلف فيجوز له أخذ ما يأكله إلى حدّ الشبع و لكنّ الظاهر ضمانه لقيمه ما يأخذه اضطراراً لأنّ الاضطرار يسقط الحرمة و العقوبة لا الضمان كما هو مقرّر في الفقه.

قال ابن ميثم «ص ١٩٩ ج ٥»: و تقدير الكلام: فإنّي أبرأ إليكم من معزة الجيش إلّا من معزة جوعه المضطرّ منهم، فأقام المضاف إليه مقام المضاف أو أطلقه مجازاً لإطلاقاً لاسم السبب على المسبّب.

أقول: و هل يجوز معزّتهم للاضطرار في غير مورد الجوعه كما إذا اضطرّوا إلى قطع الأشجار للبنائيات الضروريّ للجيش أو الاسكان في البيوت للاضطرار إلى توقّي الحرّ و البرد و غير ذلك؟ يشعر إضافه الجوعه إلى المضطرّ بالعموم و يؤيّد قاعده الاضطرار المأخوذه من حديث الرفع المشهور «رفع عن امتي تسعه» و عدّ منها ما اضطرّوا إليه.

الترجمه

از نامه ای که به کارگران و کارمندان شهرهای سر راه قشون نگاشته است:

از طرف بنده خدا علی امیر مؤمنین بهر کس لشکر بدو گذرد از کارمندان

ص: ٣٥١

جمع مالیات و خراج و از کارگران و کارکنان همه شهرستانها.

أما بعد، براستی که من لشکرهاى گسیل داشتم که بخواست خدا بر شما گذر خواهند کرد، من سفارش آنچه را خدا بر آنها واجب کرده است نموده ام که خود را از آزار و رنج دادن مردم نگه دارند، من پیش شما مسلمانان و در برابر هر که در پناه دارم از دیگران بیزار و بری هستم از زیانکاریهای لشکریانم مگر گرسنه ای از راه ناچاری برای رفع گرسنگی از مال کسی بهره گیرد و راه دیگری برای رفع نیاز خود نداشته باشد، شما هر که را که چیزی بستم از آنان بر گرفت خود او را بسزا برسانید و از ستمش بازدارید.

و دست کم خردان شهرستان خود را از زیان رساندن بلشکر و در آویختن با آنان جز در موردی که استثناء کردم کوتاه سازید، و من خود بهمراه لشکرم و هر ستم و ناگواری از آنها بشما رخ داد و بر شما چیره شدند و چاره آنرا جز بکمک خداوندی نتوانید بخود من مراجعه کنید و من بکمک خداوند و خواست خدا آنرا چاره کنم و نگون گردانم.

المختار الستون

اشاره

و من کتاب له علیه السلام الی کمیل بن زیاد النخعی، و هو عامله علی هیت: ینکر علیه ترکه دفع من یجتاز به من جیش العدو طالبا الغاره أما بعد، فإنّ تضییع المرء ما ولی، و تکلفه ما کفی، لعجز حاضر، و رأى متبر، و إنّ تعاطیک الغاره علی أهل قرقیسا، و تعطیلک مسالحک التی ولیناک لیس بها [لها] من یمنعها و لا یردّ الجیش عنها، لرأى شعاع، فقد سرت جسرا لمن أراد الغاره من أعدائک

ص: ۳۵۲

على أوليائك غير شديد المنكب، ولا مهيب الجانب، ولا سادّ ثغره، ولا كاسر لعدوّ شوكة، ولا مغن عن أهل مصره، ولا مجز عن أميره، والسلام.

اللغة

(المبتبر): الهالك و الفاسد، قال تعالى: «إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرُّ مَا هُمْ فِيهِ» ١٣٩ - الأعراف»، (التعاطى): تفاعل من العطاء يفيد معنى التناول، (قرقيسا):

من القرى التى على الفرات ملحقه بالشام فى ذلك الزمان، (المسالح) جمع مسلحه:

الموضع الذى يقام فيه طائفه من الجند لحمايتها، (شعاع): المتفرّق المبعثر، (الثغره): الثلمه، (مجز): كاف و مغن و أصله مجزئ فحفظت الهمزه فصار مجزى و اعلّ إعلال الناقص فصار مجز.

المعنى

قال الوحيد البهبهاني فى حاشيته على الرجال الكبير: كميل هذا هو المنسوب إليه الدعاء المشهور، قتله الحجاج و كان أمير المؤمنين عليه السلام قد أخبره بأنّه سيقتله و هو من أعظم خواصّه، قال شيخنا البهائي فى أربعينه و غيره: و العجب من الوجيزه أنّه قال فيه: م ا و ح فتأمل، قال جدّى رحمه الله: و فى النهج ما يدلّ على أنّه كان من ولاته على بعض نواحى العراق.

أقول: و مقصوده - رحمه الله - هذا الكتاب الذى كتبه إليه و هو عامل له على هيت.

و قال الشارح المعتزلى فى «ص ١٤٩ ج ١٧ ط مصر»: هو كميل بن زياد ابن سهيل، و سرد نسبه إلى مالك بن أدد، ثم قال: كان من أصحاب على عليه السلام و شيعته و خاصّيته، قتله الحجاج على المذهب فيمن قتل من الشيعة، و كان كميل ابن زياد عامل على عليه السلام على هيت، و كان ضعيفا يمرّ عليه سرايا معاويه تنهب أطراف

ص: ٣٥٣

العراق و لا یردّها، و یحاول أن یجبر ما عنده من الضعف بأن یغیر علی أطراف أعمال معاویه مثل قرقسیا و ما یجری مجراها من القرى الّتی علی الفرات.

أقول: الظاهر أنّ هذا الكتاب التوبیخی الحادّ صدر من دیوان علیّ علیه السّلام إلى کمیل بن زیاد - علیه الرحمة - بعد إغاره أعوان معاویه علی الأنبار و قتل حسان ابن حسان البکری فأصاب لهیب قلبه الشریف کمیلا، و الهدف أمران:

١ - التوصیه علی عمّاله علیه السّلام خصوصا من کان منهم عاملا فی الثغور المتأخمه لعدوّ حیال کمعاویه علی شدّه الانضباط و یقظّه تجاه تنقّلات العدوّ و مهاجمتهم علی أعمال ولايتهم و من دونها من الولايات الّتی كانت یحميها علیّ علیه السّلام.

٢ - إشعاره علیه السّلام بأنّ مجاوبه الإغاره بالإغاره فی البلاد الاسلامیّه لا یناسب شأن الحکومه العادله الاسلامیّه لأنّ فی کلّ بلد جمع من الأطفال و النساء و الضعفاء و من لا ید له علی تغیر المظالم و لا یرضی بها و الإغاره تشمل الحیف علی بعض هذه الجماعات الّتی لا- یصحّ التعرّض لهم، و لیس من دأبه علیه السّلام الانتقام من الظلم بالظلم بل ردّ الظالم من ظلمه و إلزامه بالعدل مع أنّ أهل قرقسیا كأهل أنبار رعاياه مسلمهم و ذمیهم و إن تسلّط علیهم معاویه ظلما و عدوانا.

الترجمه

از نامه ای که بکمیل بن زیاد نخعی عامل خود در هیت نوشته و مسامحه او را در جلوگیری از عبور لشکر دشمن بر قلمرو حکمرانی او برای غارت بر قلمرو حکومت علی علیه السّلام و پرداختن بغارت در قلمرو دشمن را بر او زشت شمرده است:

أما بعد، براستی که سستی مرد در نگهداری آنچه بر او حکمفرما شده است و تکلف آنچه از او خواسته نشده و مسئول آن نیست یک ناتوانی روبرو است و یک نظریه باطل و گسیخته، و راستی که دست اندازی تو برای چپاول بر مردم شهرستان قرقسیا و بی سرپرست گذاردن پاسگاه خود که ما بتو واگذار کردیم در حالی که نیروی دفاع نداشته و کسی نبوده تا لشکر دشمن را از آن براند و جلوگیری کند محققا رأی بی بنیاد است.

ص: ۳۵۴

راستی که تو پلی شدی برای هر دشمنی که می خواهد بر دوستانت چپاول کند و مال آنها را ببرد، نه بازوی نیرومندی برای دفع دشمن داری و نه از تو حسابی برده می شود و نه هییتی در قلمروت داری و نه رازی را نگه میداری و نه شوکت دشمن را می شکنی، و نه از مردم شهر خود دفاع می کنی و نه از فرمانده و پیشوای خود کفایت می نمائی، و السلام.

المختار الواحد و الستون

اشاره

و من كتاب له عليه السلام الى أهل مصر مع مالك الاشتر لما ولاه امارتها أمّا بعد، فَإِنَّ اللَّهَ - سبحانه - بعث محمّداً - صَلَّى اللَّهُ عليه وآله - نذيراً للعالمين و مهيمناً على المرسلين، فلَمَّا مضى - صَلَّى اللَّهُ عليه وآله - تنازع المسلمون الأمر من بعده، فواللّٰه ما كان يلقى في روعى، و لا- يخطر ببالي أَنَّ العرب تزعج هذا الأمر من بعده - صَلَّى اللَّهُ عليه وآله - عن أهل بيته، و لا أَنّهم منّحوه عَنِّي من بعده!! فما راعنى إِلَّا- انثيال النَّاس على فلان يبايعونه، فأمسكت يدي حَتَّى رأيت راجعه النَّاس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمّد - صَلَّى اللَّهُ عليه وآله - فخشيت إن لم أنصر الإسلام و أهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به على أعظم من فوت ولايتكم الّتي إنّما هي متاع أيام قلائل يزول منها ما كان كما

ص: ٣٥٥

يزول السراب، أو كما يتقشع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل، وزهق، واطمأن الدين و تنهه.

و منه: إني و الله لو لقيتهم واحدا و هم طلاع الأرض كلّها ما باليت و لا استوحشت، و إني من ضلالهم الذي هم فيه و الهدى الذي أنا عليه لعلّ بصيره من نفسي و يقين من ربّي، و إني إلى لقاء الله لمشتاق، و حسن ثوابه لمنتظر راج، و لكنني آسى أن يلي أمر هذه الأمّة سفهاؤها و فجّارها فيتخذوا مال الله دولا و عباده خولا و الصّالحين حربا، و الفاسقين حزبا، فإنّ منهم الذي قد شرب فيكم الحرام و جلد حدّا في الإسلام، و إنّ منهم من لم يسلم حتى رضخت له على الاسلام الرّضائخ، فلو لا ذلك ما أكثر تآليبكم و تأنيبكم و جمعكم و تحريضكم، و لتركتمكم إذ أبيتم و ونيتم.

ألا ترون إلى أطرافكم قد انتقصت، و إلى أمصاركم قد افتتحت و إلى ممالككم تزوى، و إلى بلادكم تغزى؟! انفروا - رحمكم الله - إلى قتال عدوّكم، و لا تشاقلوا إلى الأرض فتقروا بالخسف، و تبوءوا بالذلّ، و يكون نصيبكم الأخسّ، و إنّ أخا الحرب الأرق، و من نام لم ينم عنه، و السّلام.

ص: ٣٥٦

(مهيمننا): أصل مهيمن مؤيمن فقلبت الهمزة هاء كما قيل فى أرقت الماء:

هرقت، وقد صرّف فقيل: هيمن الرجل إذا ارتقب و حفظ و شهد - مجمع البيان.

(الزّوع): القلب، (البال): الخاطر، (ترعج): تردّ، (منحوه): مبعّوده (الانثيال): الانصباب، (محق): قيل: المحق ذهاب الشىء كلّ حتّى لا يرى له أثر، (ثلمه) كبرمه: الخلل الواقع فى الحائط و غيره، (هدمت) البناء من باب ضرب: أسقطته، (زاح): ذهب، (زهق): زال و اضمحلّ، (تنهنه): سكن، و أصله الكفّ تقول: نهنت السبع فتنهنه: أى كفّ عن حركته و إقدامه.

(طلاع الأرض): ملؤها، (آسى): أحزن، (الدّوله) فى المال بالضمّ:

أن يكون مرّه لهذا و مرّه لذاك، (الخول): العبيد، (الرضيخه): شىء قليل يعطاه الانسان يصانع به عن شىء يطلب منه كالأجر، (التأليب): التحريض و الاغراء (التأنيب): أشدّ اللوم، (ونيتم): ضعفتم و فترتم، (تزوى): تقبض، (تثاقلوا):

بالتشديد، أصله تثاقلوا، (تقرّوا بالخسف): تعترفوا بالضميم و تصبروا له، (تبوءوا) بالذلّ: ترجعوا به، (الأرق): الذى لا ينام.

الاعراب

نذيرا: حال عن محمّد صلّى الله عليه و آله، أنّ العرب: جواب القسم، منحوه: اسم فاعل من نحى مضاف إلى مفعوله، إلّا انثيال: مستثنى مفرّغ و فى موضع الفاعل لقوله راعنى، رأيت: من رؤيه البصر متعدّ إلى مفعول واحد، راجعه: مصدر مضاف إلى الناس أى رده الناس، قد رجعت: جملة حالّيه عن قوله عليه السّلام «الناس»، تكون المصيبة به: جملة وصفيّة لقوله ثلما، واحدا، حال عن فاعل لقيتهم.

و قوله «و هم طلاع» جملة اسميّة حال عن مفعوله، و إنّى من ضلالهم:

استيناف و تعليل لما سبق و يحتمل كونها حالّيه و كذلك قوله «و إنّى إلى لقاء الله»، لمشتاق: مبتدأ مؤخّر لقوله إلى لقاء الله و هو ظرف مستقرّ و الجملة خبر قوله إنّى، و حسن: عطف على لقاء أى لحسن ثوابه و هو خبر مقدّم لقوله لمنتظر،

راج: صفه لمنتظر مرفوع تقديرا.

آسى: متكلم عن مضارع أسى، أن يلى: ناصبه مصدرية مع صلتها و هى مضارع ولى إى آسف على ولايه السفهاء و الفجار، رحمكم الله: جملة دعائيه معترضه بين انفروا و متعلقه، فتقروا: منصوب بأن مضمره و كذا ما عطف عليه من قوله عليه السلام و تبوءوا و يكون.

المعنى

قال الشارح المعتزلى «ص ١٥٢ ج ١٧ ط مصر»: و الروع: الخلد، و فى الحديث «إنّ روح القدس نفث فى روعى» قال: ما يخطر لى ببال أنّ العرب تعدل بالأمر بعد وفاه محمّد صلى الله عليه و آله عن نبي هاشم، ثم من بنى هاشم عنى: لأنّه كان المتيقن بحكم الحال الحاضر، و هذا الكلام يدلّ على بطلان دعوى الاماميه النصّ و خصوصا الجلىّ منه.

أقول: قد فسّر أهل البيت فى كلامه عليه السلام بنى هاشم و هو غير صحيح لأنّ أهل بيت النبى و عترته هم فاطمه و علىّ و الحسن و الحسين عليهم السلام، يدلّ على ذلك آيه التطهير.

قال فى مجمع البيان بعد تفسير كلمه البيت: و اتفقت الامّه بأجمعها على أنّ المراد بأهل البيت فى الايه أهل بيت نبينا ثمّ اختلفوا فقال عكرمه أراد أزواج النبى لأنّ أوّل الايه متوجّه إليهنّ، و قال أبو سعيد الخدرى و أنس بن مالك و واثله بن الاسقع و عايشه و امّ سلمه أنّ الايه مختصّه برسول الله و علىّ و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السلام.

ذكر أبو حمزه الثمالى فى تفسيره: حدّثنى شهر بن حوشب عن امّ سلمه قالت: جاءت فاطمه إلى النبى صلى الله عليه و آله حريره لها، فقال: ادعى زوجك و ابنيك، فجاءت بهم فطعموا، ثمّ ألقى عليهم كساء له خبيريا فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتى و عترتى فأذهب عنهم الرّجس و طهرهم تطهيرا، فقلت: يا رسول الله و أنا منهم؟ قال: أنت على خير - انتهى.

ص: ٣٥٨

وقد روى في هذا المعنى أخباراً أخر عنها وعن عائشه وعن جابر وعن الحسن بن علي عليه السلام وقال: و الروايات في هذا كثيره من طريق العامه والخاصه لو قصدنا إلى إيرادها لطال الكتاب - إلخ.

فالمقصود من الجملتين واحد وهو عدم احتمال تنحية العرب إياه عليه السلام عن الخلافه بعد وفاه النبي صلى الله عليه وآله والمقصود أن استحقاقه لها وتوصيه النبي بكونه بعده صاحب الأمر واضحه جليّه عندهم من إصرار النبي على ذلك وتكراره في كل موقف يقتضيه وإعلامه على رؤوس الأشهاد في غدير خم وتنصيبه عليه في قوله صلى الله عليه وآله «يا علي أنت مني بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» المتفق على صدوره عنه صلى الله عليه وآله غير مرّه فدلاله كلامه عليه السلام على وجود دلائل واضحه ومبينه للعرب بخلافته كالنار على المنار.

والعجب من الشارح المعتزلي حيث اتهم كلامه بالدلاله على عدم وجود النص ولا أدري أنها أي دلاله من أقسام الدلالات مطابقه أم تضمن أم التزام؟! وإنما أظهر عليه السلام العجب من توافق أكثر العرب من ترك إطاعه الكتاب والسنة وعدم تمكينهم له.

فإن تصدى الامامه والتصرف في امور الامه يحتاج إلى أمرين: صدور النص بها وتمكين الامه لها، فاذا لم يتمكنوا للامام بمقدار يتحقق جماعه الاسلام بحيث تقوى على إنفاذ الامور والدفاع عن المخالف يقع الامام في المحذور لأنه إن نهض تجاههم بقوة بشريه يقتلونه وإن نهض بقوة إلهيه تقهرهم فيسقط مصلحه التكليف القائم على الاختيار وقد قال الله لنبيه صلى الله عليه وآله: «وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ» ٢٥ - ق.

قال الشارح المعتزلي في هذه الصفحه: قوله (فأمسكت بيدي) أي امتنعت عن بيعته (حتى رأيت راجعه الناس) يعني أهل الرده كمسيلمه وسجاح وطلحه ابن خويلد ومانعي الزكاه وإن كان مانعوا الزكاه قد اختلف في أنهم أهل ردّه أم لا، ثم عقب كلامه بما رواه عن ابن جرير الطبري من اجتماع أسد و غطفان و طيء

ص: ٣٥٩

على طليحه بن خويلد - إلى أن قال: «فخرج على عليه السلام بنفسه و كان على نقب من أنقاب المدينة».

أقول: الظاهر أنَّ المراد من إمساكه يده إمساكه عن بيعه موافقيه معه و قيامه بالامامه فانتظر أمر بيعه أبي بكر هل يفوز بالأكثرية الساحقه بحيث يسقط تكليفه بالجهاد و الدفاع لقله أعوانه أم لا؟ فكان الأمر رجوع الناس و ارتدادهم عن وصيه رسول الله و استخلافه فإنَّ المقصود من كلمه «الناس» في قوله «رأيت راجعه الناس» المعرّف باللام هو المقصود منه في قوله «الناس» في جملة (فما راعني إلا انشبال الناس على فلان).

و قد فسّره الشارح بأبي بكر و قال: أي انصبابهم من كلّ وجه كما ينثال التراب على أبي بكر، و هكذا لفظ الكتاب الذي كتبه للأشتر و إنّما الناس يكتبونه الان «إلى فلان» تذكّما من ذكر الاسم.

أقول: مرحبا باعترافه بتذكّم الناس من اسم أبي بكر.

فمقصوده عليه السلام من الناس الذين رجعوا عن الاسلام يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه و آله هم الذين بايعوا مع أبي بكر، و لما أيس عليه السلام من المبارزه معهم بقوّه الامر و الحكومه و تصدّى زعامه الامّه عدل إلى مبارزه مسلميه و بايع أبا بكر و نصر الاسلام بارائه التّيره و هداهم إلى المصالح الاسلاميه كاظما غيظه و صابرا على سلبهم حقّه، فكم من مشكله حلّها و قضيه صعبه لجئوا فيها إليه حتّى قال عمر في عشرات من المواقف: «لو لا على لهلك عمر» و هذا هو المعنى بقوله عليه السلام:

(فخشيت إن لم أنصر الاسلام و اهله أن أرى فيه ثلما أو هدما تكون المصيبه به على أعظم).

و هذه الصعوبات التي حلّها علما و رأيا هي الأحداث التي نهضت لها حتّى زاح الباطل و زهق، و المقصود منه توطئه خبيثه دبّرها بنو اميه لمحق الاسلام و الرجوع إلى آداب الجاهليّه الاولى (و اطمأنّ الدين و تنهه) عن الزوال ببقاء ظواهر الاسلام و دفع الشبهات و عرفان جمع من العرب و الناس الحقّ و رجوعهم

ص: ٣٦٠

إليه واستقرار طريقه الشيعة الإمامية وتحزبهم علما وتديبرا حتى تسلسل أئمة الحق كآبر فأوضحوا الحقائق وهدوا إلى صراط عليّ جمّاً غفيرا من الخلائق حتى قويت شوكتهم وظهرت دولتهم في القرون الاسلاميّة الاولى ودامت واتسعت طيله القرون الاخرى تنتظرون أيام كلمتهم العليا وظهور الحجّة على أهل الأرض والسماء ليظهر الله دينه على الدين كله ولو كره المشركون.

و يؤيد ما ذكرنا قوله عليه السلام (إني والله لو لقيتهم واحدا وهم طلاع الأرض كلّها ما باليت ولا استوحشت) فأنه يرجع إلى جميع الأدوار التي مضت عليه ولا يجد ناصرا كافيا لأخذ حقّه وسحق عدوّه وكان يأسى على ولايه السفهاء والفجّار أمر هذه الامة - إلى أن قال: (وإنّ منهم من لم يسلم حتى رضخت له على الاسلام الرضائخ).

وقد اعترف الشارح المعتزلي بأنّ المقصود منهم المؤلّفه قلوبهم الذين رغبوا في الاسلام والطاعة بجمال و شاء دفعت إليهم وهم قوم معروفون كعوايه وأخيه يزيد وأبيهما أبي سفيان وحكيم بن حزام وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام بن المغيرة و حويطب بن عبد العزّي، والأخنس بن شريق و صفوان بن اميّة وعمير بن وهب الجمحي، وعيينه بن حصن، والأقرع بن حابس، وعبّاس ابن مرداس وغيرهم وكان إسلام هؤلاء للطمع والأغراض الدنيويّة - انتهى.

و ليس مقصوده عليه السلام من العرب الذين كانت تزعج هذا الأمر من بعده صلّى الله عليه وآله ومنحوه عنه بعده إلا هؤلاء و أتباعهم وهم الذين انثالوا على أبي بكر يبايعونه وهم الذين رجعوا عن الاسلام يدعون إلى محق دين محمد صلّى الله عليه وآله، وهذا ظاهر لمن تدبّر صدر كتابه وذيله وفهم سياقه ومغراه.

و أمّا تاريخ الردّه وأهلها بمآلها من الغوغاء في أيام أبي بكر فيحتاج تحليله وتوضيح حقائقه إلى أبحاث طويلة لا يسع المقام خوضها وتحقيق الحق فيها.

و لا يخفى أنّ تعبيره عليه السلام عمّن يشكو عنهم بالعرب والناس مع أنّ المقام يناسب التعبير عنهم بالمسلمين يشعر بما ذكرناه وكأنّه براعه استهلال بما ذكره بعد

ذلك من ارتدادهم و رجوعهم عن الاسلام.

ثم نسأل عن المقصود من قوله: (ألا- ترون إلى أطرافكم قد انتقصت - إلخ) هل المقصود منه إلا- تجاوز معاويه و أتباعه على بلدان المسلمين و فتحها و الغزو معها للاستيلاء عليها فهم على جانب و المسلمون على جانب؟!

الترجمه

از نامه ای که با مالک اشتر بمردم مصر نگاشت هنگامی که او را بولایت مصر گماشت:

أما بعد، پس براستی که خداوند سبحان محمد صلی الله علیه و آله را فرستاد تا بیم دهندۀ جهانیان باشد و گواه و أمين بر همه فرستادگان خداوند منان، چون از این جهان در گذشت - و بر او درود باد - مسلمانان بر سر کار خلافت او نزاع کردند و بخدا سوگند که در نهاد من نمی گنجید و در خاطر من نمی گذشت که عرب کار جانشینی و رهبری پس از او را از خاندانش بگردانند و نه این که مرا از پس وفات وی از آن دور سازند و بکنار اندازند.

و مرا در هراس اندر نساخت مگر پیرامون گیری مردم بر فلاینی «ابی بکر» در بیعت با وی، من دست روی هم نهادم و بنظره ایستادم تا برگشت مردم را از دین بچشم خود دیدم که از اسلام برگشته اند و برای نابود ساختن دین محمد صلی الله علیه و آله دعوت می کنند.

پس ترسیدم اگر اسلام و مسلمانان را یاری ندهم رخنۀ سخت و تباهی کلی در اسلام بینم که مصیبت آن بر من بزرگتر باشد از فوت سروری و حکمرمائی بر شما مسلمانها که خود بهره چند روز اندک است، و هر چه هم باشد چون سراب زائل گردد و چون ابر و سحاب از هم بپاشد، پس برای دفع و رفع این پیشامدها بپا خواستم و کوشیدم تا باطل از میان رفت و نابود شد و دیانت اسلام گسترده و پابرجا گردید.

و قسمتی از آن نامه چنین است:

ص: ۳۶۲

راستش اینست که بخدا سوگند من یکنه اگر با همه آنها که روی زمین را یکجا پر کنند روبرو گردم باکی ندارم و هراسی بخود راه ندهم، من گمراهی آنان را که در آن افتاده اند و راست کرداری و رهیابی خودم را بچشم دل بینایم و در یقین پیرو دگارم پای برجا، و راستی که من بملاقات پروردگارم بسیار شیفته ام، و براستی که بیاداش نیک او منتظر و امیدوارم، ولی پیوسته اندوه می خورم از این که سرکاری و پیشوائی این امت اسلامی را کم خردان و هرزه های آنان در دست گیرند، و نتیجه اینست که:

مال خدا را که در بیت المال سپرده شود از آن خود دانند و بدست هم بدهند و بندگان خدا را بردگان خود شمارند و نیکان امت را به پیکار خونین گیرند و تبه کاران را یاران و همدستان خود سازند و از آنان بسود خود حزب درست کنند.

زیرا از همین سفیهانست کسی که در میان شما مسلمانها نوشابه حرام نوشیده و در محیط اسلام کیفر آنرا چشیده و حدّ شرعی بر او جاری گردیده.

و از هم آنها کسانی اند که اسلام را نپذیرفتند مگر این که برای اظهار مسلمانی رشوه ها و عوضها برایشان مقرر گردید، اگر این چنین نبود من تا اینجا شما را تشویق بمقاومت و نهضت نمی کردم و بسستی در کار سرزنش نمی دادم و بجمع آوری و توحید نیرو ترغیب نمی نمودم، و چون سرباز می زدید و سستی می کردید شما را وامی گذاشتم، آیا نمی بینید مرزهای شما رو بکاست است و شهرهای شما را دشمن گشوده است و کشورهای شما درهم فشرده و کوچک می شود و شهرستانهای شما را بباد غارت می گیرند، کوچ کنید - خدایتان رحمت کند - برای پیکار با دشمن خود و تنبلی را از خود دور کنید و زمینگیر نشوید تا بکاستی و تباهی اندر شوید و بخواری تن در دهید و بهره شما از زندگی پست تر از همه باشد.

و راستی که دلاور جنگجو بی خواب است، و هر کس بخوابد و غفلت ورزد دشمن از او بخواب نیست و در کمین شیخون باو است، و السلام.

ص: ۳۶۳

و من كتاب له عليه السلام الى أبى موسى الاشعري، و هو عامله على الكوفه و قد بلغه عنه تشييطه الناس على الخروج اليه لما ندبهم لحرب أصحاب الجمل من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس:

أما بعد، فقد بلغني عنك قول هو لك و عليك، فإذا قدم رسولي عليك فارفع ذيلك، و اشدد مئزرك، و اخرج من جحر ك و اندب من معك، فإن حققت فانفذ، و إن تفشلت فابعد و ايم الله لتؤتين من حيث أنت، و لا تترك حتى يخلط زبدك بخاثر ك، و ذائبك بجامد ك، و حتى تعجل في قعدتك، و تحذر من أمامك كحذر ك من خلفك، و ما هي بالهويناء التي ترجو، و لكنها الداهيه الكبرى يركب جملها، و يذلّ صعبها، و يسهل جبلها، فاعقل عقلك، و املك أمرك، و خذ نصيبك و حظك، فإن كرهت فتنح إلى غير رحب و لا- في نجاه، فبالحرى لتكفين و أنت نائم حتى لا- يقال: أين فلان؟ و الله إنه لحق مع محقّ، و ما أبالي ما صنع الملحدون، و السلام.

ص: ٣٦٤

(فثبطهم): حبسهم بالجبن يقال: ثبطه عن الأمر أى أثقله وأقعدته، (الجر) بالضم: ثقب الحية ونحوها من الحشار، (الزبد) بالضم: ما يستخرج بالمخض من اللبن، (خثر) اللبن خثوره من باب قتل بمعنى ثخن واشتدّ ورجل خاثر النفس أى ثقیل كسلان.

الاعراب

و هو عامله على الكوفه: جمله حالیه و يحتمل الاستيناف و كذا ما بعده و يحتمل فيه العطف أيضا، هو لك: جمله اسمیه صفه لقوله قول، و عليك: ظرف مستقرّ معطوف على لك و يمكن أن يكون عطفا على هو بتقديره بعده أى و هو عليك فتكون حالیه و المعنى أنّه قولك حالكونه يكون على ضررك، أيم الله:

قسم و هو مبتدأ لخبر محذوف و هو قسمي و ما بعده جواب القسم.

المعنى

قال الشارح المعتزلى «ص ٢٤٦ ج ١٧ ط مصر»: المراد بقوله (هو لك و عليك) أنّ أبا موسى كان يقول لأهل الكوفه: إنّ علينا إمام هدى، و بيعته صحيحه إلّا أنّه لا يجوز القتال معه لأهل القبلة، هذا القول بعضه حقّ و بعضه باطل.

أقول: الظاهر من كلامه أنّ البعض الحقّ منه تصديقه بامامته و صحّ بيعته و البعض الباطل عدم تجويزه القتال معه لما قال عنه ابن ميثم «و يقول:

إنّها فتنه فلا- يجوز القيام فيها و يروى عن النبىّ صلى الله عليه و آله أخبارا يتضمنّ وجوب القعود عن الفتنه و الاعتزال فيها» - إلى أن قال: و هو عليه من وجوه:

١ - كان معلوما من همّه أنّه لم يقصد بذلك إلّا قعود الناس عنه، و فهم منه ذلك، و هو خذلان للدين فى الحقيقة و هو عائد عليه بمضرّه العقوبه منه عليه السلام و من الله تعالى فى الآخره.

أقول: و يؤيد ذلك ما قيل فى حال أبى موسى من أنّه من المعتقدين بعبد

اللّه بن عمر و من الذين يميلون إلى انتخابه بالخلافه لظاهره تقواه الجامد العارى عن تحقيق الحقّ كأكثر المترهّدين و قد اعتزل عن عليّ عليه السّلام و لم يبايعه و تبعه جمع من كبار الصحابه كاسامه بن زيد و عمرو بن عاص و سعد بن أبى وقاص، و كان اعتزالهم عنه عليه السّلام فتّ فى عضد ولايته و نصر لعدوّه و هو معاويه و قد لحقوا به بعد ذلك، و أظهر أبو موسى جوهره فى قضيه الحكمين فيما بعد، و قال ابن ميثم:

٢ - أنّه لمّا كان على الحقّ فى حربه كان تثبيط أبى موسى عنه جهلا- بحاله و ما يجب من نصرته و القول بالجهل عائد على القائل بالمضرّه.

٣ - أنّه فى ذلك القول مناقض لغرضه لأنّه نهى عن الدخول مع الناس و مشاركتهم فى زمن الفتنة و روى خبرا يقتضى أنّه يجب القعود عنهم حينئذ مع أنّه كان أميرا يتهافت على الولايه و ذلك متناقض، فكان عليه لا له.

أقول: و الأوضح أن يقال أنّ تصدّيه للولايه فى هذه الحاله دخول فى الفتنة لأنّها سياسه للناس فلو اعتقد بما نقل لزم عليه الاستعفاء و العزله عن العمل فورا مضافا إلى أنّ اعترافه بامامته و صحّه بيعته يقتضى وجوب طاعته عليه فلا معنى للخلاف معه بآى استناد مع أنّه اعتمد على النهى من القتال معه عليه بأنّ المخالفين من أهل القبله و القتال مع أهل القبله لقمع الفتنة مشروع فى القرآن كما قال الله تعالى «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ » ٩ - الحجرات و أىّ بغى أعظم من نكث طلحه و الزبير بيعتهما و جمعهما الجموع على خلاف عليّ عليه السّلام؟! و قد شدّد عليه الأمر بالخروج من الكوفه و من معه و اللحاق به بقوله:

(فارفع ذيلك و اشدد مئزرک و اخرج من جحرک، و اندب من معک).

ثمّ تبّه عليه السّلام إلى ما فى قلبه من الشكّ و النفاق بقوله:(فان تحقّقت فانفذ و إن تفشّلت فابعد).

ثمّ تبّه عليه السّلام إلى ما يؤول إليه خلافه معه من سوء العاقبه بقوله:(و أيم الله

لتؤتَيْنَ من حيث أنت - إلخ).

قال الشارح المعتزلي: معناه إن أقمت على الشكّ والاستراجه و تشييط أهل الكوفه عن الخروج إلى و قولك لهم، لا يحلّ لكم سلّ السيف لا مع عليّ و لا مع طلحه، و ألزموا بيوتكم و اكسروا سيوفكم، لتأتَيْنَكُم و أنتم في منازلكم أهل بالكوفه أهل البصره مع طلحه و نأتَيْنَكُم نحن بأهل المدينه و الحجاز فيجتمع عليكم سيفان من أمامكم و من خلفكم فتكون ذلك الداهيه الكبرى - إلخ -.

و قال في شرح قوله عليه السلام (و لا تترك حتّى يخلط زبدك بخاثرك): تقول للرجل إذا ضربته حتّى أثخنه: لقد ضربته حتّى خلطت زبده بخاثره، و كذلك حتّى خلطت ذائبه بجامده، و الخاثر اللبن الغليظ، و الزبد خلاصه اللبن و صفوته فاذا أثخت الانسان ضربا كنت كأنّك خلطت ما دقّ و لطف من أخلاطه بما كثف و غلظ منها، و هذا مثل و معناه لتفسدنّ حالك و لتخلطنّ، و ليضطربنّ ما هو الان منتظم من أمرك - إلخ.

أقول: و حيث أنّ الخطاب له شخصا يمكن أن يكون مراده عليه السّلام الإخبار عن حاله فيما يأتي عليه من انتخابه حكما في صفتين و المقصود أنّه حيث يصدّق ظاهرا إمامته و يمنع أهل الكوفه من نصرته بحجّه الدفاع عن مصلحتهم سيأتي عليه الابتلاء بالحكومه في صفتين فيظهر سوء عقيدته بالنسبه إليه عليه السّلام و خيانتة بأهل الكوفه في إظهار عزل الامام و تسليمهم إلى معاويه في الفرار من كوفه و يحذر من دنياه و آخرته لما ارتكبه بخدعه عمرو بن عاص معه.

و قد يظهر من بعض التواريخ أنّ هذا الكتاب ثالث الكتب الذي كتبها عليه السّلام إلى أبي موسى الأشعري و أصرّ و أبلغ في الاستعانه منه لدفع العدو الثائر، و لكن أبو موسى الأشعري أصرّ على الإنكار و المكابره حتّى عزله عليه السلام عن ولايه الكوفه و أجرى عزله بيد مالك الأشر.

الترجمه

این نامه ایست که بأبو موسی اشعری نگاشت که کار گزار آن حضرت بود بر کوفه

ص: ۳۶۷

در حالی که به آن حضرت گزارش رسید ابو موسی مردم کوفه را از اجابت دعوت آن حضرت باز می دارد چون آنها را برای جنگ با أصحاب جمل دعوت کرده بود:

از طرف بنده خدا علی امیر مؤمنان بسوی عبد الله بن قیس.

أما بعد، راستی که بمن از تو گفتاری رسیده است که از آن تو است و بر زیان تو است، چون فرستاده و پیک من اینک بتو در رسد بی درنگ دامن بالا- زن و کمرت را تنگ بربند و از سوراخت بدرآی و هر آنکه با خود داری احضار کن اگر حق را دریافتی آنرا مجری کن و اگر سستی شیوه خود ساختی و نرد شکاکی باختی از منصب خود در گذر و دور شو، بخدا سوگند هر چه باشی و هر کجا باشی دستخوش گرفتاری شوی و بدنالت آیند و رها نشوی تا گوشت و استخوانت بهم در آمیزند و تر و خشکت بهم آمیزند و نهان و عیان تو هویدا گردد و تا این که از کناره گیری و بازنشست در شتاب اندر شوی و از آنکه در برابر تو باشد بهراسی چونان که از آنکه در پشت سرت باشد و پیگرد تو است بهراسی.

این پیشامد برای تو چنانچه امیدواری آسان نیست بلکه بزرگترین گرفتاری و دشواری است که باید بر مرکبش برنشست و دشواریش را هموار کرد و گردنه و کوهش را صاف نمود.

خرد خویش را بکار گیر و خود را داشته باش و بهره خود را دریاب، و اگر نخواهی دور شو دور، بی خوش آمد و بی کامیابی و رستگاری، تو که در خواب باشی محققاً دیگران وظیفه ترا ایفاء کنند و کار ترا کفایت نمایند تا آنکه بدست فراموشی سپرده شوی و نگویند، فلانی کجاست؟ بخدا سوگند که این راه حق است و بدست حقدار است و باکی ندارد که ملحدان خدا شناس چه بازی کنند، والسلام.

ص: ۳۶۸

و من كتاب له عليه السلام الى معاويه: جوابا أما بعد، فإنّا كنّا نحن و أنتم على ما ذكرت من الالفه و الجماعه ففرّق بيننا و بينكم أمس أنا آمنّا و كفرتم، و اليوم أنا استقمنا و فتنتم، و ما أسلم مسلمكم إلّا كرها، و بعد أن كان أنف الإسلام كله لرسول الله - صلى الله عليه و آله - حزبا. و ذكرت أنّي قتلت طلحه و الزبير، و شرّدت بعائشه و نزلت [بين] المصريين! و ذلك أمر غبت عنه فلا-عليك، و لا-العذر فيه إليك. و ذكرت أنّك زائري في المهاجرين و الأنصار، و قد انقطعت الهجره يوم أسر أخوك، فإن كان فيك عجل فاسترفه [فاسترقه]، فإنّي إن أزرّك فذلك جدير أن يكون الله إنّما بعثني إليك للنّقمه منك، و إن ترزني فكما قال أخو بني أسد:

مستقبلين رياح الصّيف تضربهم بحاصب بين أغوار و جلمود

و عندى الشّيف الّذى أعضضته بجّدك و خالك و أخيك مقام واحد، و إنّك - و الله - ما علمت الأغلف القلب، المقارب

العقل، و الأولى أن يقال لك: إنك رقيت سلماً أطلعك مطلع سوء عليك لا لك، لأنك نشدت غير ضالتك، و رعيت غير سائمتك، و طلبت أمراً لست من أهله و لا في معدنه فما أبعد قولك من فعلك!! و قريب ما أشبهت من أعمام و أخوال حملتهم الشقاوه، و تمنى الباطل على الجحود بمحمد - صلى الله عليه و آله - فصرعوا حيث علمت لم يدفعوا عظيماً، و لم يمنعوا حريماً بوقع سيوف ما خلا منها الوغى، و لم تماشها [تماشها] الهوينا. و قد أكثر في قتله عثمان، فادخل فيما دخل فيه الناس، ثم حاكم القوم إلى أحملك و إياهم على كتاب الله تعالى، و أما تلك التي تريد فإنها خدعه الصبي عن اللبن في أول الفصال، و السلام لأهله.

اللغة

(أنف) كل شيء أوله و طرفه، (شرده): أهربه، (المصرين): الكوفه و البصره، (واسترفه): نفس عنك من الرفاهيه و هى السعه، (الأغوار):

المنخفضه من الأرض، (الحاصب): ريح فيها حصباء و هى الرمل، (الجلمود):

الأحجار الصلبه.

(أعضضت) بالضاد المعجمه: أى جعلت السيف يعضهم و يقتلهم، قال ابن ميثم: و أغصصت السيف بفلان أى جعلته يغص به فقرأه بالغين المعجمه و الصاد المهمله فجعله من المقلوب و فيه تعسف.

(أغلف): أى خلقه و جبّله مغشاه بأغطيه فلا يفقه، (المقارب) بالكسر:

ص: ٣٧٠

الْعَدَى لَيْسَ بِالْتِمَامِ، (الضَّالَّةُ): المفقوده، (السائمه): الأنعام المجتمعه للرعى، (لم تماشها): صيغه جحد من ماشى يماشى أى لا يصاحبها الهوينا، و لا تماشها كما فى نسخه اخرى.

الاعراب

و أنتم: عطف على اسم كُتِّا، أَنَا آمَنَّا: فى تأويل المفرد فاعل فَرَّقَ، أى إيماننا و كفركم، فذلكك جدير: جمله اسميّه جزاء الشرط و فى محلّ خبر إنيّ، تضربهم بحاصب: جمله حالّيه عن الرياح، و الله و ما علمت: جملتان معترضتان بين اسم إنّ و خبره و هو الأـغلف القلب و ما فى ما علمت مصدرّيّه زمانّيّه مفعول فيه لقوله علمت و الفعل ملغى عن مفعوليه و نَزَلَ منزله اللازم لإفاده الإطلاق، المقارب: خبر ثان لأنّ، قريب: عطف على الأغلف، ما أشبهت: فعل التعجب.

المعنى

قال الشارح المعتزلى «ص ٢٥١ ج ١٧ ط مصر»: أمّا الكتاب الذى كتبه إليه معاويه و هذا الكتاب جوابه، فهو: من معاويه بن أبى سفيان، إلى على بن أبى طالب:

أمّا بعد، فإنّا بنى عبد مناف لم نزل نتزع من قليب واحد، و نجرى فى حله واحده، ليس لبعضنا على بعض فضل، و لا لقائنا على قاعدنا فخر، كلمتنا مؤتلفه، و الفتنا جامع، و دارنا واحده، يجمعنا كرم العرق، و يحوينا شرف النجاد، و يحنو قوينا على ضعيفنا، و يواسى غيّنا فقيرنا، قد خلصت قلوبنا من دغل الحسد، و طهرت أنفسنا من خبث التيه.

فلم نزل كذلك حتّى كان منك ما كان من الإدهان فى أمر ابن عمّك، و الحسد له، و نصره الناس عليه، حتى قتل بمشهد منك، لا تدفع عنه بلسان و لا يد، فليتك أظهرت نصره، حيث أسررت خبره، فكنت كالمتملّق بين الناس بعدوّ (بعذر خ) و إن ضعف، و المتبرّى من دمه بدفع و إن وهن.

و لكنّك جلست فى دارك تدسّ إليه الدواهى و ترسل إليه الأفاعى، حتّى

ص: ٣٧١

إذا قضيت و طرك منه أظهرت شماته، و أبديت طلاقه و حسرت للأمر عن ساعدك، و شمّرت عن ساقك و دعوت الناس إلى نفسك، و أكرهت أعيان المسلمين على بيعتك.

ثمّ كان منك ما كان من قتلك شيخي المسلمين أبي محمّد طلحه و أبي عبد الله الزبير و هما من الموعودين بالجنّة، و المبشّر قاتل أحدهما بالنار في الآخره.

هذا إلى تشريدك بآم المؤمنين عائشه، و إحلالها محلّ الهون، مبتذله بين أيدي الأعراب و فسقه أهل الكوفه، فمن بين مشهّر لها، و بين شامت بها، و بين ساخر منها، ترى ابن عمّك كان بهذه لو رآه راضيا؟ أم كان يكون عليك ساخطا؟ و لك عنه زاجرا أن تؤذى أهله و تشرد بحليلته، و تسفك دماء أهل ملّته.

ثمّ تركك دار الهجره التي قال رسول الله صلّى الله عليه و آله عنها «إنّ المدينه لتنفى خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد» فلمعمرى لقد صحّ وعده و صدق قوله، و لقد نفت خبثها و طردت عنها من ليس بأهل أن يستوطنها، فأقمت بين المصريين، و بعدت عن بركه الحرمين، و رضيت بالكوفه بدلا عن المدينه، و بمجاوره الخورنق و الحيره عوضا عن مجاوره خاتم النبوه.

و من قبل ذلك ما عيّت خليفتي رسول الله أيام حياتهما، فقعدت عنهما، و ألّبت عليهما، و امتنعت من بيعتهما، و رمت أمرا لم يرك الله له أهلا، و رقيت سلّما وعرا، و حاولت مقاما دحضا، و ادّعت ما لم تجد عليه ناصرا، و لعمرى لو وليتها حينئذ لما ازدادت إلّا- فسادا و اضطرابا، و لا- أعقت ولايتكها إلّا انتشارا و ارتدادا، لأنك الشامخ بأنفه، الذاهب بنفسه، المستطيل على الناس بلسانه و يده.

و ها أنا سائر إليك في جمع من المهاجرين و الأنصار تحفّهم سيوف شاميّه، و رماح قحطانيّه، حتّى يحاكموك إلى الله، فانظر لنفسك و للمسلمين و ادفع إلى قتله عثمان، فإنّهم خاصّتك و خلصاؤك و المحدقون بك.

فان أبيت إلّا سلوك سبيل اللجاج، و الاصرار على الغيّ و الضلال فاعلم،

أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ إِنَّمَا نَزَلَتْ فِيكَ وَفِي أَهْلِ الْعِرَاقِ مَعَكَ «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَوْمَهُ كَانَتْ آمَنَهُ مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ» - ١١٢ - النحل.

أقول: و أنا أحكى ما ذكره فى شرح الكتابين و نقد كتاب معاويه معلقا عليه بما سنح للخاطر على وجه الايجاز مزيدا للفائدة.

فقال: قال عليه السلام: لعمري إنا كنا بيتا واحدا فى الجاهليّة لأننا بنو عبد - مناف.

أقول: لقد أحسن فى تفسير الالفه و الجماعه بين بيت هاشم و بيت اميّه بأنهما بنو عبد مناف لأن بين البيتين فروق كثيره حتّى فى الجاهليّة - إلى أن قال:

ثم قال عليه السلام: و ما أسلم من أسلم منكم إلّا كرها، كأبى سفيان و أولاده يزيد و معاويه و غيرهم من بنى عبد شمس.

قال عليه السّلام: و بعد أن كان أنف الاسلام محاربا لرسول الله صلى الله عليه و آله، أى فى أوّل الاسلام، يقال: كان ذلك فى أنف دوله بنى فلان، أى فى أوّلها، و أنف كلّ شىء أوّله و طرفه، و كان أبو سفيان و أهله من بنى عبد شمس أشدّ الناس على رسول الله صلى الله عليه و آله فى أوّل الهجره، إلى أن فتح مكّه.

أقول: قد قرأ الشارح المعتزلى «حربا» بالراء المهمله بعد قوله «و بعد أن كان أنف الاسلام كلّ لرسول الله» فنقله بهذه العبارة نقلا بالمعنى و الأولى قراءته بالزاء المعجمه «حزبا» لأنّه لا يستقيم كون أنف الاسلام محاربا له صلى الله عليه و آله.

قال: ثم أجابه عن قوله «قتلت طلحه و الزبير و شرّدت بعائشه، و نزلت بين المصرين» بكلام مختصر أعرض فيه عنه هوانا به، فقال (هذا أمر غبت عنه) فليس عليك به اثم العدوان الذى تزعم و لا العذر إليك لو وجب على العذر عنه.

فأمّا الجواب المفصل فأن يقال: إنّ طلحه و الزبير قتلا أنفسهما ببيغيهما و نكثهما و لو استقاما على الطريقه لسما، و من قتله الحقّ قدمه هدر، و أمّا كونهما شيخين من شيوخ الاسلام فغير مدفوع، و لكنّ العيب يحدث، و أصحابنا

يذهبون إلى أنّهما تابا، و فارقا الدنيا نادمين على ما صنعا، و كذلك نقول نحن فإنّ الأخبار كثرت بذلك، فهما من أهل الجنّة لتوبتهما.

أقول: في كلامه هذا تناقض ظاهر فأنّه حكم أولا بأنّهما قاتلا أنفسهما، و دمهما هدر، و كيف يجتمع هذا مع القول بأنّهما تابا و ندما و هما من أهل الجنّة و لا بدّ أن يكون التوبه قبل الموت.

إلى أن قال: و أمّا الوعد لهما بالجنّة فمشرط بسلامه العاقبه، و الكلام في سلامتهما، و إذا ثبتت توبتهما فقد صحّ الوعد لهما و تحقّق.

أقول: الوعد بالجنّة بشرط سلامه العاقبه يعمّ كلّ المسلمين فلا امتياز لهما بهذا الوعد مع أنّ حديث التوبه لم يثبت خصوصا في حقّ طلحه المقتول في معمعان القتال و لو تاب الزبير فلا بدّ أن يرجع إلى عليّ عليه السّلام لا أن يفرّ من ميدان الحرب و منه عليه السّلام حتّى يقتله ابن جرموز.

إلى أن قال: و أمّا أمّ المؤمنين عائشه فقد صحت توبتها و الأخبار الواردة في توبتها أكثر من الأخبار الواردة في توبه طلحه و الزبير لأنّها عاشت زمانا طويلا و هما لم يبقيا، و الذي جرى لها كان خطأ منها، فأى ذنب لأمر المؤمنين عليه السّلام في ذلك؟ و لو أقامت في منزلها لم تبذل بين الأعراب و أهل الكوفه، على أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام أكرمها و صانها و عظّم من شأنها، و من أحبّ أن يقف على ما فعله معها فليطالع كتب السيره، و لو كانت فعلت بعمر ما فعلت به، و شقت عصا الامّه عليه ثمّ ظفر بها، لقتلها و مزّقها إربا إربا، و لكنّ عليّا كان حليما كريما.

و أمّا قوله: لو عاش رسول الله صلّى الله عليه و آله فبربك هل كان يرضى لك أن تؤذى حليته، فلعلّي عليه السلام أن يقلب الكلام عليه، فيقول: أفتراه لو عاش أ كان يرضى لحليته أن تؤذى أخاه و وصيّيه، و أيضا أ تراه لو عاش أ تراه يرضى لك يا ابن أبي سفيان أن تنازع عليّا الخلافه و تفرّق جماعه هذه الامّه، و أيضا أ تراه لو عاش أ كان يرضى لطلحه و الزبير أن يبايعا ثمّ ينكثا لا لسبب، بل قالوا: جئنا نطلب الدراهم فقد قيل لنا أنّ بالبصره أموالا كثيره، هذا كلام يقوله مثلهما.

فأَمَّا قوله: تركت دار الهجره، فلا- عيب عليه إذا انتقضت عليه أطراف الاسلام بالبغى و الفساد أن يخرج من المدينه إليها، و يهذب أهلها، و ليس كل من خرج من المدينه كان خيثا، فقد خرج عنها عمر مرارا إلى الشام، ثم لعلّى عليه السلام أن يقلب عليه الكلام فيقول له: و أنت يا معاويه قد نفتك المدينه أيضا عنها، فأنت إذا خيث، و كذلك طلحه و الزبير و عائشه الذين تتعصب لهم و تحتج على الناس بهم، و قد خرج من المدينه الصالحون، كابن مسعود و أبى ذرّ و غيرهما و ماتوا فى بلاد نائية عنها.

و أمّا قوله: بعدت عن حرمة الحرمين، و مجاوره قبر رسول الله صلى الله عليه و آله، فكلام إقناعى ضعيف، و الواجب على الامام أن يقدم الأهم فالأهم من مصالح الاسلام، و تقديم قتال أهل البغى على المقام بين الحرمين أولى.

و أمّا ما ذكره من خذلانه عثمان و شماتته به و دعائه الناس بعد قتله إلى نفسه و إكراهه طلحه و الزبير و غيرهما على بيعته، فكله دعوى و الأمر بخلافها و من نظر كتب السير عرف أنه بهته و ادعى عليه ما لم يقع منه.

و أمّا قوله: التويت على أبى بكر و عمر، و قعدت عنهما، و حاولت الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه و آله فإنّ عليا عليه السلام لم يكن يجحد ذلك و لا ينكره، و لا ريب أنه كان يدعى الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه و آله لنفسه على الجملة، إمّا لنص كما تقوله الشيعة أو لأمر آخر كما يقوله أصحابنا.

أمّا قوله: لو وليتها حينئذ لفسد الأمر و اضطرب الاسلام، فهذا علم غيب لا يعلمه إلا الله، و لعله لو وليها حينئذ لاستقام الأمر و صلح الاسلام و تمهد.

أقول: لا- وجه للتعبير هنا بلعله بل هو المحقق، فإنّ الفساد و الاضطراب نشأ من نقض عهد ولايته عليه السلام حيث إنّ قبائل العرب الحاضرين فى غدير خم السامعين لقول النبى صلى الله عليه و آله «من كنت مولاه فهذا على مولاه» و الواعين لقوله «يا على أنت منى بمنزله هارون من موسى» لا يشكون فى أنّ القائم بالأمر بعده هو على عليه السلام.

و لكن لما رأوا و سمعوا أنّ أكثر أصحاب النبى من المهاجرين و الأنصار

عدلوا عن وصيته و توليته شكّ بعضهم في أصل الاسلام و في أنّه دين إلهي قائم بالوحى و بعضهم تردّد في إنجاز أوامره و عهوده و وصاياه في سائر مشاعر الاسلام مثل الزكاه و غيرها فثاروا على الاسلام و ارتدّوا.

و هذا هو فلسفه ارتداد العرب على الحكومه المركزيه القائمه على خلافه أبى بكر الانتخابيه، ففى السقيفه زرعت جرائم الفساد و بذورها و نمت إلى أن أثمرت فى خلافه عثمان، فقام الاختلاف على ساق و تلاشت وحده المسلمين، حتّى نقلت الخلافه و الزعامه الاسلاميه إلى أمثال معاويه، و طمعت فيها أمثال طلحه و الزبير، فانّ ظهور مطامعهم و تكالبهم على الدنيا أثر فى نفوس عامّه الناس و أضعف عقائدهم بالنسبه إلى ما ورد فى القرآن الشريف من الوعيد و الإنذار.

الترجمه

أما بعد، ما و شما چنانچه یاد کردی هم انس و گردهم بودیم ولی در گذشته از هم جدا شدیم برای آنکه ما ایمان آوردیم و شما بکفر باقی ماندید و امروز هم از هم جدائیم برای آنکه ما در راه راستی می رویم و بایمان خود پای بندیم و شما پیرامون فتنه هستید و از اسلام برگشتید، شما هم از دل قبول اسلام نکردید بلکه بنا خواه اظهار مسلمانی نمودید بعد از این که در صدر اسلام همه را با رسول خدا در نبرد بودید «بعد از این که همه مسلمانان نخست حزب و طرفدار رسول خدا صلی الله علیه و آله شدند - خ».

یاد آورشدی که من طلحه و زبیر را کشتم و عایشه را راندم و در بصره و کوفه اقامت کردم، اینها همه در غیبت تو واقع شده و بر عهده تو نیست و بتو مربوط نیست و عذر خواهی از آن بتو ارتباطی ندارد.

یاد آور شدی که در جمع مهاجر و انصار مرا دیدار خواهی کرد، با این که از روزی که برادرت «یزید بن ابی سفیان» اسیر شد «یعنی روز فتح مکه» هجرت برداشته شد و قانون آن ملغی گردید و مسلمانان پس از فتح مکه که پیرامون تواند مهاجر نیستند، اگر در این دیدار شتابی هست در آسایش باش (بر آن سوار شوخ)

ص: ۳۷۶

زیرا اگر من بدیدار تو آیم سزاوار است برای آنکه خداوند بدیدار تو فرستد تا از تو انتقام بگیرم، و اگر تو بدیدار من آئی چنانست که شاعر بنی اسد سروده:

به پیشواز بادهای گرم تابستانی شتابند تا با خار و خاشاک و سنگریزه در پست و بلند روبرو گردند.

در بر من است همان شمشیری که با آن جدّ تو و دایی و برادرت را در یک میدان (میدان نبرد احد) کشتم، و راستی که - تا من دانسته ام - تو مردی دل مرده و کم خرد بودی و بهتر است در باره تو گفت: نبردانی بر آمدی که ترا بد پرتگاهی کشاند و بزیانت رساند و سودی نبری، زیرا کسی را مانی که جز گمشده خود را جوید و جز چراگاه خویش را بچراند، و بدنبال مقامی می گردی که سزاوار آن نیستی و از خاندان آن دوری.

و چه اندازه گفتار و کردار تو ارهم بدورند، و تا دانسته ام تو بأعمام و أحوال خودمانی که بدبختی و آرزوهای بیهوده آنان را با نکار رسالت محمد صلی الله علیه و آله واداشت و تا آنجا با او ستیزه کردند که در قتلگاه خود بخاک و خون غلطیدند، همان جا که تو خود می دانی، نتوانستند از خود دفاعی عظیم نمایند و حریم وجود خود را از زخم شمشیرهایی که میدان نبرد از آنها بر کنار نیست مصون دارند، آنجا که سستی و مسامحه در آن روا نیست.

تو در باره کشندگان عثمان پرگفتی، بیا با مسلمانان هم آهنگ شو و آنچه را پذیرفتند بپذیر و سپس آنانرا در محضر من محاکمه کن تا تو را و آنها را بقانون کتاب خدا وادارم.

و اما آنچه تو از دعوی خونخواهی عثمان می خواهی بدان ماند که بخدعه بخواهند کودکی را در نخست دوران شیربری از شیر بازگیرند و پستان مادر را در پیش او نازیبیا و بد جلوه دهند، درود بر هر که شایسته او است.

ص: ۳۷۷

و من كتاب له عليه السلام اليه أيضا

أما بعد، فقد آن لك أن تنتفع باللمح الباصر من عيان [عين] الأمور فلقد سلكت مدارج أسلافك بادّعائك الأباطيل، و إقحامك [إقحامك] غرور المين و الأكاذيب، و بانتحالك ما قد علا عنك و ابتزازك لما اخترن دونك، فرارا من الحقّ، و جهودا لما هو ألزم لك من لحمك و دمك، ممّا قد وعاه سمعك، و ملّى به صدرك، فما ذا بعد الحقّ إلا الضلال المبين، و بعد البيان إلا اللبس؟ فاحذر الشبهه و اشتغالها على لبستها، فإنّ الفتنه طالما أغدفت جلايبها، و أعشت الأبصار ظلمتها. و قد أتاني كتاب منك ذو أفانين من القول ضعفت قواها عن السليم، و أساطير لم يحكها منك علم و لا حلم، أصبحت منها كالخائض في الدّھاس، و الخابط في الدّيماس، و ترقّيت إلى مرقبه بعيدة المرام، نازحه الأعلام، تقصر دونها الأنوق، و يحاذى بها العيوق. و حاش لله أن تلى للمسلمين بعدى صدرا أو وردا، أو أجرى

ص: ٣٧٨

لك على أحد منهم عقدا أو عهدا، فمن الان فتدارك نفسك و انظر لها، فإنك إن فرطت حتى ينهد إليك عباد الله أرتجت عليك الأمور، و منعت أمرا هو منك اليوم مقبول، و السلام.

اللغة

(آن): قرب و حان، (اللمح الباصر): النظر بالعين الصحيحه، (الأباطيل) جمع الباطل على غير قياس، (المدارج): الطرائق، (الاقحام و الاقتحام): الدخول فى الشئ من غير رويّه، (اليمين): الكذب، (الغرور): بالضمّ مصدر و بفتح الأول صفه بمعنى الفاعل، (الانتحال): ادّعاء ما ليس له، (الابتزاز): الاستلاب، (الجحود): إنكار ما يعلم.

(أغدفت) المرأه قناعها: أرسلته على وجهها، (الأفانين): الأساليب المختلفه، (الأساطير): الأباطيل واحدها اسطوره بالضمّ و إسطاره بالكسر، (الدھاس): المكان السهل دون الرمل، (الديماس) بالكسر: المكان المظلم و كالسراب و نحوه.

(المرقبه) موضع عال مشرف يرتفع إليه الراصد، (الأنوق) بالفتح:

طائر و هو الرخمه أو كارها فى رءوس الجبال و الأماكن الصعبه البعيده، (العيوق):

نجم فوق زحل، (تنهد): ترفع، (ارتجت): اغلقت.

الاعراب

الباصر: صفه لقوله باللمح مجازا، أى بلمح الانسان الباصر و الباء للاستعانه، بادّعائك: الباء للسببيّه، ممّا قد وعاه: من للتعليل، فاحذر الشبهه و اشتمالها:

قال الشارح المعتزلى: و يجوز أن يكون اشتمال مصدر مضاف إلى معاويه أى احذر الشبهه و احذر اشتمالك إيّاها على اللبسه، أى ادّراعك بها و تقمّمك - إلى أن قال:

و يجوز أن يكون مصدرا مضافا إلى ضمير الشبهه فقط. ذو: صفه للكتاب، أساطير:

عطف على أفانين، لم يحك: مضارع مجزوم من حاك يحوك و حوك الكلام صنعه

ص: ٣٧٩

المعنى

قال الشارح المعتزلى «ص ٢٧ ج ١٨ ط مصر»: وهذا الكتاب هو جواب كتاب وصل من معاوية إليه عليه السّلام بعد قتل على عليه السّلام الخوارج، وفيه تلويح بما كان يقوله من قبل: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وعدنى بقتال طائفه اخرى غير أصحاب الجمل صفين، وإنه سمّاهم المارقين.

أقول: و كان معاوية بعد قتل الخوارج و هم شجعان جيش الكوفة الصادقين للجهاد فى صفين يرجو نيل الخلافه على كافه المسلمين لأنّ خلافهم مع على عليه السّلام و قتلهم فى نهروان كافه إلا عدد يسير قد فتّ فى عضد على عليه السّلام و شوّش أمره إلى حيث انجرّ إلى الفتك به، فانتهاز معاوية هذه الفرصه و طمع فى قبول على عليه السّلام شروطا للصّح تويّد مقصود معاوية فى صعود عرش الخلافه الاسلاميه برضا كافه المسلمين و تجويز على خلافته باقراره على ولايه الشام و نصبه على أنّه وليّ عهد له من بعده.

قال الشارح المعتزلى «ص ٢٦ ج ١٨ ط مصر»: و كان كتب إليه يطلب منه أن يفرد بالشام و أن يوليّه العهد من بعده، و أن لا يكلفه الحضور عنده، و كان مقصوده بعد أخذ هذا الاعتراف عنه عليه السّلام التدبير فى الفتك به بأيّ وجه يمكنه، و قد أدرك عليه السّلام غرضه من هذا الكتاب فأبلغ فى ردعه و دحض مطامعه بما لا مزيد عليه، و بيّن له أنّه بعيد عن مقام الخلافه بوجوه عديده:

١ - سلوكه مسالك أجداده الجاهليين بادعاء الأباطيل و اقتحام غرور المين و الأكاذيب فكأنّه باق على كفره أخلاقا و معنا و إن كان مسلما ظاهرا، فلا أهليّه له لزعامه المسلمين.

٢-دعواه مقاما شامخا علا عنه، و استلابه ما قد اختزن دونه، قال الشارح المعتزلى: يعنى التسمّى بأمير المؤمنين، و فشره ابن ميثم بمال المسلمين و بلادهم التى يغلب عليها.

ص: ٣٨٠

۳- فراره عن الحق و جحوده ما يعلمه حقاً و ثبت عنده حتى وعاه سمعه و ملئ به صدره.

و قد فسره المعتزلى بفرض طاعه على عليه السلام لأنه قد وعاه سمعه، لا ريب فى ذلك.

إمّا بالنصّ فى أيام رسول الله صلّى الله عليه و آله كما تذكره الشيعة، فقد كان معاوية حاضراً يوم الغدير لأنّه حجّ معهم حجّه الوداع، و قد كان أيضاً حاضراً يوم تبوك حين قال له بمحضر من الناس كافّه «أنت منى بمنزله هارون من موسى» و قد سمع غير ذلك.

و إمّا بالبيعه كما تذكره نحن فإنّه قد اتصل به خبرها، و تواتر عنده وقوعها، فصار وقوعها عنده معلوماً بالضروره كعلمه بأنّ فى الدنيا بلداً اسمه مصر، و إن كان ما رآها.

۴- و انتهى عليه السلام كتابه إلى التأكيد فى منعه عن تصدّى الخلافه، فقال عليه السلام (و حاش لله أن تلى للمسلمين بعدى صدرا أو وردا، أو أجرى لك على أحد منهم عقداً أو عهداً).

و هذا تصريح ببعده عن الخلافه إلى حيث دونها الأنوق و يحاذى بها العيوق.

و أنذره من سوء عاقبه إصراره على التمرد و الطغيان بقوله عليه السلام (فأنك إن فرطت حتى ينهد إليك عباد الله ارتجت إليك الامور - إلخ).

الترجمه

از نامه ای که آن حضرت علیه السلام باز هم بمعاویه نگاشته است:

أما بعد، آن هنگامت فرا رسیده که بخود آئی و از آنچه بچشم خود دیدی پند پذیری، براستی که تو باز هم براه نیاکان بت پرست خود می روی برای آنکه بیهوده دعوی داری و خود را در فریب و دروغ اندر می سازی و آنچه را برتر از مقام تو است بخود می بندی و در آنچه از تو دریغ است دست اندازی می کنی تا از حق گریزان باشی و از پیروی آنچه از گوشت و خون تنت بتو آمیخته تر است سرباز زنی

ص: ۳۸۱

و انکارش کنی، همان حقائقی که بگوش خود فرا گرفتی و در دلت انباشته اند و بخوبی می دانی.

پس از کشف حقیقت راه دیگری جز گمراهی و ضلالت نیست، و پس از تمامی بیان و حجت جز شبهه سازی وجود ندارد، از شبهه سازی و فریب کاری و عوام فریبی بر کنار شو، زیرا که دیر زمانی است فتنه و آشوب پرده های سیاه خود را گسترده و با تیرگی خود دیده های کوتاه بین را کور و نابینا کرده.

نامه ای از تو بمن رسید که سرتاسر سخن بافیها و دگر گونیها داشت، منطق درست و خیر خواهی در آن سست بود و بمانند افسانه هائی بود که از دانش و بردباری در نگارش آن بهره ای نبود، بمانند مردی شدی که از خاک تیره گوهر جوید و در تاریکی شب خار بر آرد، و گام فرا مقامی برداشتی که بسیار از تو دور است، و نشانه اش ناجور، کرکس را بدان یارای پرواز نیست و با ستاره عیوق دمساز است.

پناه بر خدا که تو فرمانروا بر مسلمانان گردی و پس از من در خرد و درشت کار آنها مداخله کنی یا من در این باره برای تو بر یکتن از آنان قرار و تعهدی امضاء کنم.

از هم اکنون خود را دریاب و برای خویش چاره اندیش، زیرا اگر کوتاه آئی تا بندگان خدا بر سر تو آیند کارها بر تو دشوار گردد و درهای نجات بروی تو بسته شوند و از آن مقامی که امروزه از تو پذیر است با زمانی، و السلام.

المختار الخامس و الستون

اشاره

الی عبد الله بن العباس،

و قد تقدم ذكره بخلاف هذه الروايه أما بعد، فإن المرء ليفرح بالشئ الذى لم يكن ليفوته، و يحزن على الشئ الذى لم يكن ليصيبه، فلا يكن أفضل ما نلت

ص: ۳۸۲

فِي نَفْسِكَ مِنْ دُنْيَاكَ بُلُوغٌ لَدَّهِ أَوْ شِفَاءٌ غِيْظٍ، وَ لَكِنْ إِطْفَاءٌ بَاطِلٍ أَوْ إِحْيَاءٌ حَقٍّ، وَ لِيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا قَدَّمْتَ، وَ أَسْفَكَكَ عَلَى مَا خَلَقْتَ وَ هَمَّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ.

اقول: و فی قوله رضی الله عنه: و قد تقدّم ذكره بخلاف هذه الرواية، إشارة إلى أنّ ما ذكره هنا و ما تقدّم عليه بهذا المعنى مكتوب واحد نقل بروایتین.

فيحتمل أن تكون كلتا الروایتان مأثورتين عنه عليه السّلام بناء على صدورهما معا عنه عليه السّلام فی مكتوب واحد، فتكون إحداهما نسخه بدل صدرت عن الكاتب فبعثت إحداهما و حفظت الاخرى فنقلت و رويت أيضا.

و يحتمل أن يكون الاختلاف ناشيا عن النسخ بتصرّف و تصحيف و علل اخرى.

الترجمه

از نامه ای که آن حضرت علیه السّلام بعد الله بن عباس نگاشته، این نامه بروایت دیگری که با این مضمون اختلاف داشت بیشتر نقل شد:

أَمَّا بَعْدُ، بِرَاسْتِيْ كِهْ مَرْدُ بَرَايِ رَسِيْدِنِ بِهْ بَهْرِهِ اِيْ كِهْ اَزْ دَسْتِ بَدْرِ نَمِيْ رُوْدُ خَشْنُوْدُ مِيْ شُوْدُ (يعني روزی مقدّر) و بر آنچه نباید بوی برسد و مقدّر او نیست غمگین می گردد، نباید پیش تو بهترین بهره دنیايت کاميابی جسمانی يا تشفّی خاطر از خشمگینی و انتقام از دشمنت باشد.

ولی باید بهترین چیزی که بحساب آری این باشد که باطل را خاموش و نابود سازی و يا حقّی را زنده و پایدار کنی، باید شادی تو بمالی باشد که برای ذخیره آخرت پیش می فرستی، و افسوست از آنچه باشد که بجای خود برای دیگران می گذاری، و باید همّ تو معطوف بوضع تو پس از مردن باشد.

ص: ۳۸۳

إشاره

و من كتاب له عليه السلام الى قثم بن العباس، و هو عامله على مكه

أما بعد، فأقم للناس الحج، و ذكرهم بأيام الله، و اجلس لهم العصرين فأفت المستفتي، و علم الجاهل، و ذاكر العالم، و لا يكن لك إلى الناس سفير إلا لسانك، و لا حاجب إلا وجهك، و لا تحجبن ذا حاجه عن لقائك بها، فإنها إن زدت عن أبوابك في أول وردها لم تحمد فيما بعد على قضائها. و انظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلى من قبلك من ذوى العيال و المجاعه، مصيبا به مواضع الفاقه [المفاقر] و الخلات، و ما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسمه فيمن قبلنا. و مر أهل مكه أن لا يأخذوا من ساكن أجرا، فإن الله سبحانه يقول: «سواء العاكف فيه و الباد» فالعاكف: المقيم به، و البادى الذى يحج إليه من غير أهله، وفقنا الله و إياكم لمحابه، و السلام.

اللغه

(زيدت): منعت، (ورد): دخول الغنم و البعير على الماء للشرب، (المفاقر) الفقر جمع فقور و مفاقر: ضد الغنى و ذلك أن يصبح الإنسان محتاجا أو ليس له

ص: ٣٨٤

الاعراب

بأيام الله: الباء للتعديه تأكيداً، فأفت: أمر من أفتى يفتى، لك: ظرف مستقر خبر لقوله «و لا يكن»، إلى الناس: ظرف متعلق بقوله «سفير» و هو اسم لا يكن، إلا لسانك: مستثنى فى كلام تام منفى يجوز فيه النصب و الإتياع للمستثنى منه و هو قوله «سفير» فإنه يفيد العموم لتقدم النفى عليه و يحتمل كون الاستثناء منقطعاً بدعوى عدم دخول اللسان و الوجه فى مفهوم السفير و الحاجب.

قال الشارح المعتزلى «ص ٣١ ج ١٨»: و روى «و لا- يكن إلا- لسانك سفيراً لك إلى الناس» بجعل «لسانك» اسم كان مثل قوله (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا) و الروايه الاولى هى المشهوره، و هو أن يكون «سفيراً» اسم كان و «لك» خبرها، و لا يصح ما قاله الراوندى: إن خبرها «إلى الناس»، لأن «إلى» هاهنا متعلقه بنفس «سفير» فلا يجوز أن تكون الخبر عن «سفير» تقول: سمرت إلى بنى فلان فى الصلح، و إذا تعلق حرف الجر بالكلمه صار كالشئ الواحد.

أقول: و أضعف مما ذكره الراوندى ما ذكره ابن ميثم «ص ٢١٧ ج ٥» «و إلا للحصر و ما بعدها خبر كان» فإنه إنما يستقيم على كون الاستثناء مفرغاً و قد عرفت أنه تام على الروايه المشهوره و على ما ذكره الشارح المعتزلى من - الروايه الغير المشهوره فالاستثناء مفرغ و لكن «لسانك» اسم كان لا خبره.

و قال ابن ميثم فى الصفحه التاليه: و روى «مواضع المفارقة» و الاضافه لتغاير اللفظين.

أقول: قد جعل فى «المنجد» المفارقة جمع الفقر فالإضافه معنويه تفيد التخصيص و الفرق المعنوى بين المضاف و المضاف إليه جلى.

المعنى

قد نهى عليه السلام فى آخر كتابه أهل مكه عن أخذ الاجره عن الحاج الساكن فى مكه للحج مفسراً آيه «سواء العاكف فيه و الباد - ٢٥ - الحج) و هل المقصود

ص: ٣٨٥

منه يعمّ أخذ الاجره عن الساكنين في البيوت المملوكة أو المقصود خصوص الساكنين في المسجد الحرام كما هو ظاهر الايه و أرض الحرم الغير المملوكة بالخصوص؟ فيه بحث لا يسع المقام بسط الكلام فيه.

قال الشارح المعتزلي: و أصحاب أبي حنيفة يتمسكون بها - أي بهذه الايه - في امتناع بيع دور مكّه و إجارته و هذا بناء على أنّ المسجد الحرام، هو مكّه كلّها و الشافعي يرى خلاف ذلك، و يقول: إنّ الكعبه، و لا يمنع من بيع دور مكّه و لا إجارته و يحتجّ بقوله تعالى «الذين اخرجوا من ديارهم».

أقول: في دلالة الايه على ما ذكره أصحاب أبي حنيفة ضعف ظاهر كما أنّ تفسير المسجد الحرام بخصوص الكعبه كما ذكر عن الشافعي أضعف، كاحتجاجه بالايه على مالكيه دور مكّه.

الترجمه

از نامه ای است که آن حضرت بکار گزار خود در مکّه قثم بن عبّاس نگاشته:

أمّا بعد، در انجام حجّ مردم را راهنما باش و آنها را بروزهای خدا یاد آوری کن در بامداد و پسين برای پذیرائی از آنها بنشین، و بهر کس در مسائل دين از تو فتوی خواست فتوی بده و نادانها را دانش بیاموز و با دانشمند از مردم هم گفتگو باش، و میان تو و مردم کسی واسطه و ایلچی نباشد جز زبانت و دربانی نباشد جز رخسارت.

هیچ حاجتخواهی را از دیدار خودت پشت در نگذار، زیرا اگر از در خانه تو رانده شود در آغاز مراجعه کردن بر آوردن حاجتش بعد از آن هم تا آنجا مورد پسند نباشد که جبران آنرا بنماید.

آنچه از مال خداوند نزد تو گرد آمد بدان توجّه کن، و بعیالداران و گرسنه های محیط فرمانگزارت مصرف کن و بمستمندان و بیچارگان برسان، و هر چه از آن بیش باشد برای ما بفرست تا میان کسانی که در اطراف ما هستند بخش کنیم.

ص: ۳۸۶

بمردم مکه دستور بده از کسانی که ساکن مکه شوند اجرت سکونت نگیرند زیرا خدای سبحان می فرماید «عاکفین و بیابانگردان در آن برابرند» اما مقصود از عاکف کسانیست که در مکه اقامت دارند و مقصود از بادی و بیابانی کسانیست که جز از اهالی خود شهر مکه برای انجام وظیفه مقدّس حجّ بمکه می آیند. خدا ما و شما را برای هر چه دوست دارد توفیق دهد، و السّلام.

المختار السابع و الستون

اشاره

و من کتاب له علیه السلام الی سلمان الفارسی رحمه الله قبل أيام خلافته

أما بعد، فإنّما مثل الدّنيا مثل الحیة، لئن مسّها قاتل سمّها، فأعرض عمّا يعجبک فیها لقلّه ما یصحبک منها، و ضع عنک همومها، لما أیقنت به من فراقها، و تصرّف حالاتها، و کن آنس ما تكون بها أحذر ما تكون منها، فإنّ صاحبها کلّما اطمأنّ فیها إلی سرور أشخصته عنه إلی محذور [أو إلی إیناس أزالته عنه إلی إیحاش، و السّلام - شرح المعتزلی -].

اللغة

(أشخصته): أذهبته.

الاعراب

لئن: خبر مقدّم و مسّها: مبتداء مؤخّر و کذا ما بعدها و کلّتا الجملتين بمنزله عطف البیان لقوله علیه السّلام «مثل الدّنيا مثل الحیة» فترك فیهما حرف العطف و وصل بينهما و بینها، کن آنس ما تكون - إلخ -: قال ابن میثم: ما مصدریّه و آنس ینصب علی الحال و أحذر خبر کان.

ص: ۳۸۷

أقول: و الأولى جعل آنس و أحذر خبرا واحدا لكان، فيكون من قبيل قولهم «الزمان حلو حامض».

المعنى

قال الشارح المعتزلى «ص ٣٩ ج ١٨ ط مصر»: و كان سلمان من شيعه على عليه السلام و خاصته و تزعم الاماميه أنه أحد الأربعة الذين حلّقوا رؤوسهم و أتوه متقلّدى سيوفهم فى خبر يطول.

و قد روى من حديث ابن بريده عن أبيه أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله قال: أمرنى ربّى بحبّ أربعة، و أخبرنى أنّه يحبّهم: على و أبوذّر و المقداد و سلمان.

الترجمه

از نامه ای که آن حضرت علیه السلام پیش از دوران خلافتش به سلمان فارسی - رحمه الله - نگاشته:

أما بعد، همانا دنیا ماری را مانند نرم اندام و زهر آگین، از آنچه اش که خوشت آمد روی بر گردان و دوری گزین که بسیار بی وفا است و اندکی با تو همراه می شود، هیچ اندوه دنیا را مخور، چه بخوبی می دانی از تو جدا می شود و دیگر گونیها دارد، هر گاه بیشتر با او انس گرفتی و دل آرام تو شد بیشتر از او در حذر باش و بترس، زیرا یار دنیا هر چه بشادی آن دلبنده و خاطر جمع باشد او را بمشکل و محذور پرتاب می کند، و هر گاه بارامش او مطمئن شود او را بهراس می افکند.

المختار الثامن و الستون

اشاره

و من كتاب له عليه السلام الى الحارث الهمداني

و تمسّك بجبل القرآن و انتصحه [و استنصحه]، و أحلّ حلاله و حرّم حرامه، و صدّق بما سلف من الحقّ، و اعتبر بما مضى من

ص: ٣٨٨

الدنيا ما [لما] بقي منها، فإن بعضها يشبه بعضا، و آخرها لاحق بأولها، و كلها حائل مفارق، و عظم اسم الله أن تذكره إلا على حق و أكثر ذكر الموت، و ما بعد الموت، و لا تتم الموت إلا بشرط وثيق، و احذر كل عمل يرضاه صاحبه لنفسه و يكره [يكرهه] لعائمه المسلمين و احذر كل عمل يعمل به في السر و يستحي منه في العلانيه، و احذر كل عمل إذا سئل عنه صاحبه أنكره أو اعتذر منه، و لا تجعل عرضك غرضا لنبال القول [م]، و لا تحدث الناس بكل ما سمعت به فكفى بذلك كذبا، و لا ترد على الناس كل ما حدثوك به فكفى بذلك جهلا، و اكظم الغيظ و تجاوز عند المقدرة، و احلم عند الغضب، و اصفح مع الدوله تكن لك العاقبه، و استصلح كل نعمه أنعمها الله عليك، و لا تضيع نعمه من نعم الله عندك، و لير عليك أثر ما أنعم الله به عليك. و اعلم أن أفضل المؤمنين أفضلهم تقدمه من نفسه و أهله و ماله و أنك ما تقدم من خير يبق لك ذخره، و ما تؤخره يكن لغيرك خيره، و احذر صحابه من يفيل رأيه و ينكر عمله، فإن الصاحب معتبر بصاحبه، و اسكن الأمصار العظام فإنها جماع المسلمين،

ص: ٣٨٩

و احذر منازل الغفلة و الجفاء و قلّه الأَعوان على طاعه الله، و اقصر رأيك على ما يعنيك، و إياك و مقاعد الأسواق فإنّها محاضر الشّيطان و معاريض الفتن، و أكثر أن تنظر إلى من فضّلت عليه فإنّ ذلك من أبواب الشّكر، و لا تسافر في يوم جمعه حتّى تشهد الصّلاه إلّا فاصلا في سبيل الله، أو في أمر تعذر به، و أطع الله في جميع أمورك، فإنّ طاعه الله فاضله على ما سواها، و خادع نفسك في العباده، و ارفق بها و لا تقهرها، و خذ عفوك و نشاطها إلّا ما كان مكتوبا عليك من الفريضه، فإنّه لا بدّ من قضائها و تعاهدها عند محلّها، و إياك أن ينزل بك الموت و أنت آبق من ربّك في طلب الدّنيا و إياك و مصاحبه الفساق فإنّ الشّرّ بالشّرّ ملحق، و وقر الله و أحبّ أحبّاءه، و احذر الغضب فإنّه جند عظيم من جنود إبليس، و السّلام.

المعنى

اشاره

قال الشارح المعتزلى «ص ٤٢ ج ١٨ ط مصر»:

الحارث الهمدانى و نسبه

هو الحارث الأعور صاحب أمير المؤمنين عليه السّلام، و هو الحارث بن عبد الله بن كعب - سرد النسب إلى - صعب بن معاويه الهمدانى، كان أحد الفقهاء، له قول فى الفتيا، و كان صاحب علىّ عليه السّلام، و إليه تنسب الشيعة الخطاب الذى خاطبه به

ص: ٣٩٠

فى قوله عليه السلام:

يا حار همدان من يمت ىرنى من مؤمن أو منافق قبلأ

و هى أبات مشهوره قد ذكرناها فىما تقدم.

أقول: ظاهر حال المكتوب و الكتاب أن يكون من غائب إلى غائب لبيان المارب، و قد يصدر الكتاب من الأعظم و الأنبياء و الأولياء إلى أخصائهم ليكون مثالا للإرشاد و منشورا للتعليم و استفاده العموم و هدايتهم إلى طريق الرشاد فالمخاطب به خاص و المقصود منه عام، و من هذا القبيل رسائل أصحاب عيسى إلى خواصهم و حواريتهم المعدوده من الماخذ و المصادر الديتية عند المسيحيين و المضمونه فى العهد الجديد من الكتاب المقدس عند أتباع الأنجيل، و هذا الكتاب الذى صدر منه عليه السلام إلى الحارث الهمدانى من هذا القبيل فانه مثال للهدايه و الإرشاد لكافه العباد، و يدل على علو مقام الحارث الهمدانى و حظوته بموقف عال عند أمير المؤمنين عليه السلام حيث خصه بهذا المنشور الإرشادى الغزير المواد و العميق المغزى بالنظر إلى التعاليم العاليه الأخلاقيه كمثال أعلى فى طريق التركيه النفسانيه واف فى المرام لجميع الأنام، و قد انتخب السيد الرضى منه قطعه صالحه لما يرمى إليه فى نهجه هذا من المقاصد الأدبتيه.

قال ابن ميثم: هذا الفصل من كتاب طويل إليه، و قد أمره فيه بأوامره، و زجره بزواجه، مدارها على تعليم مكارم الأخلاق و محاسن الاداب.

أقول: و قد جمع عليه السلام فى هذا الفصل كلما يلزم لمسلم معتقد إلهى فى الرابطه بينه و بين الله تعالى من التمسك بالقرآن و ملازمه أحكامه من الحلال و الحرام و فى مواجهه مع الدنيا و الاعتبار عن فنائها و عدم الركون عليها و الاتعاظ بما سلف منها و فى التوجه إلى الموت و التهيؤ لما بعده بادّخار الأعمال الصالحه و الاجتناب عن الأعمال المهلكه.

ثم نظم. وصايا اجتماعتيه فى الروابط بين المسلم و سائر إخوانه و أبناء نوعه و حذر عن الاستثثار بما يكره سائر الناس و يضرهم و عن النفاق، و أمر بصيانته

ص: ٣٩١

العرض و حفظ اللسان عن حكاية الكذب بأعمّ معانيها إلى أن بلغ الوصاية بالتضحيه في سبيل الله، و الاجتناب عن المعاشره و الصحابه مع الفساق و ضعفاء الرأي و السكونه في الأمصار للإلحاق بجامعه المسلمين - إلى آخر ما أفاده عليه السلام.

الترجمه

از نامه ای که آن حضرت علیه السلام به حارث همدانی نگاشته:

برشته قرآن بحسب و اندرزش بجو، حلالش را حلال شمر و حرامش را حرام، بدانچه از حق در گذشته می دانی باور کن، و آینده دنیا را با گذشته اش بسنج که بهم مانند و پایانش باغارش پیوسته شود همه دنیا گذرا و ناپایست.

نام خدا را بزرگتر شمار از آنکه جز براستی یاد کنی، مرگ و ما بعد مرگ را بسیار بیاد آور، آرزوی مردن مکن مگر با وضعی مورد اعتماد، از کرداری که پسند خود تو و ناپسند دیگر مسلمانها است بر حذر باش، از کرداری که نهانی انجام شود و در آشکار شرم آور است پرهیز، از هر کرداری که چون از کننده آن باز پرسى شود منکر آن گردد یا از آن پوزش خواهد بر حذر باش، آبروی خود را عزیزدار و هدف تیر گفتارش مساز، هر چه شنیدی برای مردم حکایت مکن که همین برای آلودگی بدروغگوئی بس است، هر چه را مردم برای حکایت کنند انکار مکن، زیرا این انکار برای اثبات نادانی تو بس است، خشم خود را فرو خور و در هنگام غضب بردبار باش، و چون بر انتقام توانا شدی گذشت کن، و چون بخت یار و دولتی بیدار شد صرف نظر کن تا سرانجام با تو باشد، هر نعمتی که خدایت داد نیکودار و هیچ نعمتی را که از نعمتهای خدا است فرومایه مشمار و از دستش مده، و باید اثر نعمت خداوند که بتو عطا کرده در تو دیدار شود.

و بدانکه برتر مؤمنان آن کس است که خود و خاندانش و دارائیش را پیشکش درگاه خدا کند، زیرا هر چیزی که پیش داشتی برای خودت می ماند، و هر چه بدنبال خود گذاشتی و در گذشتی خیرش بدیگران می رسد.

از یاران سست نظر و کج اندیشه و زشت کار بر حذر باش، زیرا یار را با یارش

ص: ۳۹۲

بسجند، در شهرهای بزرگ نشیمن کن، زیرا مرکز اجتماع مسلمانانند.

از منزلهای دور افتاده و بینوا و کم یاور برای طاعت خداوند دور باش، توجه خود را بهمان چیزی معطوف دار که مسئول آنی و از آن بهره می بری، از پاتوق بازارها بپرهیز که محضرهای شیطانند و انگیزشگاه آشوبها، بکسی که بر او برتری داری بسیار توجه کن، زیرا این خود از راههای شکر گزاریست.

در روز جمعه پیش از انجام نماز جمعه مسافرت مکن مگر برای جهاد در راه خدا یا عذر خدا پسند و مقبول، در هر کاری فرمانبر خدا باش و بدستور او کار کن زیرا فرمانبری خدا از هر کاری بهتر است، در انجام عبادت خود را گول بزن تا بدان راغب شوی و با خود مدارا کن و بزورش بعبادت وادار مکن و نشاط و رغبت خود را منظور دار مگر نسبت بنماز واجب و کارهای لازم و مفروض که بناچار باید انجام داد و بیای آنها ایستاد و در موقع به آنها عمل کرد.

مبادا در حالی مرگ گریبانت بگیرد که برای دنیا از پروردگار خود گریزانی و پشت بحضرت او داری.

مبادا یار بزهکاران شوی که بدی، بدی آرد، خدا را محترم شمار و دوستانش را دوست دار.

از خشم بر حذر باش که لشکر بزرگی است از لشکرهای شیطان.

المختار التاسع و الستون

اشاره

و من کتاب له علیه السلام الی سهل بن حنیف الانصاری

، و هو عامله علی المدینه فی معنی قوم من أهلها لحقوا بمعایوه.

أما بعد، فقد بلغنی أنّ رجلاً ممّن قبلک یتسلّلون إلی معاویه فلا تأسف علی ما یفوتک من عددهم، و یذهب عنک من مددهم، فکفی لهم غیا و لک منهم شافیا، فرارهم من الهدی

ص: ۳۹۳

و الحقّ، و إيضاعهم إلى العمى و الجهل، و إنّما هم أهل دنيا مقبلون عليها، و مهطعون إليها، قد عرفوا العدل و رأوه و سمعوه و وعوه و علموا أنّ النّاس عندنا في الحقّ أسوه، فهربوا إلى الأثره، فبعدا لهم و سحقا!! إنّهم - و الله - لم يفرّوا من جور، و لم يلحقوا بعدل، و إنّنا لنطمع في هذا الأمر أن يذلّ الله لنا صعبه، و يسهّل لنا حزنه، إن شاء الله، و السّلام [عليك و رحمه الله و بركاته].

اللغة

(يتسلّلون): يخرجون إلى معاوية هاربين في خفيه و استتار، (فلا تأسف):

لا تحزن، (الغى): الضلال، (الايضاع): الاسراع، (مهطعين): مسرعين، (الاسوه): مستوين، (الاثره): الاستبداد.

الاعراب

مَمَّنْ قبلك: الباء للتبعيض، غَيًّا: تميز، فرارهم: مصدر مضاف إلى الفاعل، فبعدا و سحقا: منصوبان على المفعول المطلق لفعل محذوف أى فابعدوا بعدا و اسحقوا سحقا، يفيد الدعاء عليهم.

المعنى

هذا الكتاب لهيب من لهبات قلبه المقدّس تشتعل من إصابات مخالفه رعاياه على قلبه الشريف حيث يرمونه بسهام نفاقهم و تخلفهم عنه ساعون وراء آمالهم الدنيويّة الدنيّه، فقد قعد جمع من كبار الصحابه عن بيعته و تخلف عنه جمّ مَمَّنْ بايعه بعد

ص: ٣٩٤

رحلته إلى البصره لإخماد ثوره الجمل و إلى صفين لصدّ خلل خلاف معاويه.

فلَمَّا انتهی حرب صفین بأسوء العواقب من مقاومه أهل الضلال و قیام أهل النهروان علی وجهه و هم جلّه أصحابه المخلصین الأبطال، و شاع هذه الأخبار الهائله و أحسّ المتقاعدون عن البیعه و النفر معه نصره معاویه علیہ بمكائده و بذل الأموال الطائله لمن مال عنه علیہ السّلام إلیه شرع المهاجرون و الأنصار المتخلّفون عنه فی التسلّل إلی معاویه مثنی و فرادی و كان ذلك فتّا فی عضد حكومته و ضربه شديده علی عامله فی المدينه.

فكأنّه طلب منه علیہ السّلام معالجه هذا الداء العضال بما رآه علیہ السّلام.

فكتب إلیه بعدم التعرّض لهم و صرف النظر عنهم و تفویضهم إلی سوء عاقبتهم الّتی اختاروها لأنفسهم من الغیّ و الضلال و هلاك الأبد.

و إن كان من جزائهم عند الحكومات بسط العقوبه علیهم بالحبس و بمصادره أموالهم و هدم دورهم.

و لكّنّه علیہ السّلام عزّی عامله عن هذه المصیبه الهائله بما نبّه علیه من أنّهم اناس یفرّون من العدل إلی الظلم و من الهدی إلی الضلاله و من الحقّ إلی الباطل و من الجنّه إلی النار بعد تمام الحجّه و وضوح البیان «و ما ذا بعد الحقّ إلا الضلال».

الترجمه

از نامه ای که آن حضرت به سهل بن حنیف أنصاری فرمانگزار خود در مدینه نگاشت در باره مردمی که از اهل مدینه بمعاویه پیوستند:

أَمَّا بعد، بمن رسیدہ کہ مردانی از قلمرو فرمانگزاری تو نهانی بمعاویه پیوستند و عهد ما را گسستند، بر شماره آنان که از دست می دهی و از کمک آنان بی بهره می شوی افسوس مخور، همین گمراهی و سرگردانی برای سزای آنها و تشفی خاطر تو بس که از شاهره هدایت و حقیقت گریخته اند و به کوری و نادانی شتافته اند (چه شکنجه از این بدتر؟)

ص: ۳۹۵

همانا که آنان اهل دنیایند که بدان روی آورده و بسوی آن می شتابند با این که بخوبی عدالت را شناخته و دیده و گزارش آنرا شنیده اند و باور کرده اند و دانسته اند که همه مردم نزد ما و در آئین حکومت ما حقوق برابر دارند و از این برابری و برداری گریخته و بدنبال خود خواهی و امتیاز طلبی رفته اند گم باشند، نابود باشند.

براستی که - سوگند بخدا - اینان از ستم نگریخته اند و بعدل و داد نییوسته اند و ما امیدواریم که در این کار خداوند دشواری ها را بر ما آسان سازد و سختی ها را هموار کند انشاء الله. و السلام.

المختار السبعون

اشاره

و من كتاب له عليه السلام الى المنذر بن الجارود العبدی،

و قد خان فی بعض ما ولاه من أعماله أما بعد، فإنّ صلاح أبيك غزني منك، و ظننت أنك تتبع هديه، و تسلك سبيله، فإذا أنت فيما رقي إلى عنك لا- تدع لهواك انقيادا، و لا- تبقى لآخرتك عتادا، تعمر دنياك بخراب آخرتك، و تصل عشيرتك بقطيعه دينك، و لئن كان ما بلغني عنك حقّا لجمل أهلك و شسع نعلك خير منك، و من كان بصفتك فليس بأهل أن يسدّ به ثغر، أو ينفذ به أمر، أو يعلى له قدر، أو يشرك في أمانه، أو يؤمن على جبايه [خيانه] فأقبل إلى حين يصل إليك كتابي هذا إن شاء الله.

ص: ۳۹۶

قال الرّضيّ: [و] المنذر هذا هو الذي قال فيه أمير المؤمنين - عليه السّلام - إنّهُ لنظّار في عطفيه، مختال في برديه، تَفّال في شراكيه.

اللغة

(رقّي) بالتشديد: رفع إلى، و أصله أن يكون الانسان في موضع عال فيرقى إليه شيء، (العتاد): العدة، (الشسع): سير بين الاصبعين في النعل العربي.

الاعراب

قال الشارح المعتزلي: و اللام في لهواك متعلّقه بمحذوف دلّ عليه «انقيادا» لأنّ المتعلّق من حروف الجرّ بالمصدر لا يجوز أن يتقدّم على المصدر.

أقول: يصحّ أن تتعلّق بقوله «لا تدع» فلا يحتاج إلى تكلف التقدير و هو أوضح معنا أيضا و كذا في الجملة التالية.

المعنى

المنذر بن الجارود من أشرف العرب و من عبد القيس الناهي في الشرف ينسب إلى نزار بن معد بن عدنان، كان الجارود نصرانيا فوفد على النبي صلّى الله عليه و آله في سنة تسع أو عشر من الهجرة فأسلم و حسن إسلامه و سكن بعد ذلك في البصرة و قتل بأرض فارس أو نهاوند مع النعمان بن المقرن.

و قد بالغ على عليه السّلام في ذمّه و توبيخه في هذا الكتاب لما ثبت عنده من خيانتة في أموال المسلمين و صرفها في شهواته و عشيرته زائدا على ما يستحقّون و هذا ممّا لا يتحمّله عليه السّلام.

قال الشارح المعتزلي في «ص ٥٩ ج ١٨ ط مصر»: و أمّا الكلمات التي ذكرها الرضيّ عنه عليه السّلام في أمر المنذر فهي دالّة على أنّه نسبه إلى التيه و العجب، فقال: (نظّار في عطفيه) أي جانيبه، ينظر تاره هكذا و تاره هكذا، ينظر لنفسه و يستحسن هيئته و لبسته، و ينظر هل عنده نقص في ذلك أو عيب فيستدركه بازالته،

ص: ٣٩٧

كما يفعل أرباب الزهو و من يدعى لنفسه الحسن و الملاحه.

قال: (مختال في بردیه) يمشی الخیلاء عجا - إلى أن قال (تفال في شراکیه) الشراک: السیر المذی يكون في النعل علی ظهر القدم، و التفل بالسکون مصدر تفل أى بصر، و التفل محرکا: البصاق نفسه و إنما یفعله المعجب و الثائه في شراکیه لیذهب عنهما الغبار و الوسخ، يتفل فیهما و یمسحهما لیعودا کالجديدين.

الترجمه

از نامه ای که آن حضرت علیه السلام بمنذر بن جارود عبدی نگاشت که در کار فرمانگزاری خود خیانت کرده بود:

أما بعد، راستی که خوبی و شایستگی پدرت مرا فریفت و گمان بردم پیرو درستی او هستی و براه او می روی، بناگاه چنین بمن رسید که تو یکسره هوسبازی و دنبال هوای نفس می روی و برای آخرت توشه ای بر نمی گیری و در فکر سرای دیگر نیستی.

دنیايت را بويرانی آخرت آباد می کنی و با دینت بخویشانت وصله می زنی و به آنها کمک می کنی.

و اگر چنانچه آن گزارشاتی که از تو بمن رسیده درست باشد شتر خاندانت و بند کفشت بهتر از تو است، و کسی که چون تو باشد شایسته نباشد که مرزرداری کند و یا کاری بوسیله او انجام شود و یا درجه ای از او بالا رود یا شریک در کارگزاری خلافت که امانت الهی است بوده باشد یا آنکه بر جمع خراج و مالیات اُمین شمرده شود، بمحض این که این نامه من بتو رسید بسوی من بیا، انشاء الله.

المختار الواحد و السبعون

اشاره

و من کتاب له علیه السلام الی عبد الله بن العباس

أما بعد، فإنک لست بسابق أجلك، و لا مرزوق ما لیس لك

ص: ۳۹۸

و اعلم بأنّ الدّهر يومان: يوم لك، و يوم عليك، و أنّ الدّنيا دار دول، فما كان منها لك أتاكَ على ضعفك، و ما كان منها عليك لم تدفعه بقوّتك.

المعنى

بعد ما انتشر الاسلام و ورد الخراج و الغنائم كالسيل إلى الحجاز، مال جمع من الصحابه إلى ادّخار الأموال و تحصيل الثروه و الجاه، و قد حذّروهم عليه السّلام من الاغترار بالدنيا و زخارفها و ملأ أسماعهم بالمواعظ الشافيه فى الخطب و الكتب و منها هذا الكتاب الّذى أرسله إلى ابن عبّاس ليكون عظه و إرشادا للناس، و تبه فيها على أنّ الرزق و الأجل أمران مقدّران مرزوقان و أنّ إقبال الدنيا و إدبارها على كلّ أحد لا يكون بالكسب و الجهد و أنّ كلّ ما هو آت قريب.

الترجمه

از نامه ای که آن حضرت بعبد الله بن عباس نگاشت:

أمّا بعد، براستی که تو از اجل مقدّر پیشدستی نتوانی، و آنچه را از آنت نیست روزی نگیری، بدانکه روزگار دو هنگامه است، روزی بسود تو و روزی بزیانت، دنیا خانه ایست که دست بدست می گردد آن هنگامه که از آن تو است تو را آید گر چه بینوا باشی و آن هنگامه که بر زیان تو است بر سرت چرخد و نتوانی بنیروی خود جلوش را بگیری.

المختار الثانی و السبعون

اشاره

و من کتاب له علیه السلام الی معاویه

أمّا بعد، فإنّی على التردّد فی جوابک، و الاستماع إلى کتابک

ص: ۳۹۹

لموهّن رأيي، و مخطئ فراستي، و إنك إذ تحاولني الأمور و تراجعني السيّطور كالمستقلّ النائم تكذبه أحلامه، و المتحيّر القائم يبهظه مقامه، لا يدري أله ما يأتي أم عليه، و لست به غير أنّه بك شبيه و أقسم بالله أنّه لو لا بعض الاستبقاء لوصلت إليك منّي قوارع:

تقرع العظم، و تهلس [تنهس] اللحم، و اعلم أنّ الشيطان قد ثبطك عن أن تراجع أحسن أمورك، و تأذن لمقال نصيحتك [و السلام لأهله].

قال المعتزلي: و روى تهلس اللحم و تهلس بتقديم اللام و تهلس بكسر اللام تذيبه حتّى يصير كبدن به الهلاس و هو السلّ، و أمّا تهلس فهو بمعنى تلحس أبدلت الحاء هاء و هو من لحست كذا بلساني بالكسر، ألحسه، أى تأتى على اللحم حتّى تلحسه لحسا، لأنّ الشئ إنّما يلحس إذا ذهب و بقى أثره و أمّا «ينهس» و هى الرواية المشهوره فمعناه يعترق.

اللغة

(موهّن): مضعّف، و قال المعتزلي: لائم نفسى و مستضعف رأيي، (التردد) التردد و التكرار فى مجاوبه الكتب و الرسائل، (بهظه): أثقله، (القوارع):

الشدائد، (ثبطه) عن كذا: شغله، (تأذن) بفتح الذال: تسمع.

الاعراب

لموهّن: خبر فائى و رأيى مفعوله، كالمستقل: خبر إنك، تكذّبه:

جمله حالّيه عن «النائم» و كذا جمله لا يدري.

ص: ٤٠٠

يأسف عليه السَّلام في كتابه هذا على ابتلائه بالمراسله مع معاويه حيث يعلم أنَّ المواعظ لا تؤثر فيه و ما يتضمَّن كتبه من إظهار الاعتقاد باللَّه و رسوله صرف لقلقه اللسان و لا يجوز تراقبه، بل تظاهره بمطالبة دم عثمان لا يكون عن اعتقاده بأنَّه ممَّا يجب عليه و له حقٌّ فيه بل جعله وسيله إلى جلب قلوب أنصاره و موافقيه الَّذِينَ ضلُّوا و أضلُّوا، فشبهه بالنائم الثقيل الَّذي يرى أحلاما كاذبه و المتحير في المقام الَّذي لا يقدر حمله و الجاهل في أعماله الَّذي لا يدري أنَّ ما يأتيه في عقب أعماله ينفعه أو يضره.

ثمَّ تبَّه على أنَّ مداراته معه لا تكون لعجزه عن قمعه و قهره بل لما يقتضيه المصلحه من إبقاء ظاهر الاسلام و حفظ مركزه العلم و الدين بوجود أهل البيت و عترته الحاملين لحقائق الدين و القرآن.

فأنَّه لو يجذَّ في الحرب معه ليستأصله من شافته ينجزَّ إلى هلاك أنصاره عليه السَّلام و أنصار معاويه المتمسكين بالاسلام، فيكرَّ الكفَّار على المسلمين و يقهرونهم في ظاهر الدين و ربما ينجزَّ إلى قتل الحسن و الحسين عليهما السَّلام بقيه العتره الطاهره فينقطع الامامه كما صرَّح به في الاستسلام إلى اقتراح قبول الصلح في جبهه صفين فالمقصود من بعض الاستبقاء في كلامه عليه السَّلام هو الاستبقاء على ظاهر الاسلام و حفظ العتره الطاهره لخير الأنام و هذا هو المصلحه الَّتِي رعاها في ترك المحاربه مع أصحاب السقيفه و مخالفه بعد وفاه النبی صلی الله عليه و آله.

از نامه ای که آن حضرت علیه السلام بمعاویه نگاشته:

أما بعد، براستی که من در تکرار پاسخ نامه های تو و شنیدن آنها رأی خود را سست می شمارم و خود را سرزنش می نمایم و نباید مراسله با تو را تا این حد ادامه دهم و تو که در کارها با من داد و ستد می کنی و در نگارش سطور مراجعه و تکرار می نمائی کسی را مانی که در خواب سنگینی اندر است و رؤیاهای دروغین ببند و یا کسی که

در مقامی برتر از خود ایستاده و بر دوش او سنگینی می کند و نمی داند آینده بسود او است یا زیان او، تو خود او نیستی مانند او هستی.

بخدا سوگند، اگر برای حفظ بقیه ظواهر اسلام و بقیه عترت خیر الانام و مؤمنین پاکدل نبود ضربتهای کوبنده از من بتو می رسید که استخوانت را خرد می کرد و گوشت تنت را همه از آن جدا می نمود، بدانکه شیطان بر سر راه تو است و تو را بکلی باز داشته از این که بکارهای بهتر و نتیجه بخش تر از آنچه می کنی بر گردی و راه دین و حقیقت را پیوئی و بگفته های اندرزگوی خود گوش بدهی (درود بر اهل آن).

المختار الثالث و السبعون

اشاره

من حلف له عليه السلام كتبه بين ربيعه و اليمن، و نقل من خط هشام بن الكلبي

هذا ما اجتمع عليه اهل اليمن حاضرها و باديها، و ربيعه حاضرها و باديها أنهم على كتاب الله: يدعون إليه، و يأمرن به و يجيبون من دعا إليه و أمر به، لا- يشترن به ثمنًا، و لا يرضون به بدلًا، و أنهم يد واحد على من خالف ذلك و تركه، أنصار بعضهم لبعض: دعوتهم واحده، لا ينقضون عهدهم لمعتبه عاتب، و لا لغضب غاضب، و لا لاستذلال قوم قوما، و لا لمسبه قوم قوما، على ذلك شاهدهم و غائبهم، و سفیههم و عالمهم، و حلیمهم و جاهلهم، ثم إنَّ عليهم بذلك عهد الله و ميثاقه إن عهد الله كان مسئولًا، و كتب عليّ ابن أبي طالب.

ص: ۴۰۲

(الحلف): العهد أى و من كتاب حلف، فحذف المضاف، (اليمن): كل من ولده قحطان نحو حمير و عك و جذام و كنده و الازد و غيرهم.

و (ربيعة): هو ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان و هم بكر و تغلب و عبد القيس، و (هشام): هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي نسابه ابن نسابه عالم بأيام العرب و أخبارها. (الحاضر): أهل القرى و المدن، (البادى) سكان البدو.

الاعراب

هذا ما اجتمع: قال ابن ميثم: هذا مبتدأ و ما موصوله و هى صفة المبتدأ و خبره أنهم، و يجوز أن يكون هذا مبتدأ و خبره ما اجتمع عليه و يكون قوله أنهم تفسيراً لهذا.

أنهم على كتاب الله: قال الشارح المعتزلى: حرف الجرّ يتعلّق بمحذوف أى مجتمعون.

أقول: الظاهر أنه ظرف مستقرّ متعلّق بفعل عامّ خبر لأنّ أى أنهم ثابتون على كتاب الله.

المعنى

أشار فى قوله (ما اجتمع عليه أهل اليمن) إلخ - إلى محاربات و أحقاد كانت بين الفتيين القحطاني و العدناني فى أيام الجاهلية فأماها الاسلام و أحيها رجعه السقيفه ثم بلغها أوجها سياسه بنى اميه المثيره للخلاف بين المسلمين لغرض الاستيلاء عليهم و أشار عليه السلام فى قوله (لا- ينقضون عهدهم لمعتبه عاتب) إلخ - إلى ما يثير قبائل العرب الجاني للحروب و المناضلات و جمعها فى أربعة: المعاتبه، و الغضب، و قصد التسلّط و الاستدلال بعضهم لبعض، و السبّ و الشتم المتبادل بينهم بعضهم مع بعض.

قال الشارح المعتزلى «ص ٦٧ ج ١٨ ط مصر»: و اعلم أنّه قد ورد فى الحديث عن النبىّ صلّى الله عليه و آله: «كلّ حلف كان فى الجاهليّه فلا يزيده الاسلام إلّا شدّه» و لا حلف فى الاسلام، لكنّ فعل أمير المؤمنين عليه السّلام أولى بالاتباع من خبر الواحد - إلخ.

أقول: هذه الجملة تدلّ على أنّ ما ذكره الرضى رحمه الله فى نهجه كان معلوم الصدور حتّى عند أمثال أبى الحديد المتأخّر عن عصره بما يقرب من قرنين فتدبّر.

الترجمه

عهد نامه ای که آن حضرت میان قبیله ربيعه و یمن بخط خود نوشته و از خط ابن هشام کلبی نقل شده است.

اینست آنچه همه اهل یمن از شهری و بیابانی و ربيعه از شهری و بیابانی بر آن اتفاق کردند:

۱ - همه بر قانون قرآن و پیرو آنند و بدان دعوت کنند و بدان دستور دهند و هر کس بدان دعوت کند او را اجابت کنند، آنرا بهیچ بها نفروشند و از آن بدلی نگیرند و بجای آن نپسندند.

۲ - همه همدست و متفق باشند در برابر کسی که مخالف این قرار باشد و آنرا وانهد و یاور همدیگر باشند در این باره و کلمه آنها یکی باشد.

۳ - عهد و پیمان خود را بخاطر گله از همدیگر یا خشم کسی یا قصد خوار کردن مردمی دیگر را یا بدگوئی و دشنام دادن بهمدیگر نشکنند.

۴ - مسئول این عهد و پیمانست هر کدام حاضر مجلس هستند و هر کدام غائب هستند از نادان و دانا و بردبار و جاهل آنان.

سپس عهد و میثاق خداوند بعهده آنها است که باید رعایت کنند، براستی که عهد خداوند مسئولیت دارد و مورد بازپرسی است.

علی بن ابی طالب نوشته است.

ص: ۴۰۴

اشاره

و من كتاب له عليه السلام الى معاويه [من المدينه] فى أول ما يبيع

له ذكره الواقدي فى كتاب الجمل من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاويه بن أبى سفيان:

أما بعد، فقد علمت إعداري فيكم و إعراضى عنكم، حتى كان ما لا بد منه و لا دفع له، و الحديث طويل، و الكلام كثير، و قد أدبر ما أدبر، و أقبل ما أقبل، فبايع من قبلك، و أقبل إلى فى وفد من أصحابك، [و السلام].

اللغه

(الوفد): الواردون على الملك.

المعنى

هذا أول مكتوب أرسله عليه السلام إلى معاويه يطلب منه أخذ البيعه له من أهل الشام بمقتضى ثبوت خلافته معنا بالنص من النبى صلى الله عليه و آله و عرفا بمبايعه المهاجرين و الأنصار معه، و كان عليه السلام يعلم ما فى قلب معاويه من النقمه على قتل عثمان.

فلخص أمره فى قوله (فقد علمت إعداري فيكم) أى إظهار عذره و ذلك باجتهاده فى نصيحه عثمان و ذبه عن هجوم الناس عليه حتى بعث الحسين للدفاع عنه و لكن الثوره دارت عليه، و أعرض عليه السلام عن التعرض لنبي اميه و أشار إلى أن الموضوع يحتاج إلى شرح طويل لا يسعه المقام.

الترجمه

از نامه ای که آن حضرت در آغاز بیعت باوی بمعاویه نگاشت، واقدی آنرا در کتاب جمل خود ضبط کرده است:

ص: ۴۰۵

از بنده خدا امیر مؤمنان بمعاضه بن ابی سفیان.

أما بعد، تو خود می دانی که من در باره شماها حق نصیحت را بجای آوردم و چون نتیجه نداد از شماها کناره کردم تا آنچه شدنی بود شد و چاره ای هم نداشت در اینجا داستان دراز است و سخن بسیار، گذشته ها گذشت و برگشتی ندارد و آمد آنچه آمدنی بود، تو با هر کس در پیش خود و بفرمان خود داری بنام من بیعت کن و با جمعی از یاران و همکارانت به پیشگاه من بیا و شرط طاعت بجای آور.

المختار الخامس والسبعون

اشاره

لعبد الله بن العباس، عند استخلافه اياه على البصره

سَعِ النَّاسُ بِوَجْهِكَ وَ مَجْلِسِكَ وَ حَكْمِكَ، وَ إِيَّاكَ وَ الْغَضَبُ فَإِنَّهُ طَيْرُهُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَ اعْلَمْ أَنَّ مَا قَرَّبَكَ مِنَ اللَّهِ يَبَاعِدُكَ مِنَ النَّارِ وَ مَا بَاعِدُكَ مِنَ اللَّهِ يَقْرِبُكَ مِنَ النَّارِ.

قال الشارح المعتزلي: «ص ٧٦ ج ١٨ ط مصر»: روى «و حلمك» قال:

و طيره من الشيطان بفتح الطاء و سكون الياء أى خفه و طيش.

الاعراب

سَعِ: أمر من وسع يسع، و الباء فى بوجهك للالصاق.

و مقصوده عليه السلام المساواه فى معاشرته و معاملته بين الناس بحيث يشملهم جميعا.

الترجمه

برای عبد الله بن عباس نگاشته هنگامی که او را در بصره گماشته:

مردم را همه پذیرا باش با چهره باز و در مجلس خود و در قضاوت خود.

مبادا خشم گیری که خشم جهش و پرشی است از شیطان.

ص: ٤٠٦

و بدانکه هر آنچه تو را بخداوند نزدیک کند از دوزخت دور سازد و هر چه تو را از خدا بدور کند بدوزخت نزدیک سازد.

المختار السادس و السبعون

اشاره

و من وصيه له عليه السّلام لعبد الله بن العباس لما بعثه

للاحتجاج على الخوارج

لا تخاصمهم بالقرآن فإنّ القرآن حمّال ذو وجوه تقول و يقولون و لكن حاججهم بالسّنه فإنّهم لن يجدوا عنها محيصا.

اللغه و المعنى

حمّال ذو وجوه: يتحمّل ألفاظه بسياقه الخاصّ أن تحمل على معان مختلفه و وجوه عديده فاذا تمسّك أحد بمعنى و فسّرها بما يوافق مقصوده تمسّك الخصم بوجه آخر و تفسير يخالفه فلا يخصم، و هذا الكلام بالنسبه إلى متشابهات القرآن و كليّاته صادقه لا بالنسبه إلى محكماته الواضحه البينه، و لعلّ ما يريد ابن عبّاس أن يحتجّ به محصور فى القسمين الأوّلين، و أمّا السنن الواردة فى صحّه مدّعه الدالّه على أنّ عليّا عليه السّلام حقّ فى كلّ ما يعمل فصريحه ناصّه كافيه فى إفحام الخوارج.

قال الشارح المعتزلى «ص ٧٢ ج ١٨ ط مصر»: و ذلك أنّه أراد أن يقول لهم: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله «عليّ مع الحقّ و الحقّ مع عليّ يدور معه حيثما دار» و قوله «اللهمّ وال من والاه، و عاد من عاداه، و انصر من نصره، و اخذل من خذله» و نحو ذلك - إلخ، أقول: و فى المقام أبحاث عميقه لا يسع الكتاب للخوض فيها.

الترجمه

از سفارشی که آن حضرت بعبد الله بن عباس کرد چونش برای احتجاج نزد خوارج فرستاد:

ص: ٤٠٧

بایات قرآن با آنها محاجّه مکن که قرآن معانی بسیار در بر دارد و بچند وجه تفسیر می شود، می گوئی و جواب می گویند، ولی با حدیث پیغمبر با آنها محاجّه کن که در برابر آن جوابی ندارند.

المختار السابع والسبعون

اشاره

و من كتاب له عليه السلام الى أبي موسى الاشعري جوابا في أمر الحكمين

ذكره سعيد بن يحيى الاموى فى كتاب المغازى فإنّ النّاس قد تغير كثير منهم عن كثير من حظّهم، فمالوا مع الدّنيا، و نطقوا بالهوى، و إنّى نزلت من هذا الأمر منزلا معجبا اجتمع به أقوام أعجبتهم أنفسهم، فإنّى أداوى منهم قرحا أخاف أن يعود علقا، و ليس رجل - فاعلم - أحرص على أمّه محمّد - صلّى الله عليه و آله - و ألفتها منى، أبتغى بذلك حسن الثّواب و كرم الماب، و سافى بالمدى و أيت على نفسى، و إن تغيرت عن صالح ما فارقتنى عليه، فإنّ الشّقى من حرم نفع ما أوتى من العقل و التّجربه، و إنّى لأعبد أن يقول قائل بباطل، و أن أفسد أمرا قد أصلحه الله، فدع ما لا تعرف، فإنّ شرار النّاس طائرون إليك باقاويل السّوء، و السلام.

قال الشارح المعتزلى: و روى و نطقوا مع الهوى، أى مائلين عنه، و روى و أنا ادارى بالراء من المداراه، و روى نفع ما أولى باللام، يقول: أوليته معروفا

ص: ٤٠٨

و روى أن قال قائل باطل و يفسد أمرا، و أنا اداوى، أن يعود علقا، فدع عنك.

اللغة

(العلق): الدم الغليظ، (و آيت): وعدت و تعهدت، (أعبد): آنف و أستنكف.

المعنى

قوله (قد تغير كثير منهم) يشير إلى انحرافهم عن سنّة الرسول الراميه إلى تهذيب النفوس و تحكيم العقيدة بالمبدأ و المعاد الباعث على الزهد فى شئون الدنيا بزعامه على عليه السّلام ففات كثير من حظهم الاخرى و المعنوى.

قوله (منزلا- معجبا) أى نزلت عن مقام الولاية الإلهية و الخلافة المنصوصه إلى مقام الاماره العاديه بالانتخاب من الناس و قد اجتمع معه فى هذا المقام النازل قوم وصلوا إلى هذا المقام قبله كأبى بكر و عمر و طمع فيه معه قوم آخرون كطلحه و الزبير و معاويه و عمرو بن عاص و عبد الله بن عمر المرشح من جانب أبى موسى الأشعرى، فأظهر عليه السّلام العجب من تنزله إلى هذا المقام.

و قد فسّر الشارحان القوم المجتمع معه فى هذا المنزل بأنصاره و أعوانه الذين بايعوا معه فأعجبته أنفسهم و طمعوا فى الشرکه معه فى تمشيه أمر الخلافة و أن يكون إمضاء الامور بالشور معهم على اختلاف آرائهم.

قال الشارح المعتزلى: و هذا الكلام شكوى من أصحابه و نصّاره من أهل العراق، فإنهم كان اختلافهم عليه و اضطرابهم شديدا.

أقول: هذا بناء على أنّ هذا الكتاب صدر منه إليه بعد قرار الحكمين، و لكن إن صدر منه حين انتدابه أهل الكوفه لحرب الجمل و كان أبو موسى يشبطهم عنه فلا يستقيم.

قوله (و أنا اداوى منهم قرحا) الظاهر أنّ القرع هو ضعف العقيدة الاسلاميه و الانحراف عن ولايته عليه السّلام.

ص: ٤٠٩

قوله (و سَأَفِي بِالَّذِي وَ آيَت عَلَى نَفْسِي) مِنَ التَّضْحِيهِ فِي سَبِيلِ الْحَقِّ وَ طَلَبِ الشَّهَادَةِ فِي الْمُنَاضَلَةِ مَعَ أَعْدَاءِ الْحَقِّ، وَ يُؤَيِّدُ ذَلِكَ قَوْلُهُ (وَ إِنِّي لِأَعْبُدُ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ بِبَاطِلٍ وَ أَنْ أَفْسِدَ أَمْرًا قَدْ أَصْلَحَهُ اللَّهُ).

الترجمة

از نامه ای که آن حضرت بآبی موسی اشعری نگاشته در پاسخ نامه او در باره حکمین، سعید بن یحیی اموی آنرا در کتاب مغازی آورده:

براستی که بسیاری مردم از بسیاری بهره ورهای خود روگردان شده اند و دل دنیا داده و از هوای نفس سخن گویند، من در این میان بمقام شگفت آوری فرو افتاده ام که مردمی خودپسند در آن گرد آمده اند، من می خواهم ریشی که در دل دارند و می ترسم خونی بسته شود «و آنها را بکشد» درمان کنم، و بدانکه مردی نیست که بر امت محمد صلی الله علیه و آله رؤوف تر و بر اتفاق و الفت آنان از من حریصتر باشد و من در این باره پاداش خوب می جویم و سرانجام نیک.

و بدانچه با خویش تعهد کرده ام وفادارم و گر چه تو از شایستگی که با آن از من جدا شدی دیگر گون گردی و بی وفائی را پیشه سازی، چه براستی بدبخت آن کس است که از بهره وری از عقلی که باو داده شده محروم ماند و از تجربه ای که اندوخته سود نبرد و آنرا بکار نیندد.

و براستی که من گریزانم از این که گوینده ای بیهوده و ناروا گوید و از این که تباه سازم امری را که خداوند بهبود ساخته و بصلاح آورده، آنچه را ندانی و انه و پیرامونش مگرد و از روی دانش و یقین کار کن، زیرا مردمان بدگفتارهای بد و ناروا از هر سو بجانب تو می پرانند «و تو را منحرف می سازند».

ص: ۴۱۰

و من كتاب له عليه السلام لما استخلف، الى امراء الاجناد

أما بعد، فإنما أهلك من كان قبلكم أنهم منعوا الناس الحق فاشتروه، و أخذوهم بالباطل فاقتدوه.

المعنى

قال الشارح المعتزلى «ص ٧٩ ج ١٨ ط مصر»: أى منعوا الناس الحق فاشتري الناس الحق منهم بالرشا و الأموال، فأرجع ضمير اشتروا إلى الناس - إلى أن قال: و روى فاستروه بالسين المهملة أى اختاروه و يقال: استريت خيار المال: أى اخترته، و يكون الضمير عائدا إلى الظلمه لا إلى الناس.

و قال ابن ميثم: فاستروه أى فباعوه و تعوضوا عنه بالباطل لما منعوا منه كقوله تعالى «و شروه بثمان بخس - سوره يوسف - ٢٠».

أقول: المقصود من الاشتراء هنا أخذ ما ليس بحق بدلا من الحق كقوله تعالى «اشْتَرُوا الضَّالَّةَ بِالْهُدَى» - ١٧ - البقره» فإنه لا بد للناس من الالتزام بنظام يعيشون فى ظلّه فهو إما حق إلهي، إما غير حقّ يحمل عليهم قسرا كما أنّه فى زماننا هذا بدّلوا القانون الالهى بقانون انتخابى بشرى، فاذا صار هذا البدل متداولاً و معمولاً بين الناس يقتدى به أخلافهم و من يأتى من بعدهم فيصير الباطل الذى حمل عليهم ممّا يقتدى به.

الترجمه

از نامه اى كه آن حضرت عليه السلام بفرماندهان قشون خود نگاشت چون خليفه شد:

ص: ٤١١

أما بعد، همانا کسانی که پیش از شما بودند هلاک شدند برای آنکه مردم را از حق بازداشتند و آنان حق را بناحق فروختند و مردم را باطل و بیهوده واداشتند تا همه بدان اقتداء کردند و از آن پیروی نمودند.

قد وقع الفراغ من هذا الجزء العشرين من شرح نهج البلاغه في العشرين من شهر ربيع المولود من سنة التاسع و الثمانين بعد الألف و ثلاثمائة من الهجرة النبويّة القمريّة، بيد مؤلّفه محمد باقر الكمره ای - في شهر رى.

الى هنا انتهى الجزء العشرون من أجزاء الكتاب بعون الله الملك الوهاب، و قد عاق المقدور طبعه عن طبع الجزء الواحد و العشرين الذى هو آخر أجزاء الكتاب رغم جهود الناشر المحترم و استعجاله فله الحمد على كل حال، و تم تصحيحه و تهذيبه و ترتيبه بيد العبد - السيد ابراهيم الميانجى - عفى عنه و عن والديه فى مفتتح سنة - ۱۳۹۰ - و الحمد لله رب العالمين.

ص: ۴۱۲

بسمه تعالی

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

آیا کسانی که می‌دانند و کسانی که نمی‌دانند یکسانند؟

سوره زمر / ۹

مقدمه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان، از سال ۱۳۸۵ هـ. ش تحت اشراف حضرت آیت الله حاج سید حسن فقیه امامی (قدس سره الشریف)، با فعالیت خالصانه و شبانه روزی گروهی از نخبگان و فرهیختگان حوزه و دانشگاه، فعالیت خود را در زمینه های مذهبی، فرهنگی و علمی آغاز نموده است.

مرامنامه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان در راستای تسهیل و تسریع دسترسی محققین به آثار و ابزار تحقیقاتی در حوزه علوم اسلامی، و با توجه به تعدد و پراکندگی مراکز فعال در این عرصه و منابع متعدد و صعب الوصول، و با نگاهی صرفاً علمی و به دور از تعصبات و جریانات اجتماعی، سیاسی، قومی و فردی، بر مبنای اجرای طرحی در قالب «مدیریت آثار تولید شده و انتشار یافته از سوی تمامی مراکز شیعه» تلاش می نماید تا مجموعه ای غنی و سرشار از کتب و مقالات پژوهشی برای متخصصین، و مطالب و مباحثی راهگشا برای فرهیختگان و عموم طبقات مردمی به زبان های مختلف و با فرمت های گوناگون تولید و در فضای مجازی به صورت رایگان در اختیار علاقمندان قرار دهد.

اهداف:

۱. بسط فرهنگ و معارف ناب ثقلین (کتاب الله و اهل البیت علیهم السلام)
۲. تقویت انگیزه عامه مردم بخصوص جوانان نسبت به بررسی دقیق تر مسائل دینی
۳. جایگزین کردن محتوای سودمند به جای مطالب بی محتوا در تلفن های همراه ، تبلت ها، رایانه ها و ...
۴. سرویس دهی به محققین طلاب و دانشجو
۵. گسترش فرهنگ عمومی مطالعه
۶. زمینه سازی جهت تشویق انتشارات و مؤلفین برای دیجیتالی نمودن آثار خود.

سیاست ها:

۱. عمل بر مبنای مجوز های قانونی
۲. ارتباط با مراکز هم سو
۳. پرهیز از موازی کاری

۴. صرفا ارائه محتوای علمی

۵. ذکر منابع نشر

بدیهی است مسئولیت تمامی آثار به عهده ی نویسنده ی آن می باشد .

فعالیت های موسسه :

۱. چاپ و نشر کتاب، جزوه و ماهنامه

۲. برگزاری مسابقات کتابخوانی

۳. تولید نمایشگاه های مجازی: سه بعدی، پانوراما در اماکن مذهبی، گردشگری و...

۴. تولید انیمیشن، بازی های رایانه ای و ...

۵. ایجاد سایت اینترنتی قائمیه به آدرس: www.ghaemiyeh.com

۶. تولید محصولات نمایشی، سخنرانی و...

۷. راه اندازی و پشتیبانی علمی سامانه پاسخ گویی به سوالات شرعی، اخلاقی و اعتقادی

۸. طراحی سیستم های حسابداری، رسانه ساز، موبایل ساز، سامانه خودکار و دستی بلوتوث، وب کیوسک، SMS و...

۹. برگزاری دوره های آموزشی ویژه عموم (مجازی)

۱۰. برگزاری دوره های تربیت مربی (مجازی)

۱۱. تولید هزاران نرم افزار تحقیقاتی قابل اجرا در انواع رایانه، تبلت، تلفن همراه و... در ۸ فرمت جهانی:

JAVA.۱

ANDROID.۲

EPUB.۳

CHM.۴

PDF.۵

HTML.۶

CHM.۷

GHB.۸

و ۴ عدد مارکت با نام بازار کتاب قائمیه نسخه :

ANDROID.۱

IOS.۲

WINDOWS PHONE.۳

WINDOWS.۴

به سه زبان فارسی ، عربی و انگلیسی و قرار دادن بر روی وب سایت موسسه به صورت رایگان .

در پایان :

از مراکز و نهادهایی همچون دفاتر مراجع معظم تقلید و همچنین سازمان ها، نهادهای، انتشارات، موسسات، مؤلفین و همه

بزرگوارانی که ما را در دستیابی به این هدف یاری نموده و یا دیتاهای خود را در اختیار ما قرار دادند تقدیر و تشکر می‌نماییم.

آدرس دفتر مرکزی:

اصفهان - خیابان عبدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آباده ای - کوچه شهید محمد حسن توکلی - پلاک ۱۲۹/۳۴ - طبقه اول

وبسایت: www.ghbook.ir

ایمیل: Info@ghbook.ir

تلفن دفتر مرکزی: ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

دفتر تهران: ۰۲۱ - ۸۸۳۱۸۷۲۲

بازرگانی و فروش: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور کاربران: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

مرکز تحقیقات رایانگی

اصفهان

گامی

WWW



برای داشتن کتابخانه های تخصصی
دیگر به سایت این مرکز به نشانی

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

مراجعه و برای سفارش با ما تماس بگیرید.

۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹

